اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر عبد الوهاب الشعراني

وبالحاشية الكبريت الأحمر عبد الوهاب الشعراني

الجزء الثاني

في بيان علوم الشيخ الأكبر
محيي الدين بن العربي المتوفى سنة 638 هـ

الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري الحنفي
973 هـ

[الجزء الثاني]

اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر وبأسفله الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر محيى الدّين بن العربي المتوفى سنة (638 هـ)
وهو منتخب من كتاب لواقح الأنوار القدسيّة المختصر من الفتوحات المكيّة
تأليف الشيخ عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري الحنفي (ت 973 هـ)
طبعة جريرة مصيحة ومخرجة الآيات القرآنية الكريمة
الجزء الثاني دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان

"304"

.

المبحث الحادي والثلاثون : في بيان عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من كل حركة أو سكون أو قول أو فعل ينقص مقامهم الأكمل

وذلك لدوام عكوفهم في حضرة الله تعالى الخاصة ، فتارة يشهدونه سبحانه وتعالى ، وتارة يشهدون أنه يراهم ولا يرونه ولا يخرجون أبدا عن شهود هذين الأمرين ، ومن كان مقامه كذلك لا يتصور في حقه مخالفة قط حقيقية ، وإنما هي مخالفة صورية كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، وتسمى هذه حضرة الإحسان ومنها عصمة الأنبياء وحفظ الأولياء ، فالأولياء يدخلون ويخرجون ، والأنبياء مقيمون فيها ، ومن أقام فيها من الأولياء كسهل بن عبد الله التستري وسيدي إبراهيم المتبولي فإنما ذلك بحكم الإرث والتبعية للأنبياء استمدادا من مقامهم لا بحكم الاستقلال فافهم . إذا علمت ذلك فلنذكر لك نقول المتكلمين في مبحث العصمة ثم نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق:

قال أئمة الأصول : الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون لا يصدر عنهم ذنب ، ولو صغيرة سهوا ، ولا يجوز عليهم الخطأ في دين الله قطعا وفاقا للأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني وأبي الفتح الشهرستاني والقاضي عياض والشيخ تقي الدين السبكي وغيرهم ، وقال جماعة : لا ينبغي إجراء الخلاف في الأنبياء والمرسلين أبدا وإنما الخلاف في الأنبياء الذين لم يرسلوا ، وهو كلام محشو أدبا وذلك لتوقف حجية الرسل على القول بالعصمة . وأيضا فإن الرسول مشرع لنا بجميع أقواله وأفعاله وتقريراته فلو أنه صدق عليه الوقوع في معصية ما لصدق عليه تشريع المعاصي ولا قائل بذلك أبدا ، وعبارة الشيخ محيي الدين في « الفتوحات: «

ويشترط في حق الرسول العصمة في جميع ما يبلغه عن الله عزّ وجلّ فإن عصم في غير ما يبلغه

....

العارفين مع ربهم أن لا يحكموا عليه بتقييد كأنه يقول : إن كان الحق تعالى قدر عليهم في سابق علمه بشيء فلا بد من وقوعه وإذا وقع فلا بد لهم من حجاب أدناه التأويل والتزيين ، فاعلم ذلك.

]الباب الثامن ومائتان في حال الانزعاج[

وقال في الباب الثامن ومائتين من مكر الله الخفي بإبليس اشتغاله بالعارفين ليوقعهم في المخالفات وهو تعالى قد حفظهم من مطاوعته في ذلك فهو يعمل دائما في غير معمل فكلما وسوس لولي في شيء خالفه ذلك الولي فيرقى بتلك المخالفة من حيث لا يشعر إبليس فهو لعنه الله ساع في تنقيصهم ليلا ونهارا ، وذلك عين رفع درجاتهم ولو أنه شعر بذلك لرجع عنهم فافهم.

]الباب التاسع ومائتان في المشاهدة[

وقال في الباب التاسع ومائتين : إنما أحال الحق تعالى موسى على الجبل

"306"
فمن مقام آخر كأن يخاطب بالتأسي به فيصير ذلك التأسي أصلا لا يجوز عليه فيه فعل حرام قطعا ولا فعل مكروه إلا لبيان الجواز انتهى . وكان إمام الحرمين رحمه الله يقول : من جوز وقوع الصغيرة من الأنبياء سهوا قيدها بغير الدالة على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف في الكيل والوزن بتمرة مثلا ثم لا بد أن ينبهوا عليها على الفور ، وأما استغفاره صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين مرة.
كما ورد فكان لأجل الترقي في المقامات فكان يستغفر من كل مقام ترقى عنه وثم مقام رفيع وأرفع وكان الإمام الجنيد يقول في حديث : إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله تعالى في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة . إن المراد أنه ليغان على قلبي مما اطلعت عليه مما يقع لأمتي بعدي من المخالفات فأستغفر الله لهم أكثر من سبعين مرة انتهى . وقال جماعة من علماء الأصول : الأنبياء الذين لم يرسلوا معصومون قطعا من غير خلاف ومن قال فيهم غير ذلك فعليه الخروج من عهدته بين يدي الله عزّ وجلّ وبين يديهم فإن بداية النبوة تؤخذ من بعد انتهاء الولاية فمن أين يتعقل الواحد منا اسم ذنوب الأنبياء وقد قالوا حسنات الأبرار سيئات المقربين فافهم والزم الأدب وأجب عن الأنبياء عليهم السلام جهدك كل من كان في حجاب عن مقامهم وأي فائدة لتجريح من عدله الله تعالى هل يثاب أحد على ذلك . لا والله بل ذلك إلى الإثم أقرب . وقال الشيخ أبو طاهر القزويني في الباب الخامس والثلاثين من كتاب « سراج العقول: «
يجب تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل ما يتبادر إلى أفهامنا من ذكر خطاياهم فإن خطاياهم لا ذوق لنا فيها وإن الله تعالى لما اصطفى الأنبياء في سابق علمه للنبوة وأداء الرسالة رشحهم لذلك في مبادئ أمورهم وحماهم من مكايد الشيطان وصفى سرائرهم من الكدورات وشرح صدورهم بنوره وزينهم بالأخلاق الجميلة وطهرهم عن الرجس والرذائل كما روي في الصحيح أن جبريل أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يلعب مع الصبيان فأخذه وصرعه وشق عن قلبه فاستخرج منه شبه علقة وقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب من ماء زمزم ثم لأمه وعاد كما كان في مكانه . قال : وصورة الشق ليست مثل شق الذبح بالسكين وإنما المراد به كشف باطنه بيد جبريل من غير ألم يصيبه أو دم يصيبه وحاشاه صلى الله عليه وسلم ، من ذلك.
قال : وهذا قريب من إخراج الله الذرية من ظهر آدم عليه السلام ، بمسح اليد كما يليق بجلاله

....
حين سأل رؤية ربه لأن من صفات الجبل الثبوت . أي : فإن ثبت الجبل إذا تجليت له فإنك ستراني من حيث ما في ذاتك من ثبوت الجبال يقال فلان جبل من الجبال إذا كان يثبت عند الشدائد والأمور العظام ، وإيضاح ذلك أن الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى ، وإنما هو لكون خلق الأرض التي الجبل منها أكبر من خلق موسى الذي هو من الناس كما قال تعالى لخلق السماوات والأرض : أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ [غافر : 57] . أي : فإذا كان الجبل الذي هو الأقوى صار دكا عند التجلي فكيف يكون موسى من حيث جبليته الصغيرة يثبت لرؤيتي وأطال في ذلك.

]الباب العاشر ومائتان في المكاشفة[

وقال في الباب العاشر ومائتين : من أراد أن يعرف بغض الحق أو

وسبب توقف العقول الضعيفة ووقوع الاشتباه في مثل ذلك تعذر الخروج عن المألوفات وذلك قوله تعالى : أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) [الشرح : 1] فلم يكن فيه بعد ذلك للهوى منفذ ولا للشيطان عليه سبيل وأطال في ذلك وقال الشيخ : العارف باللّه تعالى الجامع بين الطريقين سيدي عبد العزيز الدريني رضي الله عنه : لا يجوز قطعا نسبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الذنوب على حد ما نتعقله نحن وإنما سماها الله تعالى في حقهم معصية وخطيئة وذلك لأن مقامهم الأرفع لا ذوق لولي فيه ولو ارتفعت درجته فضلا عن غيره من أمثالنا وذلك لأنهم معصومون من الوقوع في ذنوبنا وغاية خطاياهم إنما هو مثل نظره إلى مباح أو لفظة رائحتها رعونة ومكروه وباطنها علم وصلاح مثل قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، في معرض إقامة الحجة على قومه بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ [الأنبياء : 63] وكما وقع له من قوله إِنِّي سَقِيمٌ [الصافات : 89] حتى لا يخرج مع قومه إلى ما دعوه إليه من اللهو واللعب أي مآلي إلى السقم ونحو ذلك انتهى . وقال الشيخ في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من « الفتوحات المكية » : يجب قطعا تنزيه الأنبياء مما نسبه إليهم بعض المفسرين من الطامات الكبرى مما لا يجيء في كتاب ولا سنة صحيحة وهم يزعمون أنهم قد فسروا قصصهم التي قصها الله تعالى علينا وكذبوا الله في ذلك وجاءوا فيه بأكبر الكبائر وذلك كمسألة إبراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوه إليه من وقوع الشك بحسب ما يتبادر إلى الأذهان وما نظروا في قوله صلى الله عليه وسلم : « نحن أولى بالشك من إبراهيم » وذلك أن إبراهيم عليه السلام لم يشك في إحياء الله الموتى معاذ الله أن يشك نبي في مثل ذلك وإنما كان يعلم أن لإحياء الله الموتى طرقا ووجوها متعددة لم يدر بأي وجه منها يكون إحياء الله تعالى للموتى وهو مجبول على طلب الزيادة من العلم فعين الله تعالى له وجها من تلك الوجوه فسكن ما كان عنده وعلم حينئذ كيف يحيي الله الموتى فما كان السؤال إلّا عن معرفة الكيف لا غير وكذلك القول في قصة سليمان وما نسبوه إلى الملكين ببابل هاروت وماروت كل ذلك لم يرد في كتاب ولا سنة وإنما ذلك نقل عن اليهود فاستحلوا أعراض الأنبياء والملائكة بما ذكروا لهم من تجريحهم أنبياء الله تعالى وملأوا تفاسيرهم للقرآن
محبته له فلينظر إلى حاله الذي هو عليه من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه والأئمة المهتدين بعده فإن وجد نفسه على هديهم وأخلاقهم من الزهد ، والورع ، وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك جميع المنهيات كذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه ، فليعلم أن الله تعالى يحبه وإلا فليحكم بأن الله يبغضه والإنسان على نفسه بصيرة
]الباب الحادي عشر ومائتان في اللوائح[
وقال في الباب الحادي عشر ومائتين في قوله تعالى:
لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام : 103] . ويحتمل ذلك وجهين : (أحدهما) : أنه نفى أن تدركه الأبصار على طريق التنبيه على الحقائق أي : على معنى أن المدرك له تعالى ليس هو الأبصار وإنما يدركه المبصرون بالأبصار . (والوجه الثاني) : لا تدركه الأبصار المقيدة بالجارحة لضعفها عن مقابلة النور الإلهي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « نور أنّى أراه » لمن سأله هل رأيت ربك ؟ يعني:

"308"
من ذلك فالله تعالى يحفظنا وإخواننا من غلطات الأفكار والأفعال والأقوال آمين انتهى . وقال أيضا في الباب الرابع والخمسين ومائة : ينبغي للواعظ أن يراقب الله تعالى في أنبيائه وملائكته ويستحي من الله عزّ وجلّ ويجتنب الطامات في وعظه كالقول في ذات الله بالفكر والكلام على مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، من غير أن يكون وارثا لهم فلا يتكلم قط على زلاتهم بحسب ما يتبادر إلى أذهان الناس بالقياس على غيرهم فإن الله تعالى قد أثنى على الأنبياء أحسن الثناء بعد أن اصطفاهم من جميع خلقه فكيف يستحل أعراضهم بما ذكره المؤرخون عن اليهود قال : ثم إن الداهية العظمى جعلهم ذلك تفسيرا لكلام الله تعالى ويقولون في تفسيرهم:
قال المفسرون في قصة داود إنه نظر إلى امرأة أوريا فأعجبته فأرسله في غزاة ليموت فيأخذها وكقولهم في قصة يوسف عليه السلام ، إنه همّ بالمعصية وأن الأنبياء لم يعصموا عن مثل ذلك وكقولهم في قصة قوم لوط : لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ [هود : 80] العجز والتحري ونحو ذلك ويعتمدون على تأويلات فاسدة وأحاديث واهية . نقلت عن قوم قالوا في الله ما قالوا من البهتان والزور ، فمن أورد مثل ذلك في مجلسه من الوعاظ مقته الله والملائكة لكونه جعل دهليزا ومهادا لمن في قلبه زيغ يدخل منه إلى ارتكاب المعاصي ويحتج بما سمعه منه في حق الأنبياء ويقول : إذا كان الأنبياء وقعوا في مثل ذلك فمن أكون أنا وحاشا الأنبياء كلهم عن ذلك الذي فهمه هذا الواعظ فوالله لقد أفسد هذا الواعظ الأمة وعليه وزر كل من كان سببا لاستهانته بما وقع فيه من المعاصي ولكن قد ورد أنه لا تقوم الساعة حتى يصعد الشيطان على كرسي الوعظ ويعظ الناس وهؤلاء من جنوده الذين يتقدمون . انتهى.
(فإن قلت) : فما الفرق بين العصمة والحفظ ؟
(فالجواب) : الفرق بينهما أن الأنبياء معصومون من المباح لهوى أنفسهم بخلاف الأولياء فإذا فعل الأنبياء المباح لا يفعلونه لهوى أنفسهم كغيرهم وإنما يفعلونه على جهة التشريع أنه مباح فهو واجب عليهم حينئذ يعني : فعل المباح إذ التبليغ واجب عليهم . ذكره الشيخ محيي الدين في آخر باب سجود التلاوة من « الفتوحات المكية » . وقد حبب لي أن أذكر لك بعض

....
بالبصر المقيد بالجارحة فعلم أن الأبصار إذا لم تتقيد بالجارحة أدركته تعالى بنوره الذي وقع فيه التشبيه بالمصباح لا بنورها المقيد الذي يقبل التشبيه وأطال في ذلك.

]الباب الثالث عشر ومائتان في حال الغيرة[

وقال في الباب الثالث عشر ومائتين : ما ذكر الله تعالى قط ، أحد عن غفلة بجوارحه كلها لأن اللسان الذي هو المترجم قد ذكر وإنما الغفلة عن شعور الذاكر بأنه ذاكر فللذاكر باللسان أجر ذكر اللسان فهو أفضل من ترك الذكر جملة

]الباب السادس عشر ومائتان في معرفة الفتوح وأسراره[

وقال في الباب السادس عشر ومائتين : من ارتفع حجابه رأى من ورائه كما يرى من أمامه بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد.

]الباب التاسع عشر ومائتان في معرفة البسط وأسراره[

وقال في الباب التاسع عشر ومائتين في قوله تعالى : أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ (58) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (59) [الواقعة : 58 - 59] . إنما قال سبحانه وتعالى : أأنتم تخلقونه ولم يقل : أأنتم

أجوبة عن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، مبتدئا بآدم عليه السلام خاتما بمحمد صلى الله عليه وسلم فتحا لباب الأجوبة عن باقيهم فأقول وبالله التوفيق:
اعلم أن آدم عليه الصلاة والسلام ، أول فاتح لباب التوبة حين وقع على يديه ما وقع من أكل الشجرة بعد النهي عنها ، فكانت معصية صورية ليعرف بنيه كيف يفعلون إذا وقعوا في المنهي عنه ، لأنه عليه السلام هو فاتح القبضة ولو لم يقع ذلك على يديه لوقع على يد غيره.
وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والثلاثين من « الفتوحات » : كانت معصية آدم عليه السلام من عين نعمة الله تعالى عليه لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لا ينقلون قط من حال إلا لأعلى منها فإن الله تعالى اجتباهم واصطفاهم بسابق العناية فلا يمكر الحق تعالى بهم أبدا.
قال : ومن هنا يعلم أن هبوط آدم عليه السلام ، وحواء إلى الأرض لم يكن عقوبة لهما وإنما كان عقوبة لإبليس وحده فإن آدم عليه السلام أهبط بصدق الوعد السابق بأن يكون خليفة في الأرض من بعد ما تاب الله عليه واجتباه وبعد ما تلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فكان اعترافه عليه الصلاة والسلام ، في مقابلة قول إبليس : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ [الأعراف : 12] الخ . فعرفنا الحق تعالى مقام الاعتراف عند الله تعالى وما ينتجه من السعادة لنتخذ ذلك طريقا إذا خالفنا أوامر ربنا فكان ما وقع من آدم كالتعليم لبنيه إذا وقعوا في مخالفة كيف يكون خلاصهم وتنصلهم منها كما مرّ وأما إبليس فعرفنا الحق تعالى بدعواه الخيرية أن كل من اتبعه في هذه الدعوى طرد عن حضرة الله ولعن ورجم لنحذر من أن نقول : نحن خير من فلان فلذلك كان هبوط إبليس إلى الأرض عقوبة له دون آدم فما هبط إبليس إلى الأرض إلا لاكتساب الأوزار بخلاف آدم عليه السلام فإنه أهبط للخلافة والترقي في الدرجات فإن جميع حسنات بنيه في صحائفه وليس عليه من أوزارهم شيء.
(فإن قلت) : إن معصية إبليس لا تقتضي تأبيد الشقاء لأنه لم يشرك بالله شيئا وإنما افتخر على آدم عليه السلام ، بما جبله الله عليه من الطبيعة التي هي النار لكونها أقرب إلى اسمه تعالى النور لما فيها من الإضاءة بخلاف الطين.

....

تخلقون منه أو فيه . لأنه تعالى أراد عين إيجاده منا خاصة والاسم المصور هو الذي يتولى فتح الصورة فيه أية صورة شاء من الجنس أو غيره ، وهو قوله تعالى : فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ (8) [الأنفطار : 8] . يعني : شاء الاسم المصور.

]الباب الخامس والعشرون ومائتان في معرفة الزوائد[

وقال في الباب الخامس والعشرين ومائتين في قول الله عزّ وجلّ حكاية عن إبراهيم عليه السلام : رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي [البقرة : 260] . أي : بل آمنت ولكن لوجود الإحياء وجوه كثيرة كما كان وجود الخلق فمن الخلق من أوجدته يا رب عن كن ومنهم من أوجدته بيدك ، ومنهم من أوجدته بيديك ، ومنهم من أوجدته ابتداء ، ومنهم من وجدته عن خلق آخر . فطلبت العلم بكيفية الأمر فإن كان واحدا فأي واحد من هذه الأمور والأنواع ، فإذا أعلمتني به اطمأن قلبي ،

(فالجواب) : إنما جاء الشقاء الأبدي من اعتراضه على الله ونسبة أفعاله إلى غير الحكمة مع إضماره في نفسه أنه لو بقي أبد الآبدين لوسوس للناس بالضلالة فجوزي بنظير فعله ونيته ورجع عليه وزر كل مشرك على وجه الأرض وقد قال الشيخ أبو مدين : إنما خلد أهل الجنة والنار بالنيات وإلا فكان العدل أن يعذب الكفار بقدر مدة عصيانهم.
(فإن قلت) : فهل قوله : حين تبرأ من الذين كفروا بقوله : إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ [الحشر : 16] . توحيد يسعد به أم لا ؟
(فالجواب) : ليس هو بتوحيد لأنه لا يقدر يوسوس لأحد بالشرك حتى يتصوره في نفسه على الصورة التي إذا حصلت في نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فإذا تصورها في نفسه كهذه الصورة فقد خرج عن التوحيد ضرورة فلم يسعد به فكان إبليس مشركا في نفسه بلا شك ولا ريب ثم لو قدر أن صفة الشرك ذهبت من نفسه لم يجد المشرك في نفسه من يحدثه بالشرك .
فاعلم أن إبليس أول مشرك بالله وأول من سنّ الشرك فهو أشقى العالمين.
(فإن قلت) : فما الحكمة في قوله تعالى في آدم عليه السلام وَعَصى [طه : 121] وفي إبليس أَبى [البقرة : 34] ؟
(فالجواب) : ما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وثلاثمائة : أن ذلك من علوم الأسرار ولا يذكر إلا مشافهة لأهله.
(فإن قلت) : فهل إبليس يجهل شيئا من شرائع الأنبياء عليهم السلام ؟
(فالجواب) : هو عالم بها كلها على الكمال وذلك ليوسوس للناس بضد ما أمرت الأنبياء به ، ولولا علمه بها ، لربما التبس عليه الأمر فأمر الناس بما أمرت به الرسل وذلك لا يصح منه .
وقد ذكر الشيخ في باب الحج من « الفتوحات » أن من أغرب الأمور أن إبليس يقف كل سنة مع الناس ولكن لا يقف في عرفة وإنما يقف في عرفة بفتح الراء وهي من عرفات فيقف يبكي على ما فاته من طاعة الله عزّ وجلّ ويحزن على ما فاته ولما يراه يحصل لأهل الموقف من المغفرة العامة فيقف بعرفة لعلمه أنها من عرفة ، رجاء أن تصيبه الرحمة من باب الامتنان لا
وسكن بحصول ذلك الوجه والزيادة من العلم مما أمرتنا به فأحال سبحانه وتعالى إبراهيم على الكيفية بالطيور الأربعة التي هي مثال الطبائع الأربعة إخبارا بأن وجود الآخرة طبيعي يعني: فتحشر الأجسام الطبيعية إذ كان ثم من يقول : لا تحشر الأجسام وإنما الحشر حشر النفوس بالموت إلى النفس الكلية مجردة عن الهياكل الطبيعية فأخبر الله تعالى إبراهيم أن الأمر ليس هو كما زعم هؤلاء فأحاله على أمر موجود عنده تصرف فيه إعلاما بأن الطبائع لو لم تكن معلومة مشهودة متميزة عند الله لم تتميز فما أوجد العالم الطبيعي إلا من شيء معلوم عنده مشهود له نافذ التصرف فيه فجمع بعضه إلى بعض فظهر الجسم على هذا الشكل الخاص وبان لإبراهيم

من باب الأعمال الصالحة ، قال : وإنما لم تطرده الملائكة عن عرفة لعلمهم بأن عنده معرفة الله عزّ وجلّ ودخول المشركين المساجد جائز في الجملة انتهى.
(فإن قلت) : فما الحكمة في وقوع آدم عليه السلام في أكله من الشجرة ثم نزوله بعد ذلك إلى الأرض التي هي دون الحضرة التي كان فيها ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثلاثين : أن الحكمة في ذلك كله تأنيس العلماء والأولياء إذا وقعوا في زلة فانحطوا عن مقامهم العلي وظنوا أنهم نقصوا بذلك عند الله تعالى فيعلمون بقصة آدم عليه السلام ، أن ذلك الانحطاط الذي أحسوا به في نفوسهم لا يقضي بشقائهم ولا بد فربما يكون هبوطهم كهبوط آدم للتكريم والحق تعالى لا يتحيز والوجود العلوي والسفلي كله حضرته فليست السماء التي أهبط منها أقرب إلى الحق من الأرض وإذا كان الأمر على هذا الحد فعين هبوط الولي في عين الناس بعد الزلة وزله وانكساره بسببها هو عين الترقي ، فقد انتقل بالزلة إلى مقام أعلى عما كان فيه لأن علو الولي إنما يكون بزيادة المعرفة والحال وقد زاد هذا الولي بحصول الذلة والانكسار من العلم بالله تعالى ما لم يكن عنده قبل الزلة وهذا هو عين الترقي فعلم أن من فقد هذه الحالة في زلته ولم يندم ولم ينكسر ولا ذل ، ولا خاف ، مقام ربه ، فهو في أسفل سافلين ونحن ما نتكلم إلا على زلات أهل الله عز وجل إذا وقعت منهم قال تعالى : وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى ما فَعَلُوا [آل عمران : 135] . الآية . وقال صلى الله عليه وسلم:
»الندم توبة « وقيل لأبي يزيد البسطامي أيعصي العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا . فلم يقل : لا يعصي ولا أنه يعصي أدبا مع الله تعالى ، ومعنى : وكان أمر الله قدرا مقدورا أي : أن معصية أهل الله تعالى بحكم القدر النافذ فيهم لا غير ولا يصح في حقهم أن يقعوا في المعاصي قط بشهوتها كما يقع فيها غيرهم لأن في ذلك انتهاكا لحرمات الله تعالى وأهل الله تعالى محفوظون من شهوة المعاصي والتلذذ بها فإن الإيمان المكتوب في قلوبهم يمنعهم من ذلك.
قال سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى : « ومن حكمة وقوع العبد في المخالفة للأوامر وقوعه في مقام الإذلال بالطاعات وعجبه بها » . فإن توالي الطاعات الصرف ليلا ونهارا تورث غالب الناس الزهو والعجب وشهود أنهم خير من كثير من الناس ، وهذا غاية البعد من حضرة

....

بإحالته على الأطيار الأربعة وجود الأمر الذي فعله الحق تعالى في إيجاد الأجسام الطبيعية والعنصرية فأجسام أهل السعادة طبيعية وأجسام أهل النار عنصرية ، ولذلك لا تفتح لهم أبواب السماء إذ لو فتحت لخرجوا عن العناصر بالترقي فافهم هداك الله تعالى.

]الباب الأحد والثلاثون ومائتان في المكر[

وقال في الباب الحادي والثلاثين ومائتين : من أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الإخلاص فيه فإذا رأيت يا أخي هذا من نفسك أو علمته عن غيرك فاعلم أن المتصف به ممكور به.

]الباب الرابع والثلاثون ومائتان في الرهبة[

وقال في الباب الرابع والثلاثين ومائتين : من النكت الجليلة التي ينبغي التنبيه عليها : أن تعلم يا أخي أن المؤمن لا يأتي قط معصية توعد الله عليها

الله عزّ وجلّ ، وما جعل الله تعالى التكاليف إلا ليذل بها النفوس بين يديه ولا يرى بها المكلف شرف نفسه على أحد من خلق الله تعالى فإن ذلك ذنب إبليس الذي أخرج به من حضرة الله عز وجل وكل من ادّعى مقام القرب مع عدم الإذلال فهو كاذب انتهى.
(فإن قلت) : قد ورد أن آدم عليه السلام ، لما أكل من الشجرة اسود جسده وقد يتبادر إلى الأذهان أن ذلك يؤذن بأن آدم عليه السلام ، أثرت فيه المعصية نقصا ما.
(فالجواب) : ليس اسوداد بدنه علامة على نقصه بل هو علامة على حصول سيادته كما ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين في الكلام على حديث : « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم » . قال : وكذلك القول في اسوداد جسد آدم عليه السلام ، لما أكل من الشجرة يدل على سيادته لأن ذلك أورثه الاجتباء والاصطفاء ولولا أكله من الشجرة لما ظهرت سيادته وكذلك الحجر الأسود لما خرج من الجنة وهو أبيض ، فلا بد من أثر يظهر عليه تعرف به سيادته في دار الدنيا إذا رجع إلى الجنة ويتميز به عن أقرانه ويظهر به عليه خلعة التقريب الإلهي في جعله يمين الله في الأرض ولم يكن من الأكوان ما يدل على السيادة إلا اللون الأسود فكساه الله تعالى لون السواد إعلاما لنا بأنه صار سيدا بخروجه من الجنة إلى الدنيا.
(قلت) : ولعل من هذا القبيل جعل ستر الكعبة أسود ، وكذلك عمائم خلفاء بني العباس وغيرهم ولعل ذلك هو سر لبسه صلى الله عليه وسلم ، العمامة السوداء يوم فتح مكة إظهارا لسيادته على الخلق من باب التحدث بالنعمة . فعلم أن معنى قوله في الحديث فسودته خطايا بني آدم . أي : جعلته سيدا بتقبيلهم إياه وكذلك القول في اسوداد جلد آدم هو يدل على سيادته لأن هبوطه الأرض هبوط خلافة له للتناسل والترقي.
(فإن قلت) : فما الوجه الجامع بين سواد الحجر وجلد آدم وبنيه ؟
(قلنا) : وجهه الاجتباء والسيادة فكان تقبيل الحجر يشبه الاجتباء والاصطفاء لآدم عليه السلام ، وبنيه بسبب خطاياهم.

....

بالعقوبة إلا ويجد في نفسه عند الفراغ منها الندم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الندم توبة » ، وقد قام به الندم فهو تائب فإذا قبله الحق سقطت عنه العقوبة فإنه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها في حال عملها فهو من كونه كارها لها ومؤمنا بأنها معصية ونادما عليها ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سئ فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجبة الوقوع فلا بد له من التوبة وحاصل الأمر أنه ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وذو عمل سيىء من وجه واحد كما مر وقال في قوله تعالى:
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) [الزلزلة : 7 - 8] .
لم يتعرض سبحانه في هذه الآية للمؤاخذة به ولكن لا بد من رؤيته لكل ما عمله فإن كان

"313"

(فإن قلت) : فلم أمر الناس بالسجود على هذا الحجر وتقبيله والتبرك به ؟
(فالجواب) : إنما أمروا بذلك ليكون كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته بذلك وحصل به تمييز القائم بآداب العبودية والمخل بالقيام بها ، فإن بني آدم ربما زهوا بالصورة التي خلقوا عليها وبالكمالات التي خلعها الحق عليهم على ما سواهم فأمرهم الحق تعالى بالسجود إلى جهة الجماد الذي هو الكعبة مع أنه أنقص رتبة منهم ، فمنهم من أطاع فرضي الله تعالى عنه ، ومنهم من عصى فسخط الله عليه.
(فإن قلت) : قال القوم : إن حصول معرفة الله عز وجل للعبد تمنعه من الوقوع في معصية الله وآدم عليه الصلاة والسلام ، من رؤوس العارفين بالله عز وجل فكيف وقع في أكله من الشجرة.
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع ومائتين : أن المعرفة تمنع العارف بلا شك . ولكن إذا أراد الله تعالى أن يوقع أحدا من الأكابر فيما قدره عليه لحكمة سبق بها علمه فلا بد أن يزين الله تعالى له الوقوع في ذلك بتأويل يقع له فيه وجه الحق ولا يقصد بذلك العمل انتهاك الحرمة كما وقع لآدم عليه السلام ، ثم إذا وقع ذلك المقرب في المعصية بذلك التأويل أظهر الله له فساده فإذا تحقق بعد الوقوع أنه أخطأ علم أنه عصى فعند ذلك يحكم عليه لسان الشريعة بأنه عصى ويشهد على نفسه عند نفسه أنها عصت وأما في حال وقوع الفعل منه فلا لأجل شبهة التأويل فهو كالمجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقادا منه أن ذلك عين الحكم المشروع في المسألة ، وفي ثاني الحال يظهر له بالدليل أنه أخطأ فيكون لسان الظاهر يحكم عليه أنه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك.
(فإن قلت) : فهل تكون عقوبة العارفين على الذنب أشد أم عقوبة الجاهلين ؟
(فالجواب) : أن عقوبة العارفين بالله تعالى أشد لشدة اعتناء الحق تعالى بهم وربما كانت زلة العارف ترجح على سبعين زلة من زلات الجاهل ولو لم يكن من عقوبة العارف إلا ما يحصل عنده من الاستحياء والخجل لكان ذلك كفاية بل ربما كان ذلك الخجل أشد على

....

ممن غفر له فإنه يرى عظيم ما جنى وعظيم نعمة الله عليه بالمغفرة والكريم إذا ما توعد تجاوز ، وعفا ، والله أولى بهذه الصفة من الكرام من عبيده وأطال في ذلك ، والله أعلم.

]الباب الخامس والثلاثون ومائتان في التواجد وهو استدعاء الوجد[

وقال في الباب الخامس والثلاثين ومائتين : لا يجوز لأحد التواجد إلا بإشارة شيخ مرشد عارف بأمراض الباطن.

]الباب السادس والثلاثون ومائتان في الوجد[

(قلت) : قال في الباب السادس والثلاثين ومائتين : من شرط أهل الله في السماع أن يكونوا على قلب رجل واحد ، وأن لا يكون فيهم من ليس من جنسهم أو غير مؤمن بطريقهم لأن حضور مثل هؤلاء يشوش.

]الباب السابع والثلاثون ومائتان في الوجود[

وقال في الباب السابع والأربعين ومائتين : استغفار الأنبياء لا

"314"

العارف من العقوبة الظاهرة ، كما أن المغفرة أشد عليهم من العقوبة وذلك لأن العقوبة جزاء فيجد العبد الراحة عند الاستيفاء منه فهو بمنزلة من أوفى دينه والغفران ليس كذلك فلا يزال العارف ملازم الخجل والحياء مدة طويلة وذلك أشد من العقوبة الشديدة في يوم وتنقضي . كما قال تعالى : وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ [البقرة : 191] . ولهذا المعنى الذي ذكرناه كان الحق تعالى إذا اعتنى بعبده وغفر له ذنبه أحال بينه وبين تذكره وأنساه إياه لأنه لو تذكر لاستحى ولا عذاب على النفوس الشريفة أعظم من أن ينعم عليها من هي مسيئة في حقه حتى إن صاحب الحياء يود أنه لم يكن شيئا مذكورا كما قالت الكاملة : يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا [مريم : 23] مع أن حياءها إنما كان من المخلوقين حين نسبوا إليها ما لا يليق بها ولا بأبيها وأمها ، كما أشار إليه قوله تعالى : ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا [مريم : 28] فبرأها الله تعالى مما نسب إليها لأجل ما نالها من عذاب الحياء من قومها فكيف بالحياء من رب العالمين فيما يحققه العبد من تعدي حدود ومجاهرته بالمعاصي.

(فإن قلت) : فهل يلزم من كون الحق تعالى ينسى عنده سيئاته أن تكون بدلت بحسنات كما أشار إليه في قوله تعالى : فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ [الفرقان : 70].

(فالجواب) : لا يلزم ذلك ، ولكن قال بعض العارفين : إن في نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله بأنه بدل سيئاته حسنات فإن من علامة التبديل نسيان الذنب ، وذلك أن الذنب إذا بدله الله بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الأربعة . ويؤيد ذلك قول بعض العارفين : كل ذنب لم يذهب من ذهن الإنسان فليحدث له توبة جديدة فإنه إلى الآن لم يبدل وليكثر من الاستغفار طول عمره فوالله ما خلقنا إلا لأمر عظيم . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : « إنما أنسى الله تعالى خواص أوليائه ذنوبهم رحمة بهم لأن العبد كلما تذكر ذنبه فكأنه يجعل بينه وبين الله تعالى صورة قبيحة تؤذن بالبعد » . ولهذا قالوا:

ذكر الجفاء في وقت الصفاء جفاء انتهى . وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول: لما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ [الفتح : 2] كان ذكر الذنب عليه أشد من الذنب لصفاء الحضرة التي كان فيها على أن تلك الذنوب لا يتعقلها مثلنا كما مر . لأنها ذنوب بالنظر إلى مقامه الشريف من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ،

....

يكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وإنما هو عن أمور تدق عن عقولنا لأنه لا ذوق لنا في مقامهم فلا يجوز حمل ذنوبهم على ما نتعقله نحن من الذنب.

(قلت) : ويصح حمل قوله تعالى : لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ [الفتح : 2]. على نسبة الذنب إليه من حيث أن شريعته هي التي حكمت بأنه ذنب فلو لا أوحى به إليه ما كان ذنبا فجميع ذنوب أمته تضاف إليه وإلى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبي ذكره الله وقد قالوا : لم يعص آدم وإنما عصى بنوه الذين كانوا في ظهره فما كان قوله تعالى : لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما

كما بلغنا أن شخصا من العارفين مر على جدار فانتحب عنده بالبكاء فقيل له : ما سبب هذا البكاء ؟ فقال : وقع لي أنني تيممت من تراب بغير إذن صاحبه وهذا الذنب لا يكاد يبكي عليه أحد ولو من صالحي زماننا فضلا عن غيرهم . وقال الشيخ محيي الدين في الباب السابع ومائتين من « الفتوحات » من حين نزل قوله تعالى : لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ [الفتح : 2] . وتألم النبي صلى الله عليه وسلم ، من ذكر الذنب فما نزل عليه جبريل قط إلا في صورة دحية ، وكان قبل نزول هذه الآية ينزل عليه في أي صورة شاء وكان دحية أجمل أهل زمانه فكأن الحق تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم بلسان الحال : « ما بيني وبينك إلا صورة الجمال والحسن لأنك أعظم حبيب » . وفي آداب الملوك أنه ينبغي للوزراء أن لا يكون في أحد منهم عاهة من برص أو جذام أو تشويه خلقة وأن لا يحضر بين يديهم قط أحد في بدنه عاهة بل يقضون حاجته من غير أن يقفوه بين يدي السلطان فافهم . وكان من كمال دحية أنه ما رأته حامل دخل المدينة إلا ألقت ما في بطنها لما أدركها في نفسها من شهود ذلك الجمال وإنما لم تلق الحوامل ما في بطنها عند رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أنه أجمل من دحية بما لا يتقارب لأنه مشرع والناس مأمورون برؤيته فستر الله تعالى جماله عن غالب الناس رحمة بهم بخلاف دحية لم يؤمر أحد برؤيته.
(فإن قلت) : ما صورة تبديل السيئات بالحسنات هل تصير نفس المعصية التي وقعت حسنة في صحيفة العبد أم يصير العبد يطيع الله تعالى بعد أن كان يعصيه ؟
(فالجواب) : كما قاله بعض أهل الكشف : إن صور التبديل أن يبدل اسم السيئة في الصحيفة ويكتب مكانها حسنة تشاكلها فإن كانت المعصية كبيرة تكتب مكانها حسنة كبيرة أو كانت صغيرة ، كتب موضعها حسنة صغيرة وهذا الأمر أعظم عنايات الله تعالى بالعبد إن صح لأنه يعطي النفس حظها في الشهوات الدنيوية ثم يكتب الله تعالى له في صحيفة أعمالا صالحة لم يعلم عينها فعلم الله تعالى إذا بدل سيئات العارف حسنات رأى ذلك من أكبر النعم عليه.
(فإن قيل) : فهل يصح أن يعصي أحد من الخواص ربه على الكشف والشهود إذا رأى

....
تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ . إلا تطمينا له صلى الله عليه وسلم ، إن الله تعالى قد غفر جميع ذنوب أمته التي جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة بإقامة الحدود عليهم في دار الدنيا كما وقع لما عز ومن الواجب على كل مؤمن انتحال الأجوبة للأكابر جهده وذلك مما يحبه الله عز وجل ، ويحبه من أجبنا عنهم فافهم هذا اعتقادنا الذي نلقى الله تعالى عليه إن شاء الله تعالى.

]الباب الثامن والثلاثون ومائتان في الوقت[

وقال في الباب الثامن والأربعين ومائتين : لا بد لطالب طريق الله تعالى من رمي ما بيده من الدنيا إن كان بلا عائلة ولا شيخ وإن كان تحت تربية شيخ معتبر رماها بين يدي الشيخ وخرج عنها بالكلية ظاهرا وباطنا ، ولا يبقى له قط ملكا قال : ولا ينبغي له أن ينتظر حالة ينشرح لإخراج ما بيده من الدنيا بل يرميه ولو كان في باطنه محبة له قال : وهكذا كان خروجنا عما بأيدينا من المال إذ لم يكن لنا إذ ذاك شيخ

"316"
في اللوح المحفوظ ما قدره الله عليه ؟

(فالجواب) : لا يصح ذلك لعارف أبدا ، لأن المخصوص بما كشف بقلبه في حضرة الإحسان على الدوام . ولو قدر أنه عصى الله تعالى على الكشف لا يشهد الحق تعالى إلا غير راض عنه في ذلك الفعل .
(فإن قيل) : قد تقدم قول أبي يزيد حين سئل أيعصي العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا فجوز وقوع العارف في سائر المعاصي .
(فالجواب) : وهو كذلك فجائز في حق الولي أن يكفر بعد إيمان فضلا عن المعاصي الإسلامية كما وقع لإبليس فإنه عصى بعد معرفته بالله عز وجل . وإنما جوز أبو يزيد ذلك وعدمه أدبا مع الله تعالى أن يحكم عليه بشيء معين كما مر أوائل المبحث ، أي : إن كان الله تعالى قدر على العارف المعصية فلا بد من وقوعه فيها لكن مع الحجاب بتأويل أو تزيين أو غفلة أو سهو ، كما أشار إليه حديث إذا أراد الله تعالى إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم . الحديث يعني : العقول الذاكرة أنها بين يدي الله عزّ وجلّ حال عصيانها لا عقول التكليف فإياك والغلط والله تعالى أعلم .
(فإن قلت) : قد قال الحق جل وعلا : إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ [الحجر : 42] . وآدم عليه السلام ، من عبيد الاختصاص بيقين فكيف كان إبليس واسطة في أكل آدم عليه السلام ، من الشجرة .
(فالجواب) : أن إبليس لم يأت آدم عليه السلام ، من باب المعصية وإنما دلاه بغرور ، من ذلك حلفه لآدم عليه السلام ، بالله تعالى إنه له من الناصحين . ومنها أنه قال : إنما نهاك الله تعالى عن قرب الشجرة لا عن أكل ثمرها ، ومنها : كما هو مشهور في الأجوبة عن آدم عليه السلام ، فما أتاه من صورة ما نهي عنه ، وإنما أتاه من صورة ما لم ينهه عنه الذي هو الأكل .
وإيضاح ذلك : أن إبليس إذا أراد إغواء عبد ورأى وجه العصمة أو الحفظ محيطا به تجسد له في صورة إنسان مثله ، فيتخيل ذلك الولي مثلا أنه إنسان لا شيطان ويأتيه بالإغواء من قبل أذنه

....
نحكمه في ذلك قال : ثم إني لم أسأل ما جرى لذلك المال إلى يومي هذا وأطال في الاستدلال على ذلك

[الباب الأحد والخمسون ومائتان في عدم الري]

وقال في الباب الأحد وخمسين ومائتين في قوله تعالى : وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً [طه : 114] .
اعلم أن كل من طلب الزيادة من شيء فما ارتوى منه ولذلك لم يأمر الحق سبحانه وتعالى بطلب العلم إلى وقت معين ولا حد محدود بل أطلق طلب الزيادة ، والعطاء دنيا وآخرة ، فلا يزال طالب العلم عطشان لا يروى أبدا لأنه كلما نال علما أعطاه ذلك العلم الاستعداد لعلم آخر كوني أو إلهي فما قال بالري إلا من جهل ما يخلق فيه على الدوام والاستمرار ، ومن لا علم له بنفسه فلا علم له بربه وإذا كان الحق تعالى لم يزل خلاقا إلى غير

"317"
فيدخل عليه فيما حجر عليه تأويلا أدناه أن يقول له : إن الله غفور رحيم . وهل رحمته إلا للمذنبين ، وقال نبيكم شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فإذا أصغى إليه يقول له : افعل فإن مثلك لا يضره الذنب إلا إذا كان دليله لا يحتمل التأويل وقد احتمل دليل هذه المعصية التأويل وذلك أن إبليس يعلم أن الإنسان العاقل لا يقدم على معصية الله ابتداء دون وسوسته بالتأويل والتزيين ، فإذا أعطاه إبليس هذا الأصل صار العبد من أهل الاجتهاد في وقوعه في الذنب أو تركه فإن أخطأ فله أجر فلم يتم للشيطان مراده من ذلك العبد المحفوظ ما دام العبد ذاكرا قول إبليس فإن نسي ما قاله إبليس وقع ضرورة كما وقع لآدم عليه السلام .
قال الشيخ محيي الدين : وإنما أكل آدم وحواء من الشجرة لأن قلوب الأصفياء صافية لا تعتقد أن أحدا يكذب عليهم ولكن من عناية الله تعالى لآدم أن تلك الأكلة أعقبته الخلد في جنته وملكا لا يبلى على رغم أنف إبليس لكن من غير ما قصده هو لآدم إنما كان قصده له أن يقع في الذنب ولا يتوب منه فتاب الله تعالى على آدم والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .
(فإن قلت) : فهل يمكن أن يكون إبليس قصد بقوله لآدم عليه السلام : هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى [طه : 120] الخير الذي آل أمر آدم عليه السلام إليه ، فإن إبليس لم يعين وقتا ؟
(فالجواب) : لا يصح من إبليس قصد ذلك أبدا لأنه ليس له خير إلى آدم وذريته البتة .
وإنما الله تعالى يرد وسوسته خائبة بحسن العاقبة لوليه مثلا فيجتبيه ويصطفيه ضد ما قصد إبليس . وكان الشيخ أبو العباس العريني الشيخ محيي الدين يقول : لم يعص آدم ربه معاذ الله وإنما عصى من كان في ظهره من ذريته الذين هم أهل الشقاء لأن ظهره كان كالسفينة لسائر أولاده . وكان الشيخ أبو مدين التلمساني يقول : لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة كلها وفي رواية أخرى : لو علم آدم حين أكله من الشجرة ما يؤول أمره إليه من الخير لأكل الشجرة كلها انتهى .
وقد بسط الشيخ الكلام على حديث فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته في الباب الخامس وثلاثمائة ، فراجعه تر العجب في غرائب تلك العلوم وقد سنح لي أن أضرب

....

نهاية فينا فالعلوم إلى غير نهاية وأطال في ذلك .

[الباب الثاني والستون ومائتان في معرفة الشريعة]

وقال في الباب الثاني والستين ومائتين : اعلم أن الشريعة تسمى حقيقة لأنها حق كلها والحاكم بالشريعة على حق وهدى من الله وإن كان المحكوم له على باطل والمحكوم عليه على حق لكن هل هو عند الله كما حكم هذا الحاكم أو كما هو في نفس الأمر قال : بكل جماعة . قال : والمسألة تحتاج إلى سير أدلة وتحقيق نظر فإن العقوبة قد أوقعها الله في الرامين المحصنات وإن صدقوا إذا لم يأتوا بأربعة شهداء وقال في قضية خاصة في ذلك كان الرائي كاذبا فيها لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء كما قرر في الحكم فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ [النور : 13] فقوله : أولئك هل يريد بهذه الإشارة هذه القضية الخاصة ، أو يريد عموم الحكم في ذلك فإن جلد الرامي إنما كان لرميه

لك مثلا تعلم به يقينا تنزيه آدم عليه السلام من المعصية المحضة كما يقع فيها غيره وتقوم ببعض واجب حق أبيك عليه الصلاة والسلام فأقول وبالله التوفيق : اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قضى في سابق علمه بالسعادة لقوم والشقاوة لقوم ولم يبدل ذلك القول لديه فلا بد من فاتح يفتح القبضتين فكان إبليس فاتحا لقبضة الشقاوة وآدم عليه السلام فاتحا لقبضة السعادة فإبليس شقي وآدم عليه السلام سعيد هو وذريته الذين اقتفوا آثاره في التوبة والاعتراف فإن آدم مع علمه بأن ما وقع فيه كان بقضاء وقدر ، اعترف بذنبه وقال : رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ [الأعراف : 23] وأضاف الذنب إلى نفسه ليعلم بنيه كيف يخرجون إذا وقعوا في معصية عن الإثم ولا يصرون على المعاصي من غير توبة ولا اعتراف كما وقع فيها إبليس وجنوده من الإنس والجن فكان حكم آدم عليه السلام ، فيما وقع له مع الحق جل وعلا حكم عبد قال الحق تعالى له فيما بينه وبينه : إني أريد أن أظهر في هذا الوجود ما كان مكنونا في علمي وبحكم أسمائي في أهل حضراتها من السعداء والأشقياء وتظهر حجتي على عبادي قبل أن أخرجهم من جواري فإن علمي سبق بذلك وأنا كريم ومن شأن الكريم أن لا يخرج أحدا من جواره إلا بحجة ظاهرة تقام عليه بين المحجوبين عن سماع ما قلته لك من سري ، فإذا قلت لك : لا تقرب هذه الشجرة فاعلم أني أذنت لك في القرب منها فاقرب لأقيم عليك الحجة وأخرجك إلى دار خلافتك وترقيك بالأعمال فإن هذه الدار التي أنت فيها لا تكليف فيها ولا ترقي لأحد بأعماله كما هي أعمال أهل الجنة التي يؤول أمر المؤمنين إليها بعد يوم القيامة سواء فلا يسع العبد صاحب هذا السر إلا أن يبادر إلى ما أذن له فيه سيده سرا من وراء المحجوبين ولم يكن ذلك معصية إلا عند المحجوبين عن سماع ذلك السر الذي أسره الحق لآدم عليه السلام ، وأما الحاضرون السامعون ذلك فليس ذلك بمعصية عندهم ، فإن الإذن من الحق في فعل شيء والأمر به واحد في تلك الحضرة كما صرح به الشيخ في الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن والثلاثين من أسئلة الحكيم الترمذي وإنما فرق بينهما في لسان ظاهر الشرع فقط فإن الأمر غير الإرادة في أحكام الشريعة إذ الأمر بخلاف الإرادة اكتفى الحق تعالى فيها بإلجاء العبد في الباطن إلى وقوع ذلك الفعل من غير أن يأمره بذلك إِنَّ اللَّهَ لا

....

ولكونه ما جاء بأربعة شهداء وقد تكون الشهداء شهود زور في نفس الأمر وتحصل العقوبة بشهادتهم في المرمي فيقتل وله الأجر التام في الآخرة مع ثبوت الحكم عليه في الدنيا وعلى شهود الزور ، والمفتري العقوبة في الأخرى وإن حكم الحق في الدنيا بقوله : وبشهادة شهود الزور فيه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا بشر مثلكم وإنكم لتختصمون إليّ ولعل أحدكم يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار فقد قضى له بما هو حق لأخيه وجعله له حقا مع كونه معاقبا عليه في الآخرة كما يعاقب الإنسان على الغيبة والنميمة ، مع كونهما صدقا فما كل صدق في الشرع تقترن به السعادة » ، وأطال في ذلك .

[الباب الثالث والستون ومائتان في معرفة الحقيقة]

ثم

"319"
يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ [الأعراف : 28] فافهم . وكان الشيخ أبو مدين يقول : قول بعض العارفين ما فعلت الشيء الفلاني إلا بإذن من الله تعالى مراده بالإذن هنا الإرادة الأزلية انتهى . فعلم أن في نداء الحق تعالى على آدم بالمعصية والغواية نفعا عظيما لذريته المحجوبين الذي يتعدون حدود الله فيتأسون بأبيهم في الندم والاستغفار والاعتراف فلم تكن تلك المعصية مقصودة لآدم بالأصالة كما هي ذنوب الغاوين من ذريته وإنما بكى آدم عليه السلام مع إذن الحق تعالى له في أكله من الشجرة سرا على ما مر في كلام أبي مدين تشريعا لذريته فكان بكاؤه صوريا.

(فإن قلت) : فلم لم يفتح آدم عليه السلام ، قبضة السعادة بالطاعة الصرف دون وقوعه في المعصية ثم توبته منها ؟

(فالجواب) : إنما كان الأمر بعد وقوع المعصية ليظهر آدم بذلك سعة فضل الله ورحمته وحلمه على عباده الذين سبق في علمه أنهم يقعون في معاصيه تعالى ، ولو أنه فتح قبضة السعادة بالطاعة المحضة لتعطلت حضرات كثير من الأسماء الإلهية المتعلقة بالعالم المخالف ، إذ الطائع لا يحتاج إلى مغفرة ولا رحمة ولا حلم لعدم من يغفر له أو يرحم أو يحلم عليه ويؤيد ذلك حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم فاعلم ذلك . وأما الجواب عن نوح عليه السلام في قوله في قوله : رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً [نوح : 26] فإنما دعا عليهم بذلك رحمة بهم خوف أن يشتد عليهم غضب الله تعالى أكثر مما كانوا فيه وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول أحدنا إذا خاف من وقوعه في فتنة اللهم توفني إذا كانت الوفاة خيرا لي فلم يكن دعاؤه على قومه من غضب نفسي حاشا الأنبياء من ذلك.

وقال الشيخ محيي الدين : ليست دعوة نوح التي يعتذر بها يوم القيامة قوله : رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ إنما هي قوله : وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً [نوح : 27] لكونه تحكم على الله فيما لم يعرفه ولم يزل الحق يربي أنبياءه بأدب بعد أدب قال صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى : وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادى وَهُوَ مَكْظُومٌ [القلم : 48] أدّبني ربي فأحسن تأديبي انتهى . وأما الجواب عن السيد أيوب عليه السلام في جمعه الذهب في ثوبه لما أمطر الله تعالى عليه ، رجلان من جراد من ذهب وقال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال : بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن خيرك

....

قال في الباب الثالث والستين ومائتين : فعين الشريعة عين الحقيقة ، والشريعة حق ولكل حق حقيقة فحق الشريعة وجود عينها وحقيقتها ما ينزل منزلة الشهود البصري والوجود الحسي النافي للشك جملة إذ الحقيقة تطلب الحق لا تخالفه وما ثم حقيقة تخالف شريعة أبدا فإن الشريعة من جملة الحقائق ولكن لما كان الاطلاع على الحقائق عزيز المثال لا يعرفه كل أحد فرق الناس بينهما انتهى . فليتأمل ويحرر هداك الله تعالى .

[الباب الرابع والستون ومائتان في معرفة الخواطر والخواطر ما يرد على القلب]

وقال في الباب الرابع والستين ومائتين في قوله تعالى : إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ [الإنسان : 2] . اعلم أنه لا بد لجميع بني آدم من العقوبة والآلام شيئا بعد شيء إلى دخولهم الجنة فأول الألم في الدنيا استهلال المولود حين

وبركتك . فالجواب أن أكابر الأولياء فضلا عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقص كمالهم أخذ الدنيا وإمساكها ، فإن كان أيوب عليه السلام جمع الذهب لما هو عليه من ظاهر الحال فهو صحيح مع أنه قانع بلا شك لأن القناعة عند أهل الله تعالى ليست هي الاكتفاء بالموجود من غير طلب مزيد وإن كان فعل ذلك ليقتدي به قومه فما فعل إلا ما هو أولى بالقربة إلى الله تعالى من تركه لا سيما وأيوب عليه السلام ، ممن هدى الله تعالى وممن أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهداهم وقال تعالى : لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب : 21] فقد رجعت القناعة بهذا التقرير إلى بابها في لسان العرب وهي المسألة فإن القانع هو السائل لكن من الله لا من غيره قال تعالى في الظالمين يوم القيامة مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ [إبراهيم : 43] أي رافعين رؤوسهم إلى الله تعالى يسألونه العفو والمغفرة عن جرائمهم . فعلم أن من سأل غير ربه فهو ظالم إلا أن يرى أن ذلك الغير باب من أبواب الله تعالى من غير وقوف معه ، فإن لم يكن كذلك خيف عليه الحرمان والخسران ولا يخفى أن السائل موصوف بالركون إلى من سأله والله تعالى يقول : وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا [هود : 113] ومن ركن إلى نفسه أو إلى جنسه فقد ركن إلى ظالم لقوله تعالى : إنه أي الإنسان كانَ ظَلُوماً جَهُولًا [الأحزاب : 72] . وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والتسعين : اعلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكمل الأولياء ما أمسكوا الدنيا إلا باطلاع عرفاني أنتج لهم ما عشقهم في الإمساك من نفع الأنفس بالأقوات التي قدر الله تعالى وصولها لأصحابها في أوقات مخصوصة فما أمسكوا الدنيا عن بخل ولا ضعف يقين حاشاهم من ذلك . قال : وانظر إلى أيوب عليه السلام ، كيف أعطته المعرفة المذكورة أنه صار يحثو في ثوبه من الذهب لما أمطر عليه وهو يقول : « لا غنى لي عن بركتك » انتهى .
وأما الجواب عن يونس عليه السلام فما حكاه الله تعالى عنه بقوله : وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ [الأنبياء : 87] الآية . فالمراد بقوله : أن لن نقدر عليه أن يونس عليه السلام ظن أن الله تعالى لا يضيق عليه ، لما عهده من سعة رحمته من باب قوله تعالى :
وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ [الطلاق : 7] أي : ضيق عليه ، وإنما آخذه الله تعالى لكونه قصر ذلك الاتساع الإلهي على نفسه فقط ولم ينظر ذلك في حق غيره من أمته فلما ظن أن رحمة الله

....

ولادته صارخا لما يجده عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فإن مات فقد أخذ بحظه من البلاء وإن عاش فلا بد له في الحياة الدنيا من الألم ، إذ الحيوان مجبول على ذلك فإذا نقل إلى البرزخ فلا بد له من ألم أدناه سؤال منكر ونكير ، فإذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فإذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الآلام وصحبه النعيم أبد الآبدين .

[الباب الثامن والستون ومائتان في معرفة الروح]

وقال في الباب الثامن والستين ومائتين . في قوله تعالى : وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ [الإسراء : 85] . أي : من أين ظهر فقيل له : قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [الإسراء : 85] فما كان ذلك سؤالا عن الماهية كما فهمه بعضهم فإنهم ما قالوا : ما الروح

"321"
تعالى لا تنالهم أثر غضبه ظلمة في ظاهره لعلو منصبه وصفاء قلبه فأسكن في ظلمة بطن الحوت ما شاء الله تعالى . لينبهه تعالى على حالته حين كان جنينا في بطن أمه من كان يدبره فيه وهل كان في ذلك الموطن يتصور منه أن يغضب أو يغاضب بل كان في كنف الله عزّ وجلّ لا يعرف سوى ربه فرده تعالى إلى هذه الحالة في بطن الحوت تعليما له بالفعل ، لا بالقول فنادى في الظلمات أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الأنبياء : 87] ، أي : سبحانك يا رب تفعل ما تريد وتبسط رحمتك على من تشاء وهذا كالاعتذار عن أمته وقوله : كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الأنبياء : 87] أي : أثر غضبي رجع على ما أنت ظلمتني لأن علمك ما تعلق إلا على هذا الحال ثم لما زالت ظلمة المغاضبة ظلمة تليق بمقام الأنبياء وانتشر النور اللائق بكمال النبوة في قلبه استجاب له ربه فنجاه من الغم فقذفه الحوت من بطنه مولودا على الفطرة السليمة فلم يولد أحد من بني آدم ولادتين سوى يونس عليه الصلاة والسلام ، فخرج ضعيفا كالطفل كما قال تعالى : وَهُوَ سَقِيمٌ [الصافات : 145] ورباه تعالى باليقطين وذلك لأن ورقه ناعم ولا ينزل عليه ذباب إذ الطفل لضعفه لا يستطيع أن يرد الذباب عن نفسه فغطاه الله تعالى بهذه الشجرة التي من خاصيتها أن لا يقربها ذباب مع نعومة ورقها فإنه مثل القطن في النعومة بخلاف ورق الأشجار كلها فإن فيه الخشونة ذكره الشيخ في الباب الثالث والثلاثين من « الفتوحات » . وأما الجواب عن السيد موسى عليه الصلاة والسلام ، في قوله : فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ [الشعراء : 21] كيف خاف عليه السلام وهو كامل مع أن الواحد من الأولياء لا يخاف أحدا إلا الله تعالى . فالجواب : مقام الخوف أولى من وجوه منها أن الكامل يرى من نفسه الضعف بخلاف صاحب الحال من الأولياء ، ومنها : أنه يجب عليه الكامل الفرار من شيء يؤذي بدنه أو يلحقه بالعدم وإن خالف ذلك أثم ، ومنها : أن في الخوف عدم تعطيل الأسباب فكان من كمال موسى فراره ويحتمل أن خوفه منهم إنما هو خوف من الله تعالى بالأصالة أن يسلطهم عليه فرجع خوفه منهم إلى خوفه من الله تعالى وذلك محمود والله أعلم . وأما الجواب عن السيد سليمان عليه الصلاة والسلام ، في قوله تعالى : فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْناقِ [ص : 33] فهو أن تعلم يا أخي أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لا توصف بفعل سفه ولا إتلاف

....

وإن كان السؤال بهذه الصيغة محتملا ولكن قوي الوجه الذي ذهبنا إليه ما جاء في الجواب من قوله من أمر ربي ، ولم يقل هو كذا كما قال تعالى : وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا [الشورى : 52] . وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر .

[الباب التاسع والستون ومائتان في معرفة علم اليقين]

وقال في الباب التاسع والستين ومائتين : في قوله تعالى :
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) [التكاثر : 5] . الآية . اعلم أن علم اليقين هو ما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وعين اليقين هو ما أعطاه المكاشفة والشهود وحق اليقين هو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك المشهود ، مثال علم اليقين الذي لا يدخله شبهة ، ولا يقدح في دليله دخل علمنا بأن للّه تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس إليه في كل سنة ، ويطوفون به ثم إنه عند الوصول إليه شوهد فهذا عين اليقين الذي كان قبل هذا

مال لكمالهم وإنما المراد أنه لما أحب الخير الذي هو المال عن ذكر ربه لا عن حكم الطبع طفق يمسح بيده على أعراف الخيل وسوقها فرحا وإعجابا بخير ربه ولعلمه عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى يحب من عباده حب الخير وذلك الحب للخير إما أن يراد به حب الله إياه أو حب الخير من حيث وصف الخير بالحب ، ومعلوم أن الخير لا يحب إلا للأخيار فإنهم محل وجود عينه فلذلك قال سليمان عليه الصلاة والسلام : إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي [ص : 32] .
أي : أنا في الخير من حيث المحبة كالخير في حبه ولهذا لما توارت بالحجاب ، يعني : الصافنات الجياد اشتاق إليها فقال : ردوها عليّ لأنه فقد المحل الذي أوجب له هذه الصفة الملذوذة فإنها كانت محلا له . قال الشيخ في الباب الرابع والعشرين ومائة من « الفتوحات » : وليس للمفسرين الذين جعلوا التواري للشمس دليل لأن الشمس ليس لها ههنا ذكر ولا الصلاة التي يزعمون وسياق الآية لا يدل على ما قالوه في ذلك بوجه ظاهر البتة ، وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى : وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ [ص : 34] فالمراد بتلك الفتنة إنما هو الاختبار إذا كان متعلقه الخيل ولا بد فيكون اختباره إذا رآها هل يحبها عن ذكر ربه لها أو يحبها لعينها فأخبر عليه السلام ، أنه أحبها عن ذكر ربه إياها لا لحسنها وكمالها وحاجته إليها ، فإنها جزء من الملك الذي طلب أن لا يكون لأحد من بعده فأجابه الحق تعالى إلى ما سأل في المجموع ورفع الحرج عنه وقال له : هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ (40) [ص : 39 ، 40] أي : ما ينقصه هذا الملك شيئا من ملك الآخرة كما يقع لغيره من المتنعمين في الدنيا فإن كل شيء تنعموا به في الدنيا نقص من نعيمهم في الآخرة كما ورد .
قال : ومن هنا يعلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لم يكن شيء يشغلهم عن الله تعالى من نعيم الآخرة فضلا عن الدنيا ولذلك سألوا التوسع في الدنيا ومحال أن يسألوا من ربهم ما يحجبهم عنه أو يجيبهم الحق تعالى ، إلى ما يحجبهم إكراما لهم وقد ذكر الشيخ في باب الوصايا من « الفتوحات » : إن الأكابر ما سألوا الله تعالى التوسع في الدنيا إلا لغرض صحيح وذلك لأنهم لما أحكموا الزهد في الدنيا والقناعة منها بالقليل ، أمنوا على نفوسهم من أن يشتغلوا عن الله بشيء فسألوا الله التوسع في الدنيا ليوسعوا بها على أنفسهم وعلى من يلوذ بهم

....

الشهود علم اليقين فإنه قد حصل في النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم لما فتح الله عين بصيرة هذا المشاهد في كون هذا البيت مضافا إلى الله مقصودا دون غيره من البيوت المضافة إلى الله فعلم علة ذلك ونسبته بإعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان علمه بذلك حقا يقينيا مقررا عنده لا يتزلزل فما كل حق له قرار ولا كل علم ولا كل عين كذلك فلذلك صحت الإضافة ولو كان علم اليقين وعينه ، وحقه نفس اليقين ما صحت الإضافة لأن الشيء الواحد لا يضاف إلى نفسه إذ الإضافة لا تكون إلا بين مضاف ومضاف إليه ، فطلب الكثرة حتى يصح وجودها وأطال في بيان الفرق بين هذه المراتب فليتأمل فإنه نفيس .
[الباب الأحد والسبعون ومائتان في معرفة منزل عند الصباح يحمد القوم السري من المناجاة المحمدية وهو أيضا من منازل الأمر]
وقال في الباب الأحد والسبعين ومائتين في قوله تعالى : الطَّلاقُ مَرَّتانِ [البقرة : 229] .
الآية . اعلم أن الشارع إنما

"323"
إعطاء لنفوسهم ومعارفهم حقهم وليتلذذوا بخطاب الله عزّ وجلّ لهم بقوله : وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً [الحديد : 18] فإنه تعالى ما خاطب بذلك إلا أهل الجدة والسعة فلأجل لذة توجه خطاب الحق تعالى لهم في ذلك سارعوا إلى تحصيل مرتبة الغنى بالتجارات والمكاسب الشرعية لعلمهم بأن من لا مال له محروم من لذة هذا الخطاب فقد بان لك أن سليمان عليه السلام ، لم يقدح في كماله سؤاله الدنيا أن تكون له بأسرها لفقد العلة التي كرهت الدنيا من أجلها . وقد بلغنا أن نملة طلبت من سليمان الأمان فأعطاها ، فقالت : ما ملكك الذي أعطاكه الحق تعالى بسؤالك ! فقال : خاتمي . فقالت : أف لملك يحويه خاتم ، ثم قالت له : يا سليمان إذا كانت الأمور التي يعطيها الحق تعالى لعباده لا تخرج عن ملكه تعالى فما فائدة طلبك أن يعطيك ملكا لا ينبغي لأحد من بعدك انتهى .
(قلت) : وما ذكره الشيخ في هذه الآية تفسير غريب واضح وعليه فلا يصح استدلال الشبلي به ، على تحريق ثيابه بالنار حين شغلته عن ربه عزّ وجلّ . وقال : إن سليمان عليه السلام ، قطع سوق الخيل وأعناقها لما شغلته عن الصلاة وأما قول بعض العلماء : إن الضمير في توارت للشمس فلا يناسب قوله : ردوها علي إذ الشمس ليس ردها في يد قومه حتى يردوها عليه ومع ذلك فإن صح دليل في رد الشمس على سليمان بإظهار الضمير الذي في توارت وردّوها للشمس دون الخيل أتبعناه ، والله أعلم . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ثم مقام يقتضي طلب العبد أن يوسع الله عليه الدنيا ليزداد بذلك فقرا إلى الله تعالى وإلى نعمه وكيف يعاب على من سأل ربه ما هو أقل من جناح بعوضة انتهى . وأما الجواب عن خطيئة داود عليه الصلاة والسلام ، التي استغفر منها وخر راكعا وأناب فكانت نظرة فجأة بغير تقدم نية صالحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : كانت خطيئة أخي داود النظر وذلك أنه رفع رأسه من الأرض بغير نية تناسب مقامه فآخذه الله بذلك . ولذلك ورد أنه لم يرفع بصره إلى ناحية السماء بعد ذلك إلى أن مات حياء من ذلك الرفع السابق مع الغفلة فعين الذنب هو رفع البصر ولو إلى مباح بغير نية فافهم . فعلم أن مؤاخذة الأكابر في الحركات والسكنات مع الغفلة لا تختص بالنظر ولا غيره فلو قدر أنه حرك أصابعه مع الغفلة عن شهود الحق بذلك لآخذه الله به لوجوب

....

كره الطلاق وقال : أبغض الحلال إلى الله الطلاق ندبا إلى الألفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى أن الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة لعباده ليكونوا مأجورين في أفعالهم محمودين غير مذمومين إرغاما للشيطان فإنهم في ذلك تحت إذن إلهي . وقال : وإنما كان الطلاق أبغض الحلال إلى الله لأنه رجوع إلى العدم إذ بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم فمن أجل هذه الرائحة كرهت الفرقة بين الزوجين لعدم عين الاجتماع .

[الباب الثاني والسبعون ومائتان في معرفة منزل تنزيه التوحيد]

وقال في الباب الثاني والسبعين ومائتين : في قوله تعالى : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) [الصمد : 1] . إنما لم يقل : واحد لأن الأحد هو الذي لا يشارك في أحديته . قال : وأما الواحد فإنا نظرنا في القرآن هل أطلقه على غيره كما أطلق

الحضور عليهم مع الله تعالى على الدوام وأما ما ذكروه من أن خطية داود كانت هي النظر إلى امرأة أوريا فلم يصح لنا ذلك في حديث والله أعلم . وقد بسط ذلك في مبحث الجواب عن آدم عليه الصلاة والسلام فراجعه . وأما الجواب عن السيد يوسف عليه الصلاة والسلام ، في قوله تعالى : وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها [يوسف : 24] الآية . فقد ذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلاثمائة من « الفتوحات » أن روحه اجتمعت بروح يوسف عليه الصلاة والسلام ، في بعض الإسراآت الروحية . فقال له : يا نبي الله ما معنى الاشتراك في إخبار الله تعالى عنك بقوله :
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها [يوسف : 24] ، فإنه تعالى لم يعين في ماذا ولا يخفى أن اللسان يدل على أحدية المعنى ، فقال يوسف عليه الصلاة والسلام : نعم ، ولذلك قلت للملك على لسان رسوله أن يسأل النسوة فما ذكرت المرأة إلا أنها راودتني عن نفسي وما ذكرت أني راودتها فافهم ما قلته لك . فإن به يزول ما كان يتوهمه بعض الناس لما لم يعين الله تعالى أمر همي وهمها . فقلت له : يا نبي الله اللسان يؤذن بالاشتراك فقال : نعم ، صدقت لكن في اللفظ دون المعنى فإنها همت بي لتقهرني على ما كانت أرادت مني وهممت أنا بها لأقهرها بالدفع عن ذلك فالاشتراك في طلب القهر مني ومنها فكأنه تعالى يقول : ولقد همت به . يعني : في عين ما هم بها وليس إلا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه دليل ذلك قول المرأة الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ [يوسف : 51] وما جاء في قصتي قط أنني راودتها عن نفسها فأراني الله تعالى البرهان غير إرادتي القهر في دفعها عني أولا ، بالقول اللين كما قال تعالى لموسى وهارون : فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً [طه : 44] أي : لا تعسف عليها يا يوسف وسسها فإنها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال ، قال : الشيخ محيي الدين فقلت له : أفدتني أفادك الله تعالى فاعلم ذلك . وأما الجواب عن أبينا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلاثمائة أن روحه اجتمعت بروح الخليل عليه الصلاة والسلام ، قال : فقلت له يا أبت لم قلت : وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي [البقرة : 260] مع أنك من المؤمنين بذلك بلا شك .
فقال : صحيح ، ولكن للإحياء وجوه كثيرة كما كان إيجاد الخلق فمنهم من أوجده الله تعالى

....

الأحدية فلم أجده وما أنا منه على يقين في هذا الوقت فإن كان لم يطلقه فهو أخص من الأحدية ويكون اسما للذات علما لا صفة كالأحدية فإن الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت الأحدية على كل ما سوى الله في القرآن في نحو قوله : وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً [الكهف : 110].
وإن كان مذهبنا اختصاص الأحدية بالله تعالى دون خلقه وأطال في ذلك

[الباب الرابع والسبعون ومائتان في معرفة منزل الأجل المسمى من العالم الموسوي]

وقال في الباب الرابع والسبعين ومائتين في قوله تعالى : ثُمَّ قَضى أَجَلًا [الأنعام : 2] وهو نهاية عمر كل حي يقبل الموت .
وأجل مسمى عنده هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الأولى وهو المعبر عنه بالبعث ولذلك قال تعالى : ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ [الأنعام : 2] .
يعني فيه فإن الموت لا يمترون فيه فإنه مشهود لهم في كل حيوان مع الأنفاس وإنما وقعت المرية في البعث وهو

عن كلمة كن ومنهم من أوجده بيديه ومنهم من أوجده ابتداء ومنهم من أوجده عن خلق آخر فطلبت العلم بتعيين وجه من هذه الوجوه فإذا أعلمني به اطمأن قلبي . قلت : وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الخامس والعشرين ومائتين ، والله أعلم . ولنرجع إلى المعنى الذي نحن فيه . قال الشيخ : فقلت له : يا أبت لم قلت بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا [الأنبياء : 63] قال :
لأنهم كانوا قائلين بكبرياء الحق تعالى على آلهتهم التي اتخذوها فقلت له : فماذا أردت بإشارتك بقولك هذا ، قال لي : أنت تعلم المراد بها . فقلت : إني أعلم أنها إشارة ابتداء وخبره ، محذوف يدل عليه قولك : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ [الأنبياء : 63] إقامة للحجة عليهم . فقال عليه الصلاة والسلام : ما زدت على ما كان الأمر عليه . فقلت له : فما كانت خطيئتك في قولك :
وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) [الشعراء : 82] .
فقال : هي نسبة المرض إلى نفسي في قولي : وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) [الشعراء : 80] مع أنه في الحقيقة لم يمرضني إلا الله تعالى ، فهذا كان خطيئتي فكان في إضافة المرض إلى نفسي ثم طلب المغفرة من تلك الإضافة أدبان فقلت له : فلم قال تعالى في حقك : وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [البقرة : 130] فخص صلاحك بالآخرة وأطلق الصلاح لغيرك من الأنبياء في الدنيا والآخرة .
فقال : لأن الصالح من شرطه أن لا يضيف إلى نفسه شيئا إلا بإضافة الله تعالى وقد أضفت إلى نفسي وغيرها ما ليس لها بغير إذن خاص من الله تعالى بقولي : وَإِذا مَرِضْتُ [الشعراء : 80] وقولي : إِنِّي سَقِيمٌ [الصافات : 89] .
وقولي : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا [الأنبياء : 63] . فقلت : له يا أبت فما قولك في الأنوار الثلاثة فإنك معصوم عن اعتقادك فيها الألوهية في حين من الأحيان . فقال : إنما قلت ذلك إقامة للحجة على قومي ألا ترى إلى ما قال الحق تعالى في القرآن : وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ [الأنعام : 83]
وما كان اعتقاد قومي في الإله إلا أنه نمرود ولم تكن تلك الأنوار آلهتهم ولا كان نمرود إلها لهم وإنما كانوا يرجعون في عبادتهم لما نحتوه آلهة لا إليه ، ولذلك لما قلت : رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ [البقرة : 258] لم يتجرأ نمرود أن ينسب الإحياء والإماتة إلى آلهتهم التي وضعها لهم لئلا يفتضح ، فقال : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ [البقرة : 258]
فعدل إلى نفسه تنزيها لآلهتهم عندهم حتى لا يتزلزل الحاضرون فقلت له : فلم عدلت إلى الأقرب في الحجة ، فقال : لأني علمت قصور

....
الأجل المسمى المذكور وإنما لم يجعل أجل الموت مسمى لأنه إذا نفخ في الصور صعق من في السماوات ، ومن في الأرض إلا من شاء الله فاستثنى طائفة لا يصعقون فلا يموتون ، وأطال في ذلك .
وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى : وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [المائدة : 66] .
المراد بإقامة التوراة وما بعدها عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائما ومن نزهه عن التأويل ، والتعمل فيه بفكره فقد أقامه إذ الفكر غير معصوم من الغلط في حق كل أحد قال :
والمراد بقوله : لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ [المائدة : 66] هو العلم الموهوب وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ

أفهامهم عما جئت به لو فصلته وطال المجلس فعدلت إلى الأقرب في أفهامهم بذكر إتيان الله تعالى بالشمس من المشرق وطلبت أن يأتي بها من المغرب فبهت الذي كفر تعجيزا له من الله تعالى . ولنختم الأجوبة بالجواب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فنقول : وباللّه التوفيق : اعلم أن الأجوبة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من علماء أمته لا تحصى ولكن نذكر لك منها طرفا صالحا فنقول وباللّه التوفيق : ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين وثلاثمائة أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، لم يزل معصوما عن كل ما ينقص مقامه الأكمل قبل النبوة وبعدها كما روي أنه عليه الصلاة والسلام ، قبل رسالته كان يرعى الغنم بالبادية فكان يهم أن يدخل إلى مكة فيصيب فيها ما يصيب الشبان من اللعب فإذا دخل مكة لذلك أرسل الله عليه النوم فيفوته فعل ما دخل لأجله فيستعجل الرجوع إلى غنمه فكان في ذلك عصمته صلى الله عليه وسلم ، من حيث لا يشعر ، وفي المثل السائر من العصمة أن لا تجد ويسمى هذا المقام : علم الحاصل في عين الفائت كما قال : وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، فكان في ذلك الفائت سعادة العبد وفضل على الحاصل انتهى . وقد تقدم أوائل **المبحث معنى قوله صلى الله عليه وسلم :** « إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله تعالى في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة » وإن المراد بذلك أنه كان دائم الترقي فكان يستغفر الله عز وجل عن كل مقام ترقى عنه فإنه ثم مقام رفيع ، ومقام أرفع . وفي باب الوصايا للشيخ محيي الدين : إذ كان الحق تعالى يجيب دعوة الداعي إذا دعاه فينبغي للعبد أن لا يتحدث في مناجاته للحق تعالى بما علمه له قبل ذلك فإنه تضييع للوقت وإنما ينبغي له أن يطلب دائما أمرا جديدا انتهى . (فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى : لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ [الفتح : 2] ؟ (فالجواب) : كما قاله الشيخ في الجواب الخامس والخمسين من الباب الثالث والسبعين من « الفتوحات » أن المراد بهذا الخطاب وجميع العتاب الذي عاتب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم ، غيره من الأمة نحو : يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ [الأحزاب : 1] لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [الزمر : 65] لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا [الإسراء : 74] فكان من فتوته صلى الله عليه وسلم ، أنه تحمل عن أمته صولة

....

[المائدة : 66] . يعني : العلم المكتسب وأطال في ذلك ،

[الباب الأحد والثمانون ومائتان في معرفة منزل الضم وإقامة الواحد مقام الجماعة من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الأحد والثمانين ومائتين في قوله صلى الله عليه وسلم : « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » أي : فقد أهله وماله . اعلم أن سبب تخصيص صلاة العصر بالتشبيه المذكور دون غيرها من الصلوات أن سائر أوقات الصلوات محدودة إلا العصر فهي غير محدودة ، وإن قاربت الحد فإن المغرب محدودة بغروب الشمس وهو محقق محسوس والعشاء محدودة أولها بمغيب الشفق من أولها وهو محقق محسوس أي : شفق كان على الخلاف في ذلك والفجر محدود أوله بالبياض المعترض في الأفق المستطيل وهو محقق محسوس والظهر محدود بزوال الشمس والظل ظهور وهو محقق محسوس ولم يأت مثل هذه الحدود في العصر فتنزهت عن الحدود المحققة لأنه صلى الله عليه وسلم ، قد

الخطاب بالعتاب والتوبيخ فالخطاب له والمراد به غيره وهذا أحسن الأجوبة . قال : وأما مغفرته تعالى لبقية النبيين عليهم الصلاة والسلام ، فإنما هي لكون الحق تعالى ستر عنهم في هذه الدار العلم بأن جميع مقاماتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحكم الأصالة وإنهم نوابه صلى الله عليه وسلم ، كما ينكشف لهم ذلك كله في الدار الآخرة ، وأطال في ذلك . ثم قال : فعلم من قولنا أن المخاطب بتلك المعاتبات كلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد بذلك غيره أن الحق تعالى من شأنه أن يؤدب الكبير بالصغير وكما أدب تعالى الأمة بتأديب رسولها لتبلغ باستعمال ذلك الأدب إلى نيل مأمولها فخاطب الرسول والمراد من أرسل إليه بالحث عليه انتهى . وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في قوله تعالى : لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [الزمر : 65] الآية : هو من باب قولهم إياك أعني واسمعي يا جارة كما يشهد لذلك قرائن الأحوال . قال والحكمة في ذلك مقابلة لإعراض الكفار عن استماع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلذلك أعرض الحق عنهم في الخطاب مقابلة إعراض بإعراض ، مع كونهم هم المراد بذلك الخطاب فأسمعهم في غيرهم عقوبة لهم واستهانة بأمرهم انتهى . وقال الشيخ في الباب السابع وأربعين ومائتين : اعلم أنه لا يشترط في استغفار الأكابر أن يكون من ذنب وقع وإنما استغفارهم من خوف أن يبدو منهم ما كان ينبغي ستره من الأحوال التي لم يؤمروا بذكرها لقومهم ولهذا ما نقل عن نبي قط أنه ندم على ما قال مما أوحى به إليه ولا سمع منه كلام عادي في حال الوحي حين يفرغ من تنزله عليه فإذا انفصم عنه فحينئذ يخبر بما وقع . قال : وأما ما كان عن نظر من غير وارد وحي فقد يمكن أن يندم على ما جرى منه كما وقع له في أسارى بدر انتهى .

(فإن قلت) : فما معنى قوله تعالى : وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ [الأحزاب : 37] وما الذي أوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما عاتبه الله عليه من خشية الناس ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع والثلاثين وخمسمائة من « الفتوحات » : أن سبب وقوعه صلى الله عليه وسلم في خشيته من الناس قوله : في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ، لو كنت مكانه لأجبت الداعي يعني : داعي الملك لما دعاه إلى الخروج من السجن فلم يخرج حتى قال له : ارجع إلى ربك يعني : العزيز الذي حبسه فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهنّ وذلك

....

جعل وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية فليس حدها ظاهرا مثل حد غيرها وأما جعل ظل الشاخص طوله غير ظل الزوال فليس ذلك في كل زمان فلم يتعلق الحد على التحقيق بها كتعلقه بسائر أخواتها فلذلك عظمها النبي صلى الله عليه وسلم ، للمناسبة التي فيها الصفات الحق من حيث نفي الحدود ، وقد أنشد :

صلاة العصر ليس لها شبيه * لنظم الشمل فيها بالحبيب

أي : لأن العصر حقيقة ضم شيء إلى آخر لاستخراج مطلوب ما هو هنا ضم ذات عبد مطلق في عبودية لا يشوبها ربوبية بوجه من الوجوه إلى ذات حق مطلق لا يشوبها عبودية أصلا

ليثبت عند العزيز براءته فلا تصح له المنة على يوسف في إخراجه من السجن بل المنة لله وحده فقصد يوسف بذلك براءة ساحته إذ لو بقي الاحتمال لقدح في عدالته وهو رسول من الله عز وجل ، فلا بد لأمته في طريق انقيادهم له من ثبوت عدالته عندهم فلذلك خشي صلى الله عليه وسلم من الناس أن يعيبوا عليه تزويجه بزوجة من تبناه حتى لا يردوا دعوة الحق عليه ، فعلم أن الله تعالى ما ابتلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، بتزويجه زوجة من تبناه إلا ليذوق بلاء التهمة ويتخلق بالرحمة التامة على كل من اتهم فإن تزوج الرجل زوجة من تبناه مما كان يقدح في كماله صلى الله عليه وسلم ، عند جهال العرب وهو رسول الله ثم إنه تعالى لما أذاقه ألم الجرح في مقامه داواه بإبانته عن العلة في ذلك بقوله : ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ [الأحزاب : 40] ورفع الحرج في مثل ذلك عن المؤمنين فأذاق الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ما أذاق يوسف حين لم يجب الداعي وطلب أن تكون البراءة في غيبته لكونها أكثر تنزيها له لأنه لو حضر ربما قيل ما ذكره إلا في وجهه حياء منه ومن كمال الرجل أن يقف مع ما تمسك عليه المروءة العرفية في كل ما لم يؤمر بفعله حتى يأتيه أمر الله فهناك يكون بحسب ما يؤمر به انتهى .
(قلت) : ويحتمل أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : « لأجبت الداعي » الثناء على يوسف بالقوة

....
بوجه من الأسماء التي تطلب الكون كالرحيم ، والغفار ونحوهما ، فلما تقابلت الذاتان بمثل هذه المقابلة كان المعتصر عين الكمال لكل ذات بما يليق بها قال : وهذا هو المطلوب الذي له وجد العصر وقد ألقيت بك على مدرجة الكمال انتهى . وهو كلام نفيس . وقال فيه : لا حرج على العبد المريض في شكواه لأخيه ما به من المرض كما يستعين بأخيه وإذا تفرد الإنسان بهمه عظم عليه وإذا وجد من يقاسمه فيه ولو بالتوجع خف عليه التألم واستراح

[الباب الثاني والثمانون ومائتان في معرفة منزل تزاور الموتى وأسراره من الحضرة الموسوية]

وقال في الباب الثاني والثمانين ومائتين في قوله تعالى : أَ وَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ [الأنعام : 122] الآية . اعلم أن ورود الموت على النفوس لا يكون إلا عن حياة سابقة إذ الموت لا يرد إلا على حي والتفرق لا يكون إلا عن اجتماع وكذا الحكم في موت النفس بعد العلم فإن قيل إن العلم بالله طارىء الذي هو حياة النفوس والجهل ثابت لها قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت وما تقدم علم يحيا به قلنا العلم بالله سبق إلى كل نفس في الأخذ الميثاقي حين أشهدهم على أنفسهم فلما عمرت الأنفس الأجسام الطبيعية في الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بتوحيده وأحياها كلها بالعلم بوجود الله إذ كان من ضرورة العقل العلم بوجود الله فلهذا سميناه ميتا فلما رد إليه علمه حيي به كما ترد الأرواح إلى أجسامها في الدار الآخرة يوم البعث وقوله : كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ [الأنعام : 122] يريد مقابلة النور الذي يمشي به في الناس وما هو عين الحياة إذ الحياة الإقرار بوجود الله والنور المجعول بتوحيد الله والموت الجهل بوجود الله والظلمات الجهل بتوحيد الله ولهذا لم يذكر الحق تعالى في الأخذ الميثاقي إلا الإقرار

في عدم خروجه من السجن فأظهر صلى الله عليه وسلم ، ضعف حاله عن حال يوسف كما قال : نحن أولى بالشك من إبراهيم ، فإن يوسف اجتمع عليه حالان : حال السجن وحال كونه مفترى عليه وكل رسول يطلب أن يقرر في نفوس أمته ما يقبلون به دعاء ربه في كل ما يدعوهم إليه فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لو كنت مكان يوسف لسارعت إلى الخروج طالبا للبراءة بجدالي عن نفسي لتثبت براءتي عند من أرسلت إليهم ويحتمل غير ذلك والله أعلم .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ [التوبة :
43] هل هو توبيخ كما فهمه بعضهم أو سؤال عن العلة مثل قوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام : أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ [المائدة : 116] .
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة : أن ذلك سؤال عن العلة لا سؤال توبيخ لأن العفو قد تقدم ذلك ، وقوله : حتى يتبين لك إنما هو استفهام مثل قوله تعالى لعيسى ما تقدم ، كأنه تعالى يقول : أفعلت يا محمد ذلك حتى يتبين لك الذين صدقوا ، فإما أن يقول عند ذلك نعم ، أو لا . فإن العفو والتوبيخ لا يجتمعان لا سيما مع تقدم العفو في الذكر كما تقدم فإن من وبخ فما عفا مطلقا لأن التوبيخ مؤاخذة وهو تعالى قد عفا قال : ولما

....

بوجود الله لا بتوحيده ما تعرض للتوحيد فقال : أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى [الأعراف : 172] .
فأقروا له بالربوبية التي هي السيادة وأطال في ذلك . وقال في قوله تعالى : أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ (2) [التكاثر : 1 ، 2] .
اعلم أن شهود الكثرة يوجب للعبد الجهل بنفسه وذلك لأن الروح لا يعقل نفسه إلا مع هذا الجسم محل الكم والكثرة ولم يشهد نفسه قط وحده مع كونه في نفسه واحدا ولا تعرف إنسانيته إلا مع وجود هذا الجسم ولا تعقل أحديته في ذاته أبدا وإنما تعقل أحدية الجنس لا الأحدية الحقيقية والذي يحصل له بالاكتساب أنه واحد في عينه علم دليل فكري لا علم ذوق شهودي كشفي وأطال في ذلك .
ثم قال : واعلم أن الزيارة مأخوذة من الزور وهو الميل فمن زار قوما فقد مال إليهم بنفسه فإن زارهم بمعناها فقد مال إليهم بقلبه وشهادة الزور هي الميل إلى الباطل عن الحق وزيارة الموتى هي الميل إليهم تعشقا لصفة الموت أن تحل به فإن الميت لا حكم له في نفسه وإنما هو في حكم من يتصرف فيه ولا يتصور من الميت منع ولا إباية ولا حمد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم فمن وفي هذا المقام حقه فهو من رجال الله قال : وجملة الأمر أن يكون حيا في أفعاله الظاهرة والباطنة التي يتعلق بها التكليف ، ويكون ميتا بالتسليم لموارد القضاء عليه في كل شيء لا للمقضي والله أعلم .

[الباب الثالث والثمانون ومائتان في معرفة منزل القواصم وأسرارها من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الثالث والثمانين ومائتين : ليس للشيطان على قلوب الأنبياء اطلاع ولا استشراف بخلاف قلوب الأولياء ألا ترى أن الشيطان لعنه الله لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بهذه المثابة من العصمة أن يصل إلى قلبه كيف جاءه في الصلاة في قبلته بشعلة من نار مخيلة فرمى بها في وجهه وكان غرض الشيطان أن يحيل بينه وبين الصلاة لما يرى له فيها من الخير فإنه يحسده

كان هذا اللفظ قد يفهم منه في اللسان التوبيخ جاء لأجل ذلك بالعفو ابتداء ليتنبه العارف بالله تعالى وبمواقع كلامه أنه لم يرد التوبيخ الذي يتوهمه من لا علم عنده بالحقائق انتهى . وقال في الباب الثامن والثلاثين من « الفتوحات » أيضا في قوله : عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ [التوبة : 43] : ذكر أهل التفسير أنه تعالى قدم له البشرى قبل العتاب ليطمئن فؤاده صلى الله عليه وسلم ، قال : والذي عندنا نحن من العلم الإلهي هذه الآية بشرى خاصة ليس فيها عتاب ، إنما هو استفهام لمن أنصف وأعطى كلام الله تعالى حقه في الفهم انتهى .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم ، عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى [عبس : 1 ، 2] إلى آخر النسق هل معناه : على ظاهره أم المراد به غير ذلك ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع وثلاثمائة : ليس ذلك العتاب على ظاهره وإنما نبه نبيه صلى الله عليه وسلم ، على ما ذكره ليعلمه أنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم أكثر حضورا من الملوك . لأن رحمة الله تعالى لا تفارق الفقراء بخلاف الملوك . وإيضاح ذلك أن الحق تعالى يغار على عبده المنكسر القلب من أجل ربه أشد مما يغار لمن تظاهر بصفات العظمة ، فإذا حضر عندك ملك مطاع نافذا الأمر زائرا ثم إن فقيرا دخل عليك كذلك زائرا فأقبل على الفقير

....
بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى خلف ولم يقطع صلاته وأخبر بذلك أصحابه وأما الولي فإن الشيطان يلقي إليه في فلبه وقد يسمع منه ما يحدث به نفسه فيطمع أن يلبس عليه حاله وأطال في ذلك

[الباب الرابع والثمانون ومائتان في معرفة منزل المجاراة الشريفة وأسرارها من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الرابع والثمانين ومائتين : ينبغي للعارف إذا كان في مجلسه من لا يؤمن بكلام القوم ولا يفهمه أن لا يتكلم بشيء من الدقائق فإن سبق منه كلام دقيق على من ليس من أهل الطريق فالأدب منه أن يقول : إنما هذه عبارات أحوال ونطق حال لا نطق مقال كما تقول الأرض للوتد لم تشقني فيقول لها : الوتد على من يدقني وقال فيه : اعلم أن الفتح بعد المجاهدات والرياضات أمر لازم ، ولا بد منه تطلبه الأعمال وتناله الأنفس ولكن متى يكون ظهور ذلك الفتح هل هو الدنيا أم الآخرة ، ذلك إلى الله تعالى فإذا رأيت يا أخي عامل صدق أو عرفت ذلك من نفسك ولم تر يفتح لك في باطنك مثل ما فتح لمن رأيته على قدمك في العمل فلا تتهم ربك فإنه مدخر لك واطرح من نفسك التهمة في ذلك وفر من أن تكون من أهل التهم وقال قد يطلع الله الولي على ما تكنه القلوب فيعلم من الجليس جميع حركاته وسكناته من حين نفخت فيه الروح إلى وقت مجالسته ومع ذلك فلا يعرف هو ما في جيب نفسه لأن العارف إنما هو مع الله بحسب ما يطلعه .
(قلت) : وقد شهد ذلك من الشيخ محيسن المجذوب بمصر رحمه الله ، فكان يخبر الشيخ بما فعله في صباه في أرض خلاف بلاده رضي الله عنه ، وأما شيخنا سيدي علي الخواص فسمعته يقول : لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب وهو نطفة من يوم ألست بربكم إلى استقراره في الجنة ، أو النار . والله تعالى أعلم .

أكثر من الملك إلا أن تخاف سطوته ولا تعرض عن الفقير حتى يفرغ من حاجته التي جاءك لأجلها . فعلم أن تجلي الحق تعالى بالحضور عند الملك المطاع تجل في غير موطنه اللائق به إذ الكبرياء والعظمة إنما تليق بأهل الجنة في الجنة لعدم التحجير عليهم وزوال التكليف وما عاتب الله تعالى نبيه بقوله : عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى (2) [عبس : 1 ، 2] إلا لكون ذلك الأعمى أن جاءه الأعمى فقيرا فغار تعالى لمقام العبودية والفقر أن يستهضم لأجل صفة عزا وقهرا أظهرت في غير محلها وأطال في ذلك .
وأما معنى قوله تعالى : أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) [عبس : 5 ، 6] فذكر الشيخ في الباب التاسع والأربعين وخمسمائة أن معناه :
العتاب في حال اجتماع الفقراء مع الأغنياء لا مع الانفراد فإن من الأدب الإقبال على كل وارد من غني أو فقير وفي الحديث إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . وقال تعالى : لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) [الممتحنة : 8] . وهنا نكتة ينبغي لك يا أخي أن تعرفها وهي : أن الملك العزيز في قومه ما جاء إليك ولا نزل عليك حتى ترك جبروته وكبرياءه خلف ظهره قبل أن يأتيك ، فما أتاك إلا وهو يرى نفسه دونك فكان جبروتك في نفسك إذا لم تقبل عليه وتتواضع له أعظم من جبروته هو فعلى كل حال يلزمك مقابلته بنظير فعله معك وأنزله أنت منزلته من نفسك قبل أن يأتيك وأدخل عليه السرور والإقبال والتبسم تكن حكيم الزمان فإن الله تعالى ما عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم ، في حق الأعمى والأغنياء إلا لكون الفريقين كانا حاضرين فبالمجموع وقع العتب لا مع الانفراد .
وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : إنما أقبل صلى الله عليه وسلم ، على الأغنياء لصفة الغنى التي تظاهروا بها والعارف بالله تعالى ينبغي له الإقبال على كل نعت إلهي من جلال وعظمة وغيرهما ، فإن وقع أن أحدا من العارفين عوتب على إقباله على الأغنياء فليس ذلك من حيث تظاهرهم بالغنى ، وإنما ذلك لعلة أخرى فعلم أنه لا ينبغي القياس على هذا العتاب وطرده في حق الأغنياء مطلقا فإن ذلك مزلة قدم عن الشريعة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أمرنا بإكرام كريم كل قوم إذا أتانا كما مر فافهم . وعلم أيضا أن تعظيم العارف للملوك والأمراء والأغنياء ، إنما هو من تعظيم الرب جل وعلا ، وأما تعظيم الفقراء فإنما ذلك جبرا لقلوبهم لانكسارها انتهى . وقال في تفسير هذه الآية أيضا الباب الثالث والستين ومائة : اعلم أن الغنى صفة ذاتية للحق تعالى :

....

[الباب الخامس والثمانون ومائتان في معرفة منزل مناجاة الجماد ومن حصل فيه حصل من الحضرة المحمدية والموسوية نصفها]

وقال في الباب الخامس والثمانين ومائتين : اعلم أن الحواس لا تخطىء لأن إدراكها للأشياء إدراك ذاتي وإن حصل علة عارضه فهي لا تؤثر في الذاتيات وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أن إدراك العقل على قسمين : إدراك ذاتي هو فيه كالحواس لا يخطئ وإدرك غير ذاتي وهو ما يدركه بالآلة التي هي الفكر ، وبالآلة التي هي الحس ، فالخيال يعلو الحس بما يعطيه والفكر ينظر في الخيال فيجد الأمور مفردات فيجب أن ينسى منها صورة يحفظها العقل فينسب بعض المفردات إلى بعض فقد يخطئ في النسبة للأمر على ما هو عليه ، وقد يصيب فيحكم العقل على ذلك الحد فيخطىء ويصيب فالعقل مقلد ، ولذلك اتصف بالخطأ ولما رأت الصوفية خطأ

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [الحديد : 24] ، أي : هو الذي يستحق أن يثني عليه بهذه الصفة وكان مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين عاتبه ربه بقوله : عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) [عبس : 1] إلى آخره ، إنما هو الصفة الإلهية المذكورة وهو الغنى المطلق الذي لا يكون لغير الله قطعا ، فلهذا تصدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأكابر قريش لظهور رائحة هذه الصفة الإلهية فيهم فإنها تعطي بذاتها الشرف والرفعة في ذلك الوقت الذي تصدى لهم فيه فكان قصده صلى الله عليه وسلم ، بإقباله على الأغنياء إنما هو تعليم أمته أن يتصدوا لكل من اتصف بصفة الغنى من الخلق ثم إذا رسخوا في ذلك المقام أمروا بالترقي إلى شهود عدم تخصيص الصفات الإلهية فإن العالم كله من شعائر الله تعالى ، ومن صفته ولا ينفك شيء منه عن مصاحبة معية الحق تعالى له لعدم تحيزه جل وعلا فكل كامل يغار على هضم جناب المنكسرة قلوبهم لأن الحق عندهم كما أخبرنا به الشارع صلى الله عليه وسلم ، وأيضا فإنه صلى الله عليه وسلم ، مع هذا المشهد كان له حرص عظيم على إسلام قريش فكان يعلم أن أكابرهم إذا مالوا إليه بقلوبهم وأطاعوه وأحبوه وأسلموا فأسلم بإسلامهم خلق كثير ، قال تعالى : لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ [التوبة : 128] ، أي : إن عنادكم وعدم إسلامكم يعز عليه لمحبته الخير لكم .
(فإن قلت) : فكيف أوقع الحق تعالى العتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع هذا المشهد العظيم الذي قدمناه ؟
(فالجواب) : إنما عاتبه وأعلمنا بذلك تأديبا لنا فإن الإنسان محل الغفلات ، وهو فقير بالذات ولو صار من أكبر ملوك الدنيا فهو فقير لأن غناه عرضي عرض له من حصول الجاه والمال ، فما استغنى إلا بغيره بخلاف الحق ، جل وعلا فليست الصفة التي ظهرت في الأغنياء صفة الحق حقيقة حتى يتصدى العبد لها ولذلك قال تعالى في الآية : أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى [عبس : 5] بسين الطلب وما قال : أما من هو غني فكان ما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم ، الإعراض عن الأغنياء والإقبال على الفقراء أولا ثم أمره أن يقبل على كل من ترك غناه وكبرياءه وجاء إليه .
قال الشيخ : وأكثر الناس غافلون عن هذا الأدب الثاني ، فلا يكادون يشهدون له طعما ويتخيلون أن إقبال العارفين على أحد من الرؤساء والأغنياء ، إنما ذلك لأجل جاههم ومالهم
....
النظار عدلوا إلى الطريقة التي لا لبس فيها فأخذوا الأشياء من عين اليقين وأطال في ذلك والله أعلم .
[الباب السابع والثمانون ومائتان في معرفة منزل التجلي الصمداني وأسراره من الحضرة المحمدية]
وقال في الباب السابع والثمانين ومائتين : ما من كلمة يتكلم بها العبد إلا ويخلق الله تعالى من تلك الكلمة ملكا فإن كانت خيرا كان ملك رحمة وإن كانت شرا كان ملك نقمة فإن تاب إلى الله تعالى وتلفظ بتوبته خلق الله تعالى من تلك اللفظة ملك رحمة فإن قال العبد : تبت إليك يا رب من كل شيء لا يرضيك خلق من هذا اللفظ ملائكة بعدد كلمات الشر التي كانت منه فإن كل تدل على الكثرة فمعنى تبت إلى الله من كل شيء تبت إلى الله من كذا تبت إلى الله من كذا ، تبت إلى الله من كذا ، كما تقول : زيدون وتريد زيدا وزيدا ، وزيدا ثم قال : إن ملائكة

وليس الأمر كما ظنوا . ثم اعلم أن أهل الله تعالى إذا خافوا أن أحدا من العوام يتبعهم على تعظيم الأغنياء من غير فهم المعنى الذي قصدوه وخافوا أن يزدادوا بذلك الفعل رغبة في الدنيا فلهم إظهار الأنفة على الأغنياء والرؤساء تقديما لمصلحة المحجوبين ، وتأمل قولهم شرط الداعي إلى الله عز وجل أن يكون غنيا عن المدعوين لا يحتاج إليهم في شيء يمنون به عليه فعرف أنه ينبغي له استجلاب الناس لا تنفيرهم عنه فيحسن إليه بالمال والإقبال ولا ينبغي له قبول صدقاتهم وإحسانهم لأنه يهون بذلك في أعين المدعوين ويجب عليه التعفف عما بأيديهم وكف نفسه عنهم إما بمال أو قناعة قال تعالى : ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [النحل : 125] . فأما الحكمة فهو غناه عما بأيدي المدعوين وأما الموعظة الحسنة فهو تمهيده بساطا للمدعوين حتى إنهم يصيرون يبادرون إلى فعل ما ندبهم إليه من غير توقف لما يعلمون لنفوسهم في ذلك من المصلحة وفي القرآن وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [آل عمران : 159] وقد استقر الأمر على أن تقديم الفقراء على الأغنياء مطلوب في كل ما فيه إكرام وأنه لا ينبغي لفقير أن يراعي أحدا من الأكابر بعد ما تبين له الحق فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والسلام .
(خاتمة) : لا ينقص من كمال الأنبياء عليهم السلام ، عدم معرفتهم بتدبير أحوال الدنيا في بعض الأوقات كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم ، في مسألة تلقيح النخل أنتم أعلم بأمر دنياكم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم ، مر على قوم وهم على رؤوس النخل ، فقال : ما يصنع هؤلاء ؟ فقال : يلقحون النخل .
فقال : ما أرى ذلك يجدي شيئا فسمع بذلك الأنصار فتركوا تلقيح نخلهم تلك السنة فقلّ حمل النخل وخرج البلح شيصا فأخبروه بذلك فقال : أنتم أعلم بأمر دنياكم ، يعني : في كل ما لم يوح إليه فيه شيء . قال الشيخ محيي الدين : وسبب خفاء بعض أحوال الدنيا على الأنبياء والأولياء ، إنما هو لما غلب على قلوبهم من عظيم مشاهدة جلال الله تعالى فغابوا بذلك عن تدبيرهم للكون ولو أن ذلك الجلال والعظمة انحجب عنهم لكانوا أعرف الناس بأمر الدنيا لكن لا يخفى أن حجابهم عن تدبير الكون إنما هو لهم في بعض الأوقات لا كلها كما أشار إليه خبر لي وقت لا يسعني فيه غير ربي . قال بعض العارفين : وما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تزايد كماله وصار يدبر أمر الدنيا والآخرة ، ولم يكن يشغله مشاهدة جلال الله عز وجل ، عن ذلك .

....

الشر ترجع كلها بالتوبة ملائكة رحمة كما قال تعالى : فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ [الفرقان : 70] وأطال في ذلك .

[الباب الثامن والثمانون ومائتان في معرفة منزل التلاوة الأولى من الحضرة الموسوية]

وقال في الباب الثامن والثمانين ومائتين في قوله تعالى : خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (2) [العلق : 2] إنما خلقه تعالى من علق إشارة للعلاقة التي بينه وبين الحق فإنه خليفته في الأرض ، وأيضا فإن العلقة في ثالث مرتبة من أطوار خلقته فهي في مقام الفردية التي لا تليق إلا بالحق فانظر ما أعجب كلام الله عز وجل .
وقال في اسم الله الأعظم : اعلم أن أسماء الله كلها عظيمة فاصدق ، واسأل حاجتك بأي اسم إلهي شئت .
وقد قال شخص لأبي يزيد البسطامي : علمني اسم الله الأعظم فقال له أبو يزيد : فأرني الأصغر يوبخه على ذلك .

وقد ذكر الجلال السيوطي رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم ، كان مكلفا بالإقبال على الله عز وجل ، وعلى الخلق معا في آن واحد لا يحجبه الخلق عن الحق .
(فإن قلت) : فلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه مع كونهم دونه بيقين ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة أن الله تعالى ما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لمن هو دونه إلا ليعلمه تعالى أن له في كل موجود خصوصية لا تكون لغيره فقد يلقي الله تعالى من الوجه الخاص لآحاد الأمة ما لم يلقه إلى أحد من المقربين بدليل قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام والله أعلم .
المبحث الثاني والثلاثون : في ثبوت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنه أفضل خلق الله على الإطلاق وغير ذلك
اعلم أن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثابتة بالكتاب المعجز والسنة والإجماع وكذلك أجمعت الأمة على أنه بلغ الرسالة بتمامها وكمالها وكذلك تشهد لجميع الأنبياء أنهم بلغوا رسالات ربهم ، وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في حجة الوداع فحذر وأنذر وأوعد وما خص بذلك أحدا دون أحد ، ثم قال : ألا هل بلغت فقالوا : بلغت يا رسول الله ، فقال : اللهم اشهد .
(فإن قيل) : إن بعضهم يقول : إنه سقط من القرآن حين جمعوه بعض آيات وعلى هذا فينبغي للعارف أن يبحث عنها من طريق كشفه ليتلوها فيثاب على تلاوتها فهل ذلك صحيح .
(فالجواب) : هذا أمر لا يوافق هذا القائل عليه أحد . وقد قال جمهور المحدثين : يجب تأويل قول عائشة : كانوا يقرءون فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ [البقرة : 184] متتابعات فسقط متتابعات .
وقالوا : المراد بالسقوط النسخ . فيحتمل أن يكون المراد بالسقوط في كلام هذا البعض النسخ إن صح النقل .
(فإن قيل) : هل الدليل على تصديق الرسول في ادعائه أنه رسول ينسحب في الدلالة على ما جاء به من الأخبار والأحكام أو يفتقر إلى دليل آخر ؟
……………………………………………………………
وقال : إنما سمي الإنسان إنسانا لأن به حصل الأنس لمراتب الكمال في الوجود إذ لم يكن أحد يخلع عليه مراتب الوجود غير الإنسان ، والألف ، والنون فيه زائدة مثل عمران . وأطال في ذلك .
[الباب التاسع والثمانون ومائتان في معرفة منزل العلم الأمي الذي ما تقدمه علم من الحضرة الموسوية]
وقال في الباب التاسع والثمانين ومائتين في قوله تعالى : اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ [النور : 35] . اعلم أنه لولا النورية التي في الأجسام الكثيفة ما صح للمكاشف أن يكشف ما وراء الجدران وما تحت الأرض ، وما فوق السماوات ولولا اللطافة التي هي أصلها ما صح اختراق بعض الأولياء الجدران ولا كان قيام الميت في قبره والتراب عليه ، أو التابوت مسمرا عليه مجعولا عليه التراب لا يمنعه شيء من ذلك عن قعوده وأطال في ذلك .
[الباب التسعون ومائتان في معرفة منزل تقرير النعم من الحضرة الموسوية]
وقال في الباب

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والأربعين من « الفتوحات » أنه لا يفتقر إلى دليل آخر ، بل ينسحب في الدلالة على ما جاء به صلى الله عليه وسلم .
(فإن قلت) : أيهما أكمل شهادتنا بما جاءنا من طريق الوحي أو شهادتنا بالمعاينة ؟
(فالجواب) : إن شهادتنا بالوحي أتم من شهادتنا بالعين والمشاهدة كما شهد خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم ، بأنه ابتاع الجمل من الأعرابي ولم يكن خزيمة حاضرا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم تشهد يا خزيمة ، قال : بتصديقك يا رسول الله ، فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشهادة خزيمة وحده لكونها شهادة بالوحي ولو أن خزيمة كان شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين وبه حفظ الله تعالى علينا قوله تعالى : لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ [التوبة : 128] إلى آخر السورة فإن جامع القرآن من الصحابة كان لا يقبل آية منه إلا بشهادة رجلين فصاعدا إلا هذه الآية فإنها ثبتت بشهادة خزيمة وحده انتهى .
(فإن قيل) : فما أول ما ظهر من الموجودات بعد فتق العماء .
(فالجواب) : كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور أن أول ما ظهر بعد فتق العماء هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فاستحق بذلك الأولية للأوليات فهو أبو الروحانية كلها كما كان آدم عليه الصلاة والسلام ، أبا الجثمانيات كلها انتهى . وسيأتي قريبا تحقيق الأولية في كلام الشيخ محيي الدين وأن أول ما خلق الله الهباء فراجعه .
(فإن قلت) : فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » والنبي هو المخبر عن الله وكيف صح إخباره صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يخلق وقبل وجود من يخبرهم ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الخامس وثلاثمائة من « الفتوحات » معناه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعرف ذاته بذاته بإذن الله في غير مجلى قبل أخذ الميثاق وهو الحال التي كان فيها صلى الله عليه وسلم ، يعرف نبوته وذلك قبل خلق آدم كما أشار إليه الحديث المذكور فكان له صلى الله عليه وسلم ، التعريف في ذلك الحال فإن النشأة الإنسانية كانت مبثوثة في العناصر ومراتبها إلى حين وجودها لكن من الناس من أعطي في ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته إما على غاياتها بكمالها وإما بأن

....
التسعين ومائتين : إذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك كل مباح وخفت أن تنتقل إلى مكروه فاسأل الله أن يخلق فيك الكراهية لذلك الأمر وإلا هلكت وقال : ومن أراد أن يطلق الله عليه الألسنة بالثناء الحسن فليعمل بأعمال المقربين ، ويجتنب أعمال الفاسقين جملة واحدة ظاهرا وباطنا ، وأما من طلب الثناء عليه من غير سلوك طريق المقربين فيا عناءه ويا تعبه على العارفين كلهم في هذه الدار لا يبالون كيف أصبحوا ولا كيف أمسوا عند الناس لأنهم في موطن التكليف فلا تتركهم التكاليف أن يتلفتوا لغير الله عز وجل .
[الباب الحادي والتسعون ومائتان في معرفة منزل صدر الزمان وهو الفلك الرابع من الحضرة المحمدية]
وقال في الباب الحادي والتسعين ومائتين : ما من سائل عن شيء إلا وفيه أهلية للجواب عن

يشهد صورة ما من صورة وهي عين تلك المرتبة التي له في الدنيا فيعلمها ليحكم على نفسه بها وهنا شاهد صلى الله عليه وسلم ، نبوته ولا ندري هل شهد صور جميع أحواله أم لا . قال تعالى : وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [فصلت : 12] فما من فلك من الأفلاك التسعة إلا وللإنسان صورة فيه فيحفظها ذلك الفلك إلى وصول وقتها فوجودها كوجود الصورة الواحدة في المرايا الكثيرة المختلفة الأشكال ، من طول وعرض واستقامة وتعويج واستدارة وتربيع وتثليث وصغر وكبر ، فتختلف صور الأشكال باختلاف المجلى والعين واحدة ، فلذلك قلنا : إنه صلى الله عليه وسلم ، كان يعرف ذاته بذاته من غير مجلى بإذن الله تعالى ، وإذا كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب إذا نالها قال صلى الله عليه وسلم وهو في المرتبة العليا : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » . فلم تحكم فيه المرتبة . وقال في وقت آخر وهو في مرتبة الرسالة والخلافة : إنما أنا بشر مثلكم فلم تحجبه المرتبة عن معرفة نشأته وسبب ذلك أنه رأى لطيفته ناظرة إلى مركبها العنصري وهو متبدد فيها ، فشاهد ذاته العنصرية فعلم أنها تحت قوة الأفلاك العلوية ورأى المشاركة بينها وبين سائر الخلق الأناسي والحيواني والنبات والمعدن ، فلم ير لنفسه من حيث نشأته العنصرية فضلا على أحد ممن تولد عنها ، بل رأى نفسه مثلا لهم وهم أمثال له . فقال : أنا بشر مثلكم وكان يتعوذ من الجوع فما افترق عنها إلا بقوله : « يوحى إليّ » فقد عرفت معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » ، وأن هذا القول إنما كان بلسان تلك الصورة التي هو فيها مما هو معدود من صور تلك المراتب . فترجم لنا في هذه الدار عن تلك الصورة . قال الشيخ رحمه الله تعالى : ولنا أيضا صورة فوق ما ذكرناه لا تدرك بعقل ولا بالاسترواح من نقول الشرع فسكتنا عنها ، وذلك أن لنا صورة في الكرسي ، وصورة في العرش ، وصورة في الهيولى ، وصورة في الطبيعة ، وصورة في النفس ، وصورة في العقل المعبر عنه باللوح والقلم . وصورة في العماء ، وصورة في العدم ، هذا كله مرئي لأصحاب الكشف وهو الذي يتوجه عليه خطاب الله القديم لعباده في مكنون علمه فافهم .
(فإن قلت) : فهل كان لآدم عليه الصلاة والسلام ، علم عند أخذ الميثاق بما يحتوي عليه ظهره من الصور ؟

....

سؤاله وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن أعرابيا سأله وهو بين ظهراني أصحابه فقال : يا رسول الله أسألك عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق ، أم نسيج تنسج فضحك الحاضرون من سؤاله فغضب صلى الله عليه وسلم ، وقال : « أتضحكون من جاهل سأل عالما يا هذا الرجل إنها تشقق عنها ثمر الجنة » ، فأجابه صلى الله عليه وسلم ، بما أرضاه وعلمه ما يجهله وأزال خجل السائل بتعليم أصحابه الأدب معه حين سأل ، وانقلب الأعرابي عالما فرحا مسرورا .

[الباب الثاني والتسعون ومائتان في معرفة منزل اشتراك عالم الغيب وعالم الشهادة من الحضرة الموسوية]

وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين في قوله تعالى : وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى (19) إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى (20) [الليل : 19 ، 20] .
اعلم أن العلماء اختلفوا هل يكون الحق تعالى عوضا لأمر خاص أم لا . والتحقيق أن الحق تعالى من حيث ذاته ووجوده لا يقاومه شيء ولا يصح أن يطلب لذاته وإنما يريد الطالب معرفة وجه ربه أو مشاهدته أو رؤيته وكل هذا ما هو عين الحق تعالى ، وإذا لم يكن عينه فقد يصح

(فالجواب) : لم يكن له علم كما أنه لا علم لفلك من الأفلاك التي فيها صورة من صورنا بها .
(فإن قيل) : فلم كان الأخذ من الظهر دون غيره ؟
(فالجواب) : أنه إنما خص الظهر بالأخذ لأن الظهر كان غيبا لآدم عليه الصلاة والسلام ، ولو أنه تعالى أخذنا من بين يدي آدم لكان عرفنا وذلك لأن له عليه الصلاة والسلام ، معنا صورة في صورة فشهد كما شهدنا . قال الشيخ محيي الدين : وما نحن على يقين بأنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم بما أخذ منه أو يعلمه ، ولكنا لما رأينا الحضرات التي تقدمت من الأفلاك لا تعلم بصورة ما فيها . قلنا : ربما يكون الأمر في آدم كذلك فرحم الله من اطلع على أن آدم كان يعلم الصور التي أخذت من ظهره فألحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب .
(قلت) : قد أخبرني أخي أفضل الدين رحمه الله أن الله تعالى أطلعه على عدد السعداء الذين كانوا في ظهر آدم عليه الصلاة والسلام ، دون الأشقياء قال : وعدتهم ما تحصل من ضرب تسعمائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف تسع مرات وتسعمائة وتسعة وتسعين ألفا ونصف ذلك وثلث ذلك مضروب جميعه في الأصول التي ذكرناها فما يحصل من ذلك فهو عدد من كان في ظهر آدم من السعداء لا يزيدون واحدا ولا ينقصون وهو حساب ، لا يتعقله العقل وإنما طريقه الكشف انتهى . والله تعالى أعلم .
قال الشيخ محيي الدين ومن بعد عن فهمه : تصور ما ذكرناه من أن لنا في كل فلك صورة ليس إحداهما أحق بنا من الأخرى فلينظر في خبر الترمذي مرفوعا وقال فيه : حسن غريب إن الله تعالى تجلى لآدم ويداه مقبوضتان . أي : كما يليق بجلاله . فقال له : يا آدم اختر أيهما شئت . فقال : اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ففتحها فإذا آدم وذريته فنظر آدم عليه الصلاة والسلام ، إلى شخص من أضوئهم . فقال : من هذا يا رب ! فقال الله تعالى له :
هذا ابنك داود ؟ فقال : يا رب كم كتبت له من العمر . فقال : أربعين سنة . فقال : يا رب وكم كتبت لي . فقال الله تعالى : ألف سنة . فقال : يا رب قد أعطيته من عمري ستين سنة . قال الله له : أنت وذاك فما زال آدم يعد لنفسه حتى بلغ تسعمائة وأربعين سنة فجاءه ملك الموت ليقبض

....
أن يكون عوضا كما أن من عبد الله تعالى كأنه يراه فجزاؤه في الآخرة رؤيته ، وأطال في ذلك .
ثم قال : ترافع اثنان إلى مالك بن أنس رضي الله عنه ، ادّعى أحدهما على الآخر هدية وطلب المكافأة عليها فقال له : ماذا ابتغيت بها حين أعطيتها له إن كنت ابتغيت بها جزاء في الجنة أو معاوضة في الدنيا فخذها منه إن كانت عينها باقية وإلا قيمتها وإن كنت ابتغيت بها وجه الله فلا أحكم لك بشيء انتهى .

[الباب الثالث والتسعون ومائتان في معرفة منزل سبب وجود عالم الشهادة وسبب ظهور عالم الغيب من الحضرة الموسوية]

وقال في الباب الثالث والتسعين : وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [الأعراف : 156] . اعلم أن لله تعالى جودا مطلقا وجودا مقيدا وهذه الآية من الجود المطلق وأما المقيد فهو قوله : كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [الأنعام : 54] . أي : أوجب وفرض على

روحه فقال له آدم : قد بقي من عمري ستون سنة ، فقال الله تعالى : يا آدم إنك قد وهبتها لولدك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فمن ذلك اليوم أمر الله تعالى بالكتاب والشهود » . انتهى . فهذا آدم وذريته صورة قائمة في قبضة الحق كما يليق بجلاله وهذا آدم خارج عن تلك اليد وهو يرى صورته وصورة ذريته في يد الحق تعالى . فما بالك يا أخي تقربه في هذا الموضع وتنكر علينا في قولنا بتعدد الصور في الأفلاك فلو كان هذا محالا لنفسه لم يكن واقعا ولا جائزا نسبة إذ الحقائق لا تتبدل . قال وأكثر من هذا التأنيس لك فلا أقدر عليه فلا تكن ممن قال الله تعالى فيهم : صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (18) [البقرة :
18] وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس وأربعين وثلاثمائة .
(فإن قلت) : فهل أعطي أحد النبوة وآدم بين الماء والطين غير محمد صلى الله عليه وسلم ؟
(فالجواب) : لم يبلغنا أحدا أعطي ذلك إنما كانوا أنبياء أيام رسالتهم المحسوسة .
(فإن قلت) : فلم قال : كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ، ولم يقل كنت إنسانا أو كنت موجودا ؟
(فالجواب) : إنما خص النبوة بالذكر دون غيرها إشارة إلى أنه أعطي النبوة قبل جميع الأنبياء . فإن النبوة لا تكون إلا بمعرفة الشرع المقدر عليه من عند الله تعالى .
(فإن قلت) : فما معنى قولهم : إنه صلى الله عليه وسلم ، أول خلق الله هل المراد به خلق مخصوص ؟ أو المراد به الخلق على الإطلاق ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السادس : أن المراد به خلق مخصوص وذلك أن أول ما خلق الله الهباء وأول ما ظهر فيه حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم ، قبل سائر الحقائق وإيضاح ذلك أن الله تبارك وتعالى لما أراد بدء ظهور العالم على حد ما سبق في علمه انفعل العالم عن تلك الإرادة المقدسة بضرب من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية ، فحدث الهباء وهو بمنزلة طرح البناء الجص ليفتتح فيه من الأشكال والصور ما شاء ، وهذا هو أول موجود في العالم ثم إنه تعالى تجلّى بنوره إلى ذلك الهباء والعالم كله فيه بالقوة ، فقبل منه كل شيء في ذلك الهباء على

....
نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو قوله : أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ [الأنعام : 54] فهذا جود مقيد بالوجوب لمن هذه صفته ، وهو عوض عن هذا العمل الخاص ولا يخفى أن التوبة والإصلاح من الجود المطلق فقابل جوده بجوده فما حكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره .
قال : وحكي عن سهل بن عبد الله عالمنا وإمامنا أنه قال : لقيت إبليس فعرفته ، وعرف مني أني عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لي وقلت له ، وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث أنه وقف ووقفت وحار وحرت فكان من آخر ما قال لي : يا سهل إن الله تعالى يقول : وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [الأعراف : 156] ، فعمم ولا يخفى

حسب قربه من النور كقبول زوايا البيت نور السراج فعلى حسب قربه من ذلك النور يشتد ضوؤه وقبوله ولم يكن أحد أقرب إليه من حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان أقرب قبولا من جميع ما في ذلك الهباء فكان صلى الله عليه وسلم ، مبدأ ظهور العالم وأول موجود . قال الشيخ محيي الدين : وكان أقرب الناس إليه في ذلك الهباء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الجامع لأسرار الأنبياء أجمعين انتهى . وقول الشيخ في الإمام علي رضي الله تعالى عنه : إنه جامع لأسرار الأنبياء قد نقل أيضا عن الخضر عليه الصلاة والسلام ، في حق الشيخ أبي مدين التلمساني . فقال فيه حين سئل عنه أنه جامع لأسرار المرسلين : لا أعلم أحدا في عصري هذا أجمع لأسرار المرسلين منه فعلم كما قاله الشيخ محيي الدين في « الفتوحات » إن مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ هو قطب الأقطاب كما سيأتي بسطه في مبحث كونه خاتم النبيين فهو ممد لجميع الناس أولا وآخرا فهو ممد كل نبي وولي سابق على ظهوره حال كونه في الغيب وممد أيضا لكل ولي لاحق به فيوصله بذلك الإمداد إلى مرتبة كماله في حال كونه موجودا في عالم الشهادة وفي حال كونه منتقلا إلى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة . فإن أنوار رسالته صلى الله عليه وسلم ، غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين .

(فإن قلت) : قد ورد في الحديث أول ما خلق الله نوري وفي رواية أول ما خلق الله العقل فما الجمع بينهما ؟

(فالجواب) : أن معناهما واحد لأن حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم ، تارة يعبر عنها بالعقل الأول وتارة بالنور .

(فإن قلت) : فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم ، ممد الأنبياء السابقين في الظهور عليه من القرآن ؟

(فالجواب) : من الدليل على ذلك قوله تعالى : أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ [الأنعام : 90] . أي : إن هداهم هو هداك الذي سرى إليهم منك في الباطن فإذا اهتديت بهداهم فإنما ذلك اهتداء بهداك إذ الأولية لك باطنا والآخرية لك ظاهرا ولو أن المراد بهداهم غير ما قررناه لقال تعالى له صلى الله عليه وسلم ، فبهم اقتده وتقدم حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ، فكل نبي

....

عليك أنني شيء بلا شك لأن لفظة كل تقتضي الإحاطة والعموم وشيء أنكر النكرات قد وسعتني رحمته قال سهل : فو الله لقد أخرسني ، وحيرني بلطافة .

سياقه وظفره بمثل هذه الآية ، وفهمه منها ما لم أفهم وعلمه من دلالتها ما لم أعلم ، فبقيت حائرا متفكرا وأخذت أتلو الآية في نفسي فلما جئت إلى قوله تعالى : فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ [الأعراف : 156] . الآية . سررت وظننت أني قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له : يا ملعون إن الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها من ذلك العموم

تقدم على زمن ظهوره ، فهو نائب عنه في بعثته بتلك الشريعة ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ، في حديث وضع الله تعالى يده بين ثديي أي كما يليق بجلاله فعلمت علم الأولين والآخرين ، إذ المراد بالأولين هم الأنبياء الذين تقدموه في الظهور عند غيبة جسمه الشريف وإيضاح ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أعطي العلم مرتين مرة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، ومرة بعد ظهور رسالته صلى الله عليه وسلم ، كما أنزل عليه القرآن ، أولا من غير جبريل ثم أنزل عليه به جبريل مرة أخرى ولذلك قال تعالى له :
وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ [طه : 114] أي : لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل أن تسمعه من جبريل ، بل اسمعه من جبريل وأنت منصت إليه كأنك ما سمعته قط وقد عملت التلامذة الموقنون بذلك مع أستاذيهم ذكر ذلك الشيخ في الباب الثاني عشر من « الفتوحات » وفي غيره من الأبواب .
(قلت) : وفي تصريح الشيخ بأن القرآن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل جبريل نظر ولم أطلع على ذلك في حديث فليتأمل .
(فإن قلت) : فإذا روح محمد صلى الله عليه وسلم ، هي روح عالم الخير كله وهي النفس الناطقة فيه كله .
(فالجواب) : نعم والأمر كذلك كما ذكره الشيخ في الباب السادس وأربعين وثلاثمائة فحال العالم المذكور قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم ، بمنزلة الجسد السوي وحاله بعد موته صلى الله عليه وسلم ، بمنزلة النائم وحال العالم حين يبعث يوم القيامة ، بمنزلة الانتباه من النوم فالعالم اليوم كله نائم من حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن يبعث انتهى .
(فإن قلت) : فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم ، أفضل من أبيه إبراهيم مع أنه صلى الله عليه وسلم ، أمرنا أن نسأل الله أن يصلي عليه كما صلى على إبراهيم والقاعدة أن يكون المشبه به أفضل من المشبه ؟
(فالجواب) : ليس المراد ما يتبادر من ذلك إلى الأذهان وإنما النكتة في قوله : كما صليت على إبراهيم كونه صلى الله عليه وسلم ، كان مسؤولا في تعليم الصحابة كيفية الصلاة عليه ، فلما قالوا به : كيف نصلي عليك ما وسعه إلا التواضع . فقال : قولوا كما صليت على إبراهيم وأنت إذا قلت لإنسان علمني ألفاظا أفخمك بها لا يقدر ينطق لك بألفاظ تعطي التفخيم مع كونك أقل حياء من

....
فقال : فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ [الأعراف : 156] .
إلى آخر النسق فتبسم إبليس وقال : والله يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بصفات الله تعالى هذا المبلغ ولا ظننت أنك ههنا ليتك سكت ليتك سكت ليتك سكت ألست تعلم يا سهل أن التقييد صفتك لا صفته تعالى قال سهل : فرجعت إلى نفسي ، وغصصت بريقي وأقام الماء في حلقي وو الله ما وجدت له جوابا ، ولا سددت في وجهه بابا وعلمت أنه طمع في مطمع وانصرفت ، وانصرف وو الله ما أدري بعد هذا ما يكون فإن الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الإشكال فبقي الأمر عندي على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه في ذلك إلا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الإيمان به انتهى كلام

الشارع صلى الله عليه وسلم ، بيقين فافهم .
(فإن قلت) : فلم كان محمد صلى الله عليه وسلم ، أفضل من أبيه آدم صلى الله عليه وسلم ، وأقوى استعدادا منه مع أنه فرع من آدم عليه الصلاة والسلام ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الخامس من « الفتوحات » أنه إنما كان أفضل من أبيه آدم عليه الصلاة والسلام ، لأن آدم عليه الصلاة والسلام ، كان حاملا لألفاظ الأسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم ، كان حاملا لمعانيها وهي جوامع الكلم المشار إليها بحديث : « أوتيت جوامع الكلم » فمن حصل على الذات حصل على الأسماء وكانت تحت حيطة علمه ومن حصل على الأسماء لا يكون محصلا للذات الذي هو المسمى قال : ولهذا فضلت الصحابة فإنهم حصلوا الذات ونحن حصلنا الاسم ولكن لما راعينا الاسم مراعاتهم للذات ضوعف لنا الأجر لحسرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان لنا التضعيف بذلك فنحن الإخوان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الأصحاب وهو صلى الله عليه وسلم ، إلينا بالأشواق وما أفرحه بلقاء واحد منا وللعامل منا أجر خمسين ممن يعمل مثل عمل أصحابه كما ورد انتهى . وأما كونه صلى الله عليه وسلم ، أقوى استعدادا من أبيه آدم فلأنه خلق من امتزاج الأبوين لا من واحد منهما بل من المجموع حسا ووهما فجمع صلى الله عليه وسلم ، استعداد الاثنين لهذا كان كماله أعظم من كمال أبيه ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين في أسرار الحج من « الفتوحات » . قال : ومن هنا اختص محمد صلى الله عليه وسلم ، بالكمال على آدم وإبراهيم لكونه ابنا لهما وكل ابن له في النشأة هذا الكمال إلا أن الناس يتفاضلون فيه لأجل الحركات العلوية والطوالع النورانية والاقترانات السعادية وإن لم يكن لها عندنا أثر في التخليق انتهى .
وقال الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة في حديث لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني : اعلم أنه صلى الله عليه وسلم ، نبي الأنبياء للعهد الذي أخذ على الأنبياء بسيادته عليهم ونبوته في قوله تعالى : وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ [آل عمران : 81] الآية .
فعمت رسالته وشريعته كل الناس فلم يخص نبي بشيء إلا إن كان ذلك الشيء لمحمد صلى الله عليه وسلم ، بالأصالة انتهى . فكل نبي تقدم على زمن ظهوره فهو نائب له صلى الله عليه وسلم ، في بعثته بتلك الشريعة ذكره الشيخ تقي الدين السبكي ونقله عنه الجلال السيوطي في أول الخصائص .

....
سهل . قال الشيخ محيي الدين : واعلم رحمك الله أني تتبعت ما حكى عن إبليس فما رأيت أقصر منه حجة ، ولا أجهل منه بين العلماء فلما وقفت له على هذه المسألة التي حكاها عنه سهل بن عبد الله تعجبت وعلمت أنه قد علم علما لا جهل فيه فهو أستاذ سهل في ذلك والله أعلم وقال في قوله تعالى : وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً [نوح : 26]
اعلم أن النور المنبسط على الأرض الذي هو من شعاع الشمس الساري في الهواء ليس له حقيقة وجودية إلا بنور البصر المدرك لذلك فإذا اجتمعت العينان عين الشمس وعين البصر استنارت المبصرات وقيل : قد انبسطت الشمس عليها ولذلك يزول ذلك الإشراق بوجود السحاب الحائل لأن العين فارقت

(فإن قلت) : قد تقدم أن القرآن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جملة قبل أن ينزل عليه تفصيلا فما الحكمة في ذلك ؟
(فالجواب) : إنما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم ، القرآن إجمالا ليفرق بين تنزيله عليه وتنزيل العلوم على الأولياء وذلك أن التدريج في الأمور إنما هو للتعمل ولا تعمل للإرسال بخلاف الأولياء لا تنزل عليهم العلوم إلا وهي مفصلة فقط لأن منها جهة الترقي والتكسف . فالنبوة وهب والولاية كسب . وقال في الباب العاشر من « الفتوحات » في قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ، إنما كان صلى الله عليه وسلم ، سيد ولد آدم لأن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، نواب له صلى الله عليه وسلم ، من لدن آدم إلى آخر الرسل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام كما أبان عن ذلك حديث « لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي » وصدق صلى الله عليه وسلم ، في ذلك ، فإنه لو كان موجودا بجسمه من لدن آدم إلى زمان وجوده لكان جميع بني آدم تحت شريعته حسا وهذا لم يبعث نبي إلى الناس عامة إلا هو خاصة فجميع شرائع الأنبياء هي بالحقيقة شرعه صلى الله عليه وسلم .
(فإن قلت) : فهل يكون نسخ شريعته لكل شريعة تقدمت يخرج تلك الشرائع عن كونها شرعا له ؟
(فالجواب) : لا يخرجها ذلك النسخ عن كونها من شريعته فإن الله تعالى قد أشهدنا النسخ في شرعه الظاهر مع اجتماعنا واتفاقنا على أنه شرعه الذي نزل عليه فنسخ المتقدم بالمتأخر ومما يشهد لكون جميع الأنبياء نوابا له صلى الله عليه وسلم ، كون عيسى عليه الصلاة والسلام ، إذا نزل إلى الأرض لا يحكم بشرع نفسه الذي كان عليه قبل رفعه وإنما يحكم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي بعث به إلى أمته ولو أن الشرع الذي يحكم به عيسى إذا نزل كان له بالأصالة لما كان يحكم إذا نزل إلى الأرض إلا به .
(فإن قلت) : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تفضلوني على يونس » الحديث هل هو منسوخ أو قاله تواضعا ؟
(فالجواب) : هو تواضع منه صلى الله عليه وسلم ، وإلا فهو يعلم أنه أفضل خلق الله تعالى ، وذلك ليصح له تمام الشكر ، فإنه أشكر خلق الله تعالى لله ولا يكون ذلك إلا بمعرفته كل ما أنعم الله به

....

العين الأخرى بوجود السحاب قال : وهي مسألة في غاية الغموض لأني أقول : لو أن الشمس في جو السماء وما في العالم عين تبصر من حيوان ما كان لها شعاع ينبسط في الأرض أصلا فإن نور كل مخلوق مقصور على ذاته لا يستنير له غيره فبوجود أبصارنا ووجود الشمس ظهر النور المنبسط قال : ولا يخفى أن الحرباء يظهر لونها بحسب ما تنقلب فيه من خضرة ، أو حمرة ، أو غيرها ، ولا وجود لتلك الألوان في جمعها فقد أدركت يا أخي ما لا وجود له حقيقة بل نسبة وكذلك النور المنبسط على الأرض قال : ومن هنا يعلم أن العالم مدرك لله في حال عدمه فهو معدوم العين مدرك لله يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الإلهي فيه .

"343"
عليه ، فافهم ؟ ومعنى الحديث : لا تفضلوني من ذوات نفوسكم لجهلكم بالأمر وليس معناه لا تفضلوني مطلقا فإنه من فضله بتفضيل الله عز وجل له فقد أصاب .
(فإن قلت) : فهل للعارف أن يفضله صلى الله عليه وسلم ، بحسب ما تحمله الألفاظ ؟
(فالجواب) : نعم له ذلك ولكن الكامل لا يعتمد في جميع ما يقوله إلا على ما يلقيه الله تعالى عنده لا على ما تحتمله الألفاظ والله أعلم .
(فإن قلت) : فهل جميع مقاماته صلى الله عليه وسلم ، تورث لأتباعه من الأنبياء والأولياء أو يختص صلى الله عليه وسلم ، بمقامات لا يصح لأحد منهم أن يرثها منه ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة يختص صلى الله عليه وسلم ، بمقامات لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء . منها أنه أعطاه ضروب الوحي كلها من وحي البشارات وإنزاله على القلب والإذن وبالعروج به إلى السماء ونحو ذلك ، ومنها أنه أعطاه علم الأحوال كلها لكونه أرسل إلى جميع الناس كافة ومعلوم أن أحوالهم مختلفة فلا بد أن تكون رسالته تعم الكل بجميع أحوالهم ومنها أنه أعطاه علم إحياء الأموات معنى وحسا بخلاف غيره فحصل صلى الله عليه وسلم ، العلم بالحياة المعنوية وهي حياة العلوم وحصل أيضا الحياة الحسية وهو ما أتى في قصة إبراهيم تعليما وإعلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قول تعالى : وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ [هود : 120] ومنها أنه أعطاه علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره أن يهتدي بهدي الأنبياء ، لا بهم ومنها أنه اختص بشرع لم يكن لغيره كما أشار إليه حديث أعطيت ستا لم يعطهن نبي قبلي فهذه أمور خص بها لم يعطها أحد غيره . ومما خص به أيضا لواء الحمد في المقام المحمود الذي يقام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم القيامة باسمه الحميد .
(فإن قلت) : فهل لواء الحمد واحد أو هو متعدد ؟
(فالجواب) : هو سبعة ألوية تسمى بألوية الحمد تعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وورثته المحمديين وفي تلك الألوية أسماء الله التي يتمنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه عزّ وجلّ ، إذا أقيم في المقام المحمود يوم القيامة وهو قوله صلى الله عليه وسلم ، إذا سئل في الشفاعة فأحمد الله تعالى

....
(قلت) : وهذا كلام دقيق غوره بعيد فليتأمل ويحرر والله أعلم .
[الباب الخامس والتسعون ومائتان في معرفة منزل الأعداد المشرفة من الحضرة المحمدية]
وقال في الباب الخامس والتسعين ومائتين : معنى كون الشمس سراجا أن يضيء به العالم ، وتبصر به الأشياء التي كان يسترها الظلام فيحدث الليل والنهار بحدوث كواكب الشمس والأرض ، قال : والليل هو ظلمة الأرض الحجابية عن انبساط نور الشمس ، والكواكب كلها عند أهل الكشف مستنيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم قال : والقمر على أصله لا نور له البتة قد محا الله نوره وذلك النور الذي ينسب إليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس في مرآة القمر على حسب مواجهة الأبصار منه فالقمر مجلى للشمس وليس فيه من نورها شيء . قال : وأول من شرع في تعليم

"344"

بمحامد يعلمنيها لا أعلمها الآن . أي : أثني عليه تعالى بهذه الأسماء التي يقتضيها ذلك الموطن ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم ، لا يثني على الله إلا بأسمائه الحسنى وهي لا يحاط بها علما وذلك أنا نعلم أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونعلم أننا لا نعلم أيضا ما أخفي لنا من قرة عين وما من شيء من ذلك إلا وهو مستند إلى الاسم الإلهي الذي أظهره بخلاف الاسم الإلهي الذي امتن الله تعالى علينا بالاطلاع عليه فلا بد أن يثنى عليه به ونحمده به إما ثناء تسبيح وإما ثناء إثبات . قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والثلاثين وثلاثمائة :

وقد سألت الله تعالى أن يطلعني على عدد تلك الأسماء المرقومة في الألوية فقيل لي : إن قدرها ألف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسما قد رقم في كل لواء منها تسعة وتسعون اسما من أحصاها في موطن القيامة دخل الجنة يعني : قبل الناس وليس إحصاؤها إلا للرجل الكامل من نبي أو ولي . انتهى .

(فإن قلت) : فما حكمة جعل اللواء بيده صلى الله عليه وسلم ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين أنه إنما جعل بيده ليجتمع إليه الناس ، إذ هو علامة على مرتبة الملك وعلى وجود الملك وإنما سمي لواء لأنه يلتوي على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد ، كما أشار إليه حديث : آدم ومن دونه تحت لوائي ، وإيضاح ذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام ، عالم بالأسماء وما ظهر بعلمها إلا بحكم النيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم ، في عالم الملائكة لتقدمه بالنبوة وآدم بين الماء والطين فلما ظهر جسم محمد صلى الله عليه وسلم ، كان هو صاحب اللواء فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة فيكون آدم فمن دون تحت لوائه .

(فإن قلت) : فهل يدخل تحت لوائه صلى الله عليه وسلم ، أيضا الملائكة ؟

(فالجواب) : نعم لأنها كانت تحت ذلك اللواء في زمان آدم فكذلك يكونون في الآخرة تحته حين يحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهناك يظهر لجميع الخلق سيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلافته على الجميع انتهى .

(فإن قلت) : فأين منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ، يوم الموقف الأعظم ؟

....

الناس علم الحوادث التي تكون في الأرض باقترانات الكواكب هو إدريس عليه السلام ، وهو علم صحيح لا يخطئ في نفسه وإنما الناظر في ذلك هو الذي يخطئ بعدم استيفائه النظر فالخطأ واقع في نظر هؤلاء لا في نفس العلم وهو من علوم الأسرار الإلهية والله تعالى أعلم بالصواب .

[الباب السابع والتسعون ومائتان في معرفة منزل ثناء تسوية الطينة الإنسية في المقام الأعلى من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب السابع والتسعين ومائتين : من رحمة الله تعالى بعباده ، أن رفع عنهم الخطأ والنسيان فلا يؤاخذهم الله في الدنيا ، ولا في الآخرة فأما في الآخرة فمجمع عليه من الكل وأما في الدنيا فأجمعوا على رفع الذنب واختلفوا في الحكم وقد سئل الجنيد عن الشبلي رحمهما الله لما كان يرد من ولهه إلى فعل الصلوات في أوقاتها فقال : الحمد لله الذي لم يجر

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع وثلاثين وثلاثمائة : إن منزلته على يمين حضرة الرحمن حين التجلي على العرش وأما منزلته يوم القيامة فهي بين يدي الحكم العدل لتنفيذ الأوامر الإلهية في العالم فالكل عنه يأخذ في ذلك الموطن وهو صلى الله عليه وسلم ، وجه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب إعلام من الله يفهم عنه يرونه لسانا ويسمعونه صوتا وحرفا انتهى .
(فإن قلت) : فهل الوسيلة مختصة به فلا تكون لغيره ؟ أم يصح أن تكون لغيره لقوله في الحديث : لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو . فلم يجعلها له صلى الله عليه وسلم نصا ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والسبعين في الجواب الثالث والتسعين : أن الذي نقول : به إنه لا يجوز لأحد سؤال الوسيلة لنفسه أدبا مع الله تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم ، الذي هدانا الله به وإيثارا له أيضا على أنفسنا وما طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة إلا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم ، لنا ، وتأليفا لنا نظير المشاورة فتعين علينا أدبا وإيثارا ومروءة ومكارم أخلاق أن الوسيلة لو كانت لنا لوهبناها له صلى الله عليه وسلم ، وكان هو الأولى بأفضل الدرجات لعلو منصبه ولما عرفناه من منزلته عند الله تعالى . ومما يؤيد تحريم سؤالنا الوسيلة لأنفسنا ما ذكره العلماء في الخصائص من تحريم خطبة المرأة التي عرض عليه الصلاة والسلام ، لوليها بتزويجها له ولذلك امتنع أبو بكر من إجابة عمر حين سأله عمر أن يتزوج ابنته حفصة وقال أبو بكر إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يذكرها انتهى .
(وقد رأيت) : في نسخة من نسخ « الفتوحات » بمصر ما نصه : يجوز لكل مسلم أن يسأل لنفسه الوسيلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يعينها لنفسه ولعلها من النسخ المدسوس فيها على الشيخ أو مرجوع عنها بدليل قوله رضي الله عنه ، في الباب السابع وثلاثين وثلاثمائة : إن منزلته صلى الله عليه وسلم في الجنان هي الوسيلة التي يتفرع منها جميع الجنان وهي في جنة عدن دار المقامة ولها شعبة في كل جنة من الجنان ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم ، لأهل تلك الجنان وهي في كل جنة أعظم منزلة فيها انتهى . فإياك أن تضيف إلى الشيخ ما في النسخة المدسوسة ثم

....
عليه لسان ذم أو قال ذنب ، قال : وإنما قال الجنيد ذلك خوفا على من يبلغ تلك المرتبة أن يظهر بها وهو غير محق فيخطىء فيقع في الذنب وأطال في ذلك .

[الباب الثامن والتسعون ومائتان في معرفة منزل الذكر من العالم العلوي في الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الثامن والتسعين ومائتين في قوله تعالى : نُورٌ عَلى نُورٍ [النور : 35] . هو نور الشرع مع نور بصر التوفيق والهداية ، فلا بد للماشي في طريق الشرع من هذين النورين فلو وجد نور البصيرة دون نور الشرع لما دري العبد كيف يسلك لأنه في طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا أين ينتهي به ثم الماشي في هذا الطريق يحتاج أن يحفظ سراجه من الأهواء أن تطفئه بهبوبها فإنه إن هبت عليه ريح زعزع أطفأت سراجه وأذهبت نوره قال : ومرادنا بالريح الزعزع كل ريح تؤثر في نور

"346"
تعترض عليه والله أعلم .
المبحث الثالث والثلاثون : في بيان بداية النبوة والرسالة والفرق بينهما وبيان امتناع رسالة رسولين معا في عصر واحد وبيان أنه ليس كل رسول خليفة وغير ذلك من النفائس التي لا توجد في كتاب
اعلم يا أخي أنه قد ورد في « الصحيح » أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ، الرؤيا الصادقة الحديث .
(فإن قلت) : ما حقيقة بدء الوحي ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين من « الفتوحات » : أن المراد ببدء الوحي إنزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال سواء كان ذلك في نوم أو يقظة .
(فإن قلت) : فإذن هو من مدركات الحس ؟
(فالجواب) : نعم ، هو من مدركات الحس وحضرة المحسوس كما في قوله تعالى :
فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا [مريم : 17]
قال الشيخ محيي الدين : وفي حضرة الخيال أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، العلم في صورة اللبن ، ولذا كان يؤول به رؤياه وهذا هو ما أبقاه الله تعالى على الأمة من أجزاء النبوة فإن مطلق النبوة لم يرتفع وإنما ارتفع نبوة التشريع فقط كما يؤيده حديث : من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه . فقد قامت بهذا النبوة بلا شك .
وقوله صلى الله عليه وسلم : « فلا نبي بعدي ولا رسول » المراد به لا مشرع بعدي .
(فإن قلت) : فما الحكمة في كون الرؤيا الصادقة جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة وما حكمة هذا العدد ؟

....

توحيده وإيمانه بخلاف غير الزعزع فإنها لا تطفئ نور السراج وإنما تميل لسانه حتى يحير في الطريق لا غير ومثال ذلك متابعة الهوى في فروع الشريعة كالوقوع في المعاصي التي لا يكفر بها الإنسان ، ولا تقدح في توحيده وإيمانه فو الله لقد خلقنا لأمر عظيم .
(وقال) : في قوله تعالى : قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ [ق : 27] الآية .

اعلم أن القرين لا يكون إلا في أمة بين أظهرها شرع فإن لم يكن بين أظهرهم شرع فلا قرين إذ الشيطان الذي هو القرين لا يكون إلا في مقابلة الملك الذي يأمر العبد بالخير بلسان الشرع ، وأما إذا لم يكن شرع فإنما العبد متصرف بحكم طبعه لأن ناصيته بيد ربه خاصة فلا يوكل به القرينان إلا إن

"347"

(فالجواب) : إنما خصت الأجزاء بهذا العدد لأن نبوته صلى الله عليه وسلم ، كانت ثلاثا وعشرين سنة وكانت رؤياه الصادقة ستة أشهر ونسبة الستة أشهر إلى الثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا فلا يلزم أن تكون هذه الأجزاء لنبوة كل نبي فقد يوحى إلى نبي أكثر من ذلك فتكون الأجزاء بحسب ذلك من خمسين وستين وأكثر والله أعلم .

(فإن قلت) : هل مقام الولاية من لازم مقام النبوة أو هو وصف آخر لا يكون للأنبياء .

(فالجواب) : إن ولاية الله تعالى لعباده هي الفلك المحيط العام وهي الدائرة الكبرى . وفي حكمها وحقيقتها أن الله تعالى يتولى من شاء من عباده برسالة أو نبوة أو إيمان ونحو ذلك من أحكام الولاية المطلقة وكل رسول لا بد أن يكون نبيا وكل نبي لا بد أن يكون وليا وكل ولي لا بد أن يكون مؤمنا .

(فإن قلت) : فإلى أي وقت يستمر حكم الرسالة والنبوة ؟

(فالجواب) : أما الرسالة فتستمر إلى دخول الناس الجنة أو النار وأما النبوة فإنها باقية الحكم في الآخرة لا يختص حكمها بالدنيا .

(فإن قلت) : فما حقيقة الرسالة وهل هي حال أو مقام ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائة ، أن حقيقة الرسالة إبلاغ كلام الله من متكلم إلى سامع وهو حال لا مقام إذ لا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ فلا تزال الرسالة يتجدد حكمها كل حين وهو قوله تعالى : ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ [الأنبياء : 2] فالإتيان به هو الرسالة وحدوث الذكر هو عند السامع المرسل إليه ولهذا ظهر علم الرسالة في صورة اللبن لأن المرسل هو اللبن انتهى . وقال في الباب السابع والخمسين ومائة :

اعلم أن الرسالة نعت كوني متوسط بين مرسل ومرسل إليه والمرسل به قد يعبر عنه بالرسالة وقد تكون الرسالة حال الرسول لانقضائها بانقضاء التبليغ قال تعالى : ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ [المائدة : 99] . فالرسالة هنا هي التي أرسل بها وبلغها ، وهكذا وردت في القرآن حيثما وردت ولا يقبلها الرسول إلا بواسطة روحي قدسي ينزل بالرسالة تارة على قلبه وتارة يتمثل له

....

دخل في دين إلهي يتعبد نفسه به ، فإن العقل وحده لا يستقل بمعرفة تشريع ما يقرب إلى الله تعالى وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر .

(وقال) : قد أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام ، فإنه خلق من ماء أمه فقط وذلك أن الملك لما تمثل لها بشرا سويا سرت اللذة بالنظر إليه بعد ما استعاذت منه وبعد أن عرفها أنه رسول الحق ليهب لها غلاما زكيا فتأهبت لقبول ذلك فسرت فيها لذة النكاح بمجرد النظر فنزل الماء منها إلى الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة فيها فهو من ماء أمه فقط :

[الباب الموفي ثلاثمائة في معرفة منزل انقسام العالم العلوي من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب

"348"

الملك رجلا وكل روحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية ، وإنما يسمى وحيا أو إلهاما أو وجودا أو لا تكون الرسالة إلا كما ذكرنا يعني بواسطة روحي قدسي .

(فإن قلت) : فما الفرق بين النبي والرسول ؟

(فالجواب) : الفرق بينهما هو أن النبي إذا ألقى إليه الروح شيئا اقتصر به ذلك النبي على نفسه خاصة ويحرم عليه أن يبلغ غيره ، ثم إن قيل له : بلغ ما أنزل إليك إما لطائفة مخصوصة كسائر الأنبياء وإما عامة ولم يكن ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، سمي بهذا الوجه رسولا وإن لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث إليهم فهو رسول لا نبي وأعني بها نبوة التشريع التي لا تكون للأولياء . فعلم أن كل رسول لم يخص بشيء من الحكم في حق نفسه فهو رسول لا نبي وإن خص مع التبليغ بشيء في حق نفسه فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه ، ولا كل نبي رسول بلا خلاف والله أعلم . هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والخمسين ومائة ، فليتأمل . فإن قال : من بلغ شرعا لا نصيب له في العمل به يطلق عليه نبي أيضا من حيث إنه مخبر والله أعلم .

(فإن قلت) : فهل كان الوحي للأنبياء الذين لم يرسلوا على لسان جبريل في اليقظة أم في المنام ؟

(فالجواب) : لم أر في ذلك شيئا عن الأصوليين ولكن ذكر الشيخ عبد العزيز الديريني في كتابه المسمى " بالدرر الملتقطة " أن الأنبياء الذين لم يرسلوا ، كان الوحي إليهم في المنام على لسان جبريل انتهى . فلا أدري ما دليله في ذلك فليتأمل .

(فإن قلت) : فكم تنقسم النبوة على قسم ؟

(فالجواب) : تنقسم النبوة البشرية على قسمين .

(القسم الأول) : من الله تعالى إلى غيره من غير روح ملكي بين الله تعالى وبين عبده بل إخبارات إلهية يجدها في نفسه من الغيب أو في تجليات ، ولا يتعلق بذلك الإخبار حكم تحليل ولا تحريم بل تعريف بمعاني الكتاب والسنة أو بصدق حكم مشروع ثابت أنه من عند الله تعالى

....

الموفى ثلاثمائة في حديث " إن الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله " . إنما قال ذلك ولم يقل كما يربي أحدكم ولده لأن الولد قد لا ينتفع به إذا كان ولد سوء فالنفع بالولد غير محقق بل ربما يحصل على والده منه الضرر بحيث يتمنى أن الله لم يخلقه ، والفلو ، والفصيل ليس هما كذلك فإن المنفعة بهما محققة ولا بد إما بركوبه ، أو بما يحمله عليه أو بثمنه أو بلحمه يأكله إن احتاج إليه فشبهه صلى الله عليه وسلم ، بما يتحقق الانتفاع به ليعلم المتصدق أنه ينتفع بما تصدق به ولا بد ومن الانتفاع بها أنها تظله يوم القيامة من حر الشمس حتى يقضي بين الناس.

أو تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته ونحو ذلك وكل ذلك تنبيه من الله تعالى وشاهد عدل من نفسه قال ولا سبيل لصاحب هذا المقام أن يكون على شرع يخصه يخالف شرع رسوله الذي أرسل إليه وأمرنا باتباعه أبدا .
(القسم الثاني) : من النبوة البشرية وهو خاص بمن كان قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم الذي يكونون كالتلامذة بين يدي الملك ، فينزل عليهم الروح الأمين بشريعة من الله تعالى في حق نفوسهم بتعبدهم بها فيحل لهم ما شاء ويحرم عليهم ما شاء ولا يلزمهم اتباع الرسل وهذا المقام لم يبق له أثر بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا في الأئمة المجتهدين من أمته لكن لا يفارقونهم بوجوب اتباعهم الرسل فلهم أن يحلوا بالدليل ويحرموا به انتهى .
(فإن قلت) : هل ثم أحد من البشر ينال في الدنيا علما من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الأحد وتسعين وأربعمائة ، ليس أحد ينال علما في الدنيا إلا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم ، سواء الأنبياء والعلماء المتقدمون على مبعثه والمتأخرون عنه ، وأطال في ذلك كما تقدم بسطه في المبحث قبله .
(فإن قلت) : فهل أطلع الله تعالى أحدا من الأولياء على عدد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، أو حصل له الاجتماع بهم كلهم من طريق كشفه ؟
(فالجواب) : نعم ذلك واقع لكل من حق له قدم الولاية الكبرى . وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والأربعين وثلاثمائة : اعلم أن عدد الأنبياء والمرسلين من بني آدم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كما ورد في الحديث ولا بد من هذا العدد في الأولياء في كل عصر وقد يزيدون ، قال الشيخ : وقد جمع الله تعالى بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة صحيحة حتى لم يبق منهم أحد إلا وعرفته وكذلك جمعني على من هو على أقدامهم من الأولياء فرأيتهم وعرفتهم كلهم . وقال أيضا في الباب الثالث والستين وأربعمائة : رأيت في كشفي جميع الأنبياء والمرسلين وأممهم كما سيأتي مشاهدة على من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة أظهرهم الحق تعالى في صعيد واحد . قال : وصاحبت منهم غير محمد صلى الله عليه وسلم ، جماعة منهم : الخليل عليه الصلاة والسلام ، قرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك مني فكان يبكي عند كل موضع

....

(قلت) : ويحتمل أيضا أنه إنما مثل بالفلو دون الولد لأن الولد ليس هو بمال يتصدق به بخلاف الفلو والله أعلم .[الباب الثالث وثلاثمائة في معرفة منزل العارف الجبرئيلي من الحضرة المحمدية]
وقال في الباب الثالث والثلاثمائة : اختلف العلماء في الموت هل هو طلاق رجعي أو بائن ؟ فذهب قوم إلى أن المرأة إذا ماتت كانت من زوجها كالأجنبية ولا بد فليس له أن يكشف عليها وذهب آخرون إلى بقاء حرمة الزوجية فله أن يغسلها ، وحاله معها كحاله في حياتها ، فإن كان رجعيا فإن الأزواج ترد إلى أعيان هذه الأجسام من حيث جواهرها في البعث وإن كان بائنا فقد ترد إليها مع اختلاف التأليف وقد ينشئ الله تعالى أجساما أخر أصفى ، وأحسن لأهل النعيم ولأهل الشقاء بالعكس ولكن الأول أظهر لقوله تعالى :بُعْثِرَ ما

ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لي منه خشوع عظيم . وأما موسى عليه الصلاة والسلام ، فأعطاني علم الكشف والإفصاح عن الأمور وعلم تقليب الليل والنهار .وأما هود عليه الصلاة والسلام ، فأخبرني بمسألة كانت وقعت في الوجود وما علمتها إلا منه . وأما عيسى عليه الصلاة والسلام ، فتبت على يديه أول دخولي في طريق القوم . قال ورأيت في هذه الواقعة أمورا علمت منها أنه لاحظ لي في الشقاء ومنها : أني رأيت نفسي في السعداء الذين على يمين آدم عليه الصلاة والسلام ، فشكرت الله على ذلك . وقال أيضا في الباب الثالث والسبعين : ما اجتمعت بأحد من الأنبياء أكثر من عيسى عليه الصلاة والسلام ، وكنت كلما اجتمعت به دعا لي بالثبات في الدين حيا وميتا وكان لا يفارقني حتى يدعو لي بذلك . وكان يقول لي : يا حبيبي ، وأمرني أول اجتماعي عليه بالزهد والتجريد وكان من زهاد الرسل وأكثرهم سياحة وكان حافظا للأمانة لم يأخذه في الله لومة لائم ولذلك عادته اليهود انتهى . وقال أيضا في الباب الخامس والستين وثلاثمائة : قد شاهدت في واقعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشاهدت جميع الأنبياء من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأشهدني الله تعالى جميع المؤمنين بهم حتى ما بقي منهم أحد لا من كان ولا من يكون إلى يوم القيامة ، وعرفت خاصهم وعامهم ، وعرفت جميع السعداء الذين كانوا في ظهر آدم وعددهم فلا يخفى علي الآن منهم أحد من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن لم يعطني الله تعالى معرفة عدد أهل النار لكثرتهم فلا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، وعرفت في هذا الكشف جميع مراتب الأنبياء والمرسلين وأتباعهم واطلعت على جميع ما كنت آمنت به مجملا مما هو في العالم العلوي والسفلي وشاهدت ذلك كله عيانا وما زحزحني ذلك الذي رأيته وشاهدته عن إيماني فلم أزل أقول وأفعل ما أقوله لقول النبي صلى الله عليه وسلم لي : قل كذا وافعل كذا لا لعلمي ولا لعيني ولا لشهودي فواخيت في شهودي بين الإيمان والعيان في آن واحد لئلا يفوتني ثواب الإيمان . قال : وهذا مقام ما وجدت له ذائقا إلى وقتي هذا وإن كنت أعلم أن في رجال الله تعالى من ناله لكني لم أجتمع به يقظة ومشافهة . قال : وسبب ذلك أني ما علقت خاطري قط من جانب الحق تعالى بشيء يطلعني عليه من الكون وإنما علقت خاطري مع الله تعالى أن يستعملني فيما يرضيه ، ولو خالف ذلك هوى نفسي وأن لا يحجبني عنه بوقوع ما يباعدني عنه وعن شهوده فإني أنا العبد المحض الذي لا أرى لي شفوفا على أحد من عباد الله تعالى ،

....

فِي الْقُبُورِ[العاديات : 9] فالموت طلاق رجعي والله أعلم . وقال في حديث " : ومن حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه " إنما لم يقل قد أدرجت النبوة في صدره ، أو بين عينيه ، أو في قلبه ، لأن تلك رتبة النبي لا رتبة الولي وأين الاكتساب من التخصيص فمن تعمل في تحصيل الولاية حصلت له وإن كان نفس التعمل في تحصيلها اختصاصا من الله أيضا يختص برحمته من يشاء فما اكتسبت الولاية إلا بالمشي في نور النبوة وأطال في ذلك وقال : كانت القوة التي ظهرت في أبي بكر الصديق يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم ، كالمعجزة في الدلالة على رسالة النبي ، فقوي حين ذهلت الجماعة لأنه لا يكون صاحب التقدم في الإمامة إلا صاح غير سكران فكان

"351"
وأتمنى أن يكون العالم كله مطيعا على قدم المعرفة ، قال : وإنما ذكرت لك ذلك من باب التحدث بالنعمة وفتحا لباب تنشيط الإخوان لطلب نيل مقامات الرجال انتهى .
(فإن قلت) : فما معنى قوله تعالى :يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ[غافر : 15]؟
(فالجواب) : أن الروح هنا هو الملقى من عند الله إلى قلوب عباده ، ويكون أمر الله تعالى هو الذي ألقاه ، لأن صورة ذلك الروح هو صورة قوله تعالى :لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ[النحل : 2]ولو لم تكن صورته ذلك لكان يقول أن لا إله إلا هو فالوسائط مرتفعة في هذا المنزل لا وجود لها إذ كان عين الوحي المنزل هو عين الروح ، والملقي هو الله لا غيره فليس الروح هنا عين الملك .
(فإن قلت) : فهل الملائكة تعرف هذا الروح ؟
(فالجواب) : لا تعرف الملائكة هذا الروح لأنه ليس من جنسها إذ هو روح غير مجهول ، وليس نورانيا والملك روح في نور . قال الشيخ في الباب الثامن والثلاثين ومائتين : وهذا الرزق لنا ولسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأما تنزل الأرواح الملكية على قلوب العباد ، فإنهم لا ينزلون إلا بأمر الله الرب ، وليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالإنزال ، وإنما يلقي إليهم ما لا يليق بمقامهم أن يعرفوه من ذواتهم في صورة من ينزلون عليه بذلك فيعرفون أن الله تبارك وتعالى قد أراد منهم الإنزال والنزول بما وجده في نفوسهم من الوحي الذي لا يليق بهم ، فإنه من خصائص البشر ، فإن البشر يشاهدون صورة المنزل عليهم في الصورة التي عندهم ، فيعرفون من تلك الصورة من هو صاحبها في الأرض فينزلون عليه ويلقون إليه ما ألقى إليهم فيعبر عن ذلك الملقى بالشرع والوحي ، فإن كان منسوبا إلى الله تعالى بحكم الصفة سمي قرآنا وفرقانا وتوراة وإنجيلا وزبورا وصحفا وإن كان منسوبا إلى الله بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمي حديثا وخبرا وسنة ورأيا . قال الشيخ : وقد ينزلون أيضا بالأمر الإلهي من حضرة الخطاب .
(فإن قلت) : فما معنى قول الملكوَما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما

....

هو الحقيق بالتقدم في ذلك اليوم لصحوه ولا يقدح في استحقاقه الخلافة كراهة بعض الناس له فإن ذلك مقام إلهي قال تعالى :وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً[الرعد : 15] . وأطال في ذلك .
ثم قال : فعلم أن تقدم الخلفاء بعضهم على بعض في الولاية على الناس على ما وقع به الترتيب لا يقتضي الجزم بتفضيل بعضهم على بعض بل ذلك راجع إلى الله ، فإنه العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه بما في نفسه من ذلك فالله يحفظنا من الفضول انتهى .
(قلت) : ذكر الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ، في الكلام على اسمه تعالى

بَيْنَ ذلِكَ وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا(64)] مريم : 64] ما معنى هذا النسيان ؟
(فالجواب) : معناه ليس ربك نسيا فيما شاهده من قول جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم في حال كونها أعيانا ثابتة في علمه حال عدمها وخطاباتها فصح قوله نسيا لأنه حكاية أمر محقق في وجود محقق لله لا يتصف بالحدوث ثم إن تلك الأعيان لما حدثت أخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق تعالى منها ، ولم تشهده هي لعدم وجودها لنفسها ، وقد روي عن الزهري أنه حدث مرة عن شخص من الثقات فقال حدثني فلان عني أني قلت كذا وكذا ، وذلك أن الزهري لما قال حدثني فلان اتصل الإسناد ، وإن كان هو لا يعلم هذا الحديث ذكره الشيخ في الباب السابع والثمانين ، وسيأتي بسط الكلام على أحوال الملائكة في المبحث التاسع والثلاثين فراجعه والله أعلم .
(فإن قلت) : هل النبوة مكتسبة كالولاية ؟ أي ولاية النبي في نفسه كما قيل ؟ أم هي موهوبة ؟
(فالجواب) : الولاية في كل من النبي والولي مكتسبة وما خرج عن الكسب سوى النبوة ، وإيضاح ذلك أن الله تعالى قد خلق الخلق على منازل بحسب ما سبق في علمه فجعل الملائكة ملائكة والرسل رسلا ، والأنبياء أنبياء ، والأولياء أولياء ، والمؤمنين مؤمنين ، والمنافقين منافقين ، والكافرين كافرين كل ذلك مميز عنده سبحانه وتعالى لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ، ولا يتبدل أحد بأحد فليس لمخلوق تعمل في مقام لم يخلق عليه ، بل قد وقع الفراغ من ذلك فلا يجري أحد في مجراه ، ولا يمشي أحد في مدرجة أحد . إذ لو سلك أحد في مدرجة أحد لكانت النبوة مكتسبة وحصلها من لم يكن نبيا ، وذلك غير واقع انتهى .
وقال الشيخ أيضا في الباب التاسع عشر : لكل شخص من أهل الله تعالى سلم يخصه لا يرقي فيه غيره إذ لو رقي أحد في سلم أحد لكانت النبوة مكتسبة والأمر على خلاف ذلك .
(فإن قلت) : فما شبهة قول من يقول إن النبوة مكتسبة ؟
(فالجواب) : شبهته في ذلك كونه رأى الأنبياء قبل رسالتهم لا بد أن ينقطعوا أو يتعبدوا

....

المعطي ما نصه : اعلم أن الله تعالى ما أمرنا باتباع ملة إبراهيم لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما أمرنا بها لتقدمه في الزمان فيها فللزمان حكم في التقدم من حيث هو لا في المرتبة كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي كان من حكمة الله تعالى إعطاؤها لأبي بكر ثم عمر ، ثم عثمان ثم علي ، بحسب أعمالهم التي قدر الله وقوعها أيام ولاية كل واحد على التعيين وكل لها أهل في وقت أهلية الذي قبله ولا بد من ولاية كل واحد منهم وخلع المتأخر لو تقدم لا بد منه حتى يلي من لا بد له عند الله في سابق علمه من الولاية فرتب الله الخلافة ترتيب الزمان للأعمار حتى لا يقع خلع مع الاستحقاق في كل واحد من متقدم ومتأخر وما علم الصحابة

على نية قوة الاستعداد للوحي ليرجعوا إلى الحالة التي كانوا عليها حين قدر الحق تعالى المقادير ، فلما نظر هؤلاء القوم إلى انقطاعهم وتعبدهم ثم حصول النبوة لهم ظنوا أن النبوة مكتسبة وهو وهم وقصور نظر .
(فإن قلت) : فما شبهة منكري النبوات المعهودة ؟
(فالجواب) : سبب إنكارهم ذلك توهمهم أن كل من صفى جوهرة نفسه من الكدورات الطبيعية والتزم مكارم الأخلاق العرفية صار نبيا من غير وحي إليه على لسان ملك قالوا فإنه إذا صفي قلبه انتقش في قلبه جميع ما في العالم العلوي من العلوم السماوية التي في اللوح المحفوظ وغيره بالقوة ، فينطق بالغيوب فهناك يسمى نبيا عندهم ذكره الشيخ في الباب الخامس والستين وثلاثمائة . ثم قال : وليس الأمر عندنا وعند أهل الله تعالى كما قال هؤلاء ، وإن جاز وقوع ما ذكروه من انتقاش العلوم الإلهية لأنه لم يبلغنا أن نبيا أو حكيما صفى جوهرة نفسه فأحاط علما بما يحتوي عليه حاله في كل نفس أبدا بل غايته أن يعلم بعضا ، ويجهل بعضا ، وأطال في رد أقوال منكري النبوّة فكذب والله ، وافترى من زعم أن الشيخ فلسفي كما مر في مبحث حدوث العالم .
وقد قال أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائتين من قال : إن النبوة مكتسبة أخطأ لأن النبوة اختصاص إلهي قطعا . قال : وشبهة قول من يقول إنها مكتسبة زعمه أنها ليست من الله تعالى ، وإنما هي من فيض العقل والأرواح العلوية انتهى .
وقال أيضا في الباب الرابع والثمانين : اعلم أن كل مأمور به فهو مقام مكتسب ، ومن هنا قالوا : المقامات مكاسب والأحوال مواهب انتهى .
(فإن قلت) : فهل كل رسول خليفة أم الخلافة لبعض الرسل دون بعض ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والأربعين : أنه ليس كل رسول خليفة إنما تكون الخلافة لمن نص الله تعالى على خلافته كداود عليه الصلاة والسلام فهو رسول وخليفة لأنه قال له احكم بين الناس بالحق وأما آدم عليه الصلاة والسلام فأجمل الله تعالى له الخلافة

....

ذلك إلا بالموت . قال ومع هذا البيان بقي أهل الأهواء في خوضهم يلعبون مع إبانة الصبح لذي عينين بلسان وشفتين انتهى . وقال أيضا في الكلام على اسمه تعالى الآخر من الباب المذكور ما نصه : اعلم أن حد الآخر من الثاني الذي يلي الأول إلى ما تحته فهو المسمى بالآخر لأن له حكم التأخر عن الأولية بلا شك وإن استحق الأولية هذا المتأخر فما تأخر عن الأول إلا لأمر أثبته الزمان لأن وجود الإلهية فيه من جميع الوجوه فالحكم في تأخيره وتقدم غيره للزمان لا للأفضلية في الحقيقة كخلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، رضوان الله عليهم أجمعين . فما من واحد إلا وهو مترشح للتقدم والخلافة مؤهل لها فلم يبق حكم لتقدم

"354"

وما قال له احكم .

(فإن قلت) : فما الفرق بين الخلافة والرسالة ؟

(فالجواب) : الفرق بين الخليفة والرسول أن الخليفة هو كل من جمعت فيه هذه الصفات فأمر ونهى وعاقب وعفا ، وأمرنا الله تعالى بطاعته فهذا هو الخليفة ، وأما الرسول فهو كل من بلغ أمر الله ونهيه ولم يكن له من نفسه أمر من الله أن يأمر وينهي في كل ما أراد فهذا رسول مبلغ رسالات ربه لا خليفة .

(قلت) : ويصح أن يسمى الرسول الذي لم يصرح الحق له بقوله احكم خليفة أيضا ، من حيث إنه نائب عن الحق في خطابنا بالتكاليف وغيرها والله أعلم . فعلم أن للخليفة أن يشرع كل ما أراد مما لم يأمره الحق به صريحا وليس ذلك للرسول قال الله تعالى :أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ[النساء : 59] أي : أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان محمد بقول محمد فيه إن الله يأمركم بكذاأَطِيعُوا اللَّهَ[النساء : 59] فيما لم يبلغه عن أمري ولا قال لكم إنه من عندي ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى :أَطِيعُوا اللَّهَ[النساء : 59] ففصّل أمر الله الذي يطيعه فيه من طاعة رسوله ، ولو كان يعني بذلك ما بلغه إلينا عن أمر الله الذي أمرنا به لم يكن ، ثم فائدة زائدة بطاعة رسوله فتعين أن يكون المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر هو به ونهى عنه مما لم يقل هو إنه من عند الله ، وسيأتي بسط ذلك في مبحث وجوب الإذعان والطاعة للرسل إن شاء الله تعالى .

(فإن قلت) : هل يقدح في كمال عبودية الرسل بالنظر إلى مقامهم طلبهم الأجر على التبليغ كما أشاروا إليه بقولهمإِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ[هود : 29] ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في باب أسرار الزكاة من " الفتوحات : " لا يقدح في عبودية الرسل ذلك ، وإنما قال نوح عليه الصلاة والسلام : إن أجري إلا على الله ليعلمنا بأن كل عمل خالص يطلب الأجر بذاته وذلك لا يخرج العبد عن أوصاف عبوديته فإن العبد في صورة الأجير ما أنت أجير ، إذ حقيقة الأجير من استؤجر وهو أجنبي عن عبودية المستأجر له ، والسيد لا يستأجر عبده ، وإنما العمل يقتضي الأجرة وهو لا يأخذها ، وإنما يأخذها العامل وهو العبد فهو

....

بعضهم على بعض فما عند الله بفضل علم تطلبه الخلافة وما كان إلا الزمان فلما سبق في علم الله أن أبا بكر يموت قبل عمر ، وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي ، والكل له حرمة عند الله وفضل فقدم الحق سبحانه وتعالى في الخلافة من علم أن أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الأربعة وما قدم من قدم من الأربعة لكونه أكثر أهلية من المتأخر منهم في علمنا فلم يبق إلا حكم الآجال والعناية وفي الحديث إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو بايع الناس أحد الثلاثة دون أبي بكر ، فلا بد لأبي بكر أن يكون خليفة وخليفتان لا يجتمعان فإن خلع أحد الثلاثة وولي أبو بكر كان عدم احترام في حق المخلوع ونسب الساعي في خلعه إلى أنه خلع

قابض الأجرة من الله تعالى فأشبه الأجير في قبض الأجرة وفارقه بالاستئجار انتهى .
(فإن قلت) : فهل الأفضل ترك الأجرة أو أخذها صدقة من الله تعالى ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الكلام على الأذان : أن مذهب المحققين أخذ الأجرة وأن ذلك أفضل من تركها لكن بشرط أن يكون مشهده الأخذ من الله لا من المخلوقين .
فللكمل طلب الأجرة وأخذها من باب المنة وإظهار الفاقة لا من باب الاستحقاق وذلك من أجل ما يؤكل ويتمتع به فعلم أن مقام الدعوة إلى الله تعالى يقتضي الأجرة وما من نبي دعا قومه إلى الله تعالى إلا قال لا أسألكم عليه أجرا فأثبت الأجر على الدعاء ، ولكن اختار أن يأخذه من الله تعالى .
(قلت) : ويؤخذ من هذا أن للواعظ منا أو المدرس أو المفتي يعلم أن يأخذ أجرا على ذلك إذ هو من عمل يقتضي الأجر بشهادة كل رسول الله تعالى ، وله أيضا أن يترك الأخذ من الناس ويطلبه من الله تعالى اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ هو أجر تفضل الله تعالى به على عبده لكون العبد لا يستحق على سيده أجرا من حيث إنه ملكه وعين ماله .
وقال الشيخ أيضا في الباب السادس عشر وثلاثمائة : اعلم أن استخدام الحق العبد على حالين للعبد : فتارة يعبده العبادة المحضة ، وتارة يعبده عبادة إجارة فمن كونه عبدا هو مكلف بالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على هذا جملة واحدة من حيث أداء فرضه إنما له ما يمن به على عبده من النعم التي هي أفضل من الأجر لا على جهة الأجر ثم إنه تعالى ندب إلى عبادته في أمور ليست فرضا على العبد فعلى هذه الأعمال المندوبة فرضت الأجور فكل من تقرب بها إلى سيده أعطاه أجرته عليه وكل من لم يتقرب لم يطلبه بها ولا يعاقبه عليها . فمن هنا كان العبد حكمه حكم الأجير في الإجارة ، فالفرض له الجزاء الذي يقابله من حيث إنه هو العهد الذي بين الله وبين عباده وأما النوافل فلها الأجور وهي قوله في الحديث القدسي : ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . الحديث فإذن : أنتجت النافلة للعبد محبة الحق تعالى ، والنكتة في ذلك هو أن المتنفل عبد اختيار كالأجير ، فإذا اختار الإنسان أن يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله تعالى على هواه ، وأما في الفرائض فهو عبد اضطرار لأن العبودية

....

عن الخلافة من يستحقها ونسب إلى الهوى والظلم والتعدي في حقه ولو لم يخلع لما مات أبو بكر في أيامه دون أن يكون خليفة ولا بد له من الخلافة أن يليها في علم الله فلا بد من تقدمه لتقدم أجله قبل صاحبه وكذلك تقدم عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلي ، والحسن فما تقدم من تقدم لكونه أحق بها من هؤلاء الباقين ولا تأخر من تأخر منهم عنها لعدم الأهلية قال : وما علم الناس ذلك إلا بعد أن بين الله ذلك بآجالهم وموتهم واحدا بعد آخر إذ التقدم إنما كان بسبب الآجال عندنا وفي نظرنا الظاهر أو بعلم آخر في علم الله لم نقف عليه وحفظ الله المرتبة عليهم رضي الله عنهم أجمعين ، وقد أطال الشيخ محيي الدين الكلام على السر الذي وقر في

أوجبت على العبد خدمة سيده فيما افترضه عليه فعلم أن بين الإنسان في عبوديته الاضطرارية وعبوديته الاختيارية كما بين الأجير ، والعبد المملوك ، فإن العبد الأصلي ماله على سيده استحقاق إلا ما لا بد منه فهو يأكل ويلبس من سيده ويقوم بواجبات أموره ، ولا يزال في دار سيده ليلا ونهارا لا يبرح إلا إذا وجهه سيده في شغل فهو في شغله الدنياوي مع الله تعالى ، وكذلك هذا حاله يوم القيامة ، وفي الجنة فإنها جميعها ملك لسيده فيتصرف فيها بإذن سيده كتصرف المالك والأجير ليس له لا ما عين له من الأجرة فقط ، ومنها نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على أسراره ولا تصرف في ملكه إلا بقدر ما استؤجر عليه ، فإذا انقضت مدة إجارته وأخذ أجرته فارق مؤجره واشتغل بأهله وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة أن يطلب من استأجره إلا أن يمن عليه رب المال بأن يبعث خلفه ويخاليه ويخلع عليه فذلك من باب المنة .
(فإن قلت) : فهل يكون عبودية الاضطرار في الجنة كما هي في الدنيا ؟
(فالجواب) : لا يكون في الآخرة عبودية اضطرار أبدا لعدم التحجير فإن تفطنت يا أخي لما نبهتك عليه علمت من أي مقام قالت الأنبياء إن أجري إلا على الله مع كونهم العبيد الخلص الذين لم يملكهم قط هوى نفوسهم ولا هوى أحد من خلق الله وذلك لأن طلب الأجر راجع إلى دخولهم تحت حكم الأسماء الإلهية فمن هناك وقعت الإجارة فهم في حال الاضطرار وهم في الحقيقة عبيد الذات وهم لها ملك والأسماء دائما تطلبهم لتظهر آثارها فيهم فكل اسم يناديهم ادخلوا تحت أمري وأنا أعطيكم كذا . فلهم الاختيار من هذا الوجه في الدخول تحت أي اسم شاؤوا فلا يزال أحدهم في خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم إلهي ويقوم بدعوة سيده ، فإذا فعل ما أمره به حينئذ رجع إلى أي اسم شاء ولهذا كان الإنسان يتنفل حتى يسمع إقامة صلاة الفريضة فيؤمر بترك كل نافلة ويبادر إلى أداء فرض سيده ومالكه ، فإذا فرغ دخل في أي نافلة شاء .
(فإن قلت) : فمن أي حضرة كان أجر الأنبياء على الله تعالى ؟
(فالجواب) : هو من حضرة السيادة ، فإنه هو الذي استخدمهم في التبليغ.

....
صدر أبي بكر في الباب التاسع والستين وثلاثمائة وسيأتي ذلك ملخصا في الباب المذكور إن شاء الله تعالى .
(قلت) : الذي نعتقده أن تقديم الخلفاء الأربعة كان بالفضل والزمان معا وهذا أولى مما قاله الشيخ والله أعلم . فليتأمل ، ويحرر والله واسع عليم .

[الباب الرابع وثلاثمائة في معرفة منزل إيثار الغناء على الفقر من المقام الموسوي وإيثار الفقر على الغناء من الحضرة العيسوية]

وقال في الباب الرابع وثلاثمائة : ما عظم الزهاد في أعين الملوك والأمراء والأغنياء إلا لغناهم عما بأيديهم من حطام الدنيا ولو أنهم طلبوا من الناس شيئا من الدنيا لنقصوا في أعينهم بقدر ما طلبوا مع كون الأغنياء يبادرون لقضاء حوائجهم ويتواضعون لهم فلو أن الزاهد وزن مرتبته في قلب الملك مثلا قبل طلب تلك

"357"
(فإن قلت) : فهل يكون زيادة أجر النبي صلى الله عليه وسلم ونقصه بحسب النية والعزم أو بحسب التعب والراحة من جهة المدعوين ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وأربعمائة : إن أجر كل نبي يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين .
(فإن قلت) : فكيف يصح طلب الأجر من الله مع كون الأجر ليس هو بمعلوم القدر عند الرسول أو الواعظ مثلا ؟
(فالجواب) : إنما صح طلب ذلك من الله تعالى مع كونه مجهولا لعلم الرسول بأن الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الأجر المجهول من الخلق لا يصح إلا بعد علمه وذلك لجهل الخلق بما يستحقه المدعى عليهم .
(فإن قلت) : فهل للرسول أجر إذا رد قومه رسالته ولم يقبلوها منه ؟
(فالجواب) : نعم للرسول أجر في ذلك لكن كما يؤجر المصاب فيمن يعز عليه فللرسول أجر بعدد من رد رسالته من أمته بلغوا من العدد ما بلغوا كما أن الذي يعمل بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن به له مثل أجر جميع من اتبع الرسل لاستجماع الشرائع كلها في شرع محمد صلى الله عليه وسلم .
(فإن قلت) : فما هو الغيب الذي يطلع الله تعالى عليه رسوله المشار إليه بقولهفَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ[الجن : 26 - 27] هل هو ما غاب عنه من أحكام التكاليف الموحى بها إليه أم غير ذلك ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الأحد وعشرين وثلاثمائة : أن المراد بهذا الغيب المخصوص بمن كان رسولا هو علم التكاليف الذي غاب عن العباد ، ولم تستقل عقولهم بإدراكه ، ولهذا جعل له الملائكة رصدا حذرا من الشياطين أن تلقّى إلى الرسول ما يعمل به في نفسه من التكاليف الذي جعله الله طريقا إلى سعادة العباد من أمر ونهي ويؤيد ما قلناه من أن هذا الغيب هو علم الرسالة التي يبلغها الرسل عن الله تعالى قوله تعالى :لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ[الجن : 28] ، فأضاف الرسالة إلى قوله ربهم لما علموا أن الشياطين لم تلق

....

الحاجة منه ثم وزنها بعد الحاجة لرآها نقصت عنها نقصا عظيما وأطال في ذلك[الباب الثامن وثلاثمائة في معرفة منزل اختلاط العالم الكلي من الحضرة المحمدية]
وقال في الباب الثامن وثلاثمائة : في قوله تعالى :هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً] (1)الإنسان : 1] . أي : قد أتى على الإنسان واعلم أن آخر صورة ظهر فيها الإنسان بعد مروره على العناصر الصورة الآدمية لأنه كان قبلها له في كل مقام وحضرة فلك وسماء صورة ولم يكن قط في صورة من تلك الصور مذكورا بهذه الصورة الآدمية العنصرية ولهذا ما ابتلاه الله تعالى في صورة من تلك الصورة ولا عصى ربه فيها ولا يموت إلا فيها .
قال : ولا يخفى أن حقيقة مسمى الإنسان هي اللطيفة والجسم معا . وشرفه عارض لا ذاتي فإن شرفه إنما هو بما أعطاه

إليهم ، أعني الرسل شيئا فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره .
(فإن قلت) : فهل ذلك القدر الذي يطلع الله تعالى عليه من ارتضاه من رسول هل هو بإعلام الملك أم هو بلا واسطة ملك ؟
(فالجواب) : هو بلا واسطة ملك فإن الملائكة إذا لم يكن لها واسطة في الوحي تحف أنوارها بالرسول كالهالة حول القمر ، وتكون الشياطين من ورائها لا يجدون سبيلا إلى هذا الرسول حتى يظهر الله تعالى ذلك الرسول على ما شاء من غيبه المتعلق بالتكاليف كما مر ، قال الشيخ محيي الدين ، وليس في " الفتوحات المكية " ولا غيره من كتبنا أصعب من تصور الغيب الذي انفرد به الحق ويسمى الغيب المحالي المشار إليه بقوله تعالى :وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ[الأنعام : 59] ، وإنما كان محالا لأنه غيب برزخي بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لأحد الجانبين ، وكان هذا مما فضل الصديق عن غيره به وقليل من عثر عليه .
(فإن قلت) : فما الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم كان يلحقه البرد إذا نزل عليه الوحي حتى يسجى بالكساء ؟
(فالجواب) : الحكمة في ذلك أن الرسول إذا نزل عليه الوحي عرق من شدته للانضغاط الذي يحصل من التقاء روح الملك وروح الرسول ، ثم إن الهواء الخارج مع الرطوبات من البدن يغمر المسام بقوته فلا يتخلل الهواء البارد من خارج ، ثم إذا سرى عن ذلك النبي وانصرف الملك عنه ، سكن المزاج وانتعشت الحرارة الغريزية ، وإيضاح ذلك : أن الملك إذا ورد على رسول الله بأمر يتعلق بعلم خبري أو حكم يتلقى ذلك منه الروح الإنساني ويتلاقيان هذا بالإصغاء ، وذلك بالإلقاء ، وكل منهما نور فيحتد عند ذلك المزاج ويشتعل وتتحرك الحرارة الغريزية المزاجية حتى يتغير وجه الرسول من شدتها وهو المعبر عنه بالحال وهو أشد ما يكون ، ثم إن تلك الرطوبات البدنية تصعد بخارات إلى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة ، ومنه يكون العرق الذي يطرأ على صاحب الحال ، ثم إذا انتعشت تلك الحرارة وانفتحت المسام قبل الجسم الهواء البارد من الخارج فتخلل الجسم ، وحصل البرد في المزاج فيطلب الغطاء

....

الله من العلم ، والخلافة ، والسلطنة لا غير .

[الباب التاسع وثلاثمائة في معرفة منزل الملامية من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب التاسع وثلاثمائة رجال الله تعالى ثلاثة أصناف لا رابع لهم . عباد وصوفية وملامتية وهم كمل الرجال فضابط العباد أنهم رجال غلب عليهم الزهد ، والتبتل والأفعال الظاهرة المحمودة ، لا يرون شيئا فوق ما هم عليه ولا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات ولا رائحة عندهم من العلوم الإلهية الوهبية ولا بالمعارف والكشوفات ويخافون على أعمالهم من تحبطها لاعتمادهم عليها دون الله وضابط الصوفية أنهم رجال فوق هؤلاء العباد لأنهم يرون الأفعال كلها مع ما هم عليه من الجد والاجتهاد والورع ، والزهد ، والتوكل ، وغير ذلك ، ويرون أن ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كلا شيء

وزيادة الثياب ليسخن ، وذلك لاستيلاء البرد والقشعريرة على الحرارة الغريزية وضعفها ، ولا يخفى أن هذا كله خاص بما إذا كان التنزل على القلب بالصفة الروحانية والله أعلم .
(فإن قلت) : فلم اختار الأنبياء النوم على ظهورهم دون جنبهم ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلاثمائة : أنهم إنما اضطجعوا على ظهورهم لعلمهم بأن كل ما قابل الوجه فهو أفق له ومعلوم أن الأفق نوعان : نوع أدون وهو الأرض ، ونوع أعلى وهو السماء ، فلذلك استلقوا على ظهورهم ليكون أفقهم أعلى وإيضاح ذلك كما في الباب الثالث والثلاثين : هو أن تعلم أن الوارد الإلهي الذي هو صفة القيومية إذا جاءهم اشتغل الروح الإنساني المدبر عن تدبيره بما يتلقاه من الوارد الإلهي من العلوم الإلهية فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع إلى أصله وهو لصوقه بالأرض المعبر عنه بالاضطجاع ، ولو كان على سرير ، فإن السرير هو المانع له من وصوله إلى التراب فهذا سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم ، ثم إن الروح إذا فرغ من ذلك التقى وصدر الوارد إلى حضرة ربه رجع الروح إلى تدبير جسده فأقامه من ضجعته ، قال الشيخ : وما بلغنا عن نبي قط أنه تخبط واضطرب عند نزول الوحي أبدا والله أعلم .
(فإن قلت) : فما ثم إذن في العباد أقوى من الأنبياء لتحملهم ثقل الوحي ؟
(فالجواب) : نعم . ما ثم أقوى من الأنبياء فهم أقوى من الجبل ، لتحملهم الوحي حين نزل إليهم ولم يحمل ذلك الجبل بل تصدع . قال الشيخ في الباب الثاني والأربعين وثلاثمائة :
ومما يؤيد قولنا : إن الأنبياء أقوى من الجبال قوتهم على سماع ما لا يليق بجناب الله من الكفار وغيرهم وعدم قوة الجبال لسماع ذلك قال تعالى :تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً(91) [مريم90 : ، 91 .] وقد سمع الأنبياء قوله تعالى :وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ[التوبة : 30] ولم يكادوا ينفطرون ولم يتزلزلوا بل ثبتوا وذلك لأنه تعالى تجلى للأنبياء ، نحو حضرة قوله تعالى :لَوْ

....

ولكن هم مع حسن أخلاقهم وفتوتهم أهل رعونة ونفوس بالنظر لأهل الطبقة الثالثة وعندهم رائحة الدعاوى وضابط الملامتية الذين هم على قدم أبي بكر الصديق أنهم رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا الرواتب ولا يتميزون عن الناس بحالة زائدة يعرفون بها يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة قد انفردوا بقلوبهم مع الله لا يتزلزلون عن عبوديتهم قط ولا يذوقون للرياسة طعما لاستيلاء الربوبية على قلوبهم فهم أرفع الرجال مقاما رضي الله عنهم أجمعين .

[الباب العاشر وثلاثمائة في معرفة منزل الصلصلة الروحانية من الحضرة الموسوية]

وقال في الباب العاشر وثلاثمائة : في قوله تعالى :يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ[المدثر : 1 - 2] . اعلم أن التدثر إنما يكون في البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك أن الملك إذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم ، بعلم أو بحكم تلقى تلك الصورة الروح الإنساني فإذا تلاقيا هذا

"360"
أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا[الأنبياء : 17] فعلموا من حضرة الإطلاق الإلهي ما لم تعلمه السماوات والأرض والجبال فأنتج لهم هذا العلم قوة في نفوسهم حملوا بها ما سمعوه في حق الله ولو أن ذلك نزل على من ليست له هذه القوة لذاب عظمه فانظر ما أكثف حجاب من اعتقد أن لله ولدا وما أشد عماه عن رؤية الحقائق انتهى .
(فإن قلت) : فهل كان قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسل أم كانوا كلهم أنبياء فقط حتى آدم عليه الصلاة والسلام ؟
(فالجواب) : لم يبلغنا في كتاب ولا سنة أنه كان قبل نوح رسل وإنما كانوا كلهم أنبياء فقط ، كل نبي منهم على شريعة مخصوصة من ربه عز وجل ولكن كان كل من شاء من القوم دخل في شرع أحدهم معهم ومن شاء لم يدخل . فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر كما أنه إذا أدخل نفسه ثم كذب الأنبياء كان كافرا ، وأما من لم يكذب وبقي على البراءة فليس بكافر .
(قلت) : لكن رأيت في مسند الإمام سندا مرفوعا كان آدم عليه الصلاة والسلام رسولا مكرما انتهى . فليتأمل مع ما قبله وما بعده .
(فإن قلت) : قوله تعالى :وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ[فاطر : 24] هل هو نص في الرسالة ؟
(فالجواب) : ليس هو بنص في الرسالة كما ذكره الشيخ في الباب الثالث عشر وثلاثمائة . قال : وإنما هو نص في أن في كل أمة عالما بالله تعالى وبأمور الآخرة وذلك هو النبي لا الرسول . إذ لو كان الرسول لقال إليها ولم يقل فيها فليس هو بنص في الرسالة قال : وهذا هو الذي نقول به فلم يكن فيهم رسل وإنما كان فيهم أنبياء عالمون بالله تعالى فمن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن شاء لم يكلف ذلك وكان إدريس عليه الصلاة والسلام منهم فلم يجئ له نص في القرآن بالرسالة وإنما قيل فيه : صديقا نبيا فأول شخص افتتح الله به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام.

....

بالإلقاء وهذا بالإصغاء احتد المزاج واشتعل وتقوت الحرارة الغريزية المزاجية فتغير وجه ذلك الشخص لذلك وهو أشد ما يكون ولذلك تصعد الرطوبات البدنية كأنها بخارات إلى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق الذي يطرأ على أصحاب هذا الحال للانضغاث الذي يحصل بين الطبائع من التقاء الروحين ثم لما كان الهواء الخارج من البدن قويا غمر المسام برطوبته فمنع تخلل الهواء البارد من خارج فإذا سرى ذلك عن النبي أو عن صاحب الحال ، وانصرف الملك سكن المزاج وانفشت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم فيبرد المزاج ويستولي على الحرارة ويضعفها فذلك هو البرد الذي يجده صاحب الحال ولهذا تأخذه القشعريرة فيزاد عليه الثياب ليسخن ثم بعد ذلك

(فإن قلت) : فهل كان عدم إجابة أكثر قوم نوح عليه الصلاة والسلام ، لضعف عزمه أم لاتساع حاله وغلبة التسليم لله تعالى عليه فلم يكن له همة تنفذ فيهم . فالجواب : ليس للهمة من الداعين أثر في المدعوين جملة واحدة . ومن قبل من رسول ما قبل فليس ذلك من علو همة الداعي وإنما ذلك من حيث ما وهب الله تعالى لخلقه من المزاج الذي اقتضى له قبول مثل ذلك ويسمى هذا المزاج الخاص الذي لا يعلمه إلا الله تعالى وبه كان كفر أول من كفر ممن ليس له أبوان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما ورد ، فعلم أنه لو كان تأثير الكلام في المدعو من همة الداعي فقط لأسلم كل من شافهه الرسول بالخطاب كائنا من كان لنفوذ همته وكان يقدح في كمال الرسل رد قومهم رسالتهم ولا قائل بذلك فسقط قول من يقول : لو كان الواعظ صادقا مخلصا في وعظه لأثر وعظه في قلوب السامعين فإنه لا أصدق من الرسل ومع ذلك فلم يعم قولهم في السامعين قبولا بل قال نوح عليه الصلاة والسلام :قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهاراً (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً(6) [نوح : 5 ، 6] فلما لم يعم القبول في السامعين لكلام الرسل مع تحققنا علو همتهم علمنا أن الهمة ما لها أثر جملة واحدة . وإنما ذلك من المزاج كما مر ، ومن سمع قول واعظ فلم يؤثر فيه القبول فالعيب منه لا من الواعظ إذ صاحب العقل السليم يؤثر فيه الكلام الحق على يد أي من جاء به من الناس ولو من كافر بالله إذ الوحي الذي جاء به المشرك حق على كل حال وإن لم يعمل به حامله فالعاقل يقبل ذلك من حيث كونه حقا لا من حيث المحل الذي ظهر به .
(فإن قلت) : فما إيضاح ذلك ؟
(فالجواب) : أن تنظر في حال المدعو فإن رأيته في حال سماعه يسمع من الواعظ كلاما ولم يؤثر فيه ثم إنه يسمع من واعظ آخر بعينه فيؤثر فيه . فاعلم أن ذلك التأثير لم يكن من حيث قبوله الحق وإنما هو من حيث وجود نسبة بينه وبين الواعظ الثاني من اعتقاد فيه أو نحو ذلك فما أثر في السامع سوى نفسه وفي القرآن العظيمإِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ[الشورى : 48] وقال :لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ[البقرة : 272] أي : ليس عليك أن توفقهم لقبول ما أرسلتك به وأمرتك ببيانهوَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ[البقرة [272 : وهو أعلم بالمهتدين . أي : الذين

....

يفيق ويخبر بما وقع له من الوحي إن كان نبيا أو من الإلهام إن كان وليا ، وأطال في ذلك .

[الباب الحادي عشر وثلاثمائة في معرفة منزل النواشئ الاختصاصية الغيبية من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الحادي عشر وثلاثمائة : لم أعرف اليوم أحدا تحقق بمقام العبودية أكثر مني فإنه إن كان هناك أحد فهو مثلي فقط وذلك لأني بلغت من مقام العبودية غايته فأنا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للسيادة طعما وقد منحنيها الله تعالى هبة أنعم بها عليّ ولم أنلها بعمل بل اختصاص إلهي وأرجو من الله تعالى أن يمسكها عليّ ولا يحول بيني وبينها حتى ألقاه بها فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .
(قلت) : وقوله : فأنا العبد المحض يرد قول من نسب الشيخ إلى الحلول والاتحاد والله

قبلوا التوفيق على مزاج خاص فللهادي الذي هو الله تعالى الإبانة والتوفيق وليس للهادي من المخلوقين إلا الإبانة فقط ذكره الشيخ في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة .
(فإن قلت) : فما معنى قوله تعالى :لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ[النحل : 44] مع أن القرآن جاء على لغتهم فما السبب الداعي إلى احتياجهم إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ؟
(فالجواب) : سبب ذلك أن كل كلام لا بد فيه من إجمال وما كل أحد يعرف المجمل فلذلك لم يكتف الحق تعالى بنزول الكتب الإلهية من غير بيان الرسل لما أجمل فيها ومعلوم أنه لا يفضل العبارة إلا العبارة فنابت الرسل مناب الحق تعالى في تفصيل ما أجمله في كتابه وناب المجتهدون مناب الرسل فيما أجملوه في كلامهم ولولا أن حقيقة هذا الإجمال سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان إلى لسان ولا من حال إلى حال قال تعالى :فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ[التوبة : 6] ، وهو ما أنزل خاصة وأما ما فصله الرسول وأبان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل فإن البيان وقع بعبارة أخرى ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة .
(فإن قلت) : فهل النبوة من النعوت الإلهية أو الكونية ؟
(فالجواب) : هي من النعوت الإلهية أثبت حكمها في الجناب الإلهي الاسم السميع وأثبت حكمها صيغة الأمر الذي في الدعاء المأمور به وإجابة الحق تعالى عباده فيما سألوه فيه فليست النبوة بمعقول زائد على هذا الذي ذكرناه إلا أنه تعالى لم يطلق على نفسه من ذلك اسما كما أطلق في الولاية فسمى نفسه وليا وما سمى نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا ذكره الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائة .
(فإن قلت) : فما معنى قوله تعالى :وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ[الحج : 52] كيف وصل إلى قلب الرسول والنبي مع أنهما معصومان منه .
(فالجواب) : كما قال الشيخ في الباب السادس من " الفتوحات " : إن الأنبياء عليهم

....

أعلم .وقال : فيه في قوة الكامل من البشر أن يظهر في صورة غيره كما وقع لقضيب البان وغيره وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل أن يظهر بصورة إسرافيل ، ولا ميكائيل وعكسه ففي قوة الإنسان ما ليس في قوة الملك وأطال في الفرق بينهما .[الباب الثاني عشر وثلاثمائة في معرفة منزل كيفية نزول الوحي على قلوب الأولياء وحفظهم في ذلك من الشياطين من الحضرة المحمدية]
وقال في الباب الثاني عشر وثلاثمائة في معرفة وحي الأولياء الإلهامي : اعلم أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى قلب ولي من أوليائه بأمر ما تجلّى الحق إلى قلب ذلك الولي برفع الحجب فيفهم الولي من ذلك التجلي ما يريد الحق أن يعلم ذلك الولي به فيجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم كما وجد النبي صلى الله عليه وسلم ، العلم بالضربة بين ثدييه في شربة

السلام ، إنما عصموا من العمل بوسوسة الشيطان فقط فهو يلقى إليهم ولا يعملون بقوله : لعصمتهم فليس له على قلوب الأنبياء من سبيل فالعصمة حقيقة إنما هي العمل بما يلقي لا من الإلقاء لأجل الآية المذكورة في السؤال بخلاف قلوب الأولياء فقد يعملون بما يلقى إليهم إن لم تحفهم عناية الحفظ . ولما علم إبليس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من العمل بقوله لعصمة قلبه من استشراف إبليس عليه جاءه في الصلاة بشعلة نار مخيلة فرمى بها في وجهه وكان غرض الشيطان أن يفتن بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن صلاته وعن الإقبال عليها لما رأى ما له في الصلاة من الخير ، إذ هو لعنه الله حسود لبني آدم بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه وسلم إلى خلفه ولم يقطع الصلاة وأخبر بذلك أصحابه . خاتمة : إن قلت هل يمتنع رسالة نبيين معا في آن واحد إلى شخص واحد .
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والعشرين من " الفتوحات " : نعم يمتنع رسالتهما إلا أن يكونا ينطقان في رسالتهما بلسان واحد في آن واحد كموسى وهارون عليهما السلام ، قال تعالى فيهما :اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (43) فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى(44) [طه : 43 ، 44] . إلى آخر النسق فلم يكن لكل منهما عبارة تخصه دون الآخر لا سيما وموسى عليه الصلاة والسلام ، يقول عن هارون وهوأَفْصَحُ مِنِّي لِساناً[القصص : 34] انتهى .
والله أعلم .
المبحث الرابع والثلاثون : في بيان صحة الإسراء وتوابعه وأنه رأى من الله تعالى صورة ما كان يعلمه منه في الأرض لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده حال كونه في الأرض
اعلم أن الأصل في قصة الإسراء قوله تعالى :سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(1) [الإسراء : 1] .قال الشيخ محيي الدين : والضمير في قوله :إِنَّهُ: راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

....

اللبن ومن الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به بل يقول : وجدت في خاطري كذا وكذا ، ولا يعرف من أتاه به ولكن من عرف فهو أتم .

[الباب الثالث عشر وثلاثمائة في معرفة منزل البكاء والنوح من الحضرة المحمدية]
وقال في الباب الثالث عشر وثلاثمائة :
اعلم أن أول رسول أرسل نوح عليه السلام ، ومن كانوا قبله إنما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل في شرعه معه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر ومن أدخل نفسه ثم كذب الأنبياء كان كافرا ومن لم يفعل وبقي على البراءة لم يكن كافرا قال : وأما قوله تعالى :وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ[فاطر. : 24] فليس هو بنص في الرسالة وإنما هو نص في أن في كل أمة عالما بالله تعالى وبأمور الآخرة

لا إلى الباري جل وعلا وأطال في ذلك . ثم قال فما نقل الحق تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ، من مكان إلى مكان إلا ليريه ما خص تعالى به ذلك المكان من الآيات والعجائب الدالة على قدرته تعالى من حيث وصف خاص لا يعلم من الله تعالى إلا بتلك الآية كأنه تعالى يقول : ما أسريت بعبدي إلا لرؤية الآيات لا إليّ لأنه لا يحويني مكان ونسبة الأمكنة إليّ نسبة واحدة وكيف أسري بعبدي إليّ وأنا معه حيث كان .
(قلت) : فما بقي إلا أن رؤية الملك في دسكرة ملكه وجنوده أعلى في التعظيم وحصول الهيبة من رؤيته وهو متنكر وإنما كان تعالى لا يحويه مكان لأن المكان المعقول هو من سقف العرش إلى تخوم الأرضين وذلك كالذرة بالنسبة لما فوق العرش ولما تحت التخوم فإن صعد العرش إلى أبد الآبدين لا يجد بعده سقفا أو نزل العرش أبد الآبدين لا يجد له أرضا ومن أري الوجود هذه الرؤية بعد عن القول بالجسمية تعالى الله رب العالمين عن ذلك . قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والستين وثلاثمائة : ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يري محمدا صلى الله عليه وسلم ، من آياته ما شاء أنزل الله تعالى إليه جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الروح الأمين بدابة يقال لها : البراق إثباتا للأسباب وتقوية له ليريه العلم بالأسباب ذوقا كما جعل الأجنحة للملائكة ليعلمنا بثبوت الأسباب التي وضعها في العالم والبراق دابة برزخية فإنه دون البغل الذي تولد من جنسين مختلفين وفوق الحمار الذي تولد من جنس واحد وذلك لحكمة تعلمها أهل الله تعالى فركبه صلى الله عليه وسلم ، وأخذه جبريل عليه السلام ، وسار به في الهواء . قال الشيخ محيي الدين : والبراق للرسل مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل للمرسل إليه ليركبه تهمما به في الظاهر وأما في الباطن فمعناه أنه لا يصل إلى حضرته إلا بما كان منه تعالى لا على ما يكون لغيره فهو تشريف وتنبيه لمن لا يدري مواقع الأمور منا فجاء صلى الله عليه وسلم ، إلى البيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التي تربطه بها الأنبياء قبله كل ذلك إثباتا للأسباب فإنه ما من رسول إلّا وقد أسري به راكبا على ذلك البراق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اختص عنهم في إسرائه بأمور تعرفها أهل الله عز وجل .
(فإن قلت) : فما الحكمة في ربطه صلى الله عليه وسلم ، مع علمه بأنه مأمور ؟

....

وذلك هو النبي لا الرسول إذا لو كان الرسول لقال إليها ولم يقل فيها . قال : وهو ونحن نقول : إنه كان فيهم أنبياء عالمون بالله فمن شاء وافقهم ، ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم ، ومن لم يشأ لم يكلف ذلك وكان إدريس عليه السلام ، منهم ولم يجئ له نص في القرآن برسالته بل قيل فيه صديقا نبيا فأول شخص افتتح به الرسالة نوح عليه السلام ، وأطال في ذلك .

[الباب الرابع عشر وثلاثمائة في معرفة منزل الفرق بين مدارج الملائكة والنبيين والأولياء من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة : متى خرج كشف ولي في العلم عن الكتاب والسنة فليس ذلك بعلم ولا هو علم ولاية بل إذا حققته وجدته جهلا والجهل عدم والعلم وجود فعلم أنه لا يتعدى كشف ولي في العلوم الإلهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه أبدا.

(فالجواب) : إنما ربطه إثباتا لحكم العادة التي أجراها الله تعالى في مسمى الدابة ولو أنه أوقفه من غير ربطه بالحلقة لوقف ولكن حكم العادة منعه من ذلك ألا نراه صلى الله عليه وسلم ، كيف وصف البراق بأنه شمس وهو من شأن الدواب التي تركب وأنه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة التي لاقته في طريق مكة فوصف البراق بأنه يعثر والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية يعني : القدح . ولما جاء جبريل عليه السلام ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له : يا محمد اركب فركبه صلى الله عليه وسلم ، ومعه جبريل وطار به البراق في الهواء واخترق به الجو ، عطش صلى الله عليه وسلم ، واحتاج إلى الشرب فأتاه جبريل بإناءين : إناء لبن وإناء خمر . وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام : أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك .
ولذلك كان صلى الله عليه وسلم ، يتأول اللبن بالعلم . فلما وصلا إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقال له الحاجب : من هذا ؟ فقال له جبريل : قال من معك . قال : محمد صلى الله عليه وسلم .
قال : أو قد بعث إليه .
قال : قد بعث إليه ففتح فدخل جبريل ومحمد فإذا آدم عليه السلام ، وعلى يمينه أشخاص بنيه السعداء عمرة الجنة . وعن يساره نسم بنيه الأشقياء عمرة النار ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صورته هناك في أشخاص السعداء فشكر الله تعالى . وعلم عند ذلك كيف يكون الإنسان في مكانين وهو عينه لا غيره . فكان له الصورة المرئية والصور المرئيات في المرآة الواحدة والمرايا ، فقال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم عرج في البراق وهو محمول عليه في الفضاء الذي بين السماء الأولى والسماء الثانية . فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الأولى .
وقال وقيل له : فلما دخل إذا بعيسى عليه السلام ، بجسده عينه فإنه لم يمت إلى الآن . بل رفعه الله إلى هذه السماء وأسكنه فيها وحكمه فيها . قال الشيخ محيي الدين : وهو شيخنا الأول الذي رجعنا إلى الله تعالى على يديه وتبنا وله عليه الصلاة والسلام بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة فرحب وسهل ثم عرج إلى السماء الثالثة ، فاستفتح فقال وقيل له : ففتح فإذا بيوسف عليه السلام ، فسلم عليه ورحب به وسهل وجبريل في هذا كله يسمي له ما يراه من هؤلاء الأشخاص ثم عرج به إلى السماء الرابعة فاستفتح فقال وقيل له : ففتح فإذا بإدريس عليه السلام ، جسمه فإنه ما مات إلى الآن . بل رفعه الله إلى هذه السماء وأسكنه فيها . قال تعالى :وَرَفَعْنَاهُ مَكاناً عَلِيًّا[مريم : 57] . وهو هذه السماء قلب السماوات فسلم عليه ورحب وسهل ثم

....

(وقال) : في قوله صلى الله عليه وسلم : " إن المصلي يناد ي ربه " ، أي : بارتفاع الوسائط كما سيكلمه في القيامة كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان كما ورد فما تميزت الآخرة إلا بكون العبد يعرف هناك من يكلمه وهنا لا يعرفه وأطال في ذلك .

[الباب السابع عشر وثلاثمائة " في معرفة منزل الابتلاء وبركاته]

وقال في الباب السابع عشر وثلاثمائة في قوله تعالى :وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ[هود : 7] . اعلم أن على ههنا بمعنى في أي كان العرش في الماء كما أن الإنسان في الماء ، أي : منه تكون فإن الماء أصل الموجودات كلها وهو عرش الحياة ومن الماء خلق الله كل شيء وكل ما سوى الله حي ولذلك سبح بحمده ولو لم يكن حيا ما سبح قال : وتأول ذلك بعض الناس وقال : إنما هو تسبيح حال والخلاف إنما ينبغي أن يكون

"366"
عرج به إلى السماء الخامسة فاستفتح فقال وقيل له : ففتح فإذا بهارون عليه الصلاة والسلام ، ويحيى بن زكريا فسلما عليه ورحبا به ثم عرج به إلى السماء السادسة فاستفتح فقال وقيل له : ففتح فإذا بموسى عليه السلام ، فسلم ورحب وسهل ثم عرج به إلى السماء السابعة فاستفتخ فقال وقيل له : ففتح فإذا بإبراهيم عليه السلام ، مسندا ظهره إلى البيت المعمور فسلم عليه ورحب وسهل وسمى له البيت المعمور الضراح فنظر إليه وصلى فيه ركعتين وعرفنا عليه السلام ، أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر .
فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها وأخبر أن أولئك يخلقهم الله تعالى كل يوم من قطرات ماء الحياة التي تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطائر عندما يخرج من الماء عند انغماسه في نهر الحياة فإن له في كل يوم غمسة فيه ثم عرج به إلى سدرة المنتهى . فإذا نبقها كالقلال وورقها كآذان الفيلة فرآها وقد غشاها الله تعالى من النور ما غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها لأن البصر لا يدركها حتى ينعتها لشدة نورها ورأى يخرج من أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان . فأخبره جبريل أن النهرين الظاهرين النيل والفرات .
والنهرين الباطنين نهران يمشيان إلى الجنة وأن النيل والفرات يرجعان يوم القيامة إلى الجنة ، وهما نهرا العسل واللبن في الجنة . قال الشيخ : وهذه الأنهار تعطي لشاربها علوما متنوعة يعرفها أصحاب الأذواق في الدنيا وأخبره أن أعمال بني آدم تنتهي إلى تلك السدرة وأنها مقر الأرواح فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها ونهاية لما يعرج إليها مما هو دونها ، وبها مقام جبريل عليه السلام . وهناك منصته فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق بهذه المنصة ، وجيء إليه بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا فقعد عليه وسلمه جبريل إلى الملك النازل بالرفرف فسأله الصحبة ليأنس به . فقال له : لا أقدر ولو خطوت خطوة لاحترقتوَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ] (164)الصافات : 164] وما أسرى الله تعالى بك يا محمد إلا ليريك من آياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف يمشي به إلى أن ظهر لمستوى سمع فيه صريف القلم والأقلام في الألواح وهي تكتب بما يجريه الله تعالى في خلقه وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده وكل قلم ملك قال تعالى :إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[الجاثية : 29] ثم زج به في النور زجة فأفرده الملك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره فاستوحش لما لم يره معه وبقي لا يدري ما يصنع وأخذه هيمان مثل

....

في سبب حياته لا في حياته والعرش هنا عبارة عن الملك وكان حرف وجودي ، أي : الملك كله موجود في الماء إذ الماء أصل ظهور عينه فهو للملك كالهيولى ظهر فيه صور العالم الذي هو ملك الله وأطال في ذلك .
وقال : الفرق بين الموت والنوم ، أن الموت إعراض الروح عن الجسم بالكلية فيزول بذلك جميع القوى كالليل بمغيب الشمس وأما النوم فليس بإعراض الكلية عن الجسم إنما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس إذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الأرض بكون الضوء موجودا كالحياة وإن لم يقع إدراك الشمس لذلك الذي حال بينه وبين السماء من السحاب المتراكم.

السكران في ذلك النور وأصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال واستفرغه الحال وكان تمايله كتمايل السراج إذا هب عليه نسيم رقيق لا يطفئه ، وكان سبب الهيمان سماع إيقاع تلك الأقلام وصريفها . أي : صوتها في الألواح فأعطت من النغمات المستلذة ما أداه إلى ما ذكرنا من سريان الحال فيه وحكمه عليه فتقوى بذلك الحال ، فعلم أن الرفرف ما تدلى له إلا لكون البراق له مكان لا يتعداه كجبريل عليه السلام لما بلغ إلى المكان الذي لا يتعداه وقف فلو أن الحق تعالى أراد لجبريل الصعود فوق ذلك المقام لما صعد إلا محمولا مثل ما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن عروجه إنما كان لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القمرية وكذلك المقام الرفرفي لما وصل إلى مقام لا يتعداه الرفرف . زج به في النور فغمره النور من جميع نواحيه كما بسطه الشيخ في الباب الرابع عشر وثلاثمائة ، وسيأتي الكلام على عروج الملائكة في مبحثها إن شاء الله تعالى ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم ، لما تقوى بالحال أعطاه الله تعالى في نفسه علما علم به ما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحي من حيث لا يدري وجهته فطلب الإذن في الرؤية بالدخول على حضرة ربه الخاصة فرأى صوتا يشبه صوت أبي بكر وهو يقول : يا محمد قف إن ربك يصلي فراعه ذلك الخطاب . وقال في نفسه : أربي يصلي ! فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب وأنس بصوت أبي بكر رضي الله عنه ، فتلا عليههُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ[الأحزاب : 43] فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق تعالى فلما فرغ تعالى من الصلاة مثل قوله تعالى :سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ(31) [الرحمن : 31] مع أنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكن لما كان لخلقه لأصناف العالم أزمنة مخصوصة وأمكنة مخصوصة ، لا يتعدى بها زمانها ولا مكانها ، لما سبق في علمه ومشيئته صح قوله تعالى :سَنَفْرُغُ لَكُمْمن هذه الحيثية . أي : فإن ربك قد سبق في علمه أنه لا يجمع بين شغلين ترتب أحدهما على الآخر في آن واحد وظهر بذلك شدة الاعتناء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يقيمه في مقام التفرغ له بحكم التنزل الإلهي للعقول فهو تنبيه على العناية به والله أعلى وأجل في نفس نبيه صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ثم أمر صلى الله عليه وسلم ، بالدخول لتلك الحضرة الشريفة فأوحى الله تعالى إليه في تلك الحضرة ما أوحى ورأى عين ما كان يعلم لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم ، صورة اعتقاده ، وذكر الشيخ رجوعه عليه الصلاة والسلام من تلك الحضرة ومراجعته لموسى في شأن الصلوات إلى أن قال : ثم ودع

....

[الباب الموفي عشرين وثلاثمائة في معرفة منزل تسبيح القبضتين وتمييزهما]

وقال في الباب العشرين وثلاثمائة في قوله تعالى : إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا [الإسراء : 36] .

اعلم أن اسم كان هنا هو النفس فيسأل النفس عن سمعه ، وبصره ، وفؤاده فيقال له : ما فعلت برعيتك كما يسأل الوالي الجائر إذا أخذه الملك وعذبه عند استغاثة رعيته منه ، وقال في قوله تعالى : فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ [الجن : 26 - 27]

المراد بهذا الغيب الذي يطلع عليه رسوله هو علم التكليف الذي غاب عنه العباد ولم تشتغل عقولهم بدركه ولهذا جعل الملائكة له رصدا حذرا من الشياطين أن تلقي إليه ما رصدا يعمل به في نفسه من التكليف الذي جعله الله تعالى سعادة للعباد من أمر ونهي فهذا الغيب هو

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، موسى وانصرف نازلا إلى الأرض قبل طلوع الشمس ، قال الشيخ : كان هذا الإسراء بجسمه الشريف ولو كان الإسراء بروحه صلى الله عليه وسلم ، ويكون رؤيا رآها كما يرى النائم في نومه ما أنكره أحد من قريش ولا نازعه فيه وإنما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الإسراء كان بجسمه الشريف في تلك المواطن التي دخلها كلها .
(فإن قلت) : فكم كانت إسراآته صلى الله عليه وسلم ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر وثلاثمائة : أنها كانت أربعة وثلاثين فمرة واحدة بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها قال ومما يدلك على أن الإسراء ليلة فرض الصلاة كان بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث أنه صلى الله عليه وسلم استوحش لما زج به في النور ولم ير معه أحدا إذ الأرواح لا توصف بالوحشة ولا بالاستيحاش ، وقال : وكذلك مما يدل على أن الإسراء كان بجسمه ما وقع له من العطش فإن الأرواح المجردة لا تعطش .
(قال) : وإنما سمع صوت أبي بكر تأنيسا له ، وقد أعطت المعرفة بأن الأنس لا يكون إلا بالمناسب ولا مناسبة بين الحق تعالى وبين عبيده وإن أضيف إلى الحق المؤانسة فإنما ذلك على وجه خاص يرجع إلى الكون فافهم ، قال الشيخ : وإنما خص أبو بكر بذلك لكونه كان يأنس به في الأرض فحن لذلك وأنس به وتعجّب من ذلك الصوت في ذلك الموطن لكونه جاءه من العلو ، وقد تركه في الأرض .
(فإن قلت) : فهل ثم في المعراج إلى السماء بالجسم أو الروح فائدة أخرى غير رؤية الآيات ؟
(فالجواب) : نعم منها أنه إذا مر على حضرات الأسماء الإلهية صار متخلقا بصفاتها فإذا مر على الرحيم كان رحيما أو على الغفور كان غفورا أو على الكريم كان كريما أو على الحليم كان حليما أو على الشكور كان شكورا أو على الجواد كان جوادا ، وهكذا فما يرجع من ذلك المعراج إلا وهو في غاية الكمال ، ومنها شهود الجسم الواحد في مكانين في آن واحد كما رأى محمد صلى الله عليه وسلم نفسه في أشخاص بني آدم السعداء حين اجتمع به في السماء الأولى كما مر وكذلك آدم وموسى وغيرهما فإنهم في قبورهم في الأرض حال كونهم ساكنين في السماء ، فإنه قال الشيخ رضي الله عنه :

....

علم الرسالة ولهذا قال :لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ]الجن : 28] .
فأضاف الرسالة إلى قوله : ربهم لما علموا أن الشياطين لم تلق إليهم أعني الرسل شيئا فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره ثم هل هذا القدر الذي يطلع عليه من ارتضاه من رسول هل هو بإعلام الملك له أو هو بلا واسطة ؟
ملك الظاهر الثاني وتكون الملائكة تحف أنوارها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالهالة حول القمر والشياطين من ورائها لا تجد سبيلا إلى هذا الرسول حتى يظهر الله له ما شاء من علم التكليف الذي خفي عنه ، وعن العباد علمه . قال : وليس في كتابنا هذا ولا غيره أصعب من تصور الغيب الذي انفرد به الحق ويسمى الغيب المحالي وذلك لأنه لا يظهر عنه

"369"
رأيت آدم رأيت موسى رأيت إبراهيم ، وأطلق ، وما قال رأيت روح آدم ، ولا روح موسى فراجع صلى الله عليه وسلم موسى في السماء وهو بعينه في قبره في الأرض قائما يصلي كما ورد . فيا من يقول إن الجسم الواحد لا يكون في مكانين كيف يكون إيمانك بهذا الحديث ، فإن كنت مؤمنا فقلد وإن كنت عالما فلا تعترض فإن العلم يمنعك وليس لك الاختبار فإنه لا يختبر إلا الله ، وليس لك أن تتأول أن الذي في الأرض غير الذي في السماء لقوله عليه الصلاة والسلام : " رأيت موسى وأطلق وكذلك سائر من رآه من الأنبياء هناك ، فالمسمى موسى إن لم يكن عينه فالإخبار عنه كذب أنه موسى هذا والمعترض يقول رأيتك البارحة في النوم ومعلوم أن المرئي كان في منزله على حالة غير الحالة التي رآه عليها ، ولكن في موطن آخر ولا يقول له رأيت غيرك ، ثم إن المعترض ينكر على الأولياء مثل هذا في تطوراتهم ، وقد كان قضيب البان يتطور فيما شاء من الصور في أماكن متعددة وكل صورة خوطب فيها أجاب أن الله على كل شيء قدير ، ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين ومائتين ، وقال في الباب السابع وأربعمائة : اعلم أن العبد محمول بالقدرة الإلهية في جميع أحواله لا استقلال له بشيء ولهذا ما أسرى برسول قط إلا على براق إذا كان الإسراء بالجسم المحسوس ، فإن كان الإسراء به في النوم كما يقع للأولياء فقد يرى نفسه محمولا على مركب ، وقد لا يرى نفسه محمولا لكن يعلم أنه محمول في الصور التي يرى نفسه فيها إذ قد علمنا أن جسمه في فراشه وفي بيته نائم .
(فإن قلت) : فهل يكون الوارث للأنبياء عليهم الصلاة والسلام له في هذه المرتبة فيكون محمولا بالقدرة على الكشف والشهود في جميع أحواله ؟
(فالجواب) : نعم ولذلك قال تعالى في حق سيد العبيد على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلمسُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ[الإسراء : 1] ، فأقامه في العبودية المطلقة ونزع منه الدعوى والربوبية على شيء من العالم وجرده عن كل شيء حتى عن الأسرار ، وجعله يسري به وما أضاف السرى إليه ، فإنه لو قال :سُبْحانَ الَّذِي]الإسراء : 1] دعا عبده لأن يسري إليه أو إلى رؤية آياته فسرى لكان له أن يقول ذلك ولكن المقام منعه أن يقول فجعله مجبورا لا حظّ له في الدعوى لفعل من الأفعال ، ومنها أي من فوائد الإسراء أيضا التنويه بشرف مقام

....

شيء أبدا يتصف بالشهادة وقتا أو حالا ما فهو غيب بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لأحد الجانبين وقد حارت الخلائق في هذا الغيب فإنه ما هو محال فيكون عدما محضا ولا هو واجب الوجود فيكون وجودا محضا ولا هو ممكن يستوي طرفاه ولا هو غير معلوم بل هو معقول فلا يعرف له حد فهذا هو الغيب الذي انفرد به الحق حيث قال :عالِمُ الْغَيْبِ[الأنعام : 73]

[الباب الثاني والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل من باع الحق بالخلق وهو من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الثاني والعشرين وثلاثمائة : إنما وجب نصب إمام واحد في العالم تنبيها على أن الإله للعالم واحد فهو واجب شرعا مع كون طلب الإمام موجودا في قطر العالم كلهم فإن هممهم توفرت في كل بلدة ، أو قرية ، أو جماعة أن يكون لهم رئيس يرجعون إليه ،

"370"
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه نظير تمدحه تعالى بالاستواء على العرش والثناء بذلك على نفسه ، فإن العرش أعظم الأجسام لاحتوائه على جميع الموجودات فما فوقه سقف في العلو ولا أرض في السفل ، وإنما خص الاستواء به لأنه غاية مطمح أبصار المؤمنين ، وأما العارفون من الأنبياء وكمل أتباعهم فيرون هذا العرش بالنسبة لاتساع الوجود كالذرة الطائرة في الهواء ليس لها سقف ترسي عليه ولا أرض تنزل عليها فسبحان من لا يعرف قدره غيره ، وفي كلام سيدي علي بن وفا رحمه الله يصف حاله :وقد نفذت من الأقطار أجمعها * وقد تجاوزت حد الخفض والرفعوقال أيضا : ليس الرجل من يقيده العرش وما حواه من الأفلاك والجنة والنار وإنما الرجل من نفذ بصره إلى خارج هذا الوجود كله وهناك يعرف قدر عظمة موجده سبحانه وتعالى انتهى . وقال الشيخ في الباب السادس عشر وثلاثمائة : اعلم أنه لما كان الاستواء على العرش تمدحا لله عز وجل ، جعل الله تعالى لنبيه كذلك نسبة على طريق التمدح عليه حيث كان العرش أعلى مقام ينتهي إليه من أسرى به من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، قال : وهذا يدل على أن الإسراء كان بجسمه صلى الله عليه وسلم ولو كان الإسراء رؤيا رآها لما كان الإسراء ولا الوصول إلى هذا المقام تمدحا ولا وقع من الأعراب في حقه إنكار على ذلك لأن الرؤيا يصل الإنسان فيها إلى مرتبة رؤية الله تعالى وهي أشرف الحالات ومع ذلك فليس لها ذلك الموقع من النفوس إذ كل إنسان بل كل حيوان له قوة الرؤيا قال : وإنما قال صلى الله عليه وسلم على سبيل التمدح حتى ظهرت لمستوى سمعت فيه صريف الأقلام وأتى بحرف الغاية الذي هو حتى إشارة لما قلناه من أن منتهى السير بالقدم المحسوس للعرش والله تعالى أعلم .
(خاتمة) : ذكر الشيخ في الباب العاشر ومائة ما نصه :
(فإن قيل) : ما الفرق بين تنزل الوحي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين تنزله على الأولياء في المنام على يد ملك الإلهام ؟
(فالجواب) : الفرق بينهما أن تنزل الوحي على النبي يكون على قلبه وعلى صدره لكون نبوته مشهودة له وأما تنزله على الأولياء فيكون بين جنبيهم لأن نبوتهم مستورة عنهم فالوحي

....

ويكونون تحت أمره .
(فإن قلت) : إن الشارع لم ينص على الأمر باتخاذ الإمام فمن أين يكون واجبا .
(قلنا) : إن الله تعالى قد أمرنا بإقامة الدين بلا شك ولا سبيل إلى إقامته إلا بوجود الأمان في أنفس الناس على أنفسهم ، وأموالهم ، وأهليهم من تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يصح أبدا ما لم يكن ثم من يخاف سطوته وترجى رحمته يرجع أمرهم إليه ويجتمعون عليه فإذا زال الخوف الذي كانوا يخافونه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم تفرغوا لإقامة الدين الذي أوجب الله

"371"
لهم في الظهر لا في الظهور وإلى تلك الإشارة يقول بعض العارفين : لم يمت أبو يزيد البسطامي حتى استظهر القرآن أي من الله تعالى عليه بفهم معانيه كلها من طريق الإلهام بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن استظهر القرآن هكذا فقد أدرجت النبوة بين جنبيه وأطال في ذلك وسيأتي بسط ذلك زيادة على ذلك في مباحث الولاية إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم .

المبحث الخامس والثلاثون : في كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كما به صرح القرآن

اعلم أن الإجماع قد انعقد على أنه صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين كما أنه خاتم النبيين ، وإن كان المراد بالنبيين في الآية هم المرسلين وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة من " الفتوحات " : قد ختم الله تعالى بشرع محمد صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع فلا رسول بعده يشرع ولا نبي بعده يرسل إليه بشرع يتعبد به في نفسه إنما يتعبد الناس بشريعته إلى يوم القيامة .

(قلت) : وأما اجتهاد الأئمة وتشريعهم في الأحكام فذلك بإذنه مع أن مادتهم في الاستنباط إنما هو شرعه صلى الله عليه وسلم الثابت كتابا كان أو سنة ، وأعني بالسنة هنا الحديث ويلحق بالسنة كل حكم صدر عنه المجتهد من قياس فرع على أصل فإنه من السنة أيضا وهو المراد بالاستنباط ، وأما قياس فرع على فرع فلا يقول به إلا المقلدون للأئمة فإنهم جعلوا قياس الفرع على الأصل أصلا رابعا كما جعلوا الإجماع أصلا ثالثا ، وقالوا : إن الأئمة لا تجمع على أمر إلا وهم يعرفون له دليلا ، وإن لم يذكروه لنا فنحن نقطع بتحريم خرق إجماع الأئمة سواء علمنا لهم دليلا في ذلك أم لم نعلم والله أعلم .

وقال في الباب الرابع عشر من " الفتوحات " : اعلم أن حقيقة النبي الذي ليس برسول هو شخص يوحي الله إليه بأمر يتضمن ذلك شريعة يتعبد بها في نفسه فإن بعث بها إلى غيره كان رسولا أيضا ، وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أن الملك يأتي النبي بالوحي على حالين تارة ينزل بالوحي على قلبه وتارة يأتيه في صورة جسدية من خارج فيلقي ما جاء به إلى ذلك النبي على أذنه فيسمعه أو يلقيه على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء .
قال : وهذا باب أغلق بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفتح لأحد إلى يوم القيامة ولكن بقي

....

عليهم إقامته وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب فاتخاذ الإمام واجب ثم إنه يجب أن يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدي إلى الفساد وامتناع وقوع المصلحة .

[الباب الثالث والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل بشرى مبشر لمبشر به وهو من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الثالث والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى :كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ(3) [الصف : 3] .

اعلم أن العبد ما دخل عليه مقت الله إلا من باب إضافة الفعل إلى نفسه من غير مشيئة الله تعالى ، فلو أنه قرن العمل بالمشيئة الإلهية لم يمقته الله تعالى ، فلذلك شرع الحق تعالى لعباده الاستثناء الإلهي ليرتفع عنهم المقت وكذلك لا يحنث أيضا من استثنى إذا حلف على فعل مستقبل فإنه أضافه إلى الله تعالى لا إلى نفسه قال : وهذا لا ينافي إضافة الأفعال إلى

للأولياء وحي الإلهام الذي لا تشريع فيه إنما بفساد حكم . قال بعض الناس بصحة دليله ونحو ذلك فيعمل به في نفسه فقط قال ، ولو أنّ الوحي على لسان جبريل عليه السلام كان باقيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكان عيسى عليه السلام إذا نزل لا يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما يحكم بشرعه الذي يوحي به إليه جبريل وأطال في ذلك .
وقال في الباب العاشر وثلاثمائة : واعلم أن الوحي لا ينزل به الملك على غير قلب نبي أصلا ولا يأمر غير نبي بأمر إلهي جملة واحدة ، فإن الشريعة قد استقرت وتبين الفرض ، والواجب ، والمندوب ، والحرام ، والمكروه ، والمباح ، فانقطع الأمر الإلهي بانقطاع النبوة والرسالة ، وما بقي أحد من خلق الله تعالى يأمره الله بأمر يكون شرعا يتعبد به أبدا ، فإنه إن أمره بفرض كان الشارع أمره به ، وأخطأ هو في ادعائه نبوة قد انقطعت ، أو نهاه عن حرام كان الشارع نهاه عنه أو أمره بمندوب كان الشارع ندبه إليه أو نهاه عن مكروه كان الشارع كرهه له ، فإن قال : إن الله أمرني بفعل المباح قلنا له :لا يخلو أن يرجع ذلك المباح واجبا في حقك أو مندوبا وذلك عين نسخ الشرع الذي أنت عليه حيث صيرت بالوحي الذي زعمته المباح الذي قرره الشارع مباحا مأمورا به يعصي العبد بتركه ، وإن أبقاه مباحا كما كان في الشريعة فأي فائدة لهذا الأمر الذي جاء به ملك وحي هذا المدعي ، فإن قال لم يجئني بذلك ملك ، وإنما أمرني الله تعالى به من غير واسطعة قلنا له : هذا أعظم من الأول فإنك إذن ادعيت أن الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ولا قائل بذلك لا من علماء النقل ولا من علماء الذوق ثم إنه تعالى لو كلمك أو قال لك ما كان يلقى في كلامه إلا علوما وأخبارا لا أحكاما ولا شرعا ، ولا يأمرك بأمر جملة واحدة انتهى .
قال الشيخ أيضا في الباب الحادي والعشرين من " الفتوحات " : من قال إن الله تعالى أمره بشيء ، فليس ذلك بصحيح إنما ذلك تلبيس لأن الأمر من قسم الكلام وصفته وذلك باب مسدود دون الناس ، فإنه ما بقي في الحضرة الإلهية أمر تكليفي إلا وهو مشروع فما بقي للأولياء وغيرهم إلا سماع أمرها ، ولكن لهم المناجاة الإلهية وتلك لا أمر فيها وإنما هو حديث وسمر ، وكل من قال من الأولياء إنه مأمور بأمر إلهي في حركاته وسكناته مخالف لأمر شرعي

....

المخلوقين من حيث الحكم فإن للعبد حكما في ظهور العمل وما له أثر في إيجاده وفرق بين الأثر والحكم ، قال : وبهذا القدر تفاوتت درجات العقلاء ألا ترى الحق تعالى كيف قال :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ(2) [الصف : 3] .
ولم يقل : يا أولي الألباب ولا يا أولي العلم لأن العالم العاقل لا يقول ما لا يفعل إلا بالاستثناء لعلمه بأن خلق الفعل لله لا له وأطال في ذلك وسيأتي تفسير الآية بأوضح من هذا وأن الإنسان هو الذي يمقت نفسه عند الله حين ينكشف له أن العمل لله لا للعبد فيخجل من ذلك.

[الباب الرابع والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل جمع النساء الرجال في بعض المواطن الإلهية وهو من الحضرة العاصمية]

وقال في الباب الرابع والعشرين وثلاثمائة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " ، اعلم أن المرأة تلحق

محمدي تكليفي فقد التبس عليه الأمر ، وإن كان صادقا فيما قال إنه سمعه فليس ذلك عن الله ، وإنما هو عن إبليس فظن أنه عن الله لأن إبليس قد أعطاه الله تعالى أن يصور عرشا وكرسيا وسماء ، ويخاطب الناس منه كما مر في مبحث خلق الجن انتهى وسيأتي بسط ذلك في مبحث الولاية إن شاء الله تعالى .
فقد بان لك أن أبواب الأوامر الإلهية والنواهي قد سدت وكل من ادّعاها بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مدع شريعة أوحى بها إليه سواء موافق شرعنا أو خالف ، فإن كان مكلفا ضربنا عنقه وإلا ضربنا عنه صفحا .
(فإن قيل) : فهل كان قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحجير في ادعاء النبوة ؟
(فالجواب) : لم يكن في ادعائها تحجير ولذلك قال العبد الصالح الخضر عليه الصلاة والسلام : وما فعلته عن أمري فإن زمانه أعطى ذلك وهو على شريعة من ربه أوحى إليه بها على لسان ملك الإلهام ، وقيل ؛ بلا واسطة وقد شهد له الحق تعالى بذلك عند موسى وعندنا وزكاه ، وأما اليوم فإلياس والخضر عليهما الصلاة والسلام على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم إما بحكم الوفاق أو بحكم الاتباع ، وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك إلا على سبيل التعريف لا على طريق النبوة ، وكذلك عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل إلى الأرض لا يحكم فينا إلا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه الحق تعالى بها على طريق التعريف ، وإن كان نبيا انتهى .
واعلم أن أمر الحق عز وجل حكمه العموم إلا أن يخصه دليل وقد قال تعالى :أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ[النساء : 59] فلم يجعل لأحد بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أن يخالف شرعه إنما أوجب عليه الاتباع وجعل لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشرع فيأمر وينهي ، وأما قوله تعالى :وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ[النساء : 59] ، فالمراد بطاعتنا لهم فيما إذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه ، لا أنهم يشرعون لنا شريعة تخالف شرع محمد الثابت ، فإذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فأطعناهم فقد أجرنا في ذلك أجر من أطاع أمر الله تعالى فيما أوجبه من أمر ونهي وهذا من كرم الله تعالى بنا ولا يشعر به غالب الناس بل ربما استهزؤوا به والله أعلم . وقا الشيخ في الباب الثامن والثلاثين من " الفتوحات " : لما أغلق الله باب الرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ما تجرعت الأولياء

....

الرجال في الأبوة وتلحقهم أيضا في بعض المواضع فتقوم المرأة مقام الرجلين ويقطع الحكم بشهادتها كما يقطع بشهادة الرجلين وذلك في قبول الحاكم قولها في حيض العدة وقبول الزوج قولها في أن هذا ولده مع الاحتمال المتطرق إلى ذلك وقبول قولها بأنها حائض فقد تنزلت ههنا منزلة شاهدين عدلين كما تنزل الرجل في شهادة الدين منزلة امرأتين فتداخلا في الحكم فهذه تولية لها من الله وأما الحديث فإنما هو في تولية الناس قال : ولو ولم يكن للنساء من الشرف إلا قوله صلى الله عليه وسلم : " النساء شقائق الرجال " لكان فيه غنية فإن فيه إشارة إلى أن كل ما يناله الرجل من المقامات والمراتب يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء ألا تنظر إلى حكمة الله تعالى فيما

"374"
مرارته لانقطاع الوحي الذي كان به الوصلة بينهم وبين الله تعالى فإنه قوت أرواحهم انتهى .
وقال في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين : اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد صلى الله عليه وسلم وإنما ارتفع نبوة التشريع فقط فقوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي ولا رسول بعدي . أي ماثم من يشرع بعدي شريعة خاصة فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ولم يكن كسرى وقيصر إلا ملك الروم والفرس وما زال الملك في الروم ولكن ارتفع هذا الاسم فقط مع وجود الملك فيهم وسمي ملكهم باسم آخر غير ذلك ، وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلي يقول أوتي الأنبياء اسم النبوة وأوتينا اللقب أي حجر علينا اسم النبي مع أن الحق تعالى يخبرنا في سرائرنا بمعاني كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويسمى صاحب هذا المقام من أنبياء : الأولياء فغاية نبوتهم التعريف بالأحكام الشرعية حتى لا يخطئوا فيها لا غير انتهى .
(فإن قلت) : فما الحكم في تشريع المجتهدين ؟
(فالجواب) : أن المجتهدين لم يشرعوا شيئا من عند أنفسهم وإنما شرعوا ما اقتضاه نظرهم في الأحكام فقط من حيث إنه صلى الله عليه وسلم قرر حكم المجتهدين فصار حكمهم من جملة شرعه الذي شرعه فإنه صلى الله عليه وسلم هو الذي أعطى المجتهد المادة التي اجتهد فيها من الدليل ، ولو قدر أن المجتهد شرع شرعا لم يعطه الدليل الوارد عن الشارع رددناه عليه لأنه شرع لم يأذن به الله والله أعلم .
(خاتمة) : مما يؤيد كون محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر المرسلين وأنه خاتمهم وكلهم يستمدون منه ما قاله الشيخ في علوم الباب الأحد والتسعين وأربعمائة من أنه ليس لأحد من الخلق علم يناله في الدنيا والآخرة إلا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الأنبياء والعلماء المتقدمون على زمن بعثته والمتأخرون عنها وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم بأنه أوتي علم الأولين والآخرين ونحن من الآخرين بلا شك ، وقد عمم محمد صلى الله عليه وسلم الحكم في العلم الذي أوتيه فشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب . فاجهد يا أخي أن تكون ممن يأخذ العلم بالله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فإنه أعلم خلق الله بالله على الإطلاق وإياك أن تخطىء أحدا من علماء أمته من غير

....

زاد للمرأة على الرجل في الاسم فقال في الرجل : المرء ، وقال في الأنثى : المرأة فزادها هاء في الوقف وتاء في الوصل على اسم المرء للرجل فلها على الرجل درجة في هذا المقام ليس للمرء في مقابلة قوله : وللرجال عليهن درجة فسد تلك الثلمة بهذه الزيادة في المرأة وأطال في ذلك قال : ولو لم يكن في شرف التأنيث إلا إطلاق لفظ الذات على الله وإطلاق الصفة وكلاهما لفظ تأنيث لكان فيه كفاية فإن في ذلك جبرا لقلب المرأة الذي يكسره من لا علم له من الرجال بما هو الأمر .
(قلت) : ذكر الشيخ في الباب الخامس والأربعين وثلاثمائة ما نصه إنما قال تعالى:

"375"
دليل وهذا سر نبهتك عليه فاحتفظ به ولا تقل حجرت واسعا وتقول قد يعطي الله تعالى عبده من الوجه الخاص الذي بين كل مخلوق وبين ربه عز وجل من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم ما شاء من العلوم بدليل قصة الخضر عليه السلام مع موسى الذي هو رسول زمانه لأنا نقول نحن ما حجرنا عليك أن لا تعلم مطلقا وإنما حجرنا عليك أن لا يكون لك علم ذلك إلا من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم شعرت بذلك أم لم تشعر . قال الشيخ : ووافقنا على ذلك الإمام أبو القاسم بن قسي في كتابه " خلع النعلين " وهو من روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

المبحث السادس والثلاثون : في عموم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس وكذلك الملائكة على ما سيأتي فيه وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من المرسلين

وقد ورد في " صحيح مسلم " وغيره : وأرسلت إلى الخلق كافة . وفسروه بالإنس والجن كما فسروا بهما أيضا من بلغ في قوله تعالى :وَأُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ[الأنعام : 19] .وَمَنْ بَلَغَأي بلغه القرآن وكما فسروا بذلك أيضا العالمين في قوله تعالى :تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً(1) [الفرقان : 1] قاله الجلال المحلي رحمه الله .

(فإن قلت) : فهل تكليف الجن بالشرائع المنزلة من عند الحق تعالى تكليف ألزمهم به الحق تعالى ، ابتداء وألزموا به أنفسهم ليشاركونا في الفضائل فألزمهم الحق تعالى به كالنذر ؟

(فالجواب) : قد أورد هذا السؤال الشيخ في الباب السادس والستين وثلاثمائة وقال : لا أدري انتهى . فمن ظفر في ذلك بنقل فليلحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب ، واختلفوا في الملائكة هل أرسل إليهم محمد صلى الله عليه وسلم ، أم لا فنقل البيهقي في الباب الرابع من شعب الإيمان عن الحليمي أنه صرح بأنه صلى الله عليه وسلم ، لم يرسل إلى الملائكة ثم إنه نقل عن الحليمي أيضا في الباب الخامس عشر بانفكاكهم عن شرعه . وفي " تفسير الرازي " و " البرهان النسفي " حكاية الإجماع في تفسير الآية الثانية السابقة آنفا على أنه صلى الله عليه وسلم ، لم يكن رسولا إليهم . قال الشيخ كمال الدين بن

....

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ(4) [الإخلاص : 4] . نفيا للصاحبة لأن المراد بالكفء هنا الصاحبة لأجل من قال : إن المسيح ابن الله والعزير ابن الله فإن الكفاءة هي المثل والمرأة لا تماثل الرجل أبدا فإن الله يقول :وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ[البقرة : 228] . فليست له بكفء فإن المنفعل ما هو كفؤ لفاعله والعالم كله منفعل عن إرادة الله فما هو كفؤ لله وحواء منفعلة عن آدم فله عليها درجة الفاعلية فليست له بكفء من هذا الوجه ولما قال تعالى :وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ. لم يجعل عيسى عليه السلام منفعلا عن مريم حتى لا يكون الرجل منفعلا عن المرأة كما كانت حواء عن آدم فتمثل لها الملك بشرا سويا ، وقال :أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً

أبي شريف في " حاشيته " : وفي نقل البيهقي ذلك عن الحليمي إشعار بالتبري من عهدته وبتقدير أن لا إشعار فيه فلم يصرح بأنه مرضى عنده . قال : وأما الحليمي فإنه وإن كان من أهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة على الأنبياء وما نقل عنه هنا أي : من أنه لم يرسل إلى الملائكة موافق لقوله بأفضلية الملائكة فلعله بناه عليه وأطال الشيخ كمال الدين في ذلك ثم قال : ومع ذلك فالأليق بالعلماء الوقف عن الخوض في هذه المسألة على وجه يتضمن دعوى القطع في شيء من الجانبين انتهى .
(قلت) : والحاصل أن كلام الأصوليين يرجع إلى قولين : الأول : أنه أرسل إلى الملائكة .
والثاني : لم يرسل إليهم . والذي صححه السبكي وغيره أنه أرسل إليهم وزاد البارزي رحمه الله أنه أرسل إلى الحيوانات والجمادات والشجر والحجر ذكره الجلال السيوطي في أوائل كتاب " الخصائص " ونقل فيها أيضا عن السبكي أنه كان يقول : إن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الأنبياء فهو كالسلطان الأعظم وجميع الأنبياء كأمراء العساكر ولو أدركه جميع الأنبياء لوجب عليهم اتباعه إذ هو مبعوث إلى جميع الخلق من لدن آدم إلى قيام الساعة فكانت الأنبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وكان كل نبي يبعث بطائفة من شرعه صلى الله عليه وسلم ، لا يتعداها انتهى . وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : كان صلى الله عليه وسلم ، مبعوثا إلى الخلق أجمعين في عالم الأرواح والأجسام من لدن آدم إلى قيام الساعة .
(وسمعته) يقول : الملائكة على ثلاثة أقسام : (قسم) أرسل إليهم محمد صلى الله عليه وسلم ، بالأمر والنهي معا وهم الملائكة الأرضيون وما بين الأرض والسماء الأولى . (وقسم) أرسل إليهم بالأمر فقط وهم ملائكة السماوات فإنهم لا يذوقون للنهي طعما إنما هم في الأمر فقط . قال تعالى :لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ[التحريم) . [6 : وقسم) لم يرسل إليهم أصلا لا بأمر ولا نهي . وهم الملائكة العالون المشار إليهم بقوله تعالى لإبليس استفهام إنكار :أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ[ص : 75] . فإن هؤلاء الملائكة عابدون لله تعالى بالذات التي جبلهم عليها لا يحتاجون إلى رسول بل هم مهيمون في جلال الله تعالى ، لا يعرفون أن الله تعالى خلق آدم ولا غيره انتهى . فليتأمل القسم الأول ويحرر فإنه غريب في كلامهم والله أعلم.

....

زَكِيًّا]مريم : 19] فوهبها عيسى عليه السلام ، فكان انفعال عيسى عن الملك المتمثل في صورة الرجل ولذلك خرج على صورة أبيه ذكرا بشرا حيث تمثله بشرا روحا فجمع بين الصورتين فكان روحا من حيث عينه بشرا من حيث تمثله في صورة البشر والله أعلم . فليتأمل ذلك مع ما هنا .[الباب الخامس والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل القرآن من الحضرة المحمدية]
وقال في الباب الخامس والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى :إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا[فاطر : 6] . وفي قوله تعالى :يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ[الأعراف : 27] . اعلم أن عداوة إبليس لبني آدم أشد من معاداته لأبيهم آدم عليه السلام ، وذلك أن بني آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم عليه السلام ، فجمع بينه

"377"
(وسمعته) مرة أخرى يقول : ملائكة الأرض إلى السماء الأولى غير معصومين لأن محمدا صلى الله عليه وسلم ، أرسل إليهم بالنهي ولا يرسل نبي إلى أحد بالنهي إلا إن كان يتصور وقوعه فيه فإن المعصوم لا يحتاج إلى رسول ولذلك لم يرسل قطّ نبي إلى نبي ومن سمى ملائكة الأرض جنا فهو صحيح لاستتارهم عن العيون قال تعالى :وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً]الصافات : 158] فقالوا إنها بنات الله تعالى عن ذلك . قال : ومما يؤيد عدم عصمة ملائكة الأرض وقوع النزاع منهم في قصة آدم عليه الصلاة والسلام ، بقولهم :أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ]البقرة : 30] فإنهم لم يقولوا ذلك إلا عن ذوق وقع لهم في الأرض قبل آدم ولولا ذوقهم لذلك ما اهتدوا للاعتراض عليه انتهى . وعلم من كلامه سابقا ولاحقا أن من قال : إنه أرسل إلى الملائكة مطلقا بالأمر والنهي معا فما حقق الأمر ، ومن قال لم يرسل إليهم مطلقا كذلك فما حقق الأمر ومن فصل ذلك كما تقدم أصاب وهو كلام منزعه الكشف ولم أجده لغيره رحمه الله وقد ذكر القاشاني ما يؤيد القول بعدم عصمة الملائكة الأرضية فقال : إن قيل كيف وقع من الملائكة نزاع واعتراض في قصة آدم مع عصمتهم وقول الله تعالى صدق قطعا .
(فالجواب) : أن هذا النزاع لم يقع من ملائكة الجبروت والسماوات لعصمتهم وإنما وقع ذلك من ملائكة الأرض وما بينها وبين السماء لكونهم لا عصمة عندهم فإن ملائكة الجبروت والسماوات لغلبة النورانية عليهم وإحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف مقام الإنسان الكامل وعلو رتبته عليهم عند الله تعالى .ولم يأت لنا في كتاب ولا سنة تصريح بأن هذا النزاع وقع من الملائكة السماوية والأرضية وإنما أخذنا ذلك من معرفة العناصر حين رأينا أهل كل عنصر تحت حكم عنصرهم من نور أو ظلمة فقلنا : إن النزاع وقع من ملائكة الأرض لغلبة الظلمة عليهم والطبيعة الموجبة للحجاب ، قال : ويؤيد ذلك الإشارة بتخصيص الأرض بالذكر في قوله :إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً]البقرة : 30] فما وقع منهم النزاع إلا من علمهم بأحوال أهل الأرض فإن الملائكة السماوية لا يفسدون ، ولا يسفكون الدماء بل ليس لأحدهم دم في جسمه يسيل أبدا وأطال في ذلك ثم قال : فقد بان الاعتراض والطعن في آدم لم يصدر من ملائكة الجبروت إذ النزاع لا يكون إلا ممن ركب من الطبائع الأربع لما فيها التضاد إذ المتكون منها لا يكون إلا على حكم الأصل انتهى . قال بعضهم : ولعل مراده بهؤلاء الملائكة القاطنين بين

....

وبين إبليس اليبس الذي في التراب فبين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله إنه لناصح وما صدقه الأبناء لكونه لهم ضدا من جميع الوجوه فبهذا كانت عداوة الأبناء أشد من عداوة الأب له .
قال : ولما كان هذا العدو محجوبا عن إدراك الأبصار جعل الله لنا في القلب من طريق الشرع علامة نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر فنتحفظ بتلك العلامة من إلقائه وأعاننا الله عليه بالملك الذي جعله الله مقابلا له غيبا لغيب وأطال في ذلك .
وقال فيه : ما دام القرآن في القلب فلا حرف ، ولا صوت ، فإذا نطق به القارئ نطق بصوت وحرف وكذلك إذا كتبه لا يكتبه إلا بصوت وحرف وأطال في ذلك ثم قال :والمفهوم من كون القرآن أنزل حروفا

السماء والأرض نوع من الجن سماهم ملائكة اصطلاحا له .
(فإن قيل) : قد وصف الله تعالى الملأ الأعلى بالخصام في قوله :ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69)[ص : 69] وفي قوله في الحديث : " قلت : يا رب فيم يختصم الملأ الأعلى " الحديث .
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في " الفتوحات " : أن خصام هؤلاء ليس هو في الاعتراض على أحكام الله وتقديره في خلقه وإنما خصامهم في بيان الأفضل من الأعمال كما صرح به الحديث . وذلك حتى أنهم يتبادرون إلى بني آدم بدعوتهم بلسانهم ويرغبونهم في فعل ما فيه الأجر العظيم من الأعمال حتى يقدموه على غيره من غير التفات إلى غيره مما أجره يسير فهم كالرجلين المتناظرين في مسائل الحيض التي لا نصيب فيها للرجال .
(فإن قيل) : فهل هم في هذا الخصام مسبحون لله تعالى به لكونهم قد وصفهم الله تعالى بأنهميُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ(20) [الأنبياء : 20] وذلك لزوال الملل ؟
(فالجواب) : نعم هم مسبحون لله تعالى ، بذلك الخصام وهو من جملة تسبيحهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يذكر الله على كل أحيانه ومعلوم أنه كان يتحدث مع الأعراب ويمزح مع الأطفال والعجائز وهو في ذلك ذاكر لله تعالى لا يتحرك ولا يسكن إلا في أمر مشروع .
(فإن قلت) : فهل ذلك المقام لكل كامل بعده صلى الله عليه وسلم ؟
(فالجواب) : نعم لأن الله تعالى ما شرع لعباده أمرا إلا ليشهدوه تعالى حال العمل بذلك الأمر ، فمنهم من وفي بذلك المقام ومنهم من أتى بعباداته مع الغفلة .
(فإن قلت) : فهل يلحق خصام أرباب المذاهب بخصام الملائكة المذكورين في الأجر والثواب ؟
(فالجواب) : نعم لكن بشرط أن يكون الجدال والخصام بصريح السنة لا بالفهم ، وأن

....
منظومة من اثنين إلى خمسة حروف متصلة ومنفردة أمران : كونه قولا ، وكلاما ، ولفظا ، وكونه يسمى كتابة ورقما وخطا فإن نظرت إلى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وإن نظرت إليه من حيث كونه تنطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها هل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه يحتاج إلى إيضاح وأطال في ذلك . ثم قال : وقد صح في ذلك الخبر أن الله تعالى يتجلّى في القيامة في صور مختلفة فيعرف وينكر ومن كانت حقيقته تنكر تقبل التجلي في الصور فلا يبعد أن يكون يتكلم بالحروف كما يليق بجلاله من غير كيفية ولا تشبيه لقوله تعالى :لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ[الشورى : 11] . فنفى أن يماثل مع عقل المعنى وجهل النسبة فليتأمل وسيأتي مزيد على ذلك في الباب التاسع والعشرين ، وثلاثمائة فراجعه . وقال في قوله تعالى :يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ

"379"
يكونوا مخلصين في عملهم لا يشوبهم غرض نفساني فإن قصدوا مغالبة الخصوم ورد أقوال مذاهبهم فذلك مذموم شرعا فإن الله تعالى يقول :أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ[الشورى : 13] ومن سعى في تفرقة الدين ولو باللازم فقد أضجعه من قيامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الجدال في دين الله بغير نص وقال : عند نبي لا ينبغي التنازع وحكم تقرير العلماء شرعه من بعده في الأدب كحكم حضورهم عنده سواء كما يعلم ذلك العلماء بالله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم .

المبحث السابع والثلاثون : في بيان وجوب الإذعان والطاعة لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الأحكام وعدم الاعتراض على شيء منه

اعلم أنه يجب على كل مؤمن أن ينشرح لكل ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً(65) [النساء : 65] . وقد ذكر الشيخ محيي الدين أواخر الحج من " الفتوحات " ما نصه : إياك أن ترى أمورا قد أباحها الشارع صلى الله عليه وسلم ، فتكره ذلك ويقع في نفسك من فعلها حزازة وتقول : لو أن الحكم لي فيها لحجرتها وحرمتها على الناس فترجح نظرك في ذلك على نظر الشارع وتجعل نفسك أرجح ميزانا منه وتنخرط في سلك الجاهلين . قال : وهذا واقع كثيرا من بعض الناس الذين لم يمارسوا الأدب مع الشارع صلى الله عليه وسلم ، فيغضب على الناس إذا فعلوا بعض المباحات التي أباحها الشارع ويقول : إذا عجز عن كف الناس عنها أي شيء أصنع ؟ هذا قد أباحه الشارع ومن يقدر يتكلم فتراه يصير على حنق وكره في نفسه استعمال الناس شرع ربهم هذا من أعظم ما يكون من سوء الأدب وصاحبه ممن أضله الله على علم قال : وقد ظهر ذلك من بعض الناس في العصر الأول وأما اليوم فقد فشا في غالب الناس ويقولون : لو أدرك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمنع الناس منه ونحن نعلم أن الشارع هو الله تعالى ، ولا يعزب عن علمه شيء ولو كانت إباحة ذلك الأمر خاصة بقوم دون آخرين لبينها تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم ، مبلغ عن الله أحكامه فيما أراده الله تعالى لا ينطق قط عن هوى نفسه ولا ينسى شيئا مما أمره بتبليغهاإِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى[النجم : 4] .وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا[مريم : 64] وما قرر

وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ(57) [يونس [57 : وفي قوله :قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ[المائدة : 15] . وفي قوله :وَضِياءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ[الأنبياء : 48] أما كون القرآن نورا فلما فيه من الآيات التي تطرد الشبه المضلة مثل قوله :لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا[الأنبياء : 22] وقوله :لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ[الأنعام : 76] . وقوله :فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ[الأنبياء : 63] . وقوله :فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ]البقرة : 258] . ونحو ذلك وأما كونه موعظة فظاهر وأما كونه شفاء فكفاتحة الكتاب وآيات الأدعية كلها وأما كونه هدى فكقوله :وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56) [الذاريات : 56] وقوله :فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى

"380"
تعالى من الشرائع إلا ما تقع به المصلحة في العالم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ومهما زيد فيه أو نقص منه أو لم يعمل بما قرره الشارع فقد اختل نظام المصلحة المقصودة للشارع فيما نزله وقرره من الأحكام وقد عاب بعض أكابر الصحابة على عائشة رضي الله تعالى عنها ، في قولها :
" لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما صنع النساء بعده لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل " . لايهام هذا القول الاعتراض على الشارع وأنه لم يعلم أن ذلك يقع من الناس ، وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك ثم قال : فعلم أن من سلك كمال الأدب لا يجد قط في نفسه حرجا مما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله " قولا عاما اللهم إلا أن يحصل من ذلك ريبة ظاهرة فلا منع من المنع وأما على الظن والتوهم فلا ، فالعاقل لا ينبغي له أن يغار إلا في مواطن مخصوصة شرعها الحق تعالى له لا يتعداها وكل غيرة تعدت ذلك فهي خارجة عن حكم العقل منبعثة عن حكم الهوى فليس لإنسان أن يغار على كشف زوجته وجهها في الإحرام فإن الله تعالى قد شرع لها ذلك وأوجب عليها كشفه مع أن الله تعالى أغير من جميع خلقه كما في " الصحيح " : إن سعدا لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني . ومن غيرته أنه تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فمن زاد على ما جعل الحق تعالى غيرته فيه من الفواحش فكأنه ادّعى أنه أغير من الله تعالى لكونه غار على أمر ليس هو بفاحشة عند الله تعالى وما أحسن قوله تعالى :ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً]النساء : 65] ولو عرض الإنسان حال إيمانه وأدخله في هذا الميزان لعلم أنه بعيد عن مقام الإيمان الذي ذكره الله تعالى في قوله :فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ[النساء : 65] إلى آخره . فإن الله تعالى نفى الإيمان عمن هذه صفته وأقسم بنفسه عليه أنه ليس بمؤمن وأطال الشيخ في ذلك ثم قال : ولولا تعلق الأغراض النفسانية ما نزلت آية الحجاب فإنها إنما نزلت باستدعاء بعض النفوس وأهل الله عز وجل يفرقون بين الحكم الإلهي إذا نزل ابتداء من الله وبين الحكم الإلهي إذا نزل مطلوبا لبعض العباد وكأنه تعالى سئل في تنزيله فأجاب السائل إذ لولا ذلك ما نزل ، وفي البخاري عن محمد بن كعب القرظي التابعي الجليل أنه كان يقول : إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم على المسلمين من أجل مسألته ، وكان صلى الله عليه وسلم يخاف على أمته من كثرة تنزل الأحكام لئلا يعجزوا عنها ، كما قال لمن سأله

....

اللَّهِ]الشورى : 40] . ونحو ذلك من كل نص ورد في القرآن لا يدخله احتمال ولا يفهم منه إلا الظاهر بأول وهلة كهاتين الآيتين وأما كونه رحمة فلما فيه من البشرى مثل قوله :لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ[الزمر : 53] وقوله :وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ[الأعراف : 156] . وكل آية فيها رجاء وأما كونه ضياء فلما فيه من الآيات الكاشفة للأمور والحقائق ، مثل قوله :كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ[الرحمن : 9] . وقوله :مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ[النساء : 80] . وقوله :وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ[الإنسان : 30] . وقوله :وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ(96) [الصافات : 96] . ونحو ذلك مما يدل على مجرى الحقائق فعلم أن لكل اسم من هذه الأسماء كلمات تخصه انتهى.

عن الحج أكل عام يا رسول الله . قال : " لا ولو قلت نعم لوجبت ولم يستطيعوا " وأطال في ذم السؤال . ثم قال : فعلم أن من كمال العارف أن يعتني بالأمر المنزل ابتداء أشد من اعتنائه بما نزل بسؤال فالله تعالى يفهمنا مقاصد الشرع حتى لا نخرج عنه وما رجح أحد بهواه شيئا سكت الشارع عن بيان كخطبة العيد فإن الشارع فعلها ولم يخبرنا بكونها واجبة أو مندوبة فخلاص العبد من اتباع الهوى أن يفعلها على وجه التأسي به صلى الله عليه وسلم ، بقطع النظر عن كونها واجبة أو مندوبة .

(وسمعت) : سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ما من عالم يأمر الناس بفعل شيء لم يصرح الشارع بالأمر به إلا تمنى يوم القيامة أنه لم يكن رجح شيئا ثم إن المرجحين بأهويتهم خلاف ما رجح الشارع رجلان : الواحد يغلب جانب الحرمة والثاني يغلب رفع الحرج عن هذه الأمة رجوعا إلى الأصل فهذا عند الله أقرب منزلة من الذي يغلب الحرمة إذ الحرمة أمر عارض عرض للأصل ورافع الحرج دائر مع الأصل وإليه يعود حال الناس في الجنان يتبوءون من الجنة حيث شاءوا وما أغفل أهل الأهواء وإن كانوا المؤمنين عن هذه المسألة وسيندمون إذا انكشف الحجاب . فإياك يا أخي وهوس الطبيعة فإن العبد فيه ممكور به من حيث لا يشعر قال الشيخ :

وكم قاسينا في هذا الباب من المحجوبين حيث غلبت أهواؤهم على عقولهم فأنا آخذ بحجزهم عن النار وهم يقتحمون فيها وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعض الصحابة إلى طعامه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : وهذه وأشار إلى عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقال الرجل : لا . فأبى أن يجيبه إلى أن أنعم له فيها أن تأتي معه فأقبلا يتدافعان يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وعائشة إلى منزل ذلك الرجل والله تعالى يقول :لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ[الأحزاب : 21] . فأين إيمانك اليوم لو رأيت صاحب منصب من قاض أو خطيب أو وزير أو سلطان يفعل مثل هذا تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل كنت تنسبه إلا إلى سفساف الأخلاق ولو أن هذه الصفة لم تكن من مكارم الأخلاق ما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق ونظير هذه الواقعة نزوله صلى الله عليه وسلم ، من فوق المنبر وهو يخطب حتى أخذ الحسن والحسين وصعد بهما المنبر لما رآهما يعثران في أذيالهما ثم عاد إلى خطبته أترى ذلك كان من نقص حال ؟ لا والله بل كان من كمال معرفته بربه عز وجل لأن ذلك من الشغل بالله لا عن الله وقد عاب العارفون على الشبلي

....

فليتأمل ويحرر

[الباب السادس والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل التحاور والمنازعة وهو من الحضرة المحمدية الموسوية]

وقال في الباب السادس والعشرين والثلاثمائة : اعلم أن أعلم الأرواح بالله عزّ وجلّ أرواح الجماد لكونها لاحظ لها في التدبير ودونهم في العلم بالله تعالى أرواح النبات ودونهم في العلم بالله أرواح الحيوان ودونهم أرواح من تقيد بالعقل وذلك لأن الثلاثة الأول مفطورون على العلم بالله تعالى بخلاف الرابع قال : وأما الملائكة فهم كالجماد مفطورون كذلك على العلم بالله لكن لا عقول لهم ، ولا شهوة ، وأما الحيوان فمفطور على العلم بالله وعلى الشهوة وأما الجن والإنس فمفطورون على الشهوة والمعارف لكن من حيث صورهم لا من حيث أرواحهم قال : وإنما جعل الله تعالى لهم العقل ليردوا به الشهوة إلى الميزان الشرعي

لما سمع قارئا يقرأ :إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْواجُهُمْ[يس : 55] .
فقال : إنه شغلهم بالجنة عنه تعالى اللهم لا تجعلني منهم . وقالوا : للشبلي إن الله تعالى قد ذكر الشغل عن أصحاب الجنة وأنهم هم وأزواجهم في ذلك الشغل وما عرفنا تعالى بمن تفكهوا هم وأزواجهم فبماذا يحكم الشبلي عليهم بأنهم اشتغلوا بذلك عن الله عز وجل . قال الشيخ محيي الدين : وقد عدوا هذا من قصور نظر الشبلي حيث جرح أهل الجنة ببادىء الرأي ولعل ذلك كان في بدايته وأطال في ذلك ثم قال : فعليك يا أخي بالغيرة الإيمانية الشرعية ولا تزد عليها فتشقى في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فلا تزال متعوب النفس فيما لا ينبغي الاعتراض عليه وأما في الآخرة فلأنه يؤدي إلى سؤال الحق تعالى لك عن ذلك وعما ينسحب عليه ومعه من الاعتراض بالحال على الله تعالى في أحكامه وحصول الكراهية في النفس مما أباحه الله تعالى انتهى . وقال أيضا في الكلام على صلاة العيدين من الباب الثامن والستين : اعلم أن الله تعالى قد شرع الزينة والشغل بأحوال النفوس من أكل وشرب وبعال في يوم العيد ، فمن أدب المؤمن أن لا يشتغل في هذا اليوم إلا بما ذكره الشارع فجميع ما يفعله العبد من المباحات فيه يشبه سنن الصلاة في الصلاة وجميع ما يفعله فيه من النوافل في ذلك اليوم يشبه الأركان في الصلاة فلا يزال العبد في يوم العيدين في أفعال تشبه أفعال المصلي ولهذا سمي بيوم العيد أي : لأنه يعود على العبد بالأجر في كل مباح يفعله وهذا أحسن من قول بعضهم : إنما سمي عيدا لعود السرور فيه كل سنة فإنه ربما انتقض بالصلوات الخمس فإنها تعود بالسرور كل يوم لوقوف العبد فيها بين يدي الله ، ولا يقال : فيها عيد .
(فإن قلت) : إن العيد مرتبط بالزينة قلنا : والزينة مشروعة في كل صلاة . قال تعالى :خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ[الأعراف : 31 .]وأيضا فإن الصوم في يوم العيد حرام فصار الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا ثم لما كان يوم العيد يوم فرح وسرور وزينة واستيلاء للنفوس على طلب حظوظها من الشهوات أبدلها الشارع في ذلك تحريم الصوم فيه وشرع للناس فيه إباحة اللعب والزينة وأقر الحبشة على لعبهم في المسجد يوم العيد ووقف صلى الله عليه وسلم ، هو وعائشة ينظران إلى لعبهم وعائشة خلفه . وفي هذا اليوم أيضا دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنيتان فغنتا في بيته صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسمع ولما أراد أبو بكر أن يمنعهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
:...
ولم يوجد الله لهم العقل لأجل اقتناء العلوم لأن ذلك إنما هو للقوة المفكرة التي أعطاها لهم وأطال في ذلك .
(قلت) : وقد ذكر في كتابه " الفصوص " نظما يوافق ما هنا فقال :فما ثم على من جماد *
وبعده نبات على قدر يكون وأوزان
وذو الروح بعد النبت والكل عارف * بخلافه كشفا وإيضاح برهان
وأما المسمى آدم فمقيد * بعقل وفكر أو قلادة إيمان

"383"
دعهما يا أبا بكر فإنه يوم عيد وأطال الشيخ في ذلك ثم قال : ولما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع أيضا تكرار التكبير في الصلاة ليتمكن من قلوب الناس ما ينبغي للحق تعالى من الكبرياء والعظمة لئلا يشغلهم حظوظ نفوسهم عن كمال مراعاة حقه جل وعلا . قال : وبما قررنا يعرف حكمة ترك التنفل قبل صلاة العيد إذ المقصود في هذا اليوم فعل ما كان مباحا على جهة الندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل في سائر الأيام فلا يتنفل في ذلك اليوم سوى بصلاة العيد خاصة لأن الحكم إذا كان مربوطا بوقت ، غلب على ما لم يكن مربوطا بوقت وأيضا فإنه إنما ندب اللعب والفرح والزينة في هذا اليوم تذكيرا بسرور أهل الجنة ونعيمهم فلا يدخل مع ذلك مندوب آخر يعارضه ثم إذا زال زمان ذلك الحكم المربوط فحينئذ يبادر العبد إلى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوبا إليه في ذلك اليوم مباحا فيما عداه من الأيام وهذا كله فعل الحكيم العادل في القضايا فإن لنفسك عليك حقا ، واللهو واللعب والطرب في هذا اليوم من حق النفس فلا تكن يا أخي ظالما لنفسك وأعطها حقها انتهى .
(فإن قلت) : فهل يلحق بالسنة الصحيحة في وجوب الإذعان لها ما ابتدعه المسلمون من البدع الحسنة ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثاني والستين ومائتين : إنه يندب الإذعان لها ولا يجب كما أشار إليه قوله تعالى :وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ[الحديد : 27] وكما أشار إليها قوله صلى الله عليه وسلم : " من سن سنة حسنة ، فقد أجاز لنا ابتداع كل ما كان حسنا وجعل فيه الأجر لمن ابتدعه ولمن عمل به ما لم يشق ذلك على الناس " وأخبر أن العابد لله تعالى بما يعطيه نظره إذا لم يكن على شرع من الله تعالى معين يحشر أمة وحده يعني : بغير إمام يتبعه فجعله خيرا وألحقه بالأخيار كما قال في حكيم بن حزام أسلمت على ما أسلفت من خير وكان سأله عن أمور تبرر بها في الجاهلية من عتق وصلة رحم وكرم وأمثال ذلك وقال أيضا في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ[النحل : 120] وذلك قبل أن يوحى إليه وفي الحديث : " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " فمن كان على مكارم الأخلاق فهو على شرع من ربه وإن لم يعلم هو ذلك والله أعلم.

....

بذا قال سهل والمحقق مثلنا * لأنا وإياهم بمنزل إحسان
ومن عرف لأمر الذي قد ذكرته * يقول بقولي في خفاء وإعلان
ولا يلتقف قولا يخالف قولنا * ولا يبذر السمراء في أرض عميان
هم الصم البكم الذين أتى بهم * لأسماعنا المعصوم في نص قرآنوهذا النظم جواب لسائل سأل الشيخ كيف جعل الكبش فداء لإسماعيل عليه السلام ، وهو نبي وأين مقام النبي من مقام الكبش ونظم السؤال هو قوله:

(فإن قلت) : فما المراد بحقيقة قوله تعالى :وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا[الحشر : 7] ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثالث وأربعين وخمسمائة : أن المراد به بيان ما جاء من الوحي على لسان الرسول وما جاء منه تعالى إلى عباده ولكل من الحالتين ميزان يخصه فما جاءنا على أيدي الرسل وجب علينا أخذه بغير ميزان وما جاءنا من غير واسطة بيننا وبين الله تعالى أعني من الوجه الخاص بطريق الإلهام وجب علينا أخذه بالميزان فإن الله تعالى قد نهى أن نأخذ منه كل عطاء وهو قوله تعالى :وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا]الحشر : 7] فصار أخذك من الرسول أنفع لك وأحصل لسعادتك لعصمته . فعلم أن أخذك من الرسول واجب على الإطلاق وأخذك من الله بطريق الإلهام واجب على التقييد لعدم عصمتك فيما أخذته بغير واسطة فانظر ما أعجب هذا الأمر ما تأخذه من الرسول مطلق مع أن الرسول مقيد وما تأخذه من الله تعالى مقيد مع أنه تعالى مطلق فإن في هذا ظهور الإطلاق والتقييد في الجانبين وإيضاح ذلك أن تعلم أن الله تعالى ما أرسل رسوله ليمكر بنا وإنما أرسله ليبين لنا ما نزل إلينا فلهذا أطلق لنا الأخذ عن الرسول والوقوف عند قوله : من غير تقييد فنحن آمنون فيه من مكر الله عز وجل بخلاف الأخذ من الوجه الذي بيننا وبين الله تعالى من طريق الإلهام ليس أحد على أمان من المكر فيه ، فربما مكر الحق تعالى بالعبد من حيث لا يشعر فإن له تعالى في عباده مكرا خفيا قال تعالى :وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ[النمل : 50] . وقال : وهو خير الماكرين ولم يبح للرسل هذه الصفة ولم يجعل لهم فيها قدما لأنهم بعثوا مبينين فبشروا وأنذروا وكل ذلك صدق ، وأعطى رسوله الميزان الموضوع فمن أراد السلامة فلا يضع ذلك الميزان من يده فكل ما جاءه من عند الله من غير واسطة وضعه في ذلك الميزان فإن قبله أخذه وعمل به وإن لم يقبله أهمله لله تعالى ومن عزم على الأخذ عن الله ولا بد فليقل لا خلابة فإذا قال ذلك فإن كان من عند الله ثبت وأخذه وإن كان مكرا من الله ذهب من بين يديه بإرادة الله فلم يجده عند قوله : لا خلابة إذ الأمر كالبيع والشراء وإن كان الحق تعالى لا يدخل تحت الشرط هذا يقتضيه مقام الحق تعالى بالذوق وإنما يشترط على الله تعالى من يجهل الله أو يدل عليه حين ظن به خيرا كما في حديث فليظن بي خيرا وأطال الشيخ في ذلك بكلام نفيس . وقال في الباب الثامن والأربعين أيضا في

....

فداء نبي ذبح ذبح لقربان * وأين مقام الكبش من بوس إنسان
وعظمه الله الكريم عناية * به أو بنا لا أدر من أي ميزان
فيا ليت شعري كيف ناب منابه * شخيص كبيش عن خليفة رحمنإلى آخر مقال انتهى . فليتأمل ويحرر والله أعلم .

[الباب السابع والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل المد والنصيف من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب السابع والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى للقلم :اكْتُبْ. يعني : في اللوح علمي في خلقي إلى يوم القيامة إنما خص الكتابة بأمور الدنيا فقط ، لتناهيها بخلاف الآخرة لا يقدر القلم يكتب علمه فيها لأنها

قوله تعالى :وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا[الحشر : 7] . أي : لأني جعلت له أن يأمر وينهى زائدا على تبليغ صريح أمرنا ونهينا إلى عبادنا . وقال فيه أيضا في قوله تعالى :أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ]النساء : 59] اعلم أنه إنما لم يكتف بقوله :أَطِيعُوا اللَّهَ[النساء . [59 : عن قوله :وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ[النساء : 59] . مع أنه تعالى قال :مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ[النساء : 80] . لأنه تعالى ليس كمثله شيء فلذلك استأنف القول وصرح بقوله :وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ[النساء : 59] بخلاف طاعة أولي الأمر لم يستأنف فيها بقوله :
وأطيعوا أولي الأمر منكم . فهم لا تشريع لهم إنما هو بحكم التبع للشارع وأطال في ذلك .
وقال في باب أسرار الصلاة : يجب على العبد إذا وعظه ولي الأمر بما لم يعمل هو به أن ينقاد لأمره ويعمل ولا يقل لا أعمل بذلك حتى تعمل أنت به إذ لا يشترط في الداعي أن يكون عاملا بكل ما يدعو إليه فقد يدعو بما ليس هو عليه في حاله وهو خير من ترك الدعاء على كل حال .
(فإن قلت) : فما الحكمة في سلام المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم ، في الصلاة مع أنه آمن منه صلى الله عليه وسلم ، والسلام إنما هو أمان ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين : أن الحكمة في ذلك للمؤمنين هو أن مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعطي الاعتراض عليهم ولو بالباطن لأمرهم الناس بما يخالف أهواءهم كما أن مقامهم يعطي التسليم لهم أيضا فلذلك شرع لنا أن نسلم على نبينا صلى الله عليه وسلم ، كأنا نقول له : أنت يا رسول الله في أمان منا أن نعترض عليك في شيء أمرتنا به أو نهيتنا عنه انتهى .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى :اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ[الأنفال : 24] ولم يكتف تعالى بقوله : (استجيبوا للرسول) إذ الشرع ما عرفناه إلا منه ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب التاسع عشر وخمسمائة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، يدعونا من طريقين فإن دعانا بالقرآن فهو مبلغ وترجمان وهو حينئذ من دعاء الله تعالى لا من دعاء

....
لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجدد وأطال في ذلك ،]الباب الثامن والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل ذهاب المركبات عند السبك إلى البسائط وهو من الحضرة المحمدية.

[وقال في الباب الثامن والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى :وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ]
[فصلت : 31] .
إنما لم يقل ولكم فيها ما تريد نفوسكم لأنه ما كل مراد مشتهى فإن الإرادة تتعلق بما يلتذ ، وبما لا يلتذ به بخلاف الشهوة فإنها لا تكون إلا بالملذوذ خاصة وأطال في ذلك ثم قال :
فالسعداء أخذوا الأعمال بالإرادة والقصد وأخذوا النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له نعيمه ومن رزق الإرادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة قال : وأكثر الناس لذة بأعمالهم العباد وأقلهم لذة العارفون ولذلك

الرسول فإجابتنا حقيقة إنما هي لله وللرسول الإسماع وإن دعانا بغير القرآن فالدعاء حينئذ دعاء الرسول فكانت إجابتنا للرسول وإن كان لا فرق بين الإجابتين ولا بين الدعاءين وفي الحديث إني شرعت لكم مثل القرآن أو أكثر . رواه الطبراني وغيره . فإذن علة إجابة الرسل هو السماع لا من قال : إنه سمع ولم يسمع كما ذكره الشيخ في الباب العشرين وخمسمائة : إذ السمع هو عين العقل لما أدركته الأذن بسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي لا ينطق عن الهوى فإذا علم ما سمع كان بحسب ما علم فإن العلم حاكم قاهر في حكمه لا بد من ذلك وإن لم يكن كذلك فليس بعلم ولذلك لم يقدر أحد يعصي الله تعالى وهو يعتقد مؤاخذته على تلك المعصية أبدا انتهى .

(فإن قلت) : فهل تخلف أحد عن الإذعان لما جاء به الشارع غير الإنس والجن ممن بعث إليهم من الملائكة والحيوانات والجمادات والأشجار على ما مر في مبحث عموم بعثته أم التخلف خاص بالإنس والجن ؟

(فالجواب) : لم يتخلف أحد من سائر من بعث إليهم صلى الله عليه وسلم ، سوى من تخلف من الجن والإنس وقد قال الشيخ في الباب التاسع والأربعين في قوله تعالى :وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56) [الذاريات : 56] . إن الله تعالى لم يخص بالذلة التي هي العبودية أحدا غير الثقلين مع أنهم لم يكونوا حين خلقهم أذلاء وإنما خلقهم ليذلوا في المستقبل وأما ما سوى الثقلين فإنه خلقهم أذلاء من أصل نشأتهم ولذلك لم يقع من أحد من خلق الله تكبر على الرسول إلا الثقلين .

(فإن قلت) : فما سبب تكبر الثقلين على الرسل دون غيرهما ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب المذكور آنفا أن سبب تكبرهم كون التوجه على إيجادهم من الأسماء : أسماء اللطيف والحنان والرحمة والشفقة والتنزل الإلهي فلما أبرزهم الحق تعالى إلى هذا الوجود لم يروا عظمة ولا عزا لغيرهم ولا كبرياء ورأوا نفوسهم قد استندت في وجودها إلى لطف وعطف لكون أن الحق تعالى لم يبدلهم شيئا من عظمته ولا كبريائه ولا جلاله ولا جبروته حين أخرجهم إلى الدنيا فقالوا : ربنا لم خلقتنا فقال تعالى لهم:

....

سميت العبادات تكاليف وقال في قوله صلى الله عليه وسلم : “ سبق درهم ألف درهم “ ، أي : لأن صاحب الدرهم لم يكن له سواه فبذله لله ورجع معتمدا على الله تعالى وصاحب الألف أعطى ما عنده وترك منه ما يرجع إليه بعد العطاء ليس معتمدا على الله تعالى خالصا فسبقه صاحب الدرهم من هذا الوجه وهذا معقول فلو أن صاحب الألف بذل جميع ما عنده مثل صاحب الدرهم لساواه في المقام فما اعتبر الشارع قدر العطاء وإنما اعتبر ما يرجع إليه المعطي بعد العطاء فهو يرجع إليه وأطال في ذلك وتقدم نحو ذلك في الباب السبعين في الكلام على مسألة الغني الشاكر والفقير الصابر فراجعه .

[الباب التاسع والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل علم الآلاء والفراغ إلى البلاء وهو من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب التاسع والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى :الرَّحْمنُ(1)

لتعبدوني .أي لتكونوا أذلاء بين يدي فلم يروا صفة قهر ولا عزة تذلهم ورأوا الحق تعالى قد أضاف فعل الإذلال إليهم فتكبروا لذلك ولو أنه تعالى قال لهم : ما خلقتكم إلا لإذلالكم . لرأوا الذلة من نفوسهم خوفا من سطوة هذه الكلمة وقهرها كما قال تعالى للسماوات والأرضائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ[فصلت : 11] لأجل قوله :أَوْ كَرْهاً[فصلت : 11] فافهم . قال : وأما سبب عدم تكبر غير الثقلين فلأن المتوجه على إيجادهم من الأسماء الإلهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والعزة والقهر . فلذلك خرجوا أذلاء تحت هذا القهر الإلهي فلم يتمكن لأحد منهم أن يرفع رأسه على أحد من خلق الله تعالى فضلا عن رسل الله ولا أن يجد في نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله تعالى انتهى . فتأمله فإنه نفيس لا تجده في كتاب والله تعالى أعلم .
المبحث الثامن والثلاثون : في بيان أن أفضل خلق الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم الأنبياء الذين أرسلوا ثم الأنبياء الذين لم يرسلوا ثم خواص الملائكة ثم عوامهم ونسكت عن الخوض في تفاضل المرسلين بعد محمد على التعيين إلا بنص صريح
اعلم أنه قد اضطربت نقول العلماء فيمن هو الأفضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، من المرسلين والملائكة فتكلم كلّ بما ظهر له من قرائن الأحوال وظواهر الكتاب والسنة لعدم نص صريح يعتمدون عليه إذا علمت ذلك فلنصدر المبحث بكلام أهل الأصول ثم بكلام محققي الصوفية فنقول وبالله التوفيق : قال الإمام صفي الدين بن أبي المنصور الذي نعتقده أن جميع الرسل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أفضل من الملائكة بأسرها على خلاف بيننا وبين المعتزلة وأن خواص الملائكة أفضل من عموم النبيين وأن عموم النبيين أفضل من جملة الملائكة وأن عموم الملائكة أفضل من عموم المؤمنين كل نوع يعتبر فضله بما يقابله من النوع الآخر وأن النبوات فاضلة بالمقام فضلا يشمل واسعهم وضيقهم فليس لأحد معهم مشاركة بالمقام النبوي إلا بحكم الإرث التبعي وسيأتي في المبحث بعده بيان المراد بعموم الملائكة فراجعه انتهى .
وعبارة الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته على " شرح جمع الجوامع " الأفضل بعد نبينا

....
عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2) [الرحمن : 1 - 2] . اعلم أن القرآن هو الوحي الدائم الذي لا ينقطع فهو الجديد الذي لا يبلى ويظهر في قلوب العلماء على صورة لم يظهر بها في ألسنتهم لأن الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره فهو يظهر في القلب إحدى العينين فيجسده الخيال ، ويقسمه ثم يأخذ منه اللسان فيصيره بشاكلته ذا حرف وصوت ويقيد به سمع الأذان وقد قال الله تعالى :فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ[التوبة : 6]
فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الأعرابي بسمع أذنه في حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كان من كان فإن القلب بيت الرب فافهم .

[الباب الثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل القمر من الهلال من البدر من الحضرة المحمدية]
وقال في الباب الثلاثين والثلاثمائة : اعلم أن القضاء

محمد صلى الله عليه وسلم ، الأنبياء ثم الملائكة العلوية انتهى . وعبارة صاحب " المواقف " : لا نزاع في أن الأنبياء أفضل من الملائكة السفلية الأرضية وإنما النزاع في الملائكة العلوية السماوية انتهى .
وعبارة البرماوي رحمه الله . الأنبياء من بني آدم كالرسل وغيرهم أفضل من الملائكة وخواصهم كالأنبياء أفضل من خواصهم ، وعوامهم أفضل من عوامهم وبنات آدم أفضل من الحور العين انتهى .
وعبارة شيخ السنة الامام أبي الحسن البيهقي رحمه الله : والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة يعني الصلحاء من البشر أفضل من الصلحاء من الملائكة انتهى . وليس المراد بالعوام الفسقة إذ الملائكة ليس فيهم فاسق قاله ابن أبي شريف انتهى . وأما عبارة الشيخ محيي الدين فقال في الباب الثالث والسبعين من " الفتوحات " : اعلم أن المختار عدم التفاضل بين المرسلين على التعيين بالعقل مع إيماننا بأن بعضهم أفضل من بعض عند الله تعالى إذ الخوض في مقام المرسلين غير محمد صلى الله عليه وسلم ، من الفضول فعلم أنا نعتقد تفاضلهم على الإبهام ولا بد لقوله تعالى :تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ[البقرة : 253] .
ولم يعين لنا من هو الأفضل ومعلوم أنه لا ذوق لنا في مقامات الأنبياء حتى نتكلم عليها ، وغاية أمرنا أن نتكلم بحسب الإرث المناسب لمقامنا وأين المقام من المقام فلا ينبغي أن يتكلم في مقام الرسول إلا رسول ولا في مقام الأنبياء إلا نبي ولا في مقام الوارثين إلا رسول أو نبي أو ولي أو من هو منهم هذا هو الأدب الإلهي ولولا أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، أخبرنا أنه سيد ولد آدم لما ساغ لنا أن نفضله بعقولنا انتهى . وقال في الكلام على صلاة الجمعة من " الفتوحات " : لقد أطلعني الله تعالى على من هو الأفضل بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، من الرسل على الترتيب ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لا تفضلوا بين الأنبياء لعينت ذلك ولكن تركته لما يؤدي إليه من تشويش بعض القلوب التي لا كشف عند أصحابها ولكن من وجد نصا صريحا أو كشفا محققا قال به انتهى . وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة : لا نعرف مراتب الرسل والأنبياء إلا من الختم العام الذي يختم الله تعالى به الولاية المحمدية في آخر الزمان وهو عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فهو الذي يترجم عن مقام الرسل على التحقيق لكونه منهم وأما نحن فلا سبيل لنا إلى ذلك انتهى . وقال في " شرحه ترجمان الأشواق " : لا ذوق لنا في مقام الأنبياء حتى نتكلم عليه إنما نراه كما نرى النجوم في الماء كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى في

....

والقدر أمران متباينان ، فالقضاء هو الحكم الإلهي على الأشياء بكذا فله المضاء في الحكم في جميع الأمور وأما القدر فهو الوقت المعين لإظهار الحكم فالقضاء يحكم على القدر ، والقدر لا يحكم في القضاء بل حكمه في المقدر لا غير ، فالقاضي حاكم والمقدر موقت والقدر التوقيت وأطال في ذلك .
(قلت) : وقد بسطنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه ، فراجعه .
[الباب الأحد والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل الرؤية والقوة عليها والتداني والترقي والتلقي والتدلي وهو من الحضرة المحمدية والآدمية]
وقال في الباب الحادي والثلاثين وثلاثمائة : اعلم أن موسى عليه السلام ، ما قال :رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ

"389"
مبحث الولاية ، وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : الخوض في تفاضل الأنبياء على التعيين من غير كشف فضول فإن قوله :مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ[البقرة : 253] وقوله :وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا]النساء : 125] لا يؤخذ منه تفضيل أحدهما على الآخر على القطع للجهل بأي المقامين أفضل الخلة أو الكلام انتهى . وسمعته أيضا يقول : من فاضل بين الرسل بعقله فقد صدق عليه أنه فرق بين الرسل وقد قال تعالى :لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ[البقرة :
285]وإن كان المراد بالتفريق عند المفسرين الإيمان ببعض والكفر ببعض فافهم انتهى . وذكر نحوه الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من " الفتوحات . "
(فإن قلت) : فهل فضل الرسل على بعضهم بعضا من حيث ما هم رسل أو غير ذلك ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائتين :أن الرسل لم يفضل بعضهم بعضا من حيث ما هم رسل وكذلك الأنبياء لم يفضلوا على بعضهم من حيث كونهم أنبياء وإنما فضل الأنبياء والرسل بأحوال أخر ليست هي عين ما وقع فيه الاشتراك إذ ما من جماعة يشتركون في مقام إلا وهم على السواء فيما اشتركوا فيه هذا هو الأصل وقد يكون ما وقع به المفاضلة يؤدي إلى التساوي كما هو مذهب الإمام أبي القاسم بن قسي رحمه الله ومن وافقه من الطائفة فيكون كل واحد من الرسل فاضلا من وجه مفضولا من وجه آخر . ففضل كل واحد بأمر لا يكون عند غيره وفضل ذلك المفضول بأمر ليس عند الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذي خص به يفضل على من فضل . قال الشيخ محيي الدين : والذي عندنا غير ذلك فيجمع لواحد جميع ما عند الجماعة كمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيفضل الجماعة بجميع ما يفضل به بعضهم على بعض لا بأمر زائد فهو أفضل من كل واحد واحد ولا تفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع فلا ينفرد في فضله قط بأمر ليس عند آحاد الجنس انتهى . ثم إن الشيخ نقل كلام ابن قسي في الجواب التاسع والعشرين من الباب الثالث والسبعين من " الفتوحات " ثم قال :
وصاحب هذا القول الذي قاله ابن قسي ومن تبعه ما حرر القول على ما يقتضيه وجه الحق فيه مع أنه معدود من أهل الكشف قال والذي نقول نحن به أن معنى المفاضلة المعقولة من قوله :فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ[الإسراء : 55] . أي : أعطينا هذا ما لم نعط هذا وأعطينا هذا ما لم

....

]الأعراف : 143] إلا لما قام عنده من التقريب الإلهي فطمع في الرؤية فسأل ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ، ونقلا لا عقلا ، لأن ذلك من محاورات العقول ومعلوم أن الرسل أعلم الناس بالله تعالى ، وأنهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالإدراك فإن الأبصار لا تدركه مع أنها آلة يدرك العبد بها رؤية ربه قال : وإنما منع موسى الرؤية لأنه سألها من غير وحي إلهي بها ومقامهم الأدب فلهذا قيل له : لن تراني ثم إنه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم تعالى أن حد موسى انتهى من حيث سؤاله الرؤية بغير وحي بالإحالة على الجبل في استقراره عند التجلي إذ الجبل من الممكنات فلما تجلّى الحق للجبل واندك علم موسى أنه فيما لم يكن ينبغي له وإن

نعط من فضله ولكن من مراتب الشرف فمنهم من فضّله الله بأن خلقه بيده وكما يليق بجلاله وأسجد له ملائكته وهو آدم عليه السلام .
(ومنهم) : من فضله بالكلام كموسى عليه السلام .
(ومنهم) : من فضله بالخلة كإبراهيم .
(ومنهم) : من فضله بالصفوة وهو يعقوب عليه السلام فهذه كلها صفات مجد وشرف لا يقال : إن خلقه أشرف من كلامه ولا كلامه أشرف من صفة خلقه بيديه لأن ذلك كله راجع إلى ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد ، وأيضا فإن جميع المراتب مرتبطة بالأسماء الإلهية والحقائق الربانية ، ومن فاضل فكأنه يقول : الأسماء الإلهية بعضها أشرف من بعض ولا قائل بذلك لا شرعا ولا عقلا انتهى . وأما التفاضل والخلاف المنصوب بين الأشعرية والمعتزلة من قولهم الملك أفضل من خواص البشر وعكسه ، فقد قال الشيخ محيي الدين : في كتابه " لواقح الأنوار " : لم يظهر لي وجه الخلاف في التفاضل بين خواص البشر والملائكة لأن من شرط التفاضل أن يكون بين جنس واحد والبشر والملك جنسان فلا يقال مثلا الحمار أفضل من الفرس ، وإنما يقال : هذا الحمار أشرف من هذا الحمار اللهم إلا أن يقال : إن التفاضل حقيقة إنما هو في الحقائق التي هي الأرواح وأرواح البشر ملائكة فالملك إذن جزء من الإنسان فالكل من الجزء والجزء من الكل انتهى . فليتأمل هذا وما قبله من كلامه ويحرر . وقال في الباب السابع والأربعين من " الفتوحات " : مما غلط فيه جماعة قولهم إنما كان ابن آدم أفضل من الملك لكون ابن آدم له الترقي في العلم ، والملك لا ترقي له ولم يقيدوا صنفا ولا مرتبة من المراتب التي يقع بها التفاضل إلا كون ابن آدم يترقى بخلاف الملك قال : وسبب غلطهم عدم الكشف ولو كشف لهم لرأوا الترقي في العلم لازما لكل حيوان من الإنس والجن والملائكة وغيرهم ممن اتصف بالموت دنيا وبرزخا وآخرة ولو أن الملائكة لم يكن لها ترق في العلم وحرمت المزيد فيه ما قبلت الزيادة من آدم حين علمها الأسماء كلها فإنه زادهم علما إلهيا بالأسماء لم تكن عندهم فسبحوه تعالى وقدسوه .
(فإن قلت) : فإذن الملائكة مساوون لنا في الترقي بالعلم ؟

....
كان الحامل له على ذلك الشوق مثل ما يقع فيه من سكر من حب الله فقال :تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ[الأعراف : 143] بوقوع هذا الجائز ، وأطال في صفات الناس في رؤية الله عز وجل .
(وقال) : فيه في قوله تعالى :أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ[الجاثية : 23] .
اعلم أن الهوى أعظم من عبد من دون الله فإنه لنفسه حكم وهو الواضع لكل ما عبد ولولا قوة سلطانه في الإنسان ما أثر مثل هذا الأثر فيمن هو على علم بأنه ليس بالإله وأطال في ذكر من

"391"
) فالجواب) : نعم بخلاف الترقي بالعمل فلا أعمال لهم يترقون بها كما لا نترقى نحن في الجنة بالأعمال التي نفعلها هناك لزوال التكليف فنحن وإياهم في ذلك سواء في الآخرة .
(فإن قلت) : فهل ترقينا بالعلوم والأعمال من باب الشرف لنا على غيرنا أو من باب الابتلاء ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين : إن ذلك من باب الابتلاء ليبلونا الحق به تعالى لا غير ولم يفهم ذلك من قال : الكامل من البشر أفضل مطلقا من حيث ترقيه ولو علموا أن ذلك ابتلاء ما فضلوا به انتهى . وقال الشيخ في أواخر الباب السابع والستين وثلاثمائة : مما يؤيد قول الأشعرية أن خواص البشر أشرف من غيرهم كون الحق تعالى من حين خلق آدم ما رؤي في المنام قط إلا على صورته لشرفها واستقامتها وكان قبل خلق آدم يتجلى للرائي في المنام في كل صورة في العالم ومن هنا يعلم أن المقصود من العالم كله إنما هو الإنسان الكامل فإن الله تعالى لما خلقه كانت حقائقه كلها متبددة في العالم كله فناداها الحق تعالى من جميع العالم فاجتمعت فكان من جميعها الإنسان فهو الخليفة الأعظم وخزانة علم الله تعالى انتهى .
(فإن قلت) : فإذا كان الملك يترقى كالبشر فما معنى قول جبريلوَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ(164) [الصافات : 164] ؟ وهل جميع الخلق غير الملك لهم كذلك مقام معلوم أو ذلك خاص بالملك ؟
(فالجواب) : نعم لكل مخلوق في علم الله تعالى مقام معين مقدر مغيب عن ذلك المخلوق وإليه ينتهي كل شخص بانتهاء نفسه فآخر نفس يتشخص هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه ، ولهذا دعوا إلى السلوك فسلكوا علوا بإجابة الدعوة المشروعة وسفلا بإجابة الأمر الإرادي من حيث لا يعلمون إلا بعد وقوع المراد فكل شخص من الثقلين ينتهي في سلوك المقام الذي عين له فمنهم شقي وسعيد فكل مخلوق سواهما فهو في مقامه لم ينزل عنه فلم يحتج أن يؤمر بالسلوك إليه لإقامته فيه سواء كان ذلك ملكا أو حيوانا أو معدنا أو نباتا فهو سعيد عند الله تعالى لا شقاء يناله فقد بان لك أن الثقلين داخلان في قول الملائكةوَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ(164) [الصافات : 164] والله أعلم . واعلم يا أخي أن القول بتفضيل الملائكة على خواص

....
ادّعى الألوهية من العبيد ومن ادعيت فيه ولم يدعها ومن ادعاها في سكر ثم قال : وكان الحلاج ممن ادّعاها في سكر بيقين فقال قول السكارى فخبط ، وخلط بحكم السكر عليه كما يشتم السكران أعظم ملوك الدنيا في حال سكره ولا يلتزم معه أدبا فالحلاج سعيد وإن شقي به آخرون ، وأطال في ذلك ثم قال : وإذا كان يوم القيامة جسد الله الهوى كما يجسد الموت لقبول الذبح كبشا فعذبه في صورته تلك وتجسد المعاني لا ينكره العلماء بالله تعالى فإن كان من اتبع هواه مسلما خرج من النار بعد إنهاء العقوبة حدها وبقي صورة هواه معذبة وإن كان كافرا بقي مع صورة هواه أبد الآبدين ،

[الباب الثاني والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل الحراسة الإلـهية لأهل المقامات المحمدية وهو من الحضرة الموسوية]

وقال في الباب الثاني والثلاثين وثلاثمائة : في قوله تعالىفِيهِ

"392"
البشر قد نسب للشيخ محيي الدين وهو الذي رأيته في نسخ " الفتوحات " بمصر وقد قدمنا في الخطبة أن نسخ مصر مما دس فيها على الشيخ والذي رأيته في النسخة المقابلة على نسخة الشيخ بقونية المروية عنه بالإسناد أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة ويؤيده ما قاله الشيخ من الشعر أول الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة من تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على خواص الملائكة بعد كلام طويل :وليس يدرك ما قلنا سوى رجل * قد جاوز الملأ العلوي والرسلاذاك الرسول رسول الله أحمدنا * رب الوسيلة في أوصافه كملاانتهى . فإياك أن تنسب إلى الشيخ القول بمذهب أهل الاعتزال الشامل لتفضيل الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله يتولى هداك .

المبحث التاسع والثلاثون : في بيان صفة الملائكة وأجنحتها وحقائقها وذكر نفائس تتعلق بها لا توجد في كتاب أحد ممن صنف في الملائكة فإن منزع هذا المبحث الكشف والنقول فيه عزيزة اعلم أنه قد تقدم في المبحث الثالث والثلاثين نفائس في بيان نزول الملائكة بالوحي فراجعه ، والذي يخصنا هنا أن تعلم أن الملائكة عند أهل الحق أجسام لطيفة ولهم قوة التشكل والتبدل ، قادرون على الأفعال الشاقة عباد مكرمون مواظبون على الطاعات معصومون من المخالفات والفسق لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة كما سيأتي إيضاحه في هذا المبحث إن شاء الله تعالى .

(فإن قلت) : هل النجوم والشمس والقمر أملاك أو منصات أملاك ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الستين من " الفتوحات " : أن جميع النجوم والشمس والقمر مراكب للملائكة وذلك لأنه الله تعالى قد جعل في السماوات نقباء من الملائكة ، وجعل لكل ملك نجما هو مركب له يسبح فيه وجعل الأفلاك تدور بهم في كل يوم

....

شِفاءٌ لِلنَّاسِ[النحل : 69] . أي : العسل اعلم أنه تعالى لم يذكر للعسل مضرة قط وإن كان بعض الأمزجة يضره استعماله لأن الشفاء هو المقصود الأعظم منه كما أن المقصود بالغيث إيجاد الرزق الذي يكون عن نزوله وقد يهدم الغيث بيت العجوز الفقيرة الضعيفة فما كان رحمة في حق هذه المرأة من هذا الوجه الخاص لأن هدم البيت المذكور ما هو بالقصد العام الذي نزل له المطر ، وإنما كان ذلك من استعداد البيت للهدم لضعف بنيانه فكذلك الضرر الواقع لمن أكل العسل إنما ذلك من انحراف مزاجه ولم يكن بالقصد العام.

دورة فلا يفوتهم شيء من أحوال المملكة السماوية والأرضية وأملاك هذه المنصات منهم جنود وأمراء وملوك وأطال في ذكرهم . ثم قال : فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته ولا يمشي بالعدل بينهم ولا يعاملهم بالإحسان الذي يليق بهم فقد استحق العذل .
(فإن قلت) : فهل بين ولاة السماوات وولاة الأرض مناسبات ورقائق تمتد بهم إلى ولاة أهل الأرض بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة من العيوب ، فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الأرضيين من أرواح الملائكة ورقائقها بحسب استعداداتهم فمن كان من ولاة الأرض استعداده قويا حسنا قبل ذلك الأمر الذي امتد إليه من رقائق الملائكة طاهرا مطهرا من الشوائب على صورته من غير تغيير فكان والي عدل وإمام فضل وأما من كان استعداده رديئا فإنه يقبل ذلك الأمر الظاهر فيرده إلى شكله من الرداءة والقبح فكان والي جور ونائب ظلم فلا يلومن إلا نفسه انتهى . وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية .
(فإن قلت) : فهل في قوة الملك أن يتطور كيف شاء كالجن ؟
(فالجواب) : نعم ، كما مر في أول المبحث .
(فإن قلت) : فهل في قدرة الكامل من البشر أن يظهر في صورة غيره كالملائكة ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر وثلاثمائة : أن في قوة الكامل من البشر كقضيب البان وغيره أن يظهر في صورة غيره من البشر وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل يظهر في صورة إسرافيل ولا عكسه فعلم أن في قوة الإنسان ما ليس في قوة الملك .
(فإن قلت) : فأي الملائكة أكبر مقاما على الإطلاق كما هو الحال في محمد صلى الله عليه وسلم ؟
(فالجواب) : لم نطلع من ذلك على نص ولا ينبغي لأحد أن يفاضل بعقله بين الملائكة السماوية ولا غيرهم ، فلا يقال جبريل أفضل من إسرافيل ولا أفضل من ميكائيل ولا عزرائيل أفضل من إسماعيل الذي هو ملك السماء إلا بنص صريح .
(فإن قلت) : فهل يوصف الملأ الأعلى بأنهم أنبياء وأولياء كالبشر ؟

....

(قلت) : وقد تقدم نحو ذلك في الكلام على النية من حيث إنها موضوعة بالأصالة للإخلاص والله أعلم . وقال فيه في قوله تعالى :تَجْرِي بِأَعْيُنِنا[القمر : 14] .
إنما جمع العيون هنا وفي قوله :فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا[الطور : 48] . لأن المراد بهذا الجمع عيون الحافظين للعالم من سائر الخلق فكل حافظ في العالم أمرا ما فهو جملة عيون الحق تعالى .
(قلت) : وإلى ذلك الإشارة يقول سيدي محمد وفا رضي الله تعالى عنه : محمد عين الله والصحب أعين ، إلى آخر ما قاله فاعلم ذلك .
وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الخامس

"394"
(فالجواب) : لا يوصف الملأ الأعلى بأنهم أنبياء أو أولياء لأنهم لو كانوا أنبياء أو أولياء ما جهلوا الأسماء التي علمها لهم آدم عليه السلام إذ معرفة الله تعالى تكون بحسب المعرفة بأسمائه وجهل العبد به يكون بحسب جهله بها .
(فإن قلت) : فهل جميع الملائكة من عالم الخير . فإن قلتم بذلك فكيف قالوا : اللهم أعط ممسكا تلفا ودعوا على مال المؤمن بالإتلاف ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في باب الزكاة من " الفتوحات : " ليس ذلك دعاء على مال المؤمن بالإتلاف الذي يتألم منه المؤمن وإنما هو دعاء له بأن ينفقه في مرضاة الله عز وجل فيؤجر عليه كما يؤجر المنفق اختيارا لأن الملك من عالم الخير لا يدعو على مؤمن بما يضره فمعنى قوله : اللهم أعط ممسكا تلفا أي : اجعل الممسك ينفق ماله في مرضاتك فتخلفه عليه ، وإن كنت يا ربنا لم تقدر في سابق علمك أن ينفقه باختياره فأتلف ماله عليه حتى تأجره فيه أجر المصاب ليصيب خيرا فهو دعاء له بالخير كما مر لا كما يظنه من لا معرفة له بمقام الملائكة ، فإن الملك لا يدعو بشر لا سيما في حق المؤمن بوجود الله وتوحيده وبما جاء من عنده . قال الشيخ : ولا شك أن دعاء الملك مجاب لوجهين : الأول : لطهارته . والثاني : كونه دعاء في حق الغير فهو دعاء لصاحب المال بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك فعلم أن المراد بالاتلاف الإنفاق لكنه أي : الملك غاير بين اللفظين والله أعلم .
(فإن قلت) : فهل في قوة البشر أن ينزل الملك من السماء بالإقسام عليه بالله تعالى كما يفعله أهل الرصد ؟
(فالجواب) : ليس في قوة البشر أن ينزل واحدا من الأملاك من السماء بإقسام عليه أو غير ذلك لقوله تعالى :وَما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ[مريم : 64] فلا يؤثر في مثل هؤلاء الذين لا يتنزلون إلا بأمر الرب خاصة نبات ولا إقسام عليهم بالله عز وجل ، كما ذكره الشيخ في الباب الخامس والعشرين قال : وهذا بخلاف أرواح الكواكب السماوية فإنها تنزل بالأسماء والبخورات وأشباه ذلك لأنه تنزل معنوي ومشاهدة صور خالية فإن ذات الكواكب لم تبرح في السماء عن مكانها وإنما جعل الله تعالى لمطارح شعاعها في عالم الكون والفساد تأثيرات عند العارفين

....

وخمسمائة ما نصه إنما قال تعالى :فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا. ليعلمه أنه ما حكم عليه صلى الله عليه وسلم ، إلا بما هو الأصلح عنده سواء سره أم ساءه هذا مراده بقوله : بأعيننا أي : ما أنت بحيث نجهلك ، وننساك والله أعلم .

[الباب الثالث والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل " خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك " وهو من الحضرة الموسوية]

وقال في الباب الثالث والثلاثين وثلاثمائة : قال إبليس للحق جلّ وعلا :يا رب كيف تطلب مني السجود ولم ترد ذلك فلو أردته لسجدت ولم أقدر على المخالفة فقال له الحق جلّ وعلا : متى علمت أني لم أرد منك السجود بعد وقوع الإباية منك أو قبل ذلك ، فقال : إبليس ما علمت بذلك إلا بعد ما وقعت مني الإباية فقال الله عز وجل له بذلك : آخذتك فلله الحجة البالغة . وقال في حديث البخاري في الذين يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم اعلم

بذلك لكن بإذن الله تعالى كوجود الري عند شرب الماء والشبع عند الأكل ونبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو حكمة أودعها الحكيم العليم .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى :وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً[الصافات : 158] . هل هو الجن أو الملائكة كما هو المشهور من قولهم في الملائكة إنهم بنات الله تعالى عن ذلك ؟
(فالجواب) : المراد بالجنة هنا الملائكة وسموا جنة لاستتارهم عن العيون مع كونهم يحضرون معنا في مجالسنا ولا نراهم لأن الله تعالى جعل بينهم وبين أعين الناس حجابا مستورا فكما أن الحجاب مستور عنا ، فهم كذلك مستورون بالحجاب عنا فلا نراهم إلا إذا شاءوا أن يظهروا لنا ذكره الشيخ في الباب التاسع والستين وثلاثمائة ، قال فيه : ولا يخفى أن الجنة من الملائكة الذين يلازمون الإنسان ويتعاقبون فينا بالليل والنهار ولا نراهم عادة ولكن إذا أراد الله عز وجل لأحد من الإنس أن يراهم من غير إرادة منهم لذلك رفع الله الحجاب عن عين الذي يريد الله أن يدركهم فيدركهم وقد يأمر الله الملك بالظهور لنا فنراهم أو يرفع الغطاء عنا فنراهم رأي العين ، لكن لا يصح كلامهم لنا إذا رأيناهم فإن ذلك من خصائص الأنبياء وأما الولي فإن رأى الملك لا يراه مكلما له وإن كلمه الملك لا يرى شخصه فلا يجمع بين الرؤية والكلام إلا نبي .
(فإن قلت) : فهل للملك حظ في الشقاء ؟
(فالجواب) : لاحظ للملك في الشقاء وأما ما نقل عن هاروت وماروت فلا يصح منه شيء فالشقاء والسعادة خاصان بالجن والإنس والسلام .
(فإن قلت) : فما السبب الذي أمرت الملائكة بالسجود لآدم لأجله هل هو لكونه في أحسن تقويم أو لتعليمهم الأسماء ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلاثمائة : إن سجود الملائكة لآدم ليس لأجل تعليمهم الأسماء وإنما ذلك لأجل كونه في أحسن تقويم وسيأتي قريبا أن سبب السجود كان عن إغضاب خفي على الملائكة.

....

أن من لم يكن وارثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مقام تلاوته للقرآن إنما يتلو حروفا ممثلة في خياله ، وحصلت له من ألفاظ معلمه إن كان أخذه عن تلقين أو من حروف كتابة إن كان أخذه عن كتابة فإذا أحضر تلك الحروف في خياله ونظر إليها بعين خياله ترجم اللسان عنها فتلاها عن غير تدبر ، ولا فهم ، ولا استبصار بل لبقاء تلك الحروف في حضرة خياله ، قال : ولهذا التالي أجر الترجمة لا أجر القرآن لأنه ما تلا المعاني وإنما تلا حروفا تنزل من الخيال الذي هو مقدم الدماغ إلى اللسان فيترجم به لا يجاوز حنجرته إلى القلب الذي في صدره فلا يصل إلى قلبه منه شيء وأطال في ذلك .

[الباب التاسع والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل جثو لشريعة بين يدي الحقيقة تطلب الاستمداد من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة : من شرف هذه الأمة

"396"
(فإن قلت) : فلم أمروا بالسجود لآدم قبل أن يعرفوا فضله عليهم ؟
(فالجواب) : إنما أمروا بذلك قبل أن يعرفوا فضله عليهم بما علمه الله له من الأسماء امتحانا للملائكة ، ولو أن السجود كان بعد ظهوره بالعلم ما أبى إبليس ولا قالأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ[الأعراف : 12] ولا استكبر عليه ولهذا قال :أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً[الإسراء : 61] وقال :خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ[الأعراف : 12] والنار أقرب إلى اسمك النور من الطين لإضاءتها .
(فإن قلت) : فإذن ما كان إعلام الله تعالى الملائكة بخلافته آدم إلا بعد ما أخبر الله تعالى عنهم ؟
(فالجواب) : نعم ولهذا قال في قصتهوَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ[البقرة : 34] فأتى بالماضي من الأفعال وبأداة إذ وهي لما مضى من الزمان فاجعل بالك من هذه المسألة لتعلم فضل آدم بعلمه على فضله بالسجود له لمجرد ذاته ولتعلم أيضا لماذا نهى الشرع أن يسجد إنسان لإنسان فإنه سجود الشيء لنفسه فإنه مثله والشيء لا يخضع لنفسه وقد نهى الشارع صلى الله عليه وسلم ، عن الانحناء أيضا وأمرنا بالمصافحة .
(فإن قلت) : فهل كان الأمر بالسجود لآدم ابتلاء للملائكة أو لأمر آخر ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الحادي والأربعين وثلاثمائة : إن ذلك ابتلاء من الله للملائكة عن إغضاب خفي لا يشعر به إلا العلماء بالله عز وجل لأنها اعترضت على الحق تعالى في جعله آدم خليفة في الأرض ولو أنها ما اعترضت ما ابتليت بالسجود لآدم الذي هو عبد الله عز وجل ، قال الشيخ : وهكذا كل مؤاخذة وقعت بالعالم لا تكون إلا بعد إغضاب خفي أو جلي لأن الله تعالى خلق العالم بالرحمة المتوجهة على إيجاده وليس من شأن الرحمة الانتقام بخلاف الغضب فإن من شأنه الانتقام ولكنه على طبقات . قال : وحيث وقع الانتقام فهو تطهير إلا للكفار وهذا من علوم الأسرار فاحتفظ به انتهى .
(فإن قلت) : قد ورد صفوا يعني في الصلاة كما تصف الملائكة عند ربها يعني : خلف إمامها وورد أنها تصف خلف إمامنا فإذن إمامنا عند ربها أيضا ؟

....

المحمدية على سائر الأمم أن الله تعالى أنزلها منزلة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في العالم قبل ظهوره فإنه تعالى أعطى خلفاءه من الأنبياء التشريع ، وأعطى هذه الأمة الاجتهاد في نصب الأحكام ، وأمرهم أن يحكموا بما أدى إليه اجتهادهم وذلك تشريع فلحقوا بمقامات الأنبياء عليهم السلام ، في ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم فإن المتأخر يرث المتقدم بالضرورة ، وأطال في ذلك .
وقال فيه في معنى حديث : " جعلت لي الأرض مسجدا " .
اعلم أن في هذا الحديث إشارة إلى أن جميع الأرض بيت الله ليلازم العبد الأدب حيثما حل كما يؤمر به في المساجد فأهل الأدب من هذه الأمة جلساء الله على الدوام ، لأنهم في مسجد وهي

"397"
) فالجواب) : نعم وإيضاحه أن الملائكة تصف خلفنا فهي في هذا الحال عند الإمام المصلي بها وهي لم تزل عند ربها فالإمام لنا مكان آدم فإمامنا يسجد لله والله تعالى في قبلة الإمام كما يليق بجلاله والإمام قبلة الملائكة فما زال سجود الملائكة لآدم وبنيه في كل صلاة كما سجدوا لأبيهم آدم فلا تزال الخلافة في بني آدم ما بقي منهم مصلّ إلى يوم القيامة ذكره الشيخ في الباب السابع والأربعين وثلاثمائة . وقال فيه : إن الشأن الإلهي والأمر إذا وقع في الدنيا لم يرتفع حكمه إلى يوم القيامة وقد وقع السجود لآدم من الملائكة فبقي سجودهم لذريته خلف كل من صلى إلى يوم القيامة كما نسي آدم فنسيت ذريته وكما جحد فجحدت ذريته وكما قتل قابيل أخاه هابيل ظلما فما زال القتل في بني آدم ظلما إلى يوم القيامة فكل مصلّ أمام الملائكة والملائكة خلفه تسجد إلى جهته .

(فإن قلت) : فما الفرق بين السجودين أعني سجودهم لآدم وسجودهم لأولاده ؟

(فالجواب) : من الفرق بين آدم وبنيه أن الملائكة إذا سجدت خلف بنيه إنما تسجد لسجود بني آدم في القراءة والصلاة وأما سجودهم لآدم فهو سجود المتعلم للعلم فاجتمعا في السجود وافترقا في السبب والله أعلم .

(فإن قلت) : فلم لم يقف النبي صلى الله عليه وسلم ، عن يمين جبريل لما صلى خلفه كما هو شأن المنفرد ؟

(فالجواب) : إنما لم يقف عن يمينه لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، رأى الملائكة خلف جبريل ببصره فوقف في صفهم ولو أنه لم ير صف الملائكة لوقف عن يمين جبريل وكذلك ينبغي أن يقال في الجواب عن الرجل الذي صلّى خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمره بالوقوف عن يمينه ولو كان يشاهد الملائكة الذين كانوا يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم ، حكم مقام ذلك المأموم وليس حكم من لم يشاهد الأمور مثل حكم من يشاهدها والمقصود بما ذكرناه كله إعلامك بأن السجود من الملائكة خلف بني آدم ما ارتفع وأن الإمامة ما ارتفعت من آدم إلى آخر مصلّ والملائكة تبع لهذا الإمام فنحن عند الله في حال إمامتنا كما مر والملائكة تبع لإمامنا والملائكة عندنا بالاقتداء فهي عند ربها لأن الإمام وهذه الملائكة عنده وكل صف

....

الأرض أحياء وأمواتا فإنهم في قبورهم قد انتقلوا من ظهر الأرض إلى بطنها وحرمة المسجد إلى سبع أرضين . وقال فيه : قد نزّل الله تعالى محمدا أربع منازل لم ينزل فيها غيره من الأنبياء وهي أنه أعطاه ضروب الوحي كلها من وحي المبشرات ، وأنزله على القلب ، والأذن ، وأعطاه إنهاء علم الأحوال كلها لأنه أرسله إلى جميع الناس كافة وأحوالهم مختلفة بلا شك فلا بد أن تكون رسالته تعم العلم بجميع الأحوال وأعطاه أيضا علم إحياء الأموات معنى وحسا وأعطاه أيضا علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره أن يهتدي بهداهم لا بهم فهذه أربع منازل خص بها.

إمام لمن خلفه بالغا ما بلغ .
(فإن قلت) : فهل تتقرب الملائكة إلى ربها بالنوافل كما يتقرب البشر ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة : أنه ما ثم ملك يتقرب إلى الله تعالى بنافلة أبدا إنما هم في الفرائض دائما ففرائضهم قد استغرقت أنفاسهم فلا نفل عندهم .
(فإن قلت) : فإذن هم ناقصون عن مقام البشر لفقدهم المقام الذي أخبر الحق تعالى أنه يكون فيه سمعهم وبصرهم إلى آخر النسق كما يليق بجلاله ؟
(فالجواب) : نعم فهم عبيد اضطرار ونحن عبيد اضطرار واختيار فنقصوا بذلك عن مقامنا كما نقصوا عنه أيضا من حيث أنه ليس لهم فكرة وإنما لهم عقل فقط ففاتهم ثواب الفكر في
مصنوعات الله وعدموا كون الحق تعالى سمعهم وبصرهم فافهم أيضا ثواب اجتناب النهي لأنهم لا يذوقون له طعما لعصمتهم انتهى .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى :وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ (10) كِراماً كاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ] (12)الانفطار : 10 - 12] ؟ وقوله تعالى :ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(18) [ق :
[18هل المراد بالرقيب العتيد هما الكاتبان ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والأربعين وخمسمائة : إن الملكين الكاتبين هما الرقيب والعتيد من ملائكة الليل والنهار فهم يكتبون كل ما تلفظ به العبد ولا يكتبون غير ذلك فإن العبد إذا تلفظ رمى به في الهواء وبعد ذلك يتلقاه الملك ، فإن الله تعالى عند قول كل قائل في حين قوله فيراه الملك نورا قد رمي به هذا القائل الذي ألحق الله تعالى عند لسانه فيأخذه الملك أدبا مع القول فيحفظه له عنده إلى يوم القيامة فعلم أن الحفظة تعلم ما يفعل العبد بنص القرآن ولكنها لا تكتب له عملا حتى يتلفظ به فإذا تلفظ به كتبته فهم شهود أقوال وسبب ذلك عدم اطلاعهم على ما نواه العبد في ذلك الفعل ، ولهذا كانت ملائكة العروج بالأعمال تصعد بعمل العبد وهي تستقله فيقبل منها ويكتب في عليين وتصعد بالعمل وهي

....

(وقال) : فيه في قوله تعالى :قُلْ أَ رَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ[الأحقاف : 4] . اعلم أن خلق عيسى للطير إنما كان بإذن الله فكان خلقه الطير عبادة يتقرب بها إلى الله لأنه مأذون له في ذلك فما أضاف تعالى الخلق إلا لإذن الله وعيسى عليه السلام ، عبد ، والعبد لا يكون إلها قال : وإنما جئنا بهذه المسألة في هذه الآية لعموم كلمة ما فإنها تطلق على كل شيء ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع إليه في العلم باللسان فإن بعض المنتحلين لهذا الفن يقولون : إن لفظة ما تختص بما لا يعقل ومن تختص بمن يعقل قال : وهو قول غير محرر فقد رأينا في كلام العرب جمع من لا يعقل جمع من يعقل وإطلاق

"399"
تستكثره فيقال لهم : اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فإنه لم يرد به وجه الله الحديث بمعناه وقال تعالى :وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ[البينة : 5] . فلو علمت الحفظة ما في نية العبد عند العمل ما ورد مثل هذا الخبر فالنية بالقلب لا يعلمها إلا الله ثم صاحبها .
فالملك يكتب حركة العبد حتى حركة لسانه فإذا تلفظ فالله شهيد لأنه تعالى عند قول عبده على الحقيقة بالاعتناء لا عند عبده فهذه الكينونة الإلهية هي التي تحدث بحدوث الكون في الشهود وسبب ذلك أنه تكوين والتكوين لا يكون إلا عند القول الإلهي في كل كائن فجميع ما يتكون في الكون فعن القول الإلهي فليس بين الحق تعالى وبين العبد مناسبة أعم ولا أتم من مناسبة القول ولهذا ورد أن الله عند لسان كل قائل فإن الكون الذي هو القول مفارق قائله فإن لم يكن الحق تعالى عنده ضاع القول فلا بد من كون الحق تعالى عنده لينشئه صورة قائمة الخلقة كما يقبل تعالى الصدقة فيربيها حتى تكون كالجبل العظيم انتهى .
(فإن قلت) : قد قال العلماء إن الملائكة يكتبون الأعمال أيضا لكون الله تعالى أخبر أنهم يعلمونها وما يعلمونها إلا ليكتبوها .
(فالجواب) : لم نعلم لقولهم هذا دليلا من القرآن فمن ظفر بدليل صريح فليلحقه بهذا الموضع والله أعلم .
(فإن قلت) : فما المراد بالملائكة المشار إليهم بقوله تعالى :لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ[الرعد : 11] . هل هم الحفظة أو غير ذلك ؟
(فالجواب) : المراد بهؤلاء الملائكة ملائكة التسخير الذين يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه فهم تبع له وليس المراد بهم الحفظة والله أعلم .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى :فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرامٍ بَرَرَةٍ(16) [عبس : 13 - 16] ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الستين ومائة : إن المراد بالصحف المكرمة هي

....

ما على من يعقل وإنما قلنا هذا لئلا يقال في قوله :ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. إنما أراد من لا يعقل ، وعيسى يعقل فلا يدخل في هذا الخطاب قال : وقول سيبويه أولى

[الباب الثامن والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل عقبات السويق وهو من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الثامن والثلاثين وثلاثمائة : كل علم لم يظهر له الشارع تعليلا وعلمه العبد أو عمل به كان تعبدا محضا .

[الباب الأحد والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل التقليد في الأسرار]

وقال في الباب الحادي والأربعين وثلاثمائة : لا يجوز النظر في كتب الملل والنحل لأحد من القاصرين وأما صاحب الكشف فينظر فيها ليعرف من أي وجه تفرعت أقوالهم لا غير ، وهو آمن من موافقتهم في الاعتقاد لما هو عليه من الكشف الصحيح .

[الباب الثاني والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل سرين منفصلين عن ثلاثة أسرار يجمعها حضرة واحدة من حضرات الوحي وهو من الحضرة الموسوية]

وقال في الباب الثاني والأربعين وثلاثمائة عما يؤيد قول من يقول : أن الاسم عين المسمى قوله تعالى :ذلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي[الشورى : 10] . وليس هو عين أسمائه فإنه القائل :قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا

"400"
علم الرسالة والمراد بالسفرة هم الرسل من الملائكة ومعنى : بررة أي : محسنون فهم سفراء الحق تعالى إلى الخلق ورئيسهم الأكبر جبريل عليه الصلاة والسلام فإذا أراد الله تعالى إنفاذ أمر في خلقه أوحى إلى الملك الأقرب إلى مقام تنفيذ الأوامر وهو الكرسي فيلقي الله تعالى ذلك الأمر على وجوه مختلفة ثم يأمره بأن يوحى به إلى من يليه ويوحي إليه أن يوحي إلى من يليه وهكذا إلى سماء الدنيا وينادي ملك الماء فتوضع تلك الرسالة في الماء وينادي ملائكة اللمات وهم ملائكة القلوب فيلقونها في قلوب العباد فيعرف الشياطين ما جاءت به الملائكة وتأتي بأمثاله إلى قلوب الخلق فتنطق الألسنة بما تجده في القلوب وهي الخواطر قبل التكوين بأنه كان كذا واتفق كذا لما لم يكن فما يكون منه بعد الكلام به فكذلك مما جاءت به الملائكة وما لم يكن فهو مما ألقته الشياطين ويسمى ذلك في العالم الإرجاف وتقول عنه العامة إنه مقدمات التكوين ثم إن ملك الماء إذا ألقى ما أوحي به إليه في الماء فلا يشرب من ذلك الماء حيوان إلا ويعرف ذلك السر إلا الثقلين انتهى .
(فإن قلت) : فهل للملائكة آخرة كالإنس والجن أم لا ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وخمسمائة : إنه ليس للملائكة آخرة وذلك أنهم لا يموتون فيبعثون وإنما هو صعق وإفاقة كالنوم والإفاقة منه عندنا وذلك حال لا يزال عليه الممكن في التجلي الإجمالي دنيا وآخرة والإجمال هناك عند الملائكة عين المتشابه عندنا ولهذا يسمعون الوحي كأنه سلسلة على صفوان وعند الإفاقة يقع التفصيل الذي هو نظير المحكم فينا فالأمر فينا وفيهم آيات متشابهات وآيات محكمات فعم الابتلاء والفتنة بالإجمال والمتشابه المذكورين الملأين الأعلى والأسفل .
(فإن قلت) : فهل تتفاضل الملائكة في العلم بالله تعالى ؟
(فالجواب) : نعم لكن من غير فرق لأنهم على مقامات لا يعتدونها كما مر ، فالمفضول منهم يستفهم من العالم كما في قولهم :ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ[سبأ : 23] . وإيضاح ذلك أن الملائكة أرواح في أنوار لها أجنحة فإذا تكلم الحق تعالى بالوحي على صورة خاصة

....

الرَّحْمنَ[الإسراء : 110] فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره ، قال :
فلو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله :ذلِكُمُ اللَّهُ. لم يصح قوله :رَبِّيفافهم .[الباب السادس والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل سر صدق فيه بعض العارفين فرأى نوره كيف ينبعث من جوانب ذلك المنزل وهو من الحضرات المحمدية]
وقال في الباب السادس والأربعين وثلاثمائة : إنما قال الله تعالى في الحديث القدسي : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . إلى آخره وذكر الصور المحسوسة دون القوى الروحانية كالخيال ، والفكر ، والحفظ ، والتصوير ، والوهم ، والعقل لأن هذه مفتقرة إلى الحواس والحق تعالى لا يتنزل منزلة من يفتقر إلى غيره من المخلوقات بخلاف الحواس الظاهرة فإنها إنما هي مفتقرة إلى الله تعالى لا إلى غيره فتنزل تعالى لمن هو مفتقر إليه لم يشرك

"401"
وتعلقت به أسماعهم كأنه سلسلة على صفوان كما مر ضربت الملائكة أجنحتها خضعانا وتصعق حتى إذا فزع الله عن قلوبهم وهو إفاقتهم من صعقتهم قالوا : ماذا أي : يقول بعضهم لبعض : ماذا فيقول بعضهم : قال ربكم كذا إعلاما بأن كلام الله عين ذاته فيقول بعضهم لهذا القائل الحق أي : الحق يقول وهو العلي الكبير عن هذا التشبيه فانتهى كلام الملائكة إلى قوله : قالوا الحق فقال الله وهو العلي الكبير نظير قوله :لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[الشورى : 11] والله أعلم .
(فإن قيل) : فهل للعالم البشري التصرف في عالم الصور وعالم الأنفس المدبرين لهذه الصور ؟
(فالجواب) : نعم كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين وثلاثمائة . قال : عدا هذين الصنفين فما للعالم البشري عليهم حكم لكن من أراد منهم أن يحكم من شاء على نفسه كعالم الجان فله ذلك فعلم أن العالم النوري من الملائكة خارجون عن أن يكون للعالم البشري عليهم ولاية لأن كل واحد منهم على مقام معلوم عينه له ربه فما ينزل عنه إلا بأمر ربه فمن أراد أن ينزل واحد منهم فليتوجه في ذلك إلى ربه وربه يأمره ويأذن له في ذلك إسعافا لهذا السائل أو ينزل عليه ابتداء .
(فإن قيل) : فما مقام الملائكة السياحين ؟
(فالجواب) : مقامهم المعلوم كونهم سياحين يطلبون مجالس الذكر الذي هو القرآن فلا يقدمون على من ذكر الله بالقرآن أحدا من الذاكرين بغير القرآن فإذا لم يجدوا من يذكر الله بالقرآن غدوا على الذاكرين بغيره وذلك رزقهم الذي يعيشون به وفيه حياتهم ولذلك كان المهدي إذا خرج يقيم جماعة يتلون كتاب الله آناء الليل والنهار ذكره الشيخ في الباب السادس والستين وثلاثمائة .
(فإن قيل) : فهل في الملائكة أحد يجهل صفات الله عزّ وجل كما يقع لعوام الجن والإنس ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة : إنه ليس في الملائكة

....

به أحدا فعلم أن الحواس أتم لكونها هي التي تهب القوى الروحانية ما تصرف فيه وما به تكون حياتها العلمية ، قال : ولما كان تجلّي الحق تعالى في الثلث الآخر من الليل يعطي العلوم والمعارف أكثر مما يعطي الثلث الأول ، والأوسط كان علم أهل الثلث الآخر من مدة عمر هذه الأمة أكمل وأتم وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بعثه الله والكفر ظاهر لم يدع الصحابة إلا إلى الإيمان خاصة ولم يظهر لهم شيئا من العلم المكنون وصار يترجم لهم عما نزل من القرآن بحسب ما يبلغه إلى عموم ذلك القرن فكان الصحابة أتم في مقام الإيمان والتابعون أتم في العلم ، وتابع التابعين أتم في العمل ، قال : والحكمة في كون الصحابة أقوى إيمانا أن نشأة

"402"
بعد تعليم آدم الأسماء من يجهل الحق بل كلهم علماء بالله عز وجل ولذلك قال تعالى :شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ[آل عمران : 18] . ثم قال في حق الناسوَأُولُوا الْعِلْمِ[آل عمران : 18] فلم يطلق الأمر كما أطلقه في الملائكة وأطال في ذلك ثم قال : فالمراد بهذا العلم هو علم التوحيد لا علم الوجود فإن العالم كله عالم الوجود بخلاف التوحيد في الذات أو في المرتبة يجهله بعض الناس .

(فإن قيل) : فهل اختصت الملائكة عن البشر بشيء من العلوم ؟

(فالجواب) : نعم . كما ذكره الشيخ في الباب الخامس والسبعين وثلاثمائة ، وذلك أنهم اختصوا بالعلم الذي لا يعرفه أحد من البشر إلا إن تجرد عن بشريته وعن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته حتى يبقي الروح المنفوخ فيه على أصله الأول ، وحينئذ يتخلص للعلم بالله تعالى من حيث يعلمه الملائكة فيقوم في عبادته لله تعالى مقام الملائكة في عبادتهم لله تعالى قال وقد ذقنا ذلك ولله الحمد ولولا خوفنا أنا إذا علمنا هذا العلم لأحد يدعيه كذبا لبينا له منها ما تقربه العيون .

(فإن قلت) : فهل فطر أحد من الملائكة على الشهوة ولكن يحميه الله تعالى أم لا شهوة له أصلا ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين وثلاثمائة : ليس للملائكة شهوة وإنما فطرهم الله على المعرفة بالله وعلى الإرادة ولذلك أخبر عنهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم لما خلق لهم من الإرادة ولولا الإرادة ما أثنى عليهم بأنهملا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ[التحريم : 6]

(فإن قلت) : فعلى ماذا فطر الحيوان ؟

(فالجواب) : فطر على العلم بالله وعلى شهوة خاصة بخلاف الجن والإنس فإنهم فطروا على المعرفة والشهوة وذلك تعلق خاص في الإرادة إذ الشهوة إرادة طبيعية فليس للجن والإنس إرادة إلهية كالملائكة وفطرهما الله تعالى على العقل لا لاكتساب العلم وإنما هو آلة جعلها

....

الإنسان فطرت على الحسد فلما بعث إليها نبي من جنسها لم يؤمن به إلا من قوي على دفع ما في نفسه من الحسد وحب الشفوف وهروبها من الدخول تحت حكم غيرها فكان إيمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدتهم تقديم جنسهم عليهم وكان معظم اشتغالهم فيما يدفع سلطان الحسد أن يقوم بهم وذلك مانع لهم من إدراك غوامض العلوم والأسرار ، فارتفعوا علينا بقوة الإيمان ولكن جبر الله نقصنا بإعطائه لنا التصديق بما نقل لنا عنهم من الشرع فحصل لنا درجة الإيمان بالغيب الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قدم فعلم أنهم ما فضلونا إلا بقوة الإيمان والسبق وأما في العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم في ذلك وأطال في ذلك ، ثم قال:

"403"
الحق تعالى للجن والإنس ليردعوا به الشهوة في هذه الدار خاصة وجميع ما استفاده الإنس والجان من العلم من غير طريق الكشف فإنما هو من طريق الفكر بالموافقة ، فعلم أن العلوم التي في الإنسان إنما هي بالفطرة والضرورة والإلهام وغاية الكشف أن يكشف له عن العلوم التي فطره الله عليها لا غير فهو يرى به معلومه وأما بالفكر فمحال أن يصل به إلى العلم .
(فإن قلت) : فمن أين علمت هذا وهو من مدركات الحس فلم يبق إلا النظر ؟
(فالجواب) : علمنا ذلك من طريق الإلهام ، والإعلام الإلهي وذلك أن النفس الناطقة تتلقى ذلك العلم من ربها كشفا وذوقا من الوجه الخاص من طريق الإلهام ، فإن لكل موجود من الله وجها خاصا فعلم أن الفكر الصحيح غاية أمره أن لا يزيد على الإمكان بخلاف ما ذكرناه من علم الله وإعلامه كما أن غاية مقام يصل إليه العبد بالنظر الصحيح في المعرفة بالله تعالى الحيرة في الله وهذا مبتدأ البهائم لأنها مفطورة على الحيرة والعبد يريد أن يخرج عنها فلا يقدر أبدا .
(فإن قلت) : فكم أصناف الملائكة ؟
(فالجواب) : هم ثلاثة أصناف كما ذكره الشيخ في الباب الرابع وخمسين ومائة : الأول : الصنف المهيمون في جلال الله تعالى كما أوجدهم فإنه تعالى تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنه فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه هكذا أدركناهم من طريق كشفنا فهم في الحيرة سكارى ، وقد أوجدهم الله تعالى من أبنية العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء بجعل ما ينافيه وهم أرواح في هياكل أنوار كسائر الملائكة الآن وليس لها ولا الملائكة من الولاية إلا ولاية الممكنات . الثاني : ملائكة التسخير كالمسخرين لنا بالعروج ليلا ونهارا من حضرة الحق الخاصة إلينا ومن حضرتنا إلى الحق وكالملائكة المستغفرين لمن في الأرض والمستغفرين للمؤمنين خاصة وكالملائكة الموكلين باللمات والموكلين بالأرحام والموكلين بالإلهام والموكلين بنفخ الأرواح وكالملائكة الموكلين بالأرزاق والأمطار وكالموكلين بالإنسان وكالملائكة الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والنازعات والمرسلات والناشرات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات وغيرها ، وكل من عموم النبيين أفضل من هؤلاء

....

فالحمد لله جاء بنا في الزمن الأخير وجبر قلوبنا بالتصديق ، وعدم الشك والتردد فيما وجدناه منقولا في أوراق سوادا في بياض ولم نطلب على ذلك دليلا ولا ظهور آية ولو أننا جئنا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كنا نعرف كيف يكون حالنا عند مشاهدته صلى الله عليه وسلم ، هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه أم نغلب نحن نفوسنا ونطيعه فكفانا بالله ذلك فله الحمد على كل حال

[الباب السابع والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل العندية الإلهية والصف الأول عند الله تعالى]

وقال في الباب السابع والأربعين وثلاثمائة ، في الكلام على العندية الإلهية في نحو قوله تعالى : وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ [النحل : 96] .
وفي قوله آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً [الكهف : 65] وقال وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ [الأنعام : 59] وفي الحديث صفوا كما تصف الملائكة

"404"
كما مر في المبحث قبله . واعلم أن رأس ملائكة التسخير هو القلم الأعلى وهو العقل الأول سلطان عالم التدوين والتسطير . قال الشيخ : وكان وجود هؤلاء مع العالم المهيم غير أن الله تعالى حجبهم عن هذا التجلي الذي هام به غيرهم . الثالث : ملائكة التدبير وهي الأرواح المدبرة للأجسام كلها سواء الطبيعية والنورية والفلكية والعنصرية وجميع أجسام العالم وأطال الشيخ في ذلك ، ثم قال : وقد ذكرنا في الباب الرابع عشر وثلاثمائة أنه ليس للملائكة كسب ولا تعمل في مقام وإنما هي مخلوقة في مقامها لا تتعداه فلا تكسب قط مقاما وإن زادت علوما ما فليست تلك العلوم عن فكر ولا استدلال لأن نشأتهم لا تعطي ذلك مثل ما تعطيه نشأة الإنسان .
(فإن قلت) : فما المراد بالأجنحة في قوله تعالى :جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ[فاطر [1 : ؟
(فالجواب) : أن المراد بهذه الأجنحة هي القوى الروحانية وليس لهذه القوى تصرف إلا فيما كان من مقامها فلا تتعدى مقام صاحبها من الأفلاك ، كما مر في مبحث الإسراء أن غاية كل شيء أن يرجع للمحل الذي صدر منه لكن لا يخفى أن الأجنحة المذكورة ما جعلت للملائكة إلا لينزلوا بها إلى من هو دونهم في العنصر لا ليصعدوا بها إلى من فوقهم فيه وهذا بعكس الطائر عندنا فإنه يهوي بلا أجنحة ويصعد بها فإن أجنحة الملائكة لا تصعد بها فوق مقامها ، فعلم أن الأصل في أجنحة الطائر أن تكون للصعود والأصل في أجنحة الملائكة أن تكون للهبوط فالطير إذا نزل نزل بطبعه وإذا علا علا بجناحه والملك إذا نزل نزل بجناحه وإذا علا علا بطبعه كل ذلك ليعرف كل موجود عجزه وأن لا يمكن له أن يتصرف إلا على قدر ما حد له .
(فإن قلت) : فما المراد بعروج الملائكة فإنه لا يعرج إلا من نزل ؟
(فالجواب) : لا يختص عروج الملائكة بالعلويات كعروج غيرهم بل يسمى نزولهم إلينا عروجا أيضا إظهارا لإطلاق الحكم لله رب العالمين فإن له تعالى في كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه ولا سيما وقد ذكر سبحانه وتعالى أن له جهة العلو على الإطلاق أي سواء وقع

....
عند ربها ، وقال تعالى :إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ[لقمان : 34 .]وقال :وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ[الحجر : 21]
اعلم أن هذه العندية اختلفت إضافتها بحسب ما أضيف إليه من اسم ، وضمير وكناية وهي ظرف ثالث ، فإنه ليس بظرف زمان ولا ظرف مكان مخلص بل ما هو ظرف مكان جملة واحدة على الإطلاق قال وكذلك في قوله تعالى :ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ[النحل : 96] .
فجعل لنا عندية وما هي في ظرف مكان في حقنا قال : وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ما هي فعجب من العلماء كيف غفلوا عن تحقيق هذه العندية التي اتصف بها الحق والإنسان أو طال في ذلك ثم قال:

التجلي في السفليات والعلويات قال تعالى :سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى] (1)الأعلى : 1] .
وقال :وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ]الأنعام : 3] فجعل له العلو سواء كان في السماوات أو في الأرض بقرينة حديث " :أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد " . فافهم فالعلو له دائما .
(قال) الشيخ : وإيضاح ذلك أن الله تعالى أعطى الملائكة من العلم بجلاله بحيث أنهم إذا توجهوا من مقامهم لا يتوجهون إلا إلى الله تعالى لا إلى غيره فلهم نظر إلى الحق في كل شيء ينزلون إليه فمن حيث نظرهم إلى من ينزلون إليه قال :تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ[القدر : 4] . ومن حيث أنهم في نزولهم أصحاب عروج قال تعرج الملائكة وبالجملة فكل نظر وقع إلى الكون من أي كائن كان فهو نزول وكل نظر وقع إلى الحق وقع من أي كائن كان فهو عروج وقد قررنا فيما سبق أن الملك إذا عرج يعرج بذاته لأنه رجوع إلى أصله وإذا عرج الرسول إلى السماء عرج تبعا لذات البراق بحكم التبعية له .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى خطابا لإبليسما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ[ص : 75] ؟
(فالجواب) : المراد به أستكبرت أي : في نظرك وكذلك كان الأمر فإن الله أخبر عنه أنه استكبر وظن بنفسه في باطن الأمر أنه خير من آدم فههنا جهل إبليس .
(فإن قلت) : فهل العالون أرواح أو ملائكة ؟
(فالجواب) : هم أرواح ما هم ملائكة إذن الملائكة هم الرسل من هذه الأرواح كجبريل وأمثاله فإن الألوكة هي الرسالة في لسان العرب فما بقي ملك إلا سجد لأنهم هم الذين قال الله لهماسْجُدُوا لِآدَمَ[البقرة : 34] فلم تدخل الأرواح المهيمنة فيمن خوطب بالسجود فإنه ما ذكر أنه خاطب الملائكة لا الأرواح ولهذا قال :فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(30) [الحجر : 30]ونصب إبليس على الاستثناء المنقطع لا المتصل وهذه الأرواح المشار إليهم بالعالين لا يعرفون أن الله تعالى خلق آدم ولا غيره لشغلهم بالله تعالى فقول الله تعالى لإبليسأَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ[ص : 75] أي : من هؤلاء الذين ذكرناهم فلم تؤمر بالسجود ولا يخفى أن السجود في اللسان هو التطأطؤ لأن آدم خلق من تراب وهو أسفل الأركان لا أسفل منه وسمعت بعض

....

فعندية الرب معقولة * وعندية الهوى لا تعقل
وعندية الله مجهولة * وعندية الخلق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية * وليس لها غير محملقال : والضمير في قوله لها : يعود على الظرفية وفي قوله : هما يعود على عندية الحق والخلق والله أعلم .

[الباب الثامن والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل سرين من أسرار قلب الجمع والوجود]
وقال في الباب الثامن والأربعين وثلاثمائة في قوله تعالى :مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ[النور : 35] الآية . اعلم أن الشجرة التي توقد منها المصباح مثال لهويته

"406"
أشياخنا يقول : إنما لم يأمر العالون بالسجود لآدم لأنهم لا يعرفونه حتى يسجدون له وأيضا فلأنهم ما جرى لهم ذكر في تعريف الله إيانا ولولا ما ذكر الله تعالى إبليس بالإباية ما عرفنا أنه أمر بالسجود ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة . وقال في الباب السابع والخمسين ومائة : أرفع الأرواح العلوية العالون وليسوا بملائكة من حيث الاسم فإنه موضوع للرسل منهم خاصة ، إذ معنى الملائكة الرسل وهو من المقلوب وأصله مآلكة والألوكة الرسالة فلا تختص بجنس دون جنس ولهذا دخل إبليس في الخطاب بالأمر بالسجود لما قال الله للملائكة :اسْجُدُوا *[البقرة : 34] لأنه كان ممن يستعمل في الرسالة في الجملة فالملائكة جنس يعم الأرواح البررة السفرة والجن والإنس فكل صنف فيه من أرسل وفيه من لم يرسل فالنبوة الملكية المهموزة لا ينالها إلا الطائفة الأولى الحافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم أو الأفراد من ملائكة الكرسي والسماوات وملائكة العروج قال : وآخر نبي من الملائكة إسماعيل صاحب سماء الدنيا وكل واحد منهم على شريعة من ربه من باطنية شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، في عالم الأرواح مغياة بغاية وذلك قوله تعالى :وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ(164) [الصافات : 164] . فاعترفوا بأن لهم حدودا يقفون عندها لا يتعدونها ولا معنى للشريعة إلا هذا فإذا أوحى الله تعالى إليهم سمعوا كلام الله بالوحي فضربوا بأجنحتهم وأطال في ذلك .
(فإن قلت) : فما المراد بالأسماء الإلهية التي استند إليها الملائكة المشار إليهم بهؤلاء من قوله :أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ]البقرة : 31] . في إيجادهم وأحكامهم ؟
(فالجواب) : هي سائر الأسماء الإلهية فكان جهلهم بالأسماء نقصا يستحقون به المؤاخذة والتوبيخ كأنه تعالى يقول لهؤلاء الملائكة هل سبحتموني وقدستموني بهذه الأسماء قط ، مع أنكم ادعيتم تسبيحي وتقديسي وزكيتم نفوسكم وجرحتم الخليفة في الأرض ولم يكن ينبغي لكم ذلك .
(فإن قلت) : فهل للملك والحيوان والمعدن والنبات إرادة ؟
(فالجواب) : ليس لهم إرادة تتعلق بأمر من الأمور فهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم دائما به تعالى لا عنه وأما الإنسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو

....

تعالى فإن هويته تعالى لا هي شرقية ، ولا هي غربية ولا تقبل الجهات والزيتونة هنا هي مادة الزيت الذي هو المادة للنور وكنى عن الهوية بالشجرة لأن الشجرة مأخوذة من التشاجر وهو النضاد لأن الهوية حاملة للأسماء المتقابلة كلها كالمعز والمذل ، والنافع ، والضار فانظر يا أخي ما أكمل العبارات الإلهية في الإخبار بما هو الأمر عليه وأطال في ذلك . وقال في قوله صلى الله عليه وسلم :
" أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك " اعلم أن في هذا الحديث إشارة إلى أمة الاختصاص وهم الأولياء المحمديون خاصة فمن زاد على سبعين سنة فما هو محمدي المقام وإنما هو وارث لمن شاء الله من الأنبياء من آدم عليه السلام ، إلى خالد بن سنان عليه

"407"
المعبر عنه بالغفلة والنسيان .
(فإن قلت) : فهل في الأرواح قوة مصورة كما في الإنسان ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وثلاثمائة : أن الأرواح لها قوة التصور وما لها القوة المصورة فإن القوة المصورة تابعة للفكر الذي هو صفة للقوة المفكرة وكذلك الأرواح التي فوق الطبيعة لا يشهدون صور العالم ، ولا يقبلون التصور كالنفس الكلية والعقل والملائكة المهيمين في جلال الله والله أعلم . وفي هذا القدر من أحوال الملائكة كفاية وسيأتي نبذة صالحة من الكلام على ملائكة الإلهام في مبحث الولاية إن شاء الله تعالى .
المبحث الأربعون : في مطلوبية برّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ووجوب الكف عن الخوض في حكم أبوي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحكم أهل الفترتين بين نوح وإدريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنهم يدخلون الجنة وإن لم يكونوا مؤمنين بكتاب ولا سنة رسول
اعلم أنه يستحب بر الأنبياء كلهم والدعاء لهم بأن الله يزيد في درجاتهم رجاء رضاء الله عز وجل عنا ، وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والخمسين وأربعمائة : اعلم أنه ينبغي لكل مؤمن بر أجداده وآبائه المسلمين وغير آبائه من أكابر الأولياء من آدم إلى أبيه الأقرب قال الشيخ : ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم عليه السلام وأمرت أصحابي بذلك فوجدنا أبواب سماء الدنيا التي فيها آدم عليه السلام ، قد فتحت تلك الليلة وعرجت ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله ونزلت ملائكة كذلك وتلقونا بالترحيب والتسهيل إلى أن بهتنا منهم وذهلنا من كثرتهم لأجل صلة أبينا آدم عليه السلام ، تلك الليلة وذلك لأن رحم آدم عليه السلام مقطوعة عند أكثر الناس قال : " ولقد ألهمني الله تعالى صلتها فوصلتها ووصلت بسببي أيضا " . وكان ذلك عن توقيف إلهي لم أر لأحد في ذلك قدما أمشي عليه ، وما قال الحق تعالى في غير موضع من القرآنيا بَنِي آدَمَ[الأعراف : 26] إلا ليذكرنا تعالى بأبينا آدم عليه السلام ، لنصله ومع هذا فلم

....
السلام ، وأطال في ذلك وقال : في حديث السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب أي : لم يكن ذلك في حسابهم ، ولا تخيلوه فبدا لهم من الله خير لم يكونوا يحتسبونه وأطال في شرح كلمات الحديث . وقال : التجلي الرباني في الليل على ثلاثة أقسام وكذلك تجليه في النهار فيتجلى تعالى في الثلث الأول من الليل للأرواح المهيمة وفي الثلث الأوسط للأرواح المسخرة ، وفي الثلث الآخر للأرواح الطبيعية المدبرة للأجسام العنصرية وأما النهار فيتجلى تعالى في الثلث الأول منه للأجسام اللطيفة التي لا تدركها الأبصار ، وفي الثلث الأوسط للأجسام الشفافة ، وفي الثلث الآخر للأجسام الكثيفة وأطال في ذلك وتقدم نحو ذلك في أجوبة

يتنبه أحد لهذه الأبوة ولا للوفاء بحقها وما أشبه هذه الذكرى من الله تعالى بقوله لمريم :يا أُخْتَ هارُونَ[مريم : 28] ، وأين زمن هارون من مريم . وأما وجوب الكف عن الخوض في حكم أبوي النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة ، فللشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله في هذه المسألة ست مؤلفات ، وقد طالعتها كلها فرأيتها ترجع إلى أن الأدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم واجب ، وأن من آذاه فقد آذى الله وقال تعالى :إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً(57) [الأحزاب : 57] . وفي القرآن العظيم :وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا[الإسراء : 15] .ومن طالع فيما نقله أهل السير من كلام عبد المطلب لما أراد نحر عبد الله في قصة حفر بئر زمزم شهد له بالتوحيد ، وصاحب التوحيد سعيد بأي وجه كان توحيده كما سيأتي قريبا في حكم أهل الفترات . قال الجلال السيوطي : وقد ورد في الحديث " أن الله تعالى أحيا أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به " وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وأبو القاسم ابن عساكر وأبو حفص بن شاهين والسهيلي والقرطبي ومحب الدين الطبري وابن المنير وابن سيد الناس والصفدي وابن ناصر الدمشقي وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، ولفظ السهيلي بعد إيراد حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : " سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبويه فقال : ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني القائم يومئذ المقام المحمود " . قال : ففي هذا الحديث تلويح بأنه صلى الله عليه وسلم ، يشفع فيهما في ذلك المقام ليوقف للطاعة عند الامتحان الذي يقع يوم القيامة كما ورد في عدة أحاديث قال المحب الطبري : والله تعالى قادر على أن يحيي أبويه صلى الله عليه وسلم ، حتى يؤمنا به ثم يموتا ويكون ذلك مما أكرم الله تعالى به سيد الأولين والآخرين . انتهى . وقال القرطبي : ليس إحياؤهما وإيمانهما به صلى الله عليه وسلم بممتنع لا عقلا ولا شرعا ، فقد ورد في القرآن إحياء قتيل بني إسرائيل حتى أخبر بقاتله انتهى .
(قلت) : وعلى القول بصحة إحيائهما بعد موتهما فيكون ذلك الإحياء مثل إحياء من قال لهم الله موتوا ثم أحياهم أي : إلى تكملة آجالهم وعلى ذلك فما آمن أبوا النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا في زمن تكليفهما فكأنهما آمنا به قبل أن يموتا كما قال بعض المحققين في سجدة أهل الأعراف من أن ميزانهم ترجح بتلك السجدة يوم القيامة ثم يدخلون بها الجنة فلو لا أن هذه السجدة نفعتهم وسعدوا بها لم يدخلوا الجنة مع أنها ما وقعت إلا بعد موت فيوم القيامة برزخي له وجه

....

شيخنا رضي الله عنه . وقال : الشمس غير غائبة عن الأرض في طلوعها وغروبها وإنما تطلع وتغيب عن العالم الذي فيها والظلام الحادث في الأرض إنما هو اتصال ظلالات ما فيها من العالم فهو على الحقيقة ظل والناس يسمونه ظلاما ومن لا كشف له يسميه ظل الأرض لما هي عليه من الكثافة والدهر من حيث عينه يوم واحد لا يتعدد ولا ليل له ، ولا نهار ، الله نور السماوات والأرض . أي : منورهما وذلك النور مستمر غير منقطع فافهم وقال : لا تقوم الساعة حتى يظهر الكشف في الخاص والعام ، كلما قربت الساعة كان الكشف في الناس أكمل وأتم ، وقال : يخرج النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى فيمشيان إلى الجنة . ثم يخرجان منها إلى

إلى الدنيا ووجه الآخرة إلى الآخرة والله أعلم . وكان الإمام أبو بكر بن العربي المالكي الفقيه المحدث يقول : ما عندي أحد أشد أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ممن يقول : إن أبويه في النار . وفي حديث مسلم : " لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات فيحرم جزما أن يقال : إن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ، في النار " . انتهى قال الشيخ جلال الدين السيوطي : خاتمة حفاظ مصر رحمه الله : وقد صرح جماعات كثيرة بأن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول :وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا[الإسراء : 15] . وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة . قال : وهو مذهبنا لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه والأشاعرة في الأصول ونص على ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه وتبعه على ذلك الأصحاب . قال الجلال السيوطي رحمه الله : ومما يوضح لك أنهما لم تبلغهما الدعوة أنهما ماتا في حداثة سنه صلى الله عليه وسلم ، وصحّح العلائي وغيره أن والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، عاش من العمر ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت في حدود العشرين ومثل هذا العمر لا يسع الفحص على المطلوب في التوحيد على القول بأن الله تعالى لم يحيهما حتى آمنا به مع أن ذلك الزمان الذي كانا فيه كان زمانا قد عم فيه الجهل والفترة انتهى . ولنذكر لك جملة من أحكام أهل الفترتين ليدخل أبو النبي صلى الله عليه وسلم ، في أشرف أقسامهم فنقول :وبالله التوفيق : اعلم أن الموحد سعيد بأي وجه كان توحيده وإن لم يكن مؤمنا بكتاب ولا رسول ويدخل الجنة وذلك أن متعلق الإيمان إنما هو الخبر الذي يأتي به الأنبياء عن ربهم عز وجل وليس بين ظهري أهل الفترتين كتاب ولا رسول حتى يؤمنوا بهما ، وحينئذ يصح أن يلغز بذلك فيقال لنا : شخص مات على غير الإيمان ويدخل الجنة وهو من وحد الله بنور وجده في قلبه ومات على ذلك . وقد قسم الشيخ محيي الدين أهل الفترتين في الباب العاشر من " الفتوحات "إلى ثلاثة عشر قسما وحكم لستة أقسام منهم بالسعادة والأربعة بالشقاء والثلاثة بأنهم تحت المشيئة :

(فأما) السعداء فقسم وحّد الله تعالى بنور وجده في قلبه كقس بن ساعدة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فإن قسا كان إذا سئل هل لهذا العالم إله يقول : البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام على المسير إلى آخر ما قال ، وأما سعيد ابن زيد فكان يسجد ويقول : إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم كما في صحيح البخاري وكان يقول أيضا : إني لأنتظر نبيا من ولد

....

دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر ويظهر الفرات من أردن الروم وهما في غاية الحلاوة وإنما تغير طعمهما عما كانا عليه في الجنة من مزاج الأرض فإذا كان يوم القيامة عادا إلى الجنة .

(قلت) : ومن أين يشرب الناس من حين قيامهم من قبورهم إلى دخول الجنة أم لا ، أحد يشرب حتى يدخل الجنة ، أو يرد الحوض فمن وجد شيئا فليلحقه بهذا الموضع والله عليم خبير . وقال في قوله : إن أحصنت أمتي فلها يوم وإن أساءت فلها نصف يوم يعني : من أيام

"410"

إسماعيل من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، ومن طالت به مدة ورآه مرة فليقرئه مني السلام انتهى . ذكره ابن سيد الناس في سيرته : قال الشيخ محيي الدين : ويسمى من وحد الله تعالى مثل قس صاحب دليل ممتزج بفكر وذلك لأنه ذكر المخلوقات واعتباره فيها ولذلك كان يبعث أمة وحده كما ورد لا تابعا ولا متبوعا .

(وقسم) : وحّد الله تعالى بما تجلّى لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهذا على نور من ربه خالص غير ممتزج بفكر في كون من الأكوان ويحشر هذا يوم القيامة مع الأصفياء الأبرياء .

(وقسم) : ألقى في نفسه واطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره وخلوص يقينه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ، وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمن آدم عليه السلام ، إلى زمن هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربه وهو قوله تعالى :[أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ[هود : 17] . ويتلوه شاهد منه . أي : يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف له فهذا يحشر يوم القيامة في ضياء من خلفه وفي باطنية محمد صلى الله عليه وسلم .

(وقسم) : اتبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود أو تنصر واتبع ملة إبراهيم أو من كان من الأنبياء حين علم وأعلم أنهم رسل الله تعالى يدعون إلى الله تعالى طائفة مخصوصة فتبعهم وآمن بهم وسلك سنتهم فحرم على نفسه ما حرم ذلك الرسول وتعبد نفسه بشريعته وإن كان ذلك ليس هو بواجب عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا إليه فهذا يحشر مع من تبع ذلك النبي يوم القيامة ، ويتميز في زمرته في ظاهريته إذا كان شرع ذلك النبي قد تقرر في الظاهر .

(وقسم) : طالع في كتب الأنبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرف دينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وإن لم يكن دخل في شرع نبي قط ممن تقدم لا سيما إن كان قد أتى بمكارم الأخلاق كحكيم بن حزام وأضرابه فهذا يحشر يوم القيامة مع المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لا في العاملين بشريعته ولكن في ظاهرية محمد صلى الله عليه وسلم .

(وقسم) : آمن بنبيه الذي أرسل إليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وآمن به فله أجران فهؤلاء ستة أقسام : كلهم سعداء عند الله يوم القيامة لتوحيدهم ، وإن لم يتصفوا بالإيمان.

....

الرب الذي هو كألف سنة مما تعدون والمراد بإحسانها نظرها إلى العمل بشريعة نبيها صلى الله عليه وسلم ، وإنما قال صلى الله عليه وسلم : " إن أحسنت وإن أساءت " . ولم يقطع بشيء لعلمه صلى الله عليه وسلم ، أن أحوال أمته بين حكم الاسم الخاذل والناصر وليس ليومهما مقدار معلوم عندنا بل ميزانه لا يعلمه إلا الله قلت :

وقد أحسنت ولله الحمد وجاوزت الخمسمائة سنة المحسوبة من ولاية معاوية فالحمد لله رب العالمين .[الباب التاسع والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل فتح الأبواب وغلقها وخلق كل أمة من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب التاسع والأربعين وثلاثمائة : قد جمع الله بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة حتى لم يبق أحد منهم إلا ورأيته وعرفته وكذلك جمعني تعالى على ورثتهم من الأولياء وعرفتهم وهم لا ينقصون في كل عصر من مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا وأطال في ذلك.

"411"

(وأما) : الأشقياء (فقسم) : عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق (وقسم) : أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي (وقسم) : عطل بعد ما أثبت لا عن استقصاء نظر أو تقليد فذلك شقي (وقسم) : أشرك عن تقليد محض فذلك شقي .

(وأما) : من هو تحت المشيئة (قسم) : عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر إليه لضعف في مزاجه عن قوة غيره فهو تحت المشيئة (وقسم) : أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوته فذلك تحت المشيئة (وقسم) : آخر عطل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه فهو تحت المشيئة .

(فهذه) : أقسام أهل الفترات التي بين إدريس ونوح وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، فإياك أن تحكم على أهل الفترات كلهم بحكم واحد من غير هذا التفصيل فتخطىء طريق الصواب فرحم الله تعالى الشيخ محيي الدين ما كان أوسع اطلاعه فإن هذا التقسيم لم تجده لغيره والله أعلم .

المبحث الحادي والأربعون : في بيان أن ثمرة جميع التكاليف التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام يرجع نفعها إلينا وإلى الرسل لا إلى الله عز وجل فإن الله غني عن العالمين وذلك أنها كفارة لما نرتكبه من المخالفات فما من فعل منهي عنه إلا ويقابله أمر مأمور به يكون كفارة له

إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق نقل بعض العارفين أن سبب مشروعية جميع التكاليف هو الأكلة التي أكلها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام ، من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلتها كفارة لها وتطهيرا لمحلها انتهى .

(وسمعت) : سيدي عليا الخواص رحمه الله ينقل ذلك أيضا عن سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه ، ولا يخفى أن أكل آدم من الشجرة لم يكن معصية حقيقة وإنما كانت صورة

....

]الباب الحادي والخمسون وثلاثمائة في معرفة منزل اشتراك النفوس والأرواح في الصفات وهو من حضرة الغيرة المحمدية من الاسم الودود [

وقال في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة : قد ذهب بعض العلماء إلى أن الإكراه على الزنى لا يصح وذلك لأن الآلة لا تقوم إلا بسريان الشهوة وحكمها فيه قال : وعندنا أنه مجبور في مثل هذا مكره على أن يريد الوقاع ولا يكون الوقاع إلا بعد الانتشار ووجود الشهوة وحينئذ يعصم نفسه من أذى المكره له على ذلك لتوعده له بقتل أو ضرب أو حبس إن لم يفعل فصح الإكراه في مثل هذا بالباطن بخلاف الكفر فإنه يقنع فيه بالظاهر وإن خالفه الباطن فالزاني يشتهي ، ويكره تلك الشهوة من حيث إيمانه ولولا أن الشهوة إرادة بالالتذاذ لقلنا إنه غير مريد لما اشتهاه وأنشد:

ليرى بنيه كيف يفعلون إذا وقعوا في محظور لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ترقيهم دائم فلا ينقلون قط من مقام أو حال إلا لأعلى منه كما مر بسطه في مبحث الأجوبة عن الأنبياء فراجعه .
فكان حكم هذه الأكلة منسحبا على بنيه بالأصالة إلى يوم القيامة إلا من شاء الله تعالى لأن الشجرة كانت مظهرا لارتكاب بنيه النهي فعلا أو هما حراما أو مكروها أو خلاف الأولى ولكل أهل وإن تفاوتت مراتب الناس فأدونهم من يرتكب خلاف الأولى وأعلاهم من ارتكب أكبر الكبائر غير الشرك فإن الشرك لا كفارة له إلا التوبة منه والذي عندنا فيما ورد من إطلاق اسم المعاصي في حق الأنبياء فمحمول على خلاف الأولى لأنهم لا يتعدون قط مرتبة خلاف الأولى ، فمعاصيهم كلها من هذا الباب وإن فعلوا مكروها فإنما يفعلونه لبيان الجواز للأمة توسعة من الله عليهم فلهم في ذلك الأجر كما يؤجرون على بيان المباح بفعلهم له ، وأما معاصي غير الأنبياء فإن كان الولي محفوظا فحظه المكروه ما دامت العناية تحفه فإن تخلفت عنه العناية فقد يقع في الحرام أيضا وأما عامة الناس فربما يقعون في الثلاثة أحوال الحرام والمكروه وخلاف الأولى فعلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لا يشاركون غيرهم في ارتكاب حرام ، ولا مكروه إلا لبيان الجواز ولكن لما شرف مقامهم سمى الله تعالى وقوعهم في خلاف الأولى معصية وخطيئة فافهم .
فما من المكلفين من الأمة أحد إلا وقد وقع في النهي ولو في خلاف الأولى الذي هو كناية عن أكله من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلة وقوع بني آدم فيما ذكرنا وكان في أكل آدم من الشجرة ثم توبة الله عليه واجتبائه واصطفائه فتح باب الذلة والانكسار لبنيه وبيان أنهم كلهم تحت القضاء والقدر في كل ما يتحركون ويسكنون فيه من أمر ونهي ومباح . ولنبين لك أحكام التكاليف من حيث أنها كفارة من باب الطهارة إلى باب أمهات الأولاد فنقول وبالله التوفيق : اعلم أن آدم عليه الصلاة والسلام ، لما أكل من شجرة النهي الذي هو فعل خلاف الأولى بغير إذن صريح من الباري جل وعلا في حال نسيانه وفي حال ظنه أن إبليس لا يحلف بالله كاذبا سمى الحق تعالى ذلك معصية لعلو مقامه ثم بعد التوبة زاد في اعتنائه به بأنه جعل له مذكرا من نفسه لما وقع منه وهو البطنة القذرة المنتنة على خلاف ما كان عليه في تلك الجنة فكان آدم عليه السلام كلما أخذته البطنة من بول أو غائط أو ريح كريه تذكر ما وقع منه فزاد في الاستغفار إجلالا وتعظيما لله عزّ وجلّ ولذلك جاءت شريعتنا

....

من يشتهي الأمر قد تراه * غير مريد لما اشتهاه لكنه أضطر فاشتهاهفي ظاهر الأمر إذ رآه

[الباب الرابع والخمسون وثلاثمائة في معرفة المنزل الأقصى السرياني وهو من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة : من أدب العارف بالله تعالى إذا أصابه ألم أن يرجع إلى الله تعالى بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام ، أدبا مع الله تعالى وإظهارا للعجز حتى لا يقاوم القهر الإلهي كما يفعله أهل الجهل بالله ، ويظنون أنهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض ، فجمعوا بين جهالتين وأطال في ذلك

[الباب التاسع والخمسون وثلاثمائة في معرفة منزل إياك أعني فاسمعي يا جارة وهو منزل تفريق الأمر وصورة الكتم في الكشف من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب التاسع والخمسين وثلاثمائة في قوله تعالى :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ]الممتحنة:

بطلب الاستغفار إذا خرجنا من الخلاء وهذا حكمته وزادت حواء وبناتها على آدم وذكور بنيه الحيضة في كل شهر زيادة على البطنة لتزيينها لآدم عليه السلام الأكل من الشجرة وقطعها الثمرة من الشجرة لآدم حتى أكلها وكانت شجرة التين على خلاف في ذلك ولا يخفى أن عقوبة من يأتي المخالفات وهو مستحسن لها أشد ممن يأتيها مستقبحا لها إذ التأويل يذهب قبح المعصية ، واعلم يا أخي أن تلك الجنة التي كان فيها آدم وحواء ليست محلا للقذر الذي تولد من تلك الأكلة فلذلك أنزلا إلى الأرض التي هي محل العفونات ثم لما أنزلا إليها تولد في بطنهما من تلك الأكلة التي أكلاها من الشجرة البول والغائط والدم والنوم ولذة اللمس للنساء بجماع أو غيره . وتولد في ذريتهما كذلك بسبب أكلهم من شجرتهم الخاصة بهم وبمقامتهم زيادة على ذلك وهو الجنون والإغماء بغير مرض والمخاط والصنان والقهقهة والتبختر والتكبر بإسبال الإزار والقميص والسراويل والعمامة والغيبة والنميمة والبرص والجذام والكفر والشرك وغير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار أنه ينقض الطهارة وكل هذه الأمور متولدة من الأكل كما ذكرنا ، ولا يوجد لنا ناقض للطهارة قط إلا وهو متولد من الأكل والشرب ، فإن من لا يأكل ولا يشرب حكمه حكم الملائكة في عدم وقوعه في شيء ينقض الطهارة مما ذكرناه ومما لم نذكره فإن الملائكة لا تبول ولا تغوط ولا يجري لها دم أصلا ، وكذلك لا تشتهي لذة اللمس ولا الجماع ولا تجن ، ولا يغمى عليها ، ولا تنام ، ولا تعصي الله بقول ولا فعل ولا يبرص لها جسم ولا يلحقها جذام ولا يخرج لها صنان ولا مخاط ولا تضحك إلا تبسما من غير قهقهة ولا تكفر ولا تشرك بالله ولا ترتد عن دينها أبدا ، وإيضاح ذلك أن العبد لا يعصي قط حتى يحجب ولا يحجب إلا حتى يأكل ويشرب فلو لا أنه حجب بالأكل والشرب ما وقع في معصية قط فصح قول الإمام علي رضي الله عنه : " من مس أبرص أو أجذم أو يهوديا أو نصرانيا أو صليبا فليتوضأ " . ولما كانت هذه النواقض كلها من لازمها سوء الأدب مع الله تعالى والغفلة عنه وكان ذلك مضعفا للبدن والقلب حتى ربما ألحقه بالمريض أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم ، وأتباعه المجتهدون بالتطهير بالماء المطلق المنعش للبدن وأمرونا بالتنزه عن كل شيء تولد من الأكل والشرب ، وحرموا علينا الصلاة ونحوها مع وجوده حتى نتطهر بالماء أو التراب بل أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم ، بالتنزه عن مس المحل الخارج منه البول والغائط حتى أن الشارع صلى الله عليه وسلم ، أمرنا

....

[1الآية . اعلم أن الإنسان مجبول على حب من أحسن إليه لأجل إحسانه ، وعلى استجلابه الود من أشكاله بالتودد إليهم ولما علم الله أن الإنسان منطو على ما ذكرنا لم يكتف تعالى بقوله :لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي[الممتحنة : 1] فقط لعلمه أنا لا نقوم في هذا النهي في جانب الحق مقام من يخافه حقا بل زاد تعالىوَعَدُوَّكُمْليبغضهم إلينا بدل محبتهم التي كانت عندنا ولا يؤثر هوانا على مرضاته تعالى قال : وليس في حقنا ذم في القرآن أعظم من هذا فإنه تعالى لو علم منا أننا نؤثره على هوانا لاكتفى بقوله :عَدُوِّيوأطال في ذلك

[الباب الموفي ستين وثلاثمائة في معرفة منزل الظلمات المحمودة والأنوار المشهودة]

وقال في الباب الستين وثلاثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له هل رأيت ربك ؟ فقال : " نور أنّى أراه " فيه إشارة إلى مباينة

"214"
بنضح السراويل التي يمسها الفرج وقال بذلك : أمرني جبريل عليه السلام ، فكان صلى الله عليه وسلم ، ينضح سراويله بالماء كلما توضأ وليس النضح المذكور دفعا للوسواس في حقه صلى الله عليه وسلم ، كما يتوهمه بعضهم لعصمته عن مثل ذلك إذ قيل : إنه نوع من الجنون والحق أن ذلك إنما هو لملامسة السراويل للفرج كما قررنا ذلك . وقد أورد على الولد عبد الرحمن هنا سؤالا فلم يفتح الله تعالى لي فيه بجواب وهو أنه إذا حكم الشارع بنقض الوضوء من لمس الفرج لكونه محلا للخارج فلم لا يأمرنا بالوضوء إذا مسسنا الغائط الذي هو أقبح من محله انتهى . فقد علمت أن القول : بالنقض بمس الذكر والدبر وفرج المرأة ليس لذاتهما وإنما هما لكونهما محلا لخروج الناقض وملامسته إذ لو كان النقض بذلك لذات الفرج من حيث كونه متولدا من الأكل لكان حكم جميع أعضاء البدن كذلك . ولا قائل به فإن جميع الأعضاء قد تولدت من الأكل ونمت به وقد جاءت أقوال المجتهدين وفق الأدلة الواردة في النقض تخفيفا وتشديدا فمنهم المشدد ومنهم المخفف ومنهم المتوسط في الناقض ، وفي الماء الذي يتطهر به فمما اتفقوا على النقض به البول والغائط والجماع والجنون ومما اختلفوا في النقض به لمس المحارم ومس الفرج بباطن الكف ولمس العجوز الشوهاء وخروج الدم من البدن والغيبة والقهقهة ومس الإبط الذي فيه صنان ومس المشركين والأوثان والصلبان وقد جمع بعضهم بين قولي النقض بمس الفرج وعدمه فجعل النقض به خاصا بالأكابر من العلماء وجعل عدم النقض به خاصا بالعوام من أهل الضرورات كالموسوسين في أيام البرد الشديد فليس للأكابر الترخص في ترك الوضوء من جعل الذكر والمرأة إلا لعذر شديد وكذلك القول في كل ما جاء فيه تخفيف وتشديد من الشارع كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى في مبحث أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم فعلم أن الناقض حقيقة إنما هو الطبيعة المتولدة من الأكل حتى القول بنقض الطهارة بخروج حصاة أو عود مثلا إنما الناقض حقيقة ما على الحصاة أو العود من الطبيعة لا نفس الحصاة والعود فإن الطبيعة هي التي تحركت الشهوة بها حتى حجبت العبد عن شهوده لربه عز وجل وليس في الحصاة والعود إثارة شهوة ولو بلعهما المكلف ثم خرجا منه وأما بطلان الصوم ببلعهما فإنما حكم به العلماء سدا لباب الأكل من باب تحريم الحريم ، كما منعوا الاستمتاع بما بين السرة

....

نور الحق لسائر الأنوار فلم يدرك لاندراج نور الإدراك فيه فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به كما أن من شأن الظلمة أن تدرك ولا يدرك بها قال : وإذا أعظم النور أدرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم إنه لا يكون إدراك قط إلا بنور من المدرك لا بد من ذلك عقلا وحسا وأطال في ذلك وقال في قوله تعالى للملائكة :أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ[البقرة : 31] . في هذه الآية توبيخ للملائكة وتقرير كأنه تعالى يقول : هل سبحتموني أو قدستموني بهذه الأسماء حيث قلتموَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ[البقرة : 30] فزكيتم نفوسكم وجرحتم خليفتي في أرضي ولم يكن ينبغي لكم ذلك فما قدرتموني حق قدري قال :
فالمراد بالأسماء هنا الأسماء الإلهية التي استند إليها المشار إليهم بهؤلاء في إيجادهم

"215"

والركبة فرارا من القرب من الفرج الذي هو المقصود بالنهي . وكما حكموا ببطلان الصوم بأكل مقدار سمسمة مع أن ذلك لا يثير شهوة وكما حرموا شرب قطرة خمر مع أن أصل علة التحريم هي الإسكار ، وقس على ذلك دخول الميل في ذكر الصائم أو دبره مثلا فإنهم حكموا على فاعل ذلك بالإفطار مع أنه لا يسمى أكلا ولا شربا لا شرعا ولا لغة ولا عرفا .

(فإن قلت) : فلم وجب علينا تعميم البدن بالغسل من خروج المني مع أنه دون الغائط في الاستقذار بيقين ؟

(فالجواب) : أنه إنما وجب علينا تعميم البدن في الغسل من الجنابة بخروج المني لأنه فرع أقوى لذة من أصله فما وجب تعميم البدن في ذلك إلا من حيث اللذة لا من حيث الاستقذار فإن المجامع لما كان يحس باللذة أنها قد عممت بدنه كله حتى أنه لا يكاد يتعقل شيئا معها أمر بتعميم بدنه بالماء لينعشه من ذلك الفتور الذي حصل للبدن عقب خروج المني فكانت الغفلة عن الله تعالى فيه أكثر من الغائط والبول ولذلك قال أبو حنيفة رضي الله عنه : إن القهقهة في الصلاة تنقض الوضوء لما كانت لا تقع إلا من قلب غافل غير حاضر مع ربه عزّ وجلّ ومعلوم أن حضرة الرب منزهة عن وقوع القهقهة فيها من أحد من أهل حضرتها إنما شأنهم الأدب والبهت والذبول .

(فإن قيل) : فما وجه وجوب تعميم البدن على الحائض والنفساء ؟

(فالجواب) : أن وجه ذلك زيادة القذر الحاصل من دم الحيض والنفاس وكثرة انتشار الدم في محلات البدن بواسطة العرق وغيره ، وأيضا فلبعد الزمن المتخلل بين الحيضات فلا يشق عليها الغسل كلما حصل موجبه بخلاف الحدث الأصغر لقرب زمنه من بعضه بعضا عادة فلذلك خفف الأمر علينا فيه بغسل الأعضاء المفروضة والمسنونة فقط ، لكثرة تكرر سبب حدثها وأيضا . فإن أعضاء الوضوء آلة غالب المعاصي الواقعة من العبد فإذا غسل المتوضىء الحاضر القلب مع الله تعالى أعضاء الوضوء وتذكر عند غسل كل عضو منها ما جناه من المعاصي واستغفر الله تعالى عند ذلك وندم عليه طهر ذلك العضو ظاهرا وباطنا وخرت خطاياه لأن من كان مصرّا على المعاصي ربما لا تخر له خطايا بغسل أعضائه بالماء فافهم بخلافه إذا

....

وأحكامهم ، وأطال في ذلك وقال : ليس للملك والحيوان والنبات إرادة تتعلق بأمر من الأمور ، فهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم به لا عنه ، وأما الإنسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان ، وقال في قول أبي يزيد بطشي أشد أي : من حيث نفسه الحيوانية وذلك لأنه يبطش بمن لا يخلقه فلا رحمة له فيه والحق تعالى إذا بطش بمن خلق فالرحمة مندرجة في بطشه بكل مؤمن فهو أرحم بالعبد من أمه وأبيه فله الحمد ، وقال : الإنكار في التجلي الأخروي خاص بأهل النظر العقلي لا بأهل الكشف وذلك لأن أهل النظر العقلي قيدوا الحق تعالى بعقولهم فلما لم يروا ما قيدوه به في الآخرة أنكروه ألا تراهم

تاب وندم فإذا خطاياه تخر إن قبلت توبته بنص الحديث مع الماء فيدخل حينئذ حضرة الله تعالى التي هي الصلاة على أكمل حال يليق به .
(فإن قيل) : فما وجه اتفاق العلماء على نجاسة البول والغائط من الآدمي دون البهائم التي تؤكل مع أن الآدمي أشرف من البهائم كلها ؟
(فالجواب) : أنا نقول : وما جاءنا الاتفاق على نجاسة بوله وغائطه ، إلا من جهة شرفه فإنه هو المكلف دون البهائم ، فلما أكل من شجرة النهي بالمعنى السابق أول المبحث بخلاف البهائم فإنها لا توصف بطاعة ولا معصية فلذلك خفف في لونها وغائطها ، والقاعدة أن كل من عظمت مرتبته عظمت صغيرته وكان الأصل من حيث العقل عكس ذلك ليسامح المقرب ويؤاخذ المبعد وكان ينبغي لكل من شرفت مرتبته أن يطهر كل شيء خالطه من المآكل والمشارب لكنه لما غفل عن ربه واشتغل بشهوات طبيعته انعكس حكمه فلذلك صارت المآكل والمشارب الطيبة المبخرة بالمسك والعود نجسة خبيثة قذرة بولا وغائطا ودما ومخاطا وصنانا حين صاحبته نحو يوم وليلة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
(فإن قيل) : يفهم من تقريركم هذا أن من كان معصوما ولم يشتغل عن ربه بحكم طبيعته أن يكون بوله وغائطه طاهرا ؟
(فالجواب) : نعم ، وهو كذلك كما أفتى به شيخ الإسلام البلقيني والسبكي والجلال السيوطي وغيرهم ، حتى قال شيخ الإسلام السراج البلقيني : والله لو وجدت شيئا من بول النبي صلى الله عليه وسلم ، وغائطه لأكلته وشربته . وفي الحديث ما يؤيد ذلك فروى الطبراني وغيره نحن معاشر الأنبياء بنيت أجسادنا على أجسام أهل الجنة ا ه . ولذلك كانوا يشمون المسك من موضع برازه صلى الله عليه وسلم ، وأما دليل من قال بنجاسة البول والغائط من النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو كونه صلى الله عليه وسلم ، كان يتنزه عنه ويغسل ما أصاب منه أو يمسحه بالحجر ولو من حيث الجزء البشري .
(فإن قيل) : فلم لم يتفق العلماء على نجاسة فضلات الآدمي كلها من مخاط وبصاق وعرق إبطه لتولده كله من الأكل ؟

....

إذا وقع التجلي لهم بالعلامة التي قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو أنه كان تجلى لهم أولا بهذه العلامة لما أنكروه فافهم ، وقال في قوله تعالى :وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ[النساء : 171] . ثم قال :وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها[التحريم : 12] . وما هو إلا عيسى فقط فجعله تعالى كلمات لها لأنه عليه السلام كثير من حيث نشأته الظاهرة والباطنة ، ومن حيث أن كل جزء منه باطنا أو ظاهرا هو كلمة فلهذا قال :وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها[التحريم : 12] . فأفرد الكلمة باعتبار وجمعها باعتبار وقال في قوله تعالى :إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ(86) [الحجر : 86] . اعلم أن الحق تعالى خلاق على الدوام ولو كان الأمر على ما قاله مخالفو أهل الحق من بقاء الأعراض لم يصح أن يكون الحق تعالى خلاقا على الدوام فهو مع كل مخلوقوَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ

(فالجواب) : إنما لم يتفقوا على ذلك لخفية القبح والقذر فيها وبعدها عن صورة لون الطعام والشراب بخلاف البول والغائط فإنهما يشبهان غالبا لون أصلهما .
(فإن قيل) : فما وجه الأمر بالجمع بين الماء والتراب في نجاسة الكلب ؟
(فالجواب) : وجهه أن الله تعالى جعل سؤره نجسا يميت القلب إذا أكل أو شرب ومعلوم أن من مات قلبه صار لا يحن إلى موعظة ولا إلى خير ولا يهتدي لتوبة إذا وقع في ذنب وما كان يؤثر أكله أو شربه ما ذكر صح التعبير عنه بالرجس والنجس كما قال تعالىإِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ[المائدة : 90]فكما سماها رجسا من حيث ما تورثه من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة فكذلك صح تسمية سؤر الكلب نجسا بالنظر لما يورثه من القساوة في الإنسان ووجب علينا التباعد عنه فلذلك أمرنا الشارع بالجمع بين الماء والتراب في الغسل من سؤره أو غير ذلك من فضلاته لكون الماء والطين إذا اجتمعا أنبتا الزرع بخلاف أحدهما بمفرده إذا وضع على الحب لا ينبت ثمرة ولا يتم له نتاج فكذلك من غسل نجاسة الكلبة بالماء فقط أو التراب بأن مسحها به لا يزيل ذلك الأثر الذي يميت القلب .
(فإن قيل) : فأيّ المذهبين أولى بالعمل من يقول : بطهارته أو من يقول : بنجاسته ؟
(فالجواب) : القائل بنجاسته أولى وأحوط في الدين وإن لم يصرح الشارع بنجاسته لفظا وقد تتبع الإمام البيهقي الأدلة على التصريح بنجاسة الكلب فلم يجده فاستدل على نجاسته بأنه صلى الله عليه وسلم ، نهى عن أكل ثمن الكلب . وقال : لولا نجاسته لما حرم الله تعالى علينا أكل ثمنه انتهى . ومما وقع أن سيدي عليا الخواص رحمه الله نهى شخصا من المالكية عن شرب لبن شرب منه الكلب فقال الفقيه مذهبي أنه طاهر فقال له الشيخ : إن شربت فضلته يميت قلبك فلم يسمع للشيخ فقسا قلبه تسعة شهور وصار يجيء للشيخ ويقول : يا سيدي تبت إلى الله فإن قلبي صار لا يحن إلى قراءة قرآن ولا علم ولا يستلذ بعبادة ، فقال له الشيخ : قد نهيتك فلم تسمع فلو لا أن هذا الفقيه ذاق العلة في نفسه لما آمن بكلام الشيخ وما رأيت أحدا نبه على هذه العلة غيره رضي الله عنه ، فإن قيل : فما الوجه الجامع بين أقوال الأئمة في التطهير بالماء المطلق والمستعمل وما ملحظهم في ذلك.

....

]الحديد : 4] . يحفظ عليكم وجودكم وكنتم أمرا وجوديا بلا شك لا يعلم منه إلا الايجاد والوجود وهذا لا يقال للموجود قط كن عدما ولا كن معدوما ، لاستحالة ذلك . وقال في قوله صلى الله عليه وسلم : " من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة " إنما لم يقل : من مات وهو يؤمن أو يقول : ليعلمنا أن كل موحد لله في الجنة يدخلها من غير شفاعة شافع ولو لم يوصف بالإيمان كقس بن ساعدة وأضرابه ممن لا شريعة بين أظهرهم يؤمنون بها وبصاحبها فقس رضي الله عنه ، موحد لا مؤمن فتأمل . وقال النفس تذكر وتؤنث قال تعالى :أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ[الزمر : 56] الآية فأنث ثم قال :بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِها

"218"
(فالجواب) : أن ملحظهم الأعمال الواقعة من المكلفين فمن كان ملحظه عظمة الذنوب وقبحها اشترط في الطهارة الماء المطلق ومن كان ملحظه غلبة الرحمة على الخلق جوز الطهارة بالماء المستعمل بشرطه لبقاء الروحانية في الماء ولو تكررت الطهارة به بدليل إنباته الزرع فكلما كانت ذنوب العبد أقبح وأكثر طولب باستعمال الماء الذي لم يستعمل قط إلا أن يكون مستبحرا ولا شك أن الماء الذي لم يستعمل أنعش لبدن العاصي ومن شك فليجرب . وللإمام أبي خنيفة في الماء المستعمل ثلاث روايات : (أحدها) : أن المستعمل في الحدث حكمه حكم الماء المتغير بالنجاسة . (ثانيها) : أنه كبول البهائم سواء) . ثالثها) : أنه طاهر في نفسه غير مطهر لغيره كقول الشافعية وهذا أعدل الروايات ، وأما الإمام مالك فيجوز الطهارة بالماء متكررا ما لم يتغير جدا على ما بلغنا فهو أوسع الأئمة قولا في ماء الطهارة ولكل من روايات أبي حنيفة الثلاث وجه فوجه الرواية الأولى : الأخذ بالاحتياط فيجعل غسالة تلك الطهارة كأنها غسالة في الكبائر من زنى ولواط وشرب خمر ، ومرافعة في الناس ، وغيبة في العلماء العاملين والأولياء والصالحين ، وغسالة هذه الكبائر إذا خرجت في ماء قذرته ضرورة وغيرته ، والناس بين مقل ومكثر في ارتكابه هذه الذنوب ومن الناس من يجمع بين فعلها كلها في يوم أو جمعة .
(فإن قيل) : إن الحكم بنجاسة غسالة طهارة الناس يلزم منه سوء الظن بهم ؟
(فالجواب) : لا يلزم من ذلك سوء ظن إنما ذلك احتياط فيعامل الناس كمعاملة من يسيء بهم الظن من غير سوء ظن فلا يلزم من الحكم بنجاسة الماء المستعمل إثبات المعاصي في حقهم .
وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا : إنما قال الإمام أبو حنيفة بنجاسة غسالة ماء الطهارة لأنه كان من أهل الكشف فكان إذا رأى في الماء عرف غسالة كل ذنب وميزه عن غسالة غيره وصاحب هذا الكشف لا يقدر على الخروج عن حكم مشهده لأنه يشاهد الماء قذرا منتنا فكيف يتوضأ منه أو يغتسل وكان سيدي علي رحمه الله يقول : من كشف الله عن بصيرته رأى غسالة الكبائر أقذر وأنتن من بول الكلب والحمار أو جيفتهما انتهى . وأما وجه الرواية الثانية فهو : أن غالب معاصي العباد الذين يتطهرون منها صغائر والأصل عدم وقوعهم في الكبائر أو ندور ذلك بالنسبة لوقوعهم في الصغائر ومعلوم أن الصغائر حالة متوسطة بين

....

]الزمر : 59] . بتاء مفتوحة خطاب المذكر والعين واحدة فإن النفس والعين عند العرب يذكران ويؤنثان وذلك لأجل التناسل الواقع بين الذكر والأنثى ولذلك جاء في الإيجاد الإلهي القول وهو مذكر والإرادة وهي مؤنثة فأوجد العالم عن قول وإرادة فظهر عن اسم مؤنث ومذكر ، فقال :إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ[النحل : 40] . والقول مذكرإِذا أَرَدْناهُ[النحل : 40] والإرادة مؤنثة ،أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[النحل : 40] فظهر التكوين في الإرادة عن القول والعين واحدة وأطال في ذلك بكلام نفيس في التوحيد والله أعلم .

[الباب الأحد والستون وثلاثمائة في معرفة منزل الاشتراك مع الحق في التقدير وهو من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الحادي والستين وثلاثمائة في قوله تعالى في آدم :لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[ص : 75] . بالتثنية اعلم أن كل مخلوق في العالم فهو مضاف

"219"
الكبائر والمكروهات فيكون على قياسه حكم الماء المستعمل حكم النجاسة المتوسطة بين المغلظة والمعفو عنها ، وأما وجه الرواية الثالثة من قول الإمام أبي حنيفة ومن وافقه رضي الله عنه : فهو أن إحسان الظن بالمسلمين واجب بالأصالة ولأن الأصل عدم ارتكاب المتطهرين للكبائر والصغائر أو أنهم ارتكبوها وكفرت عنهم بأعمال أخر ، فما أتوا الماء للطهارة إلا وليس عليهم خطيئة اللهم إلا أن يشاهد إنسانا زنى مثلا ولم يتب فورا ولم يعمل أعمالا تكفر عنه من جناه فهذه ربما يندب للمتورع أن يجتنب ماء طهارته لأن ماءه كماء أهل الرواية الأولى ، فرضي الله تعالى عن الإمام أبي حنيفة ما أدق نظره وما أنصحه لدين الله لعباده رضي الله عن بقية المجتهدين آمين . ثم لا يخفى أن التراب قائم مقام الماء عند فقده فلا يقال : إنا أسقطنا الكلام على التيمم كما لا يقال : إنا أسقطنا الكلام على مسح الخف لأنه لا بد من غسل الرجلين أو مسح الخفين والله تعالى أعلم . فقد بينا لك وجه تعلق الحدث والطهارة بالأكل فتأمله فإنه نفيس . وأما وجه تعلق مشروعية الصلاة بأنواعها بالأكل من شجرة النهي كل أحد بما يليق بحاله من ارتكابه محرما أو مكروها أو بخلاف الأولى فهو أن تعلم أن الصلاة ما شرعت إلا توبة واستغفارا أو تقربا إلى الله تعالى ، وفتحا لباب رضا الحق سبحانه وتعالى عنا حين أكلنا من شجرة النهي أو هممنا به ، فشرع تعالى لنا الصلاة فرضها ونفلها تكفيرا لذلك وفي الحديث تقول الملائكة عند دخول وقت الصلاة : يا بني آدم قوموا إلى ناركم التي أو قدتموها فأطفئوها وقد جمع لما ألحق تعالى في الصلاة جميع عبادات الملأ الأعلى والأسفل لمن يعقلها .

(فإن قلت) : فما وجه تكرارها في الليل والنهار ؟

(فالجواب) : وجهه حتى يتذكر العبد ما جناه من المعاصي والشهوات والغفلات من الصلاة إلى الصلاة كلما توضأ أو صلّى فيتوب ويستغفر داخل الصلاة وخارجها فلو كشف للمصلي لرأى ذنوبه تتحدر يمينا وشمالا عنه في حال قيامه وركوعه فلا يصل إلى حضرة السجود التي هي أقرب ما يكون العبد من شهود ربه وعليه خطيئة واحدة فيناجي ربه عزّ وجلّ في سجوده وهو طاهر مطهر من الذنوب .

(فإن قلت) : فإذا كان لا يصل إلى السجود حتى لا يبقى عليه خطيئة إلا كفرت بالأفعال

....

خلقه إلى يد إلهية قال تعالى :مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً[يس : 71] . فجمع الأيدي وقال في الحديث : " إن الله تعالى غرس شجرة طوبى بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده . " فوحد اليد وثناها ، وجمعها قال : وما أضاف الحق تعالى آدم إلى خلقه بيديه إلا تنبيها على شرفه عنده وأنه هو المقصود من العالم فإن الأنعام خلقها بأيديه مع أنها تحت تسخير بني آدم وإيضاح ذلك أن التثنية برزخ بين الجمع والإفراد ، فهي تقابل الطرفين بذاتها فلها درجة الكمال فإن المفرد لا يصل إلى الجمع إلا بها والجمع لا ينظر إلى المفرد إلا بها فافهم .

(قلت) : قد ذكرنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه ، والله أعلم ثم قال في قوله

"420"
والأقوال التي في الصلاة فأي فائدة للوضوء قبلها ؟
(فالجواب) : أن الوضوء شرط من شروط الصلاة حتى إن الصلاة تصح فتكفر الذنوب ، فإنه إذا انتفى الوضوء انتفت الصحة إلا لعذر شرعي كفاقد الطهورين فمغفرة الذنوب في الصلاة لا تكون إلا باجتماع الوضوء والصلاة وذلك أن من الناس من يموت بدنه بالمعاصي أو يضعف أو يفتر ومن الناس من يموت بدنه بخلاف الأولى أن يضعف أو يفتر ومنهم من يموت قلبه بتوالي الغفلات أو يضعف أو يفتر فإذا تطهر بذلك الماء المنعش لذلك البدن حيي ثم إنه يقوم فيدخل حضرة الحق تعالى في صلاته فيعبد الله تعالى كأنه يراه فهو ما بين تكبير لله عز وجل وتحميد له ، وثناء عليه ، بما هو أهله وسؤال إن الله تعالى يعينه على أداء ما كلف به في هذه الدار حتى الصلاة التي هو فيها وهدايته إلى الصراط المستقيم وموافقة الإمام في قوله آمين فيغفر له ما تقدم من ذنوبه أي : الخاصة بالصلاة وإلا فقد ورد أن من توضأ كما أمره الله خرت خطايا أعضائه كلها حتى يخرج نقيا من الذنوب ثم يكون مشيه إلى صلاة الجماعة رفع درجات فمرادنا بالذنوب التي تبقى إلى الدخول في الصلاة الذنوب الخاصة بها كما مر فعلم أنه لا يخر من الوضوء إلا المعاصي الخاصة به لا بالصلاة ولو كان المراد بالذنوب التي تخر في الوضوء جميع الذنوب بحكم العموم لم يبق بغيره من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك مما ورد في الشريعة شيء يكفر فافهم . وقد قدمنا أن كل منهى له مأمور يكفره هذا إذا أتى بالمأمورات على التمام وإلا احتاجت نفس المأمورات إلى مكفرات كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب أسرار العبادات وهو كتاب نفيس ما وضع مثله فيما أظن ومما يؤيد ما قررناه ما قاله المفسرون في قوله تعالى :إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ[هود : 114] أن المراد بالسيئات هنا الصغائر دون الكبائر إذ الكبائر لا يكفرها إلا التوبة النصوح هذا في أحكام الدنيا ، وأما أحكام الآخرة فقد يكفر الزنى صدقة الزاني برغيف على مسكين كما ورد في قصة العابد الذي عبد الله خمسمائة سنة ثم زنى فوزنت عبادته كلها فرجحت الزنية عليها ثم تصدق برغيف فرجح على تلك الزنية فافهم.

....

تعالى :وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(26] (الحجر : 26] . لما أراد الله تعالى خلق آدم أخذ ترابا لزجا ، وخلطه بالماء فصيره طينا بيديه تعالى كما يليق بجلاله إذ ليس كمثله شيء ثم تركه مدة يختمر بما مر عليه من الهواء الحار الذي يتخلل أجزاء طينته فتخمر ، وتغيرت رائحته فكان حمأ مسنونا متغير الريح قال الشيخ : ومن أراد أن يرى صدق ذلك إن كان في إيمانه خلل فليحك ذراعه بذراعه حكا قويا حتى يجد الحرارة من جلد ذراعه ثم يستنشقه فإنه يجد فيه رائحة الحمأة وهي أصله التي خلق جسمه منها ، وأطال في ذلك بكلام نفيس منزعه الكشف وقال : من علامة من ادّعى أنه صار يذكر الله بالله أن يجد الاحتراق في لسانه حسا حتى يحرق لسانه ولا يكون له أثر قط في النطق فمن لم يشاهد هذا الحرق من الأشياخ فليس هو ذاكر الله بالله وإنما ذلك توهم قال : وقد ذقت ذلك حين ذكرت الله بالله ومكثت على ذلك ست

(فإن قيل) : فإذا كانت الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فلم أمرنا بالنوافل ؟
(فالجواب) : إنما أمرنا بالنوافل جبرا لما يقع في فرائضنا من الخلل والنقص فإن تأدية الفرائض بلا خلل ولا نقص من خصائصِ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وغيره من الأنبياء قال تعالى :وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ[الإسراء : 79] فتأمل قوله لك تعثر على ما قلناه : لا نفل إلا بعد كمال فرض ومن ذلك أيضا سجود السهو فإنه يجبر خلل النقص الواقع بترك الأبعاض كما ورد وكما قيس .
(فإن قلت) : فما كيفية تكملة الفرائض بالنوافل ؟
(فالجواب) : كيفيتها أن يكمل الخلل الذي في أركان الفرائض بأركان النوافل والخلل الذي في نوافل الفرائض كالأذكار المستحبة بالسنن التي في النوافل ، فلا يكمل واجب بسنة ولا عكسه هكذا قال الشيخ محيي الدين في " الفتوحات " والله أعلم .
(فإن قيل) : فما وجه تأكيد الشارع بعض النوافل دون بعض ؟
(فالجواب) : وجهه أنه صلى الله عليه وسلم ، فعل ذلك توسعة على أمته إذ لو أكدها كلها لربما شق ذلك عليهم وقد كان صلى الله عليه وسلم ، يحب التخفيف على أمته ويقول : اتركوني ما تركتكم وصلى ركعتين مرة في جوف الكعبة ثم خرج وقال لعلي : شققت على أمتي انتهى . أي : إذ تأسوا بي في ذلك .
فإن طلوع البيت الغالب فيه المشقة من الرحمة وغيرها وصلى ركعتين قبل المغرب وقال لمن شاء ، انتهى . أي : كراهة أن يشدد أحد من أمته على نفسه بالمواظبة عليها .
(فإن قيل) : فما وجه تعلق مشروعية صلاة الجماعة ، وصلاة السفر ، وصلاة الجمعة ، وصلاة الخوف بالأكل من شجرة النهي ؟
(فالجواب) : وجهه أن من شأن من يأكل الحجاب فإذا حجب تكلف العبادات ومل منها وثقل عليه الخروج لصلاة الجماعة في المسجد البعيد والقريب وخرج عن كمال طاعة الشارع ولو كان في ذلك ذهاب شعار دينه ، فلذلك أمرنا بصلاة الجماعة في المسجد لئلا يذهب نظام

....

ساعات ثم رد على لساني فذكرته بالحضور معه لا به وأطال في ذلك فراجعه . وقال في حديث : إن الله خلق آدم على صورته اعلم أن الصور تطلق ويراد بها الأمر ، والشأن ، والحكم .
أي : جعل آدم يأمر وينهى ، ويعزل ويولي ويؤاخذ ويسامح ويصفح ، ويرحم ونحو ذلك فهذا هو المراد بالصورة فافهم . وقال : الإنسان مجبور في عين اختياره عند كل ذي عقل سليم مع أن جميع ما يظهر عنا من الأفعال يجوز أن يفعله الله تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك في الشاهد ولا ظهر إلا بأيدينا إذ الأعمال لا تظهر أحكامها إلا في جسم قلت : وإن كان هذا حقا وصدقا . وقال أخذ بطرف دون طرف والكمال أن تقول : إن الأعمال لله خلقا ولنا إسنادا

ديننا ويضعف . وعلم الشارع أن نظام الدين في الصلاة يحصل بلا جماعة ما أمرنا بها في الجمعة والصلوات الخمس وما ألحق بذلك من العيدين والتراويح والنوافل وإنما خفف عنا الشارع في صلاة السفر والمرض وجعل للمسافر القصر والجمع تقديما وتأخيرا وللمريض الجمع دون القصر رحمة بنا لما يحصل عادة للمسافر والمريض من المشقة في تأدية الفرائض ومعلوم أن أصل ذلك كله الأكل وكذلك من لا يأكل لا يحصل عنده ملل من عيادته كما قال تعالى في الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكذلك من لا يأكل لا يحصل عنده كسل عن عبادة ولا يأنف من طاعة إمامه وكذلك من لا يأكل لا يخاف من عدو أبدا فإن الخوف إنما حصل من حجاب العبد عن ربه بالأكل فمن لا يأكل لا يخاف أحدا من خلق الله كما هو شأن الملائكة فإن من يجوع كثيرا ولا يأكل أصلا يصير الغالب عليه الروحية والأرواح ملائكة لا تخاف من بعضها بعضا وكذلك من لا يأكل لا يتبختر في مشيته ولا يلبس حريرا ولا ذهبا للتفاخر فتأمل ذلك .
(فإن قيل) : فما وجه مشروعية النوافل المؤكدات التي شرعت فيها الجماعة كالعيدين والصلوات ذوات الأسباب كالكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة وما وجه مشروعية قتل تارك الصلاة جحدا أو كسلا .
(فالجواب) : وجه مشروعيتها أنها شرعت لحكم مصالح للعباد ، وأصل ذلك كله حجابهم بالأكل من شجرة النهي ، فإنهم لما أكلوا منها بحسب مقاماتهم من الحرام إلى خلاف الأولى قلّ خوفهم من الله تعالى فخوفهم الله تعالى بالآيات العظام من كسوف الشمس والقمر والقحط والغلاء فلو لا حجابنا بالأكل ما احتجنا إلى التخويف بالآيات ولا غفلنا عما خلقنا له لا سيما من يأكل الحرام والشبهات فإنه ربما يحجب بالكلية عن مصالح الدنيا والآخرة ، فلذلك شرعت هذه الصلوات مشحونة بالدعاء والاستغفار والتكبير لله تعالى عن جميع وجوه صفات التعظيم التي تبلغها عقولنا أو تكبيره عن أن يخرج شيء في الوجود عن إرادته ومعلوم أن من يأكل الشهوات لا يؤدي حق إخوانه لا أحياء ولا أمواتا لحجابه فلذلك شرعت لنا صلاة الجنازة تكملة لوفاء حقوق إخواننا التي أخللنا بها في حال حياتهم فنفعتهم بصلاتنا عليهم وطلبنا من

....

فنضيفها إلى الله بوجه وإلينا بوجه كما قال تعالى :وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ(96) [الصافات : 96] . وإن كان ذلك حكاية عن قول السيد إبراهيم فقد أقره الحق وارتضاه ، من حيث أن مقام الأنبياء يجل عن أن يحكى خلاف ما الأمر عليه في نفسه والله أعلم .
[الباب الثالث والستون وثلاثمائة في معرفة منزل إحالة العارف ما لم يعرفه على من هو دونه ليعلمه ما ليس في وسعه أن يعلمه وتنزيه الباري عن الطرب والفرح]
وقال في الباب الثالث والستين وثلاثمائة : من عدم الانصاف إيمان الناس بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم الإيمان بها إذا أتى بها أحد من العلماء الوارثين لهم فإن البحر واحد وإذا لم يؤمنوا بما جاءت به الأولياء فلا أقل من أن يأخذه ومنهم على سبيل الحكاية وكما جاءت الأنبياء بما تحيله العقول من الصفات وآمنت به كذلك يجب الإيمان بما جاء به الأولياء المحفوظون وكما سلمنا

"423"
الحق تعالى أن يغفر لهم وأن يسامحهم .وأما الحكمة في مشروعية جماعة العيدين
فهي تأليف القلوب المتنافرة من كثرة المزاحمة على الأغراض النفسانية والمشاحة فيها حتى ربما
تعلق الشخص بما ليس هو من رزقه فلا يكون . وأصل ذلك كله الحجاب بالأكل وكذلك الحكمة
في مشروعية مصالحة الأعداء قبل الخروج لطلب السقيا من الله تعالى إنما ذلك لكون التشاحن
يرفع نزول الرحمة فإذا تصالحوا وتصافحوا وائتلفت قلوبهم نزلت عليهم الرحمة وناسبهم إذ ذاك
الفرح في العيدين والسرور ولبس الثياب النفيسة والحلي للغلمان والنساء والبنات . فلا ينبغي
لمؤمن أن يفارقه العبد وفي قلبه كراهة لأحد من المسلمين إلا بطريق شرعي هذا وإن كان
مطلوبا في كل وقت ففي العيد آكد لا سيما الحجاج في الحرم المكي ، فإن الله تعالى توعد بالعذاب
من أراد فيه بأحد سوءا ولو لم يفعله .وأما وجه تعلق حكم تارك الصلاة جحدا أو كسلا بالأكل من
الشجرة
فهو لكونه لما أكل حجب عن تأدية حقوق الله تعالى وحقوق نفسه بتعريضها للقتل فأمرنا الشارع
بإقامة الحد عليه وإن أدى إلى قتله كفارة لذلك الفعل إلى أن يترك الصلاة جحدا لوجوبها فإنه يقتل
كفرا فهذا كان سبب مشروعية الصلاة بأنواعها وتعلقها بالأكل من شجرة النهي . والله تعالى
أعلم .وأما وجه تعلق الزكاة بأنواعها بالأكل من شجرة النهي فظاهر
وذلك أننا لما أكلنا ما لا ينبغي لنا شرعا إما من حيث الزيادة على الحاجة ، وإما من حيث الحرام
والشبهات حجبنا عن كون الملك لله تعالى في الأموال والأقوات فادعينا الملك فيها لأنفسنا دون
الله تعالى ، وشححنا بما دخل تحت يدنا فلم تسمح نفوسنا أن نعطي منه شيئا لمحتاج بل صار
أحدنا يجمع ويمنع ويتخذ الحلي الذي لم يشرع ومنع حق الله تعالى من المواشي والنقود ومن
المعدن والركاز ومن ربح مال التجارة ونسيت نفسه كون الحق تعالى ألزمها بإخراج الزكاة على
الحكم المشروع فيها حتى أنها لم تخرج زكاة فطرها فحصل بذلك

....

ما جاء به الأصل كذلك نسلم ما جاء به الفرع بجامع الموافقة وأطال في ذلك وقال :الكلام في
كاف ليس كمثله شيء فضول فإن ذلك لا يدرك بالقياس ولا بالنظر ، بل يرجع إلى قصد المتكلم
ولا يعرف أحد ما في نفس المتكلم إلا بإفصاحه عما في نفسه ولم يفصح لنا سبحانه وتعالى من
هذه الكاف هل هي أصلية أم زائدة وأطال في ذلك قلت : قد ذكر الشيخ في الباب الستين وثلاثمائة
السابق أنه ما قال : إن الكاف زائدة في كمثله شيء إلا من لا معرفة له بالحقائق قال : والحق أنها
كاف الصفة انتهى . فليتأمل ويحرر

[الباب الخامس والستون وثلاثمائة في معرفة منزل أسرار اتصلت في حضرة الرحمة بمن خفي مقامه وحاله على الأكوان وهو من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب الخامس والستين وثلاثمائة في قوله تعالى :فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ[البقرة : 152] .
وفي نحو حديث : إن الله لا يمل حتى تملوا

ضيق على الفقراء والمساكين وابن السبيل وغيرهم من الأصناف ، فلما حصل الضيق المذكور أمرنا الشارع بإخراج نصيب معين من كل نوع من أموال الزكاة تطهيرا لنا ولأرواحنا من الرجس الحاصل بمنعها من سواد القلب وغضب الرب وقلة البركة في الرزق وما سماها الله تعالى زكاة إلا ليتنبه المؤمن الكامل على كثرة نمو أمواله إذا أخرج حق الله تعالى منها وعدم نقصها بذلك الإخراج قال تعالى :وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ[سبأ : 39] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، : " ما نقص مال من صدقة " .وأما وجه تعلق نوافل الزكاة بالأكلة المذكورة

فهو أن العبد إذا أكل ما لا ينبغي حجب وإذا حجب لم تطب نفسه بإخراج الزكاة فأخرجها كارها لها أو ناقصة العدد أو رديئة فأمرنا الشارع بصدقة النافلة جبرا لذلك الخلل كما تقدم نظيره في نوافل الصلاة ، وأما زكاة الفطر فإنما أمرنا بها ليصعد صومنا إلى محل القبول فقد ورد في الحديث صوم رمضان معلق بين السماء والأرض حتى يؤدي زكاة الفطر وما عوقه عن الصعود إلا الخلل الواقع في الصوم من حجاب الأكل في الليل ولولا أن الأكل ما نقص للمكلف عمل ولكان يأتي به كاملا من غير أن يخرقه بغيبة أو نميمة أو شتم أو أكل حرام أو نظر إلى محرم عليه ونحو ذلك والله تعالى أعلم .وأما وجه تعلق مشروعية صوم رمضان وغيره بالأكلة المذكورة

فهو أن الله تعالى جعل الصوم تطهيرا للنفوس وتقوية للاستعداد والتوجه إلى الله تعالى في قبول توبتنا من سائر الذنوب التي وقعنا فيها لما حجبنا بالأكل وذلك أن الصوم يورث رقة القلب وزوال الحسد ويسد مجاري الشياطين التي انفتحت بالأكل في سائر البدن حتى صار البدن كطاقات شبكة الصياد ، فإن العبد إذا جاع ثم تعشى بقدر السنة وتسحر بقدر السنة فقط لم يزد في السحور على ثلاث تمرات مثلا ضاقت على الشيطان المجاري حتى لا يجد له مسلكا يدخل منه إلى بدن الصائم ليوسوس له بما يريد منه ولذلك ورد الصيام جنة يعني : على البدن ما لم يخرقه بغيبة ولا نميمة فلو فرض أن عبدا صام الصوم الشرعي ولم يخرق صومه بشيء

....

اعلم أن الحق تعالى لا يعامل عباده إلا بما يعاملونه به فهو تعالى بحكم التبعية لهم في ذلك وإن كان ابتداء الأمر منه ولكن هكذا علمنا وقرر لدينا فننسب إليه تعالى ما ينسبه لنفسه ولا يمكن لنا إلا ذلك فهي من حكم تبعية الحق تعالى للمخلوق تنزلا للعقول وأطال في ذلك .

وقال فيه سبب غلط منكري النبوة من الحكماء قولهم إن الإنسان إذا صفى جوهرة نفسه من كدورات الشهوات وأتى مكارم الأخلاق العرفية انتقش في نفسه ما في العالم العلوي من الصور بالقوة فنطق بالغيوب واستغنى عن الوسائط والأمر عند أهل الله ليس كذلك وإن جاز وقوع ما ذكروه في بعض الأشخاص وذلك أنه لم يبلغنا قط عن أحد من نبي ولا حكيم ، أنه أحاط علما

لكان محفوظا من الشيطان من رمضان إلى رمضان .
(فإن قيل) : فلم كان رمضان ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين يوما بحسب تمام الشهر ونقصه ؟
(فالجواب) : قد ورد أن تلك الأكلة التي أكلها آدم عليه الصلاة والسلام ، من الشجرة مكثت في بطن آدم شهرا والشهر يكون تارة ثلاثين وتارة تسعا وعشرين ثم خرجت فاستمر حكم تلك المدة في بنيه فلو لا أكله عليه السلام ، من الشجرة التي هي مظهر خلاف الأولى كما مر ، ما فرض صوم رمضان عليه وعلى بنيه لا سيما من أكل من الحرام والشبهات .
(فإن قيل) : فلم شرع صوم النفل ؟
(فالجواب) : شرع جبرا للخلل الواقع في صوم الفرض نظير الصلاة والزكاة ، فلما علم الشارع من أمته أنهم لا يؤدون عبادة صومهم على وجه الكمال شرع لهم زيادة على صوم رمضان صوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وغير ذلك وقد ورد أن آدم عليه السلام ، لما أكل من الشجرة اسود جسده إما باعتبار البنية في نظر أهل الحجاب وإما إظهارا لحصول سيادته بذلك في نظر العارفين إذ الأنبياء لا ينقلون قط من حال إلا لأعلى منها لدوام ترقيهم في المقامات لعصمتهم ، كما مرّ بسطه في مبحث عصمة الأنبياء فأمره الله تعالى لما اسود جسده أن يصوم ثلاثة أيام الليالي البيض فزال بكل يوم ثلث سواد بدنه وذلك واقع لكل من وقع في مخالفة الأمر من بنيه بعده ولكن لا يشعر بذلك إلا من كشف الله عن بصيرته وما منا إلا من وقع ولو في مكروه وقد وقع لشخص من تلامذة الجنيد رضي الله عنه أنه نظر إلى أمرد جميل فاسود وجهه في الحال حتى صار كالزفت الأسود فما زال حتى استغفر له الجنيد ثلاثة أيام ومن الحكمة في صوم هذه الثلاثة أيام أن كل شهر ورد على العبد فهو ضيف نزل به من قبل الحق جل وعلا وحق الضيف ثلاثة أيام فإذا استوفى قراه ذهب شاكرا صنيع العبد معه لله تبارك وتعالى .
(فإن قيل) : فلم خصّ الشارع الثلاثة المذكورة بالثالث عشر وتالييه ؟

....

بما يحوي عليه حاله في كل نفس إلى حين وفاته بل يعلم بعضا ، ويجهل بعضا لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف ذلك ، وأطال في رد أقوال منكري النبوة .
(وقال) : فيه لقد عملت على تحصيل إيماني بما جاء من عند الله ولم أكتف بالسماع حتى علمت من أين آمنت وبماذا آمنت لكن مجملا وما زحزحني علم ما رأيته وعاينته عن إيماني فلم أزل أقول ، وأعمل ما أقوله ، وأعمله لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا لعلمي ولا لشهودي أنا فواخيت بين الإيمان والعيان " قال : وهذا مقام ما وجدت له ذائقا إلى وقتي هذا وإن كنت أعلم أن في رجال الله من يناله لكن ما اجتمعت به قال : وكذلك أشهدني الله تعالى جميع أنبيائه وأوليائه من آدم

) فالجواب) : إنما خصها بذلك لأن من جملة إكرام الضيف تعجيل إكرامه سواء كان قبل إطالة الجلوس أو في وسط المدة أو قبل انصرافه ولذلك شرع صوم ثلاثة أيام من آخره أيضا ليفارق الشهر ذلك العبد على أثر الإكرام .

(فإن قيل) : هل تحصل السنة بصيام الثلاثة أيام متفرقة في غير الثالث عشر وتالييه ؟

(فالجواب) : نعم لكن يفوته كمال السنة .

(فإن قيل) : فلم شرعت الكفارة لمن جامع في نهار رمضان بشرطه ؟

(فالجواب) : أن الكفارة شرعت لتكون حجابا بين العبد وبين ما عرض نفسه له من حلول البلايا وهي العقوبات بارتكاب المخالفة وأصل ذلك كله الأكل فإنه لما أكل ما لا ينبغي له حجب فانتهك حرمة رمضان بالجماع فشرعت له الكفارة كما شرعت للمظاهر والقاتل والحالف فإن البلاء إذا أراد أن ينزل من حضرة الاسم المنتقم يجد الكفارة قد سترت ذلك العاصي في ظل جناحها واكتنفته وصارت عليه جنة ووقاية فرجع البلاء غير نافذ كل ذلك لسبق الرحمة الغضب على من عصى الله تعالى فهذا كان سبب مشروعية الصوم فرضا ونفلا .وأما وجه تعلق مشروعية الاعتكاف عقب الصوم وكلما دخل المسجد في أي وقت شاء بالأكلة المذكورة

فهو أن العبد إذا أكل حجب فغفل فنسي مراقبة الله عز وجلّ فوقع في المخالفات فشرع الشارع العبد كل قليل أن يعتكف بقلبه وبدنه في بيت الله الخاص مستشعرا به أنه بين يدي الله تعالى ليجبر ذلك الخلل الحاصل بالغفلة عن الله عز وجل المؤذنة بإرخاء العنان في تناول الشهوات ولذلك حرم عليه الشارع أن يباشر امرأته أو حليلته في المسجد لا سيما حال الاعتكاف خروجا عن مقام الإدلال في حضرة الحق فإن الإدلال فيها يجر إلى العطف فلا يناسبها إلا الخوف المحض والهيبة والجلال لا الترفه بالجماع ومقدماته فإن ذلك ينافي الأدب ولو أنه وقع في شيء من ذلك لتعدى حدود الله ومن هنا أوجب بعض الأئمة الصوم في الاعتكاف سدا لباب الترفه جملة واحدة أدبا مع الله تعالى وقالوا : لا ينبغي للمعتكف أن يعود

....

إلى يوم القيامة خاصهم وعامهم كما تقدم ذلك في الباب التاسع والأربعين وثلاثمائة .

(قلت) : وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة : أنه رأى جميع المؤمنين كذلك من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة في صعيد واحد ، وأنه صاحب من الرسل غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة ، منهم إبراهيم الخليل قرأ عليه القرآن وعيسى تاب على يديه أول دخوله في الطريق . وموسى أعطاه علم الكشف ، والإفصاح عن الأمور وعلم تقليب الليل والنهار ، وقال :

ومن حين حصل عندي هذا العلم زال الليل وبقي النهار ، في اليوم كله فلم تغب شمسي ولم

مريضا ولا يشهد جنازة لأنه في حضرة الله الكبرى والعيادة وصلاة الجنازة تفرقه وتخرجه من تلك الحضرة وثم مقام رفيع وأرفع والله أعلم .وأما وجه تعلق مشروعية الحج والعمرة بالأكل من الشجرة

فهو أن الله تعالى شرع الحج تكفيرا للذنوب العظام التي لا يكفرها شيء إلا الحج وقد تقدم في الكلام على مشروعية الوضوء والصلاة أن لكل مأمور شرعي تكفيرا خاصا لمنهي خاص .
وأصل وقوعنا في الذنوب حتى احتجنا إلى المكفرات هو الأكل ، فلو لا الأكل لما احتجنا إلى مكفر وكان الحج آخر ما وجب على آدم من المكفرات فإنه صلى الله عليه وسلم ، تلقى الكلمات من ربه في تلك الأماكن فتاب عليه وهدى ، قال ابن عباس : والكلمات هي قوله :رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ[الأعراف : 23] . وقد تقدم في مبحث عصمة الأنبياء أن ذنب آدم عليه السلام لم يكن ذنبا في الحقيقة وإنما ذلك صورة ذنب ليعلم بنيه إذا وقعوا في مخالفة كيف يتوبون فلذلك أمره الحق تعالى بالحج تكفيرا لتلك الأكلة التي صورتها صورة المخالفة فافهم .
(فإن قيل) : فلم كان الحج على الناس مرة واحدة في العمر فقط . ولم يتكرر كالصلاة والصوم وغيرهما ؟
(فالجواب) : إنما كان مرة واحدة تخفيفا من الله عزّ وجلّ لضعفنا ولكثرة المشقة علينا في السفر للحج كل سنة ، لا سيما في حق أهل البلاد البعيدة وقالوا : من ورد حضرة الله عز وجل الخاصة مرة واحدة في عمره لم تمسسه النار أبدا .
(فإن قيل) : فما حكمة التجرد عن لبس المخيط ؟
(فالجواب) : ذلك إشارة إلى أن من أدب كل داخل للحضرة الإلهية أن يدخل مفلسا متجردا عن شهود حسناته السابقة ، وتائبا من جميع زلاته ، إذ الأمداد الإلهية إنما هي الخاصة بالفقراء والمساكين غالبا وقد أجمع أهل الله قاطبة على أنه لا يصح دخول حضرة الله قط . لا غني ولا متكبر قال تعالى :إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ[التوبة : 60] ، فلما تجرد

....

تطلع وكان لي هذا الكشف إعلاما بأنه لاحظ لي في الشقاء في الدار الآخرة قال : ولم يكلمني إلا هود عليه السلام ، انتهى . وقد ذكرنا في أجوبة شيخنا حكمة كونه لم يكلمه إلا هود عليه السلام ، فراجعها والله أعلم . وقال : سعي الإنسان في عدالته عند الحكام لقبول شهادته من باب السعي في حق الغير لا في حق نفسه وذلك لأمور تطرأ فإنه إذا لم يكن عدلا لم يقبل الحاكم شهادته وربما ظهر الباطل على الحق فوجب السعي في العدالة لهذا قال عليه الصلاة والسلام : “ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر “ . فلم يكن مراده صلى الله عليه وسلم ، إلا إعلام أمته بمقامه ليريحهم من تعب يوم القيامة ، ولا يمشون في ذلك اليوم إلى نبي بعد نبي كما تمشي الأمم

المحرمون مما ذكرنا استحقوا مواهب الله تعالى ، وفضله عليهم وفي الحديث : " من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " . فكأن المحرم يولد هناك ولادة جديدة ثم لا يخفى أن سبب دعوى الغنى والتكبر إنما هو الأكل فإنه أكل حجب فنازع الصفات الإلهية في الكبرياء والعظمة ودعوى الغنى فحرم بركة إمداده .
(فإن قيل) : فما وجه تعلق بعض الناس بأستار الكعبة ؟
(فالجواب) : أن ذلك نظير تعلق الرجل بثوب صاحبه إذا كان بينه وبينه جناية ليصفح عنه ويسامحه وإلا فمن أدب الأكابر عدم التعلق بأستار بيت الله الخاص لما لا يخفى فقد كمل لآدم عليه السلام ، بالحج كمال مقام التوبة من أكله من الشجرة على ما قررناه وكذلك كمل لذريته بحكم التبع كمال توبتهم ، فمن لم يحج لم يحصل له كمال التوبة من حيث الذنوب الخاصة بالحج التي لا يكفرها إلا هو كما مر في الكلام على الوضوء والصلاة وإنما قلنا كمال التوبة ولم نقل لم تحصل له التوبة من أجل أن الندم وقع من آدم لما أكل من الشجرة وكذلك الحكم في كل مؤمن من ذريته لا بد من ندمه عقب المعصية أمر لازم لكل من رد إليه عقله بعد الزلة ومعلوم أن الندم هو معظم أركان التوبة لاستلزامه عادة وجود بقية الأركان وقد ورد أن آدم عليه السلام ، لما حج البيت قال : " يا رب اغفر لي ولذريتي " ، فقال الله عزّ وجلّ : أما أنت فقد غفرت لك ذنبك حين ندمت وأما بنوك فمن أتاني لا يشرك بي شيئا غفرت له ذنوبه فهذا كان أصل مشروعية الحج وتعلقه بالأكل من شجرة النهي كل حاج بما يناسبه يكفر عنه الحج ذنوبه كلها من الكبائر إلى خلاف الأولى .وأما وجه تعلق البيع والشراء وسائر المعاملات وتوابعها بالأكلة المذكورة فهو أن الإنسان إذا أكل حجب وإذا حجب حاف في البيع والشراء وغش وجار وظلم فشرع له البيع على الميزان الشرعي دفعا للحيف والجور فإن الإنسان إذا حجب ربما أكل أموال الناس بالباطل ضرورة وشرهت نفسه وكثر ظلمه واشتدت ظلمة باطنه ، ومن لازم ذلك كثرة محبة الدنيا حتى أنه يصير يتلقى الركبان ويبيع الناس بالربا ويمتنع من قرض المحتاجين إلا إن

....

فيقتصرون على محمد صلى الله عليه وسلم ، بما أعلمهم من ذلك بأن الرجوع إليه آخر الأمر والله أعلم .

[الباب السادس والستون وثلاثمائة في معرفة منزل وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان الذي بشر به رسول الله ص وهو من أهل البيت]

وقال في الباب السادس والستين وثلاثمائة ، جملة الأمور التي ينفذ فيها حكم الحاكم ثلاثة : الدماء والأعراض والأموال ، لا غير . وقال فيه في قوله تعالى :وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ[الفتح : 6] . الآية . اعلم أن غضب الله تعالى في الدنيا على عباده هو ما أمر بإقامته عليهم من الحدود والتعزيرات ، وأما غضبه في الآخرة فهو ما يقيمه من الحدود على من استوجب النار ، وهو تطهير إلا في حق الكفار فافهم . وقال : إنما نهى الحاكم عن الحكم حالة الغضب لأنه ربما خلط مع إقامة الحدود التشفي من المحدود لحظ نفسه فيحرم الأجر من تلك الحيثية لأن الأمر

راباهم وربما باع وندم أو اشترى وندم فشرع له الخيار ، وربما غصب الأموال واحتكر الطعام على الناس فجاءت الشريعة بالنهي عن الاحتكار والغصب وربما جحد البيع أو الشراء فشرع التحالف قطعا للنزاع وربما اشترى الثمرة قبل التأبير فادعاها المشتري أو اشترى عقارا فقط فادّعى ما فيه من المنقولات وهكذا فشرع له أحكام باب بيع الأصول والثمار وأمر بإعطاء كل ذي حق حقه على يد شهود عدول ليرجع إليهم كما هو الغالب على أهل الدنيا وسبب مشروعية ذلك كله إنما هو الأكل لما أكل حجب عن جميع الحقوق التي ذكرناها ثم إن الشارع صلى الله عليه وسلم ، لما علم حجاب أمته بالأكل عن إرفاق بعضهم بعضا على حكم المسامحة اللائقة بإخوة الإسلام وسع صلى الله عليه وسلم ، على الناس بالسلم والرهن وضرب الحجر على من عليه ديون الناس ولا يجد لها قضاء حتى إن المفلس لا يحبس ويحجر على السفيه حتى لا يتلف ماله في غير طريق شرعي فإن الله تعالى قد جعلها له قياما وأصل وجود السفه في الإنسان إنما هو من الأكل وكذلك وسع صلى الله عليه وسلم ، على الناس بالعارية والوديعة والشركة والوكالة والشفعة والحوالة وأمرهم أن يقروا بما عليهم من الحقوق في هذه الدار قبل الدار الآخرة ، وأصل ذلك حجابهم بالأكل عن شهود مصالحهم ومصالح إخوانهم وكذلك شرع لأمته أن يضمنوا بعضهم بعضا ويصالحوا ببعض ديونهم إذا عجز المديون عن الوفاء ، وكذلك نفس صلّى الله عليه عن أمته بالمساقاة والقراض والإجارة ووسع عليهم في إحياء الموات وأمرهم برد اللقطة واللقيط وإعطاء الجعالة من رد الآبق لما حجبوا عن فعل ذلك مع إخوانهم وأصل حجابهم الأكل فلو لا الأكل لكان الناس كلهم يتعاونون على البر والتقوى من غير مخالفة فيكونون كالملائكة لا يتصرفون قط إلا في خير ولا يقعون في شر البتة . وتأمل الملائكة تجدهم منزهين عن الوقوع في شيء من هذه الأمور لعدم حجابهم وأما الهبة والهدايا والوقف فإنما شرع ذلك شكرا للنعمة الحاصلة بالبيع والشراء فهي نوع آخر معدود من مكارم الأخلاق ، وإنما كان الوقف لا يصح إلا على التأبيد مبالغة في دوام المعروف والصدقة بعد الموت وجبرا للخلل الواقع من صاحب المال طول مدة كون المال في يده فلو كان كل من وجده محتاجا أعطاه حاجته أولا فأولا ما شدد عليه في تأبيد الوقف وكان يكفيه أن يقدر له مدة معلومة انتهى .

(فإن قيل) : فما وجه تعلق باب الفرائض وبيان قسمتها بالأكل من الشجرة ؟

....

لا يحتمل الشركة ، وعلامة الصادق في أنه خلص من حظ نفسه أن يزول الغضب منه على ذلك الشخص عند الفراغ من إقامة الحد حتى ربما قام إليه ، وعانقه وآنسه ، وأظهر له السرور والبشاش من حيث أن الله تعالى طهره قال تعالى :وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ[محمد : 31] . فالله تعالى يبتلي عباده بما كلفهم به فإذا عملوا ذلك ابتلى أعمالهم هل عملوها بخطاب الحق أم عملوها لغير ذلك ، وهو قوله تعالى :يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ(9) [الطارق : 9] .وأطال في ذلك ثم قال : وإن كان ولا بد للحاكم من الفرح بإقامة الحد على المحدود فليكن ذلك لما أسقطه ذلك الحد من المطالبة في الآخرة . قال : وليس عندنا في مسائل الأحكام المشروعة أصعب من الزنى خاصة

“ 430 “

(فالجواب) : إن وجهه أنه لما أكمل حجب فشرهت نفسه عن أن يعطي غيره من مال مورثه شيئا ، فجعل الله تعالى لكل وارث نصيبا مفروضا دفعا للفساد وكانت الوصية في مرض الموت أو غيره كالنافلة مع الفريضة ليجبر خلل ما أخل به من المعروف مدة عمره ولذلك ورد أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تؤمل البقاء وتخاف الفقر وليست الصدقة إذا بلغت الروح الحلقوم فقلت لفلان كذا ولفلان كذا . الحديث بالمعنى في بعضه أي : فإن ذلك قليل الثواب بالنسبة لصدقة الإنسان حال صحته فالحمد لله رب العالمين فهذا كان سبب مشروعية ربع البيع كله وتعلقه بالأكلة المذكورة والله أعلم .وأما وجه تعلق مشروعية النكاح وتوابعه بالأكلة المذكورة فظاهر وذلك أن شهوة النكاح ما نشأت إلا من الأكل فلو لا الأكل لما وجد في الناس شهوة وكان الناس كالملائكة وإنما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالنكاح ، وقال : “ شراركم عزّابكم “ . ولم يكتف فيه بالوازع الطبيعي شفقة علينا وتقوية لقلب من يستحي من فعل ذلك ، بل أكثر الناس يستحيون من ذكره فضلا عن فعله ، وأيضا فإنما أمرنا بالنكاح لنكون بذلك تحت طاعة الشارع وممتثلين لأمره لا تحت طاعة نفوسنا فنثاب بذلك بل بعض الأولياء ربما يحضر مع الله تعالى في حال جماعه كما يحضر معه في حال صلاته من حيث جامع المشروعية من كل منهما ، وأيضا فإن حثه صلى الله عليه وسلم لنا على التزويج يورث الإكثار منه فيكثر بذلك نسلنا وذرارينا ليستغفروا لنا ولتكون أعمالهم الصالحة من جملة حسناتنا فإننا كنا محلا لوجودهم فينا ومنا ليس علينا من أوزارهم شيء كما أنه ليس على آدم عليه السلام ، من أوزار أولاده المخالفين لأمر الله عز وجل ، شيء ونرجو من فضل ربنا قبول استغفار ذريتنا لنا وأن يعفو عنا ربنا ويصلح بذلك حالنا هذا هو الأصل في الغرض بالنكاح .وأما حكم دفع شهوة الزنى ومقدماته فإنما ذلك بحكم التبع لتلك المنافع الحاصلة لنا من أولادنا.

....

فإنه ولو أقيم عليه الحد فإنه يبقى عليه بعد إقامته مطالبات من مظالم العباد انتهى . فليتأمل ، ويحرر . وقال : من أراد الأجر التام فلا يقدم شيئا على تلاوة القرآن لأجل سماع الملائكة السياحين فإنهم لا يقدمون شيئا على سماع القرآن لأنه أشرف أرزاقهم وأعلاها ، ومن لم يتيسر له تلاوة القرآن فليجلس لبث العلم لأجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم لكن لا يتعدى علوم القرآن . قال :واعلم أن جميع ما أتكلم به في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه فإني أعطيت مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه وذلك كله حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى . وقال في قوله صلى الله عليه وسلم : “ والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه “ اعلم أن حركات جميع الأئمة العادلة لا تكون قط إلا في حق الغير لا في حق نفوسهم بالأصالة فإذا رأيتم

“ 431 “

وأما وجه تعلق محرمات النكاح بالنسب والمصاهرة بالأكلة المذكورة

فهو أن العبد لما أكل ما لا ينبغي أظلم قلبه فقل حياؤه ، فربما اشتهى وطء محارمه فحرم الله تعالى عليه ما حرم من المحارم ومن النساء من لا كتاب لهن من المشركين ولولا بيان الشارع لنا صلى الله عليه وسلم لذلك لنكحنا محارمنا .وأما وجه تعلق باب الخيار والإعفاف ونكاح العبد بالأكلة من الشجرة

فلأن نفرة أحد الزوجين من الآخر بعاهة من العاهات إنما سببه الشهوة الطبيعية الناشئة من الأكل فلو لا الأكل ما حصل لأحدهما جنون ولا جذام ولا برص ولا عنة ولا نفر من الرتقاء ولا القرناء كما لا ينفر منها الملك لعدم الشهوة إلى وطئها وكذلك لولا حجابه بالأكل ما خفي عليه وجوب إعفاف والده إذا تاقت نفسه إلى النكاح ولا كان امتنع من تزويج عبده مع استخدامه في مهماته ليلا ونهارا . وأما وجه تعلق هذا بالإصهار قبل التزويج ووزن الصداق بالأكلة المذكورة فإنما شرع ذلك استجلابا لميل خاطر الولي والزوجة إلى إجابة الخاطب فإن خاطر الولي والمرأة إذا كان مائلا إلى الزوج بالمحبة أسرع بالحمل وجاء الولد نجيبا وكثر النسل لعدم الأمر المنغص للخاطر من كراهة المرأة وأهلها للزوج وأصل وقوع المنغصات كلها من الأكل فإنه إذا أكل حجب وإذا حجب عمي عن إكرام أصهاره ، ومن أمره الله تعالى بموالاتهم من المسلمين ، وكذلك القول في سبب مشروعية القسم والنشوز ووجود الشقاق بين الزوجين أصله كله الأكل فلو لا الأكل لما حجب الزوج ولما حاف ولما ظلم ولكان يعدل بين زوجاته لانتفاء الأغراض النفسانية حينئذ ، وكذلك لولا الأكل لما أخلت المرأة بحق زوجها ولما كفرت نعمته ولو أن الزوجين أكلا ما ينبغي لم يقع منهما حيف ولا جور كما هو شأن الأنبياء والأولياء .وأما وجه تعلق الخلع والطلاق والرجعة والإيلاء والظهار بالأكلة المذكوة

فسببه أيضا الأكل ، وذلك أنه إذا شبع من الحلال فضلا عن الحرام وبطر جاعت جوارحه

....

السلطان قد اشتغل عن مصالح رعيته وما يحتاجون إليه فاعلموا أنه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل ولا فرق حينئذ بينه وبين العامة ، وتأملوا قصة موسى لما خرج لحاجة أهله كلمه الله في عين حاجته وهي النار وكذلك الخضر بعثه أمير الجيش الذي كان فيه يرتاد له ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش إلى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة فهذا مما أنتجه سعيه في حق الغير قال : ولقد لقيت الخضر بإشبيلية ، وأفادني التسليم لمقالات الشيوخ وأن لا أنازعهم وإن كانوا مخطئين في نفس الأمر وقال في قوله تعالى :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا[النساء : 136] .مراده بهؤلاء الذين أيه بهم باسم الإيمان هم

فخاصم وفجر وكان من أقرب الناس إليه في ذلك زوجته فضاجرها وغايرها بالضرائر والسراري حتى سألته الطلاق بعوض منها لتستريح من سوء خلقه فخلعها أو طلقها هو ابتداء من غير عذر بطرا وطلب أن يتزوج أعلى منها وحلف أن لا يطأها فظاهر منها ثم إذا راقت نفسه من ذلك التكدير ربما طلب مراجعتها أو لم يطلب وكانت العدة والاستبراء والرضاع من توابع النكاح عند حصول فراق أو طلاق أو زوال فراش أو وجود ولد رضيع ذكر أو أنثى أو موت .
فبين لنا الشرع حدود ذلك كله حتى لا ينزع الولد ممن هو أحق به ولئلا يتزوج الإنسان أخته من الرضاع ويشح على المرضعة بأجرتها كل ذلك لحجابه بالأكل .وأما وجه مشروعية نفقة الزوجة والأولاد والوالدين
فإنما كان ذلك لحجابنا بالأكل ، فإنا لما أكلنا حجبنا عن تأدية حقوق زوجاتنا وأولادنا ووالدينا وأقاربنا ورقيقنا وبهائمنا وغفلنا عن تأدية حقوقهم للحجاب الحاصل لنا من الأكل .
فلو لا الحجاب ما احتجنا إلى أن نؤمر بذلك لعظم حق الوالدين وبيان فضل صلة رحمهم ومن ألحق بهم من القرائب ويزيد الوالدان في الحق علينا لكونهما كانا سببا في إيجادنا مع تحملهما همومنا وغمومنا وخدمتنا في حال طفوليتنا وشبابنا ، ورجوليتنا وفي حال صحتنا ومرضنا .وأما وجه نفقة رقيقنا
فهو مكافأة لهم على خدمتهم لنا وصبرهم على تحجيرنا عليهم ليلا ونهارا ، في شيء لا يستطيع أحدنا الإقامة عليه ، وأما البهائم فلكثرة نفعها لنا بالحرث والدراس والطحن وحملنا وأمتعتنا إلى البلاد البعيدة التي لا يستطيع أحدنا أن يمشي إليها بنفسه فضلا عن حملنا متاعنا عليها وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ثم إن أصل حجابنا عن تأدية جميع هذه الحقوق إنما هو الأكل والله تعالى أعلم .وأما وجه تعلق مشروعية جميع الحدود بالأكلة المذكورة وما يذكر معها فهو ظاهر فإن الإنسان إذا أكل الشهوات ربما فسق وتعدى حدود الله تعالى . فقتل النفس بغير حق

....

الذين آمنوا بالباطل ، وكفروا بالله كما قال تعالى :وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا[غافر : 12] . فسمي المشرك مؤمنا وأطال في ذلك والله أعلم ،

[الباب السابع والستون وثلاثمائة في معرفة منزل التوكل الخامس الذي ما كشفه أحد من المحققين لقلة القابلين له وقصور الأفهام عن دركه]

وقال في الباب السابع والستين وثلاثمائة : اجتمعت روحي بعيسى عليه السلام ، في السماء الثانية ، وتبت على يديه وكان له بي عناية عظيمة فهو لا يغفل عن تربيتي إلى الآن وأطال في ذكر ما وقع له معه وكذلك الأنبياء الذين في السماوات ثم قال : ولما اجتمعت بإبراهيم عليه السلام ، قلت : يا أبت لم قلت :بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ[الأنبياء : 63] قال : لأنهم قائلون بالكبرياء الحق على آلهتهم التي اتخذوها فقلت له : فما إشارتك بقولك هذا . فقال لي : أنت تعلمها فقلت له : إني أعلم أنها إشارة ابتداء وخبره محذوف يدل

“ 433 “
وقطع العضو أو جرحه أو شج الرأس وقلع العين وكسر السن والعظم وسرق أمتعة الناس وقطع الطريق وشرب الخمر وزنى وقذف الناس بالباطل وصال على البضع والمال وجار في القسمة ، لم يقر بما جناه فأحوج الناس إلى أن تحلف الناس خمسين يمينا وصار يحلف الأيمان الكاذبة ، ويكثر من الصادقة وبخل بالطعام والمال على المحتاجين ولم تسمح نفسه أن يعطيه لأحد من عباد الله إلا إن شفى الله تعالى مريضه أو رد ضالته أو أخذ بيده في الشدائد فلذلك عاهد الله بالنذر حتى قدر على نفسه أنها تسمح به كل ذلك لعظم محبته ورغبته في الدنيا الناشئ عن ذلك كله من حجاب الأكل ولو أنه ترك الأكل جملة أو جاع وأكل سد الرمق أو الأكل الشرعي لضعفت جوارحه عن تعدي هذه الحدود التي قدمناها كلها ، بل ربما يكلمه أخوه إذا جاع فيثقل عليه الكلام ، ولا يرد عليه إلا بتكلف من شدة الجوع وكذلك لولا الأكل ما حجب العبد حتى ادّعى الدعاوى الباطلة التي يقول الله له فيها : كذبت . ولا تحمل الشهادة على غير علم ولا قضى بين الناس بغير علم ولو أنه كان لا يأكل طعاما أو أكل الأكل المشروع فقط لما وقع منه شيء من ذلك . فلذلك أمر الله تعالى أصحاب هذه الصفات أن ينقادوا لأصحاب الحقوق ليقتصوا منهم وتقام عليهم هذه الحدود وحفظا لنظام الوجود عن الفساد الحاصل بالأكل وإنما شرع في بعض الحدود الكفارة بعتق أو إطعام أو كسوة أو صوم لزيادة القبح في ذلك الذنب ولتكون الكفارة حجابا مانعا من وقوع البلاء على ذلك العاصي كما مرت الإشارة إليه في الكلام على صوم رمضان والله أعلم .وأما وجه تعلق عتق الرقبة وكتابته وتدبيره وتحريم بيع أمهات الأولاد بالأكلة المذكورة فهو أن سبب العتق والكتابة والتدبير مقابلة العبد بنظير ما فعل مع سيده من الخدمة ولولا أن الشارع أمر السيد بذلك لما اهتدى لتلك المقابلة لحجابه بالأكل عن إدراك قبح تحمل منن الخلائق إذ ملكه للعبد ليس ملكا حقيقيا وإنما الملك فيه لله رب العالمين ، ولو أن الله عزّ وجلّ جعل الرقيق خفيف العقل ما أدخله تحت تحجير عبد آخر فكان حكم العبد مع سيده كحكم

....

عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسألوهم إقامة للحجة عليهم منهم فقال لي عليه السلام “ :ما زدت على ما كان الأمر عليه “ فقلت له : فما قولك في الأنوار الثلاثة . يعني : الكوكب ، والقمر ، والشمس أكان ذلك عن اعتقاد ؟ فقال : لا إنما كان عن تعريف إقامة للحجة على القوم ألا ترى إلى قول الحق تعالى في كتابكموَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ[الأنعام [83 : وما كان اعتقاد القوم في الإله إلا أنه نمرود بن كنعان لا تلك الأنوار قال : ولم يكن القوم يعتقدون في النمرود أنه الإله الحق لأنهم إنما كانوا يعبدون الآلهة التي نحتوها وأطال في ذلك بكلام دقيق فليتأمل ، ويحرر.

الطفل في يد وليه لولاه لضاعف مصالحه فافهم . ويؤيد ما قلناه حديث : “ إخوانكم خولكم أطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم “ .وأما وجه تعلق مشروعية تحريم تبع أمهات الأولاد بالأكلة المذكورة فهو أن السيد لما أكل ما لا ينبغي حجب ونسي حقوق أم ولده عليه حين كانت له فراشا مع أن ماءها اختلط بمائة في الولد فكان عتقها كفارة لذلك الجهل الحاصل بحجاب الأكل والله أعلم .وأما وجه تعلق مشروعية نصب الإمام الأعظم وسائر نوابه بالأكلة المذكورة من الشجرة فظاهر فإنه لولا الإمام الأعظم ونوابه ما نفذ شيء من الأحكام ولا أقيم شيء من الحدود ولا قام لدين الإسلام شعار وكان يفسد نظام العالم كله وأصل الإخلال بذلك كله حجاب الخلق بالأكل فلو لا الأكل ما تعدى أحد حدود الله ، ولا احتاج الناس إلى إمام ولا حاكم ولا قاض وكان الإنسان يعطي الحقوق التي عليه لأربابها قبل المطالبة كما عليه طائفة الأولياء الذين كشف الله حجابهم لكن لما كان الخلق لا يقدرون على المشي على الطريقة المذكورة احتاجوا ضرورة إلى الحاكم ليحموا نفوسهم وأموالهم وحريمهم من الفسقة والمتمردين ، وأيضا فلو لا الإمام الأعظم ونوابه ما انتظم لبيت المال حال ولا قدر أحد على تخليص خراج يصرف على عساكر الإسلام فكانت تضيع مصالح الخلق أجمعين فالحمد لله رب العالمين فهذا ما حضرني الآن في حكمة وجود التكاليف التي جاءت بها الشرائع كلها والله تعالى أعلم.

....

[الباب الثامن والستون وثلاثمائة في معرفة منزل الأفعال مثل أتى ولم يأت وحضرة الأمر وحده]

(وقال) : في الباب الثامن والستين وثلاثمائة : في قوله تعالى :خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ[الأنعام : 73] اعلم أن جماعة من أهل الله غلطوا في هذا الحق المخلوق به وجعلوه عينا موجودة والحق أن الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى في تمام الآية وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ[النحل : 3] . من أجل الباء فمعنى بالحق أي للحق فالباء هنا هي عين اللام في قوله تعالى :وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56) [الذاريات : 56] . قال وإيضاح ذلك أن الحق تعالى لا يخلق شيئا بشيء وإنما يخلق شيئا عند شيء وكل باء تقتضي الاستعانة والسببية ، فهي لام فما خلق الله شيئا إلا للحق وهو أن يعبده ذلك المخلوق على حسب ما يليق به ، وأطال في ذلك فليتأمل ،

[الباب التاسع والستون وثلاثمائة في معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود]

وقال في الباب التاسع والستين وثلاثمائة : اختلف أصحابنا في هذا النوع هل ينقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا . فمن لم يكشف قال : بانتهائه ومن كشف قال : بعدم انتهائه وأن التوالد في النوع الإنساني باق في الجنة وأطال في ذلك وقال في قوله تعالى :فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً[النساء : 78] . أي : فما لكم يا محجوبون لا تعلمون ما نحدثكم

“ 435 “

المبحث الثاني والأربعون : في بيان أن الولاية وإن جلت مرتبتها وعظمت فهي آخذة عن النبوة شهودا ووجودا

فلا تلحق نهاية الولاية بداية النبوة أبدا ولو أن وليا تقدم إلى العين التي أخذ منها الأنبياء لاحترق وغاية أمر الأولياء أنهم يتعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، قبل الفتح عليهم وبعده ومتى ما خرجوا عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، هلكوا وانقطع عنهم الإمداد فلا يمكنهم أن يستقلوا بالأخذ عن الله أبدا . وقد تقدم في المباحث السابقة أن جميع الأنبياء والأولياء مستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤيد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم ، كان يتعبد قبل رسالته بشريعة إبراهيم عليه السلام ، أو غيره على خلاف في ذلك فلما جاءه الوحي انقطع عن ذلك التعبد واتبع ما أوحي به إليه وكذلك القول في الولي غايته الإلهام الموافق لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد الفتح فلا يعمل به مستقلا لأن نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير ملك الإلهام يفهم ذلك الولي شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويطلعه على أسرارها حتى كأنه أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بلا واسطة ، فإذا صح للولي قدم الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غير واسطة فهناك يصح أن يرشد الأمة المحمدية ويتصدر لدعائهم إلى الله عزّ وجلّ بحكم النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي[يوسف : 108] الآية . فقد بان لك أن الولاية لا تلحق النبوة أبدا ، ومن قال من العارفين أن مقام الولاية أكمل وأتم من مقام الرسالة فمراده كما قاله الشيخ محيي الدين في “ الفتوحات “ : إن مقام ولاية النبي في نفسه أتم وأكمل من مقام رسالته وذلك لشرف المتعلق ودوامه فإن الولاية يتعلق حكمها بالله تعالى ، ولها الدوام في الدنيا والآخرة . والرسالة يتعلق حكمها بالخلق وينقطع بزوال زمن التكليف فليس مراد أحد من القوم بما قالوه نصب الخلاف من مطلق الولاية ورسالة الأنبياء فإن هذا لا يقوله إلا الجاهلون بالله تعالى الذين لم يقربوا من حضرته ولم يعرفوا أهلها وحاشا الأولياء من ذلك . وقد سئل بعضهم عن ولاية غير النبي هل يصح أنها تفضل ولاية نبي . فقال : لم يرد لنا في ذلك شيء والذي نميل إليه أن ولاية كل نبي

....

به ، فإن الشرع كله حديث وخبر إلهي بما يقبله الوهم والعقل ، ويا علماء بالله إنما تعلمون قديما وإن حدث عندكم فما هو حديث العين ، قال الله تعالى :ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ[الأنبياء : 2] وما هو إلا كلام الله الأزلي . فحدث علمه عندهم حين سمعوه فهو محدث الإتيان قديم العين كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم أنه كان موجودا قبل أن يأتي وقد جاء القرآن في مواد حادثة تعلق السمع بها وكذلك الفهم تعلق بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه ، والقدم من وجه وأطال في ذلك . وقال : لا يطلب العبد بأن يعرف حقيقة نسبة أخبار الصفات إلى الله عز وجل وكل من أولها حرم رؤية الحق يوم القيامة حين يقع التجلي فما أعظمها من حسرة ، وقال : ليس في الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به

“ 436 “
فاضلة على ولاية أعظم الأولياء وهو الذي يليق بمقامهم لأن الولاية آخذة عن النبوة كما مر .
واعلم أن من جملة ما أشيع عن الشيخ محيي الدين أنه يقول : مقام الولاية أتم من مقام الرسالة على الإطلاق والشيخ رضي الله عنه ، بريء من ذلك ، فقد قال في الباب الرابع عشر من “ الفتوحات “ : اعلم أن الحق تعالى قصم ظهور الأولياء بانقطاع النبوة والرسالة بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك لفقدهم الوحي الرباني الذي هو قوت أرواحهم ولو أن أحدا من الأولياء كان في مقام نبي فضلا عن كونه قد فضله ما قصم ظهره ، ولا احتاج إلى وحي على لسان غيره ، وإنما غاية لطف الله تعالى بالأولياء أنه أبقى عليهم وحي المبشرات في المنام ليستأنسوا برائحة الوحي انتهى . وقال أيضا في الكلام على التشهد من “ الفتوحات “ : اعلم أن الله تعالى قد سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى يوم القيامة وأنه لا مناسبة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم ، لكونه في مرتبة لا ينبغي أن تكون لنا انتهى .
وقال في “ شرحه لترجمان الأشواق “ : اعلم أن مقام النبي ممنوع لنا دخوله وغاية معرفتنا به من طريق الإرث النظر إليه كما ينظر من هو في أسفل الجنة إلى من هو في أعلى عليين وكما ينظر أهل الأرض إلى كواكب السماء . وقد بلغنا عن الشيخ أبي يزيد أنه فتح له من مقام النبوة قدر خرم إبرة تجليا لا دخولا فكاد أن يحترق . وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة ، من “ الفتوحات “ : اعلم أنه لا ذوق لنا في مقام النبوة لنتكلم عليه وإنما نتكلم على ذلك بقدر ما أعطينا من مقام الإرث فقط لأنه لا يصح لأحد منا دخول مقام النبوّة وإنما نراه كالنجوم على الماء . وقال في الباب السابع والستين وثلاثمائة : لقد أعطيت من مقام العبودية التي اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور فما استطعت القيام به انتهى . فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رحمه الله تكذب من افترى عليه أنه يقول : الولاية أعظم من النبوة والله تعالى أعلم.

....

فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وإن كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس وأطال في ذلك فليتأمل ، ويحرر . وقال صلى الله عليه وسلم : “ ما فضلكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره “ واعلم أن الإشارة بهذا السر والله أعلم إلى ما وقع له رضي الله عنه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الثبات حين اضطربت عقول الصحابة ذلك اليوم وقال : ما لا يمكن أن يسمع حتى شهد على نفسه ذلك اليوم بقصوره وأبو بكر رضي الله عنه ، لم يغير عليه حال بل صعد المنبر وقرأ :وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ[آل عمران : 144] . الآية .
فتراجع من كان حكم عليه وهمه من الناس وعرف الناس فضل أبي بكر على الجماعة فاستحق الإمامة والتقدم ، وما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته إلا من جهل منه السر الذي وقر في صدره أو من كان في محل نظر من ذلك أو متأولا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره ولم يظهر حكم ذلك السر إلا يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصل ثبات أبي بكر وصوله إلى مقام شهد فيه أن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حق وأنه محل لجريان أحكام الربوبية عليه وهناك تجرد أبو بكر بقلبه إلى جانب الحق ، وتوكل على الله وحده ولما

" 437 "

المبحث الثالث والأربعون : في بيان أنّ أفضل الأولياء المحمديين بعد الأنبياء والمرسلين أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين

وهذا الترتيب بين هؤلاء الأربعة الخلفاء قطعي عند الشيخ أبي الحسن الأشعري ظني عند القاضي أبي بكر الباقلاني . ومما تشبث به الروافض في تقديمهم عليا رضي الله عنه ، على أبي بكر رضي الله عنه ، حديث أنه صلى الله عليه وسلم ، أتي بطير مشوي فقال : " اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير " فأتاه علي رضي الله عنه ، وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في " الموضوعات " وأفرد له الحافظ الذهبي جزءا وقال : إن طرقه كلها باطلة واعترض الناس على الحاكم حيث أدخله في " المستدرك " ودليل أهل السنة في تفضيل أبي بكر عن علي رضي الله عنهما ، الحديث الصحيح ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وهو نص صريح في أنه أفضلهم وفي البخاري عن ابن عمر قال : كنا نقول : خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا ينكر ذلك علينا . وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري :

ومما فضل به أبو بكر رضي الله عنه ، أنه ما زال بعين الرضا من الله عزّ وجلّ ، أي : بحالة غير مغضوب فيها عليه إذ لم يثبت عنه حالة كفر كما ثبت عن غيره ممن آمن وإن لم يكن موصوفا بالإيمان قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ حكم السعادة دائر مع حكم التوحيد لا مع الإيمان ، إذ متعلق الإيمان إنما هو الخبر الذي جاء به الصادق عن الله عزّ وجلّ ولا خبر ولا كتاب في زمن الفترة التي قبل النبوة حتى يتعلق به إيمان أبي بكر رضي الله عنه ، أو إيمان غيره فصح حينئذ قولهم :

إن أبا بكر ما زال بعين الرضا قد أطبق السلف الصالح من الصحابة والتابعين على احترام هؤلاء الأربعة الخلفاء عند الله وتعظيمهم على هذا الترتيب الذي ذكرنا أما الصحابة فلأنهم شاهدوا فضل أبي بكر بقرائن الأحوال المقترنة بقوله صلى الله عليه وسلم ، وبفعله المنبئين عن الأفضلية عند الله تعالى .

وأما التابعون فلأنهم خير القرون بعد الصحابة ولأنهم أعرف بعقائد الصحابة في أبي بكر وغيره . قال العلماء : وإنما كان أبو بكر يدعى بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه خليفته في أمر

....

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أبا بكر قلبه مع الله بالاعتماد عليه وحده دون غيره وأنه صار يترقب لما يوحي الله به إليه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في كل خطاب سمعه منه قال في حقه ما قال .

(قلت) : ومن هنا جعل القوم حال أبي بكر المذكور ميزانا لكمال المريد وأنه متى صار يرى شيخه محلا لجريان الأقدار وأن الأمر كله لله وصار لا يتأثر لفقد شيخه إذا فقد بموت أو سفر بعيد كل ذلك التأثر فقد كمل حاله ، واستحق الفطام وأطال في ذلك وتقدم في الباب الثالث وثلاثمائة الكلام على حكمة ترتيب ولاية الخلفاء الأربعة فراجعه وقال فيه من قال : إن الحق تعالى يحل في الصورة فهو أعمى البصر والبصيرة لأن غاية الناس مرتبة الإحسان ثم

الرعية واستخلفه للصلاة بالناس في مرض وفاته صلى الله عليه وسلم فأبو بكر أفضل الأولياء المحمديين وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة : الأفضل بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ودخل في قولنا إن أبا بكر أفضل الأولياء المحمديين أولياء الأمم السالفة فأبو بكر أفضل منهم بناء على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، في حق من تقدمه وفي حق من تأخر عنه بالزمان وخرج بقولنا في الترجمة بعد الأنبياء والمرسلين يعني : الأحياء والأموات غير عيسى عليه السلام ، فإنه أفضل من أبي بكر بيقين وكذلك خرج الخضر عليه السلام ، فإن مقامه برزخي بين الولاية والنبوة كما ذكره الشيخ في " الفتوحات " وعبارته : ومقام الخضر عليه السلام ، دون النبوة وفوق الصديقية كما أخبرنا بذلك عليه السلام ، عن نفسه مشافهة . قال : ويسمى مقام القربة وأنكر الإمام الغزالي هذا المقام انتهى . قلت : وذكر النووي في " تهذيب الأسماء واللغات " ما نصه : الخضر عليه السلام ، نبي وإنما اختلف في رسالته وشذ بعض الصوفية فقال بولايته انتهى . والله أعلم .

وعبارة الشيخ في الباب الثالث والتسعين من " الفتوحات " : اعلم أنه ليس في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، من هو أفضل من أبي بكر غير عيسى عليه السلام ، وذلك أنه إذا نزل بين يدي الساعة لا يحكم إلا بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون له يوم القيامة حشران : حشر في زمرة الرسل بلواء الرسالة .

وحشر في زمرة الأولياء بلواء الولاية انتهى . وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في " حاشيته " : الذي يتجه أن عيسى عليه السلام لا يعد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه غير داخل في دعوته فلم يكن من أمة الدعوة ولا من أمة الملة انتهى . وقال الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور في عقيدته : ويعتقد أن أبا بكر رضي الله عنه ، أفضل من سائر الأمة المحمدية وسائر أمم الأنبياء وأصحابهم لأنه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالصديقية لزوم الظل للشاخص حتى في ميثاق الأنبياء ولذلك كان أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الشيخ في الباب الثالث وثلاثمائة من " الفتوحات " : اعلم أن السر الذي وقر في صدر أبي بكر رضي الله عنه ، وفضل به على غيره هو القوة التي ظهرت فيه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت له كالمعجزة في الدلالة على دعوى الرسالة فقوي حين ذهلت الجماعة لأنه لا يكون صاحب التقدم والإمامة إلا صاحيا غير سكران ، فكان رضي الله عنه ، هو الحقيق بالتقدم ولا يقدح في كماله واستحقاقه الخلافة كراهة بعض الناس فإن ذلك مقام إلهي قال تعالى :وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً

....

الإيقان المشار إليها بقوله : " اعبد الله كأنك تراه " . فتمثله في خيالنا مرئيا ولم يحجر الشارع علينا إلا أن نجعل معبودنا محسوسا كالأصنام لا أن نتخيله صورة فإن الشارع يعلم أن من مرتبته الخيال أن يجد ، ويصور ما ليس بجسد ولا صورة ، وهذا من رحمة الله بنا التي وسعت كل شيء ومن شك في قولنا فليتخيل الحق في حال مناجاته في الصلاة خلفه كما هو أمامه فإنه لا يقدر هذا حكم الوهم وأما من حيث الإيمان بالله ، فإنه تعالى لا يتحيز وليس هو في جهة فاعلم ذلك .

وقال : لما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يخيل إليه أنه يأتي نساءه وهو لم يأتهن فأتاهن في الخيال ولم يأتهن في الحس ومن هنا قالوا إن السحر له وجه إلى الحق ووجه إلى الباطل إذ هو

[الرعد : 15] . فإذا كان بعض الناس يسجد لمن بيده ملكوت السماوات والأرض كرها لا طوعا فكيف بحال أبي بكر أو غيره فعلم أنه لا بد من طائع وكاره : ولو كان يدخل في الأمر على كره لأجل شبهة تقوم عنده إذا كان ذا دين وكل الصحابة كذلك فتقديم بعضهم على بعض كما وقع به الترتيب في أخلاقهم لا بد منه لكونه سبق ذلك في حكم الله وأما من حيث قطعنا بتفضيل بعضهم على بعض فذلك مصروف إلى الله تعالى . فهو العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه وتعالى بما في نفسه من ذلك فالله تعالى يحفظنا من الفضول ومن مخالفة أهل السنة والجماعة آمين . وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور كان ترتيب الخلفاء الأربعة كما ذكرناه متعينا لترتيب الحكمة وسر كمال دائرة الأمة . وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في “ حاشيته “ : اعلم أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو بكر ، فعمر ، فعثمان ، فعلي رضي الله عنهم أجمعين ، والأدلة على ذلك من السنة كثيرة يتظافر دلائل مجموعها على تقديم أبي بكر ، حتى يظهر ذلك للواقف عليها كفلق الصبح وكانت إمارة عثمان بالعهد من عمر أن يكون الأمر شورى بين ستة يختار خمسة منهم السادس ليكون خليفة فوقع الاختيار على عثمان والوفاق على إمارته وكانت إمارة علي رضي الله عنه ، باجتماع كبراء المهاجرين والأنصار والتماسهم منه قبول مبايعتهم إياه فبايعوه رضي الله عنهم ، انتهى . كما قال الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى . وقال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلاثمائة : مما يدل على فضل أبي بكر رضي الله عنه على غيره كونه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ، كالمريد الصادق إذا كمل فتحه مع شيخه وبذلك استحق الخلافة فما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تجرد أبو بكر إلى جانب الحق جلّ وعلا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدا مخلصا ليس له مع الله تعالى حركة ولا سكون إلا بإذن من الله تعالى . وقال أبو السعود ابن الشبلي رحمه الله : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى صار أبو بكر متعهدا على الله تعالى دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يأخذ كل شيء يأتيه من الأحكام من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يتأثر كل ذلك التأثر كما وقع لغيره ، فإنه ما من أحد من الصحابة إلا واضطرب ذلك اليوم وقال : ما لا ينبغي سماعه وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته بحال رسوله الذي اتبعه ، وأما أبو بكر فكان يعلم حقائق الأمور ولذلك صعد المنبر وقرأ :وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ[آل

....

مشتق من السحر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلص لأحد الجانبين ، قال : ومن أراد إبطال السحر فلينظر إلى ما عقد الساحر فيعطي لكل عقدة يحلها بها كانت ما كانت فإن نقص عنها الكلمات بقي عليه من العقد شيء ضرورة فلا يزول السحر إلا بحل جميع العقد والسلام قال : وهذا من العلوم الإلهية فإن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : “ إن روح القدس نفث في روعي “ ولا يكون النفث إلا ريحا بريق لا بد من ذلك حتى يعلم بخلاف النفخ فإنه ريح مجرد وأطال في ذلك بذكر غرائب وقال : إنما كان حديث النفس مغفورا ما لم تعمل أو تكلم لأن الكلام عمل فيؤاخذ العبد به من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة ، فإنه مؤاخذ بحسب ما يؤدي

عمران : 144] الآية ، فتراجع من كان حكم عليه وهمه وعرف الناس حينئذ فضله على الجماعة حينئذ استحق الإمامة والتقدم فما بايعه من بايعه سدىّ وما تخلف عن بيعته إلّا من جهل منه ما كان يجهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو من كان في محل نظر من ذلك أو متأولا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره فظهر حكم ذلك السر يوم موته صلى الله عليه وسلم ، وليس السر إلا ما ذكرناه من استيفائه مقام العبودية بحيث أنه لم يخل منه شيء في حقه ولا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم من أبي بكر أنه صار مع الله لا مع رسوله صلى الله عليه وسلم ، إلا بحكم أنه كان يرى ما يخاطبه به الحق تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، في كل خطاب سمعه منه وكان لأبي بكر ميزان في نفسه يعلم ما يقبل من خطابه في حقه وما لا يقبل . قال الشيخ محيي الدين : وقد تحققت بمقام العبودية الصرف الخالصة وبلغت فيه الغاية فأنا العبد المحض الخالص الذي لا يشوبني شيء من دعوى الربوبية على شيء من العالم . قال : ولا أعلم أحدا ممن تقدمني بالزمان ورث مقام العبودية على التمام كما ورثته إلّا ما بلغني عن رجل من رجال “ رسالة القشيري “ أنه قال : لو اجتمع الناس على أن ينزلوا نفسي منزلتها التي هي عليها من الخشية والتواضع لم يستطيعوا فأنا وإن كان الناس يستفيدون مني العلوم فأنا في نفسي عن ذلك بمعزل انتهى .

(فإن قلت) : فما حقيقة الصديقية ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في كتاب “ لواقح الأنوار “ : إن الصديقية عبارة عن إيمان صاحبها بجميع ما أخبر به الرسل فتصديقه لذلك هو صديقيته .

(فإن قلت) : فهل في الصديقية تفاضل ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين : إنه لا تفاضل في الصديقية لأنها كلها حقيقة واحدة فإذا رأيت بين الصديقين تفاضلا فليس هو من باب الصديقية وإنما هو من باب آخر وسر آخر كالذي وقر في قلب أبي بكر ، ففضل به على جميع الصديقين لا بنفس الصديقية كما مر .

وقال في الباب التاسع وثلاثمائة : اعلم أن رأس الأولياء الملامية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

....

إليه ذلك اللفظ وإن كان تلفظ به وله عمل زائد على التلفظ به فلم يعمل به فما عليه إلا وزر عين ما تلفظ به فهو مسؤول عند الله من حيث لسانه قال : ولا يدخل الهم بالشيء في حديث النفس كما توهم إذ لهم بالشيء له حكم آخر في الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن كمن يريد في الحرم المكي إلحادا بظلم يذيقه الله من عذاب أليم سواء وقع منه ذلك الظلم أو لم يقع وأما في غير الحرم المكي فإنه غير مؤاخذ بالهم ، وإن لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة إذا ترك ذلك من أجل الله خاصة فإن لم يتركها من أجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا الفرق بين الحديث النفسي والإرادة التي هي الهم.

(فإن قلت) : ما المراد بالملامية ؟
(فالجواب) : هم قوم لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا الرواتب ولا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله تعالى بحالة زائدة يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس لا يتميزون عن العامة بعبادة ظاهرة قد انفردوا بقلوبهم مع الله تعالى راسخون في العلم وفي العبودية لا يتزلزلون عنها طرفة عين فهم لا يعرفون للرياسة طعما لاستيلاء سلطان الربوبية على قلوبهم ولتحقق الإمام أبي بكر رضي الله عنه ، بمقام العبودية لم ينقل عنه ما نقل عن غيره من الإكثار من نوافل العبادات لكثرة ما كنا يخفي من أحواله فكانت أعماله قلبية من أن كل ذرة ظهرت من أعماله لا يعادلها قناطير من عمل غيره رضي الله عنه . قال الشيخ رضي الله عنه :
ومما يدل على تفضيل أبي بكر على عمر رضي الله عنهما ، من وقائع الأحوال ما ثبت في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لأبي بكر : " ما أصبح اليوم عند آل محمد شيء يقوتهم . "
فأتاه أبو بكر بجميع ماله حتى وضعه بين يديه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما تركت لأهلك يا أبا بكر " فقال : الله ورسوله ، فسمع عمر رضي عنه ، بذلك فأتاه بشطر ماله ، فقال له صلى الله عليه وسلم : " ما تركت لأهلك يا عمر " ؟ فقال : الشطر يا رسول الله . فقال : "بينكما ما بين كلمتيكما " الحديث .
وقال الشيخ في الباب الثامن والأربعين ومائتين : وجه التفضيل أنه صلى الله عليه وسلم ، لم يحدد لهما في مالهما حدا بل عمى الأمر عليهما ليفعل كل واحد بقدر عزمه وإلا فلو أنه صلى الله عليه وسلم ، كان حد لهما حدا ما تعدياه فكان فضل أبي بكر على عمر لا يظهر فما أراد صلى الله عليه وسلم ، بإبهام الأمر إلا بيان ظهور فضيلة أبي بكر على عمر رضي الله عنهما ، قال :
وفي قول أبي بكر : تركت لأهلي الله ورسوله غاية الأدب حين قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع الله تعالى فتحا لباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو قدر أنه رد على أبي بكر شيئا من ماله لكان قبله من يده صلى الله عليه وسلم ، لكونه رضي الله عنه ترك رسول الله لأهله يعولهم فما حكم أبي بكر في ماله إلا من استنابه رب المال . فانظر يا أخي ما أشد معرفة أبي بكر بمراتب الأمور وبذلك فضل على عمر ، وكان قد تخيل أنه يسبق أبا بكر ذلك اليوم فلما وقع له ما وقع من إتيانه بشطر ماله قال : لا أسبق أبا بكر بعد اليوم ، وسلم له المقام ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يرد على أبي بكر شيئا من ماله وذلك لينبه الحاضرين على ما علمه من صدق أبي بكر في المحبة فإنه لو رد على أبي بكر شيئا من ماله لتطرق الاحتمال في حق أبي

....

(قلت) : وسيأتي إن شاء الله تعالى في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة ، قول الشيخ :
اعلم أن الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي تستقر عندنا إلا بمكة لأن الشرع قد ورد أن الله يؤاخذ فيه من يريد فيه بإلحاد بظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه فإنه ليس في قوة الإنسان أن يمنع عن قلبه الخواطر فمن لم يخطر له الحق تعالى خاطر سوء فلذلك هو المحفوظ ومن لنا بذلك قال : وقد أخبرني سليمان الدنبلي على وجه التحدث بالنعم أن له منذ خمسين سنة ما أخطر الحق تعالى في قلبه خاطر سوء انتهى . قال :
وإنما نكر تعالى الظلم بقوله : بظلم ليجتنب من سكن مكة جميع الظلم في كبير وصغير ، والله

بكر أنه خطر له الرفق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه إنما عرض على أبي بكر ذلك مكافأة له لما علم من عدم طيب نفسه بإعطائه ماله كله كما وقع لعبد الرحمن بن عوف فإنه جاء مرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بماله كله فرده عليه ولو علم صلى الله عليه وسلم ، منه أنه لا يرى له معه ملكا كما كان أبو بكر لم يرده عليه انتهى . وقال الشيخ في بعض كتبه : اعلم أن استحقاق الإمامة لشخص واحد يعرف بأمور منها : نص من يجب قبول قوله من نبي أو إمام عادل ومنها اجتماع المسلمين على إمامته وكان الإمام بالإجماع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبا بكر ثم عمر رضي الله عنه بنص أبي بكر عليه ، ثم عثمان بنص عمر عليه ثم علي بنص جماعة جعل الأمر شورى بينهم فإنه لم يستخلف أحدا وقد أجمع المعتبرون من الصحابة على إمامة عثمان ثم علي المرتضى ، فهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون ثم إن المخالفة وقعت بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن فاستقرت الخلافة على معاوية ثم على من بعده من بني أمية وبني مروان حتى انتقلت الخلافة إلى بني العباس .
وأجمع أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم إلى أن جرى ما جرى .وقول بعض الروافض إن أبا بكر غصب الخلافة وتقدم كرها على الإمام علي رضي الله عنهما ، باطل ويلزم منه إجماع الصحابة على الظلم حين مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشا حماة الدين رضي الله عنهم من ذلك ، وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ، يقول : تقديم أبي بكر في الفضل على عمر قطعي وتقديم عمر على غيره ظني قال : والذي أطلعنا الله تعالى عليه من طريق كشفنا أن تقدم شخص بالإمامة على آخر إنما هو تقدم بالزمان ولا يلزم منه التقدم بالفضل فإن الله تعالى قد أمرنا باتباع ملة إبراهيم وليس ذلك لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو لتقدمه بالزمان فإن للزمان حكما في التقدم من حيث هو زمان لا من حيث المرتبة وذلك كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن من حكمة الله تعالى ترتيبها بحسب الآجال والأعمال التي قدرها الله عزّ وجلّ أيام ولاية كل واحد على التعيين مع أن كل واحد أهل لها حال ولاية الآخر وقد سبق في علم الله أنه لا بد من ولاية كل واحد من الخلفاء الأربعة على الترتيب الذي وقع حتى لو قدر أن المتأخر تقدم فلا بد من خلعه حتى يلي أحدهم من لا بد من الولاية عند الله تعالى ، فكان في ترتيب ولايتهم بحكم أعمارهم عدم وقوع خلع أحدهم مع الاستحقاق إذ الصحابة كلهم عدول ذكره الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى المعطي . وقال

....

أعلم .وقال في حديث : انصر أخاك ظالما ، أو مظلوما . أما نصرة المظلوم فمعلومة عند الجميع وأما نصرة الظالم فأن تنصره عن إبليس الذي يوسوس في صدره بما يقع منه في الظلم بالكلام الذي تستحليه النفوس وتنقاد إليه فتعينه على رد ما وسوس إليه الشيطان من ذلك فهذه نصرته إذا كان ظالما ، وكذا جاء الخبر في نصرة الظالم أن تأخذ على يديه والمراد به ما ذكرنا فلا بد أن تكون النصرة واردة على شيء فافهم وقال : الشهادة بالوحي أتم من الشهادة بالمعاينة كشهادة خزيمة في قصة بيع الجمل فإنه لم يكن حاضرا وإنما قال : أشهد بتصديقك يا رسول الله فحكم صلى الله عليه وسلم ، بشهادة خزيمة وحده لأنها شهادة بالوحي ولو أن خزيمة شهد شهادة عين لم

“ 443 “
في هذا الباب أيضا في الكلام على اسمه تعالى الآخر : اعلم أن الخلفاء الأربعة لم يتقدموا في الخلافة إلا بحسب أعمارهم فإن الأهلية للخلافة موجودة فيهم من جميع الوجوه فكان سبقهم لا يقتضي التفضيل بمجرده وإنما ذلك بوجود نص قاطع قال : ولما سبق في علم الله تعالى أن أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي والكل لهم حرمة عند الله وفضل قدم الله في الخلافة من علم أن أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الأربعة قال : وفي الحديث : “ إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما “ . فلو قدر أن الناس بايعوا أحدا من الثلاثة دون أبي بكر مع كونه لا بد لأبي بكر من الخلافة في ذلك الزمان فخليفتان لا يجتمعان وقتل الآخر من هؤلاء الخلفاء لا يجوز وإن قدر خلع أحد من الثلاثة وولي أبو بكر الخلافة كان في ذلك عدم احترام في حق المخلوع ونسبة من خلعه إلى الجور والظلم ، فإنه خلع من الخلافة من يستحقها ثم إن قدر أن من قدم لم يخلع كان أبو بكر يموت أيام خلافة من تقدمه من غير أن يلي الخلافة وقد سبق في علم الله أنه لا بد له أن يليها ومخالفة سبق العلم محال وأطال الشيخ في ذلك ثم قال : وبالجملة فلا ينبغي الخوض في مثل ذلك إلا مع وجود نص صريح مع أننا قائلون بترتيب هؤلاء الخلفاء الأربعة كما عليه الجمهور ، وانما خالفناهم في علة التقديم فهم يقولون : هي الفضل ونحن نقول : هي تقدم الزمان . ولو أن كل متأخر كان مفضولا لكان من تقدم محمدا صلى الله عليه وسلم ، أفضل منه ولا قائل بذلك من المحققين انتهى ، فليتأمل ويحرر قالوا : وأفضل الناس بعد الخلفاء الأربعة بقية العشرة المشهود لهم بالجنة ، وما زاد على العشرة فالأدب الوقف عن الخوض في تفضيلهم مع محبتهم وتعظيمهم ورفع درجتهم على سائر الأولياء . وقال المحدثون أفضل الناس بعد العشرة أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان ثم السابقون من المهاجرين والأنصار من أهل بدر أو أهل أحد أو ممن صلى للقبلتين في ذلك أقوال ذكره الحافظ ابن حجر رضي الله عنه .
(خاتمة) : ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السادس والأربعين وثلاثمائة : أن أهل القرن الأول ما فضلوا على غيرهم إلا بقوة الإيمان فإنهم كانوا فيه أتم وكان التابعون أتم من غالب الصحابة في العلم وكان تابع التابعين أتم من غالب التابعين في العمل.

....
تقم شهادته مقام اثنين وبذلك حفظ الله علينا :لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ[التوبة : 128] .إلى آخر السورة فإنها ثبتت بشهادة خزيمة وحده وقد كان جامع القرآن لا يقبل آية منه إلا بشهادة رجلين فصاعدا إلا هذه الآية . وقال :مما يدلك على أن الكلام لله والترجمة للمتكلم قوله تعالى : مقسما . أنه يعني : القرآن لقول رسول كريم فأضاف الكلام إلى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى إلى نفسه بقوله تعالى :فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ[التوبة : 6] .
سواء فإذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين فإن الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من سمعه ؟ ؟ ؟ بالوسائط وقال في قوله تعالى :ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا[فاطر : 32] . الآية

" 444 "
(فإن قيل) : فما الحكمة في كون الصحابة أقوى في الإيمان مع أنهم عاصروه صلى الله عليه وسلم ، ورأوا معجزاته وأخلاقه والقاعدة أن الإيمان بالغيب أشد في حق صاحبه من الإيمان بالحاضر ؟
(فالجواب) : أن قوة الإيمان إنما جاءت للصحابة من حيث أن الإنسان فطر على الحسد فإذا بعث إلى أمة رسول من جنسها ثار الحسد في الناس فلم يؤمن به إلا من قوي على دفع ما في نفسه من الحسد وحب الشفوف ولا سيما إذا كان الحاكم عليها من جنسها فكان إيمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدة تقدم جنسهم عليهم أول الإسلام وكان اشتغالهم بما يدفع سلطان الحسد أن يقوم بهم مانعا لهم من إدراك غوامض العلوم والأسرار لنا ففاقونا بقوة الإيمان ، وجبر الله نقصنا بأن أعطانا التصديق بما نقل لنا عنهم فحصل لنا درجة الإيمان بالغيب في شأن محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قدم ، لأنهم شاهدوا الشارع وشهدوا أحواله ووقائعه ، فآمنوا وصدقوا على الشهود فما فضلونا إلا بقوة الإيمان والسبق وأما العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم في ذلك فالحمد لله الذي جاء بنا في الزمن الأخير وجبر قلوبنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما وجدناه منقولا في أوراق سواد في بياض ولم نطلب على ذلك دليلا ولا ظهور آية ولو أننا جئنا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كنا نعرف كيف تكون أحوالنا عند مشاهدته هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه أم نغلب نفوسنا ونطيعهوَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً[الأحزاب : 25] .وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه في رسالته القديمة والصحابة رضي الله عنهم ، فوقنا في كل علم وإيمان وآراؤهم عندنا أجمل من آرائنا لأنفسنا انتهى .
المبحث الرابع والأربعون : في بيان وجوب الكفّ عما شجر بين الصحابة ووجوب اعتقاد أنهم مأجورون
وذلك لأنهم كلهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها كفتنة عثمان ومعاوية ووقعة الجمل وكل ذلك وجوبا لإحسان الظن بهم وحملا لهم في ذلك على

....

اعلم أن الله عز وجل ما اصطفى عبدا قط إلا حفظه قبل اصطفائه من الغوص في علوم النظر وحال بينه وبينها ورزقه الإيمان بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن صاحب النظر العقلي وإن سعد لا يكون أبدا في مرتبة الساذج الذي لم يكن عنده علم بالله إلا من حيث إيمانه وتقواه وهذا هو وارث الأنبياء في هذه الصفة قال : وما بلغنا أنه تقدم لنبي قبل نبوته نظر عقلي في العلم بالله أبدا ولا ينبغي له ذلك ، قال : وكل من تقدم له من الأولياء النظر العقلي فليس هو ممن أورثه الله الكتاب ، وأطال في ذلك .
(قلت) : وتقدم قبيل الباب الثامن والستين وثلاثمائة ، أن استدلال السيد إبراهيم بالكواكب

الاجتهاد فإن تلك أمور مبناها عليه وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطىء معذور بل مأجور . قال ابن الأنباري : وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة العصمة منهم وإنما المراد قبول رواياتهم لنا أحكام ديننا من غير تكلف ببحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ، ولم يثبت لنا إلى وقتنا هذا شيء يقدح في عدالتهم ولله الحمد فنحن على استصحاب ما كانوا عليه من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يثبت خلافة ولا التفات إلى ما يذكره بعض أهل السير فإن ذلك لا يصح وإن صح فله تأويل صحيح وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، تلك دماء طهر الله تعالى منها سيوفنا فلا نخضب لها ألسنتنا وكيف يجوز الطعن في حملة ديننا وفيمن لم يأتنا خبر عن نبينا إلا بواسطتهم فمن طعن في الصحابة فقد طعن في نفس دينه فيجب سد الباب جملة واحدة لا سيما الخوض في أمر معاوية وعمرو بن العاص وأضرابهما ولا ينبغي الاغترار بما نقله بعض الروافض عن أهل البيت من كراهيتهم فإن مثل هذه المسألة منزعها دقيق ولا يحكم فيها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنها مسألة نزاع بين أولاده وأصحابه . قال الكمال بن أبي شريف : وليس المراد بما شجر بين علي ومعاوية المنازعة في الإمارة كما توهمه بعضهم وإنما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله تعالى عنه إلى عشيرته ليقتصوا منهم ، لأن عليا رضي الله عنه كان رأى أن تأخير تسليمهم أصوب ، إذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة العامة فإن بعضهم كان عزم على الخروج على الإمام علي وعلى قتله لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان . ورأى معاوية أن المبادرة إلى تسليمهم للاقتصاص منهم أصوب فكل منهما مجتهد مأجور فهذا هو المراد بما شجر بينهم انتهى .
(خاتمة) : قال العلماء : ويجب اعتقاد براءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، قطعا من جميع ما قاله الملحدون في حقها لنزول القرآن العظيم ببراءتها في سورة النور وكذلك يجب اعتقاد وجود محبة ذرية نبينا محمد لله ، وإكرامهم واحترامهم وهم الحسن والحسين وأولادهما من فاطمة وغيرها إلى يوم القيامة ونسكت عن المفاضلة بين الحسن والحسين وبين أحد من الصحابة غير من ثبت فيهم النص ونكره كل من آذى شريفا ونهجره ولو كان أعز أصحابنا وفاء بقوله تعالى :[قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى[الشورى : 23] والمودة : هي إثبات

....

إنما كان لإقامة الحجة على قومه لا عن اعتقاده والله أعلم وقال للملك أن يعفو إلا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وإفشاء سره ، والقدح في الملك.

.[الباب السبعون وثلاثمائة في معرفة منزل المزيد وسر وسرين من أسرار الوجود والتبدل وهو من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب السبعين وثلاثمائة : لما كان الحق تعالى هو السلطان الأعظم ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة أن يخلق عرشا ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلا لعقولهم ولولا ذلك لبقي العبد حائرا لا يدري أين يتوجه بقلبه وقد خلق الله تعالى العبد ذا جهة فلا يقبل إلا ما كان له جهة ، وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش وإحاطة بالجهات كلها بقوله:

الحب لا مجرد الحب هذا مذهبنا سواء ثبت نسب ذلك الشريف أو طعن في نسبه إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب العهود فراجعه والله تعالى أعلم .
المبحث الخامس والأربعون : في بيان أن أكبر الأولياء بعد الصحابة رضي الله عنهم القطب ثم الأفراد على خلاف في ذلك ثم الإمامان ثم الأوتاد ثم الأبدال رضي الله عنهم أجمعين
فأما القطب فقد ذكر الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائتين : أنه لا يتمكن القطب أن يقوم في القطبانية إلا بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل آلم والمص ونحوهما ، فإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلا لها .
(فإن قلت) : فما علامة القطب ؟ فإن جماعة في عصرنا قد ادعوا القطبية وليس معنا علم يرد دعواهم ؟
(فالجواب) : قد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، أن للقطب خمس عشرة علامة : أن يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له حقية الذات وإحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحلم والفضل بين الموجودين وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى منتهاه وما ثبت فيه وحكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الإحاطة بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه انتهى . وقال في “الفتوحات “ في الباب السبعين ومائتين : إن اسم القطب في كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الإلهية وصاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء لأنه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحق بأردية الصون لا يعتريه شبهة في دينه قط ، ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه ، كثير النكاح راغب فيه محب للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له ويوفي الروحانية حقها

....

فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ[البقرة : 115] وبقوله : ينزل ربنا إلى سماء الدنيا وبقوله صلى الله عليه وسلم : “ إن الله قي قبلة أحدكم “ وحاصله أن الله خلق الأمور كلها للمراتب لا للأعيان والله أعلم . وقال من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبجميع ما جاء به كان له أجر من اتبع جميع الأنبياء وآمن بكل كتاب وبكل صحيفة لكن أجر الإيمان بهم لا أجر من عمل بأحكامهم كلها فافهم ،

[الباب الأحد والسبعون وثلاثمائة في معرفة منزل سر وثلاثة أسرار لوحية أمية محمدية]
وقال في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة : لو أن العاصي علم أن الله يؤاخذه على المعصية ولا بد ما عصى فلا يصح أن يكون على بصيرة في العقاب أبدا قال : وهذا هو الذي أجرأ النفوس على ارتكاب المحارم إلا من حماه الله تعالى بخوف ، أو حياء ، أو رجاء ، أو عصمة في علم الله خارجة عن هذه

على الحد الإلهي . يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين الموقت له لا يحكم عليه وقت إنما هو لله وحده حاله دائما العبودية والافتقار يقبح القبيح ويحسن الحسن يحب الجمال المقيد في الزينة والأشخاص ، تأتيه الأرواح في أحسن الصور ، يذوب عشقا يغار لله عزّ وجل ويغضب له تعالى ، له الإطلاق في المظاهر من غير تقييد ، لا تظهر روحانيته إلا من خلف حجاب الشهادة والغيب لا يرى من الأشياء إلا محل نظر الحق فيها يضع الأسباب ويقيمها ويدل عليها ويجري بحكمها ينزل إليها حتى يحكم عليه ويؤثر فيه لا يكون فيه رياسة على أحد من الخلق بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائما إن كان صاحب دين أو ثروة تصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم وإن لم يكن بيده دنيا وكان على ما يفتح الله تعالى له به لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج إليه طبيعته كالشافع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج إليه ثم ينصرف لا يجلس عن حاجته إلا لضرورة فإن لم يجد حاجته لجأ إلى الله تعالى في حاجة طبعه لأنه مسؤول عنها ثم ومتولّ عليها ينتظر الإجابة عن الله فيما سأل فإن شاء تعالى أعطاه ما سأل عاجلا أو آجلا . فمرتبته الإلحاح في الدعاء والشفاعة في حق طبيعته بخلاف أصحاب الأحوال فإن الأشياء كلها تتكون عن هممهم لأن الله تعالى عجل لهم نصيبا من أحوالهم في الجنة فهم ربانيون والقطب منزه عن الحال ثابت في العلم فإن أطلعه الله على ما يكون أخبر بذلك على وجه الافتقار لله لا على وجه الافتخار لا تطوى له أرض ولا يمشي في هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شيء من خرق العوائد إلا في النادر لأمر يراه الحق تعالى فيفعله بإذن الله من غير أن يكون ذلك مطلوبا له وكذلك من شأنه أن يجوع اضطرارا لا اختيارا ويصبر عن النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلي النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط بالعبودية في شيء أكثر مما يتحقق به في النكاح لا يرغب في النكاح للنسل وإنما يرغب فيه لمجرد الشهوة وإحضار التناسل في نفسه لأمر مشروع فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة وقد غاب عن هذه الحقيقة أكثر العارفين لما فيه من شهود الضعف وقهر اللذة المغيبة له عن إحساسه فهو قهر لذيذ وذلك من خصائص الأنبياء ولعلو مراقي هذا المقام جهله أكثر الأولياء ، وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا أنفسهم عن الإكثار منها . واعلم أن من مقام القطب أن يتلقى أنفاسه إذا

....

الثلاثة ولا خامس لهذه الأربعة فتأمل . وقال في قوله تعالى :وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ(16) [الحاقة : 16]
إنما انشقت لذهاب عمدها الذي كان يمسكها وهو الإنسان الكامل . فإذا زال سقطت إلى الأرض والسماء معلوم أنها جسم شفاف صلب فإذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فعادت دخانا أحمر كالدهان السائل مثل شعلة النار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور وسبحت في النار لكن على غير الوجه التي كانت في الدنيا عليه من السير
وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن آخر من تقبض روحه من بني آدم الإنسان الكامل الذي يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم لو قدر فقده وهذا هو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم : " لا

“ 448 “
دخلت وإذا خرجت بأحسن الأدب لأنها رسل الله إليه فترجع منه إلى ربها شاكرة له لا يتكلف لذلك . وأطال الشيخ في ذلك ثم قال فإذن القطب هو الرجل الكامل الذي حصل الأربعة دنانير التي كل دينار منها خمسة وعشرون قيراطا وبها توزن الرجال الأربعة هم : الرسل والأنبياء والأولياء والمؤمنون فهو وارثهم كلهم رضي الله عنه . وقال الشيخ في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة : من شأن القطب الوقوف دائما خلف الحجاب الذي بينه وبين الحق جل وعلا فلا يرتفع حجابه حتى يموت فإذا مات لقي الله عزّ وجلّ فهو كالحاجب الذي ينفذ أوامر الملك وليس له من الله تعالى إلا صفة الخطاب لا الشهود انتهى .

(فإن قلت) : فهل يحتاج القطب في توليته إلى مبايعة في دولة الباطن كما هي الخلافة في الظاهر ؟

(فالجواب) : نعم كما قاله الشيخ في الباب السادس والثلاثين وثلاثمائة وعبارته : اعلم أن الحق تعالى لا يولي قط عبدا مرتبة القطابة إلا وينصب له سريرا في حضرة المثال ويقعده عليه يبني صورة ذلك المكان على صورة المكانة كما يبني صورة الاستواء على العرش عن صورة إحاطته تعالى علما بكل شيء ولله المثل الأعلى فإذا نصب له ذلك السرير فلا بد أن يخلع عليه جميع الأسماء التي يطلبها العالم وتطلبه فيظهر بها حللا وزينة متوجا مسورا مدملجا لتعمّه الزينة علوا وسفلا ووسطا وظاهرا وباطنا فإذا قعد عليه قعد بصورة الخلافة وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره دخل في تلك البيعة كل مأمور من أدنى وأعلى إلا العالون وهم المهيمون في جلال الله عز وجل العابدون لله تعالى بالذات لا بأمر إلهي ظاهر على لسان رسول ، واعلم أن أول من يدخل عليه الملأ الأعلى على مراتبهم الأول فالأول فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره لأنهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم ، إذ لا يعرف شيء إلا بضده فهم في منشط لا يعرفون لهم طعما لعدم ذوقهم للمكره وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة إلا ويسأله عن مسألة من العلم الإلهي فيقول له : يا هذا أنت القائل كذا وكذا . فيقول له : نعم فيقول له : في هذه المسألة وجهان يتعلقان بالعلم بالله تعالى أحدهما أعلى من الذي كان عند ذلك الشخص فيستفيد منه كل من بايعه علما ليس عنده ثم يخرج . قال الشيخ رضي الله عنه :

....

تقوم الساعة حتى لا يبقى أحد على وجه الأرض يقول الله “ فما أمسك الله تعالى صور السماوات أن تقع على الأرض إلا لأجل هذا الإنسان الموحد الذي لا يمكنه أن يتكلم بالنفي إذ ليس في خاطره إلا الله الواحد الأحد . قال : وهذا الذكر الذي هو الله الله هو ذكر الله الأكبر المشار إليه بقوله تعالى :وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ[العنكبوت : 45] ولا يعترض علينا المعطلة فإنهم كالعضو الأشل من الإنسان الكامل وأطال في ذلك . وقال في قول عائشة رضي الله عنها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يذكر الله على كل أحيانه أي : في جميع الأحوال فيه إثبات المجالسة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لربه عزّ وجلّ في جميع الأحوال وجلوس كل عبد مع ربه على قدر ذكره له فإما

الشيخ :وقد ذكرنا جميع سؤالات القطابة في جزء مستقل ما سبقنا أحد إليه وليست هذه المسائل معينة يتكرر السؤال بها لكل قطب وإنما يخطر الله تعالى ذلك لمن يسأل القطب حال السؤال بعد أن جرى ذلك على خاطره فيما مضى من الزمان قال الشيخ : وأول من يبايعه العقل الأول ثم النفس ثم المقدمون من عمار السماوات والأرض من الملائكة المسخرة ثم الأرواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ما سبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه إلا العالون من الملائكة كما مر وكذلك الأفراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرف إذ هم كمل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الأمر يقتضي أن لا يكون في الزمان إلا واحد يقوم بهذا الأمر تعين ذلك الواحد لكن لا لأولية وإنما هو يسبق العلم فيه بأن يكون هو الوالي وفي الأفراد من يكون أكبر منه في العلم بالله تعالى وحده . قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين : ومن خصائص القطب أن يختلي بالله تعالى وحده . لا تكون هذه المرتبة لغيره من الأولياء أبدا ثم إذا مات القطب الغوث انفرد تعالى بتلك الخلوة لقطب آخر لا ينفرد قط بالخلوة لشخصين في زمان واحد أبدا وهذه الخلوة من علوم الأسرار وأما ما ورد في الآخرة من أن الحق تعالى يخلو بعبده ويعاتبه فذلك من باب انفراد العبد بالحق تعالى لا من باب انفراد الحق بالعبد فافهم واكتم انتهى . ثم اعلم أنه لما كان نصب الإمام واجبا لإقامة الدين وجب أن يكون واحدا لئلا يقع التنازع والتضاد والفساد فحكم هذا الإمام في الوجود حكم القطب قال : وقد يكون من ظهر من الأئمة بالسيف أيضا قطب الوقت كأبي بكر وعمر في وقته وقد لا يكون قطب الوقت فتكون الخلافة لقطب الوقت الذي لا يكون إلا بصفة العدل ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر فإن الجور والعدل يقع من أئمة الظاهر ولا يكون القطب إلا عادلا . واعلم أن القطبية كما أنها قد تكون لولاة الأمور كذلك قد تكون في الأئمة المجتهدين من الأربعة وغيرهم بل هي فيهم أظهر ويكون تظاهرهم بالاشتغال بالعلم الكسبي حجابا عليهم لكون القطب من شأنه الخفاء رضي الله عنهم أجمعين . قال الشيخ محيي الدين :
وقد اجتمعت بالخضر عليه الصلاة وسألته عن مقام الإمام الشافعي فقال : كان من الأوتاد الأربعة فسألته عن مقام الإمام أحمد فقال هو صديق وأطال في ذلك ثم قال في قوله تعالى:

....

علمت عائشة ذلك من طريق كشفها وإما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بذلك وأطال في ذلك وقال :
خلق الله الأرض مثل كرة وهي مجموع أجزاء ترابية وحجرية ضم بعضها إلى بعض ، ولما خلق الله السماء بسط الأرض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت له ولذلك مادت ولو بقيت كرة ما مادت فخلق الله الجبال فقال بها : عليها دفعة واحدة وأدار بالماء المحيط بها جبلا جعله لها كالمنطقة وجعل أطراف قبة السماء عليها قال : وأما الزرقة التي ينسبها الناس إلى السماء فإنما هي لبعد السماء عن البصر كما ترى الجبال إذا بعدت سودا وزرقا وهي بيض ، وقال : ما أخذ الله من أخذ من الأمم إلا في آخر النهار وذلك لاستيفاء حركة الفلك فإن اليوم دائرة الفلك

“ 450 “
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ[النساء : 59] المراد بأولي الأمر الأقطاب والخلفاء والولاة لكن فيما لا يخالف شرعا مأمورا به وذلك هو المباح الذي لا أجر فيه ولا وزر فإن الواجب والمندوب والحرام والمكروه من طاعة الله ورسوله فما بقي لأولي الأمر المباح ، فإذا أمرك الإمام الذي بايعته على السمع والطاعة بمباح من المباحات وجب عليك طاعته في ذلك وحرمت عليك مخالفته وصار حكم تلك الإباحة الوجوب فيحصل لمن عمل بذلك أجر الواجب لارتفاع حكم الإباحة منه بأمر هذا الإمام الذي بايعته وأطال الشيخ في ذكر مبايعة النبات وسائر الحيوانات للقطب فراجعه .
(فإن قلت) : فما المراد بقولهم : القطب لا يموت ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين : من “ الفتوحات “ : أن المراد به أنّ العالم لا يخلو زمانا واحدا من قطب يكون فيه كما هو في الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذلك أبقى الله تعالى من الرسل الأحياء بأجسادهم في الدنيا أربعة ثلاثة مشرعون وهم إدريس وإلياس وعيسى وواحد حامل العلم اللدني وهو الخضر عليه السلام وإيضاح ذلك أن الدين الحنيفي له أربعة أركان كأركان البيت وهم الرسل والأنبياء والأولياء والمؤمنون والرسالة هي الركن الجامع للبيت وأركانه فلا يخلو زمان من رسول يكون فيه وذلك هو القطب الذي هو محل نظر الحق تعالى من العالم كما يليق بجلاله ومن هذا القطب يتفرع جميع الأمداد الإلهية على جميع العالم العلوي والسفلي قال الشيخ محيي الدين : ومن شرطه أن يكون ذا جسم طبيعي وروح ، ويكون موجودا في هذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته فلا بد أن يكون موجودا في هذه الدار بجسده وروحه من عهد آدم إلى يوم القيامة ولما كان الأمر على ما ذكرناه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد ما قرر الدين الذي لا ينسخ والشرع الذي لا يتبدل دخلت الرسل كلهم في شريعته ليقوموا بها فلا تخلو الأرض من رسول حي بجسمه إذ هو قطب العالم الإنساني ولو كانوا في العدد ألف رسول فإن المقصود من هؤلاء هو الواحد فإدريس في السماء الرابعة وعيسى في السماء الثانية وإلياس والخضر في الأرض ومعلوم أن السماوات السبع من عالم الدنيا لكونها تبقى ببقاء الدنيا وتفنى بفنائها صورة فهي جزء من دار الدنيا بخلاف الفلك

....

الأطلس فكان ذلك كالتربص بالعنين إلى آخر السنة فإذا انقضت فصولها فرق بينه وبين المرأة أعني : زوجته وذلك لأن أسباب التأثير الإلهي المعتاد في الطبيعة قد مرت عليه وما أثرت فيه فدل على أن العنة فيه قد استحكمت لا تزول فلما عدمت فائدة النكاح من لذة وتناسل فرق بينهما إذا كان النكاح موضوعا للالتذاذ أو للتناسل أو لهما معا أو في حق طائفة بكذا وفي أخرى بكذا ، وفي حق للمجموع أخرى وكذلك اليوم في حق من أخذ من الأمم إذا انقضت دورته وقع الأخذ الإلهي آخره .

[الباب الرابع والسبعون وثلاثمائة في معرفة منزل الرؤية]
وقال في الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة في قوله : “ هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي “ ، اعلم أن الجنة دار جمال وأنس ومنزل إلهي لطيف

الأطلس فإنه معدود من الآخرة ، فإن في يوم القيامة تبدل الأرض غير الأرض والسماوات يعني :
يبدلن بغيرهن كما تبدل هذه النشأة الترابية منا أيها السعداء بنشأة أخرى أرق وأصفى وألطف فهي نشأة طبيعية جسمية لا يبول أهلها ولا يتغوطون كما وردت بذلك الأخبار وقد أبقى الله في الأرض إلياس والخضر وكذلك عيسى إذا نزل وهم من المرسلين فهم القائمون في الأرض بالدين الحنيفي فما زال المرسلون ولا يزولون في هذه الدار لكن في باطنية شرع محمد صلى الله عليه وسلموَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ[الأعراف : 187] فالقطب هو الواحد من عيسى وإدريس وإلياس والخضر عليهم السلام وهو أحد أركان بيت الدين وهو كركن الحجر الأسود واثنان منهم هما الإمامان وأربعتهم هم الأوتاد فبالواحد يحفظ الله الإيمان وبالثاني يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي فالقطب من هؤلاء واحد لا بعينه قال الشيخ : ولكل واحد من هؤلاء الأربعة من هذه الأمة في كل زمان شخص على قلبه نائبا عنه مع وجودهم وأكثر الأولياء لا يعرفون القطب والإمامين والأوتاد ، لا النواب ولا هؤلاء المرسلون الذي ذكرناهم ولهذا يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات ثم إذا خصوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب فاعرف هذه النكتة فإنك لا تراها في كلام أحد غيرنا ولولا ما ألقي في سري من إظهارها ما أظهرتها انتهى .
(فإن قلت) : فما المراد بقولهم فلان من الأقطاب على مصطلحهم ؟
(فالجواب) : مرادهم بالقطب في عرفهم كل من جمع الأحوال والمقامات وقد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون القطب في بلادهم أو بلدهم كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه فرجل البلد قطب ذلك البلد ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة وهكذا ولكن الأقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون منهم في الزمان إلا واحد وهو الغوث .
(فإن قلت) : فهل يكون القطب الغوث أحدا من مشايخ سلسلة القوم كالشيخ يوسف العجمي وسيدي أحمد الزاهد وسيدي مدين وأضرابهم ؟
(فالجواب) : كما قاله سيدي علي الخواص رحمه الله : لا يلزم أن يكون أحدهم قطبا فإن

....

وأما النار فهي دار جلال وجبروت فالاسم الرب مع أهل الجنة والاسم الجبار مع أهل النار أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وإنما كان الحق تعالى لا يبالي بذلك لأن رحمته سبقت غضبه في حق الموحدين أو في حق المشركين ، ويكون المراد بالرحمة رحمة الإيجاد من العدم لأنها سابقة على سبب الغضب الواقع منه فلذلك كان تعالى لا يبالي بما فعل بالفريقين قال : ولو كان المراد بعدم المبالاة ما توهمه بعضهم لما وقع الأخذ بالجرائم ولا وصف الحق تعالى نفسه بالغضب ولا كان البطش الشديد فهذا كله من المبالاة والتهمم بالمأخوذ فلو لا المبالاة ما كان هذا الحكم فللأمور والأحكام مواطن إذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه وأطال في ذلك . وقال

إمام القبطانية عزيز جل أن يلمح سناه كل أحد ولكن المسلكون المذكورون كالحجاب على باب الملك يعلّمون كل من أراد دخول حضرة الملك الآداب اللائقة به وما ظهر على يديهم من الكرامات والخوارق إنما هو لشدة صفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم لله تعالى وكثرة إخلاصهم ومجاهداتهم قال : وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلي أن للقطابة ستة عشر عالما إحاطيا ، الدنيا والآخرة عالم من هذه العوالم وهذا أمر لا يعرفه إلا من اتصف بالقطبية .
(فإن قيل) : هل يكون محل إقامة القطب بمكة دائما كما هو مشهور ؟
(فالجواب) : هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث في مكان بخصوصه ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حدادا وتارة تاجرا وتارة يبيع الفول ونحو ذلك . والله أعلم .
(فإن قيل) : فهل كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، أقطاب وكم عددهم ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر من " الفتوحات " أن الأقطاب لا يخلو عصر منهم ، قال : وجملة الأقطاب المكلمين من الأمم السالفة من عهد آدم إلى محمد عليهما الصلاة والسلام ، خمسة وعشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدس في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة وهم الفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفار الماضي والماحق والعاقب والمنحور وسجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والراجح والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والراقي والواسع والبحر والمنصف والهادي والأصلح والباقي فهؤلاء هم الأقطاب الذين سموا لنا من آدم إلى محمد عليهما الصلاة والسلام ، وأما القطب الواحد الممد لجميع الأنبياء والرسل والأقطاب من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم ، قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة : واعلم أن لكل بلد أو قرية أو إقليم قطبا غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء كان أهلها مؤمنين أو كفارا وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه . قال الشيخ : وقد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام المتوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها وهو عبد الله ابن الأستاذ ببلاد الأندلس صحبته زمانا طويلا وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان

....

في قوله تعالى :﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر : 4] : اعلم أن القهر عذاب ومن أراد أن يزول عنه حكم هذا القهر فليصحب الحق تعالى بلا غرض ولا تشوف بل ينظر في كل ما يقع في العالم وفي نفسه فيجعله كالمراد له فيلتذ به ويتلقاه بالقبول والبشر والرضا فلا يزال من هذه حالته مقيما في النعيم الدائم لا يتصف بالقهر ولا باللذة .
قال : وما رأيت المقام ذائقا غيري وصاحبه يحصل له اللذة بكل واقع منه أو فيه ، أو من غيره ، أو في غيره ، فإن اقتضى ذلك الواقع التغير له تغير لطلب الحق تعالى منه التغير وكان هذا التغير هو المطلوب لأنه هو الواقع إذ ذاك وليس بمقهور فيه بل هو ملتذ بالموجب للتغير فتأمل ، قال : وإيضاح ذلك أن الإنسان لا

أشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار علي أن أستره عن الحاضرين ففعلت .
(فإن قلت) : فهل مدة معينة للقطبية إذا وليها صاحبها لا يعزل منها حتى تنقضي ؟
(فالجواب) : ليس للقطبية مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أو أقل إلى يوم إلى ساعة فإنها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعاياها .
وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة : أن كل قطب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل ثم تنسخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بالدعوة ما لذلك القطب من الحكم والتأثير في العالم فمن الأقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث والثلاثين سنة وأربعة أشهر ومنهم من يمكث فيها ثلاث سنين ومنهم ومنهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فإنهم كانوا أقطابا بلا شك انتهى . وقال في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة : اعلم أن بالقطب تحفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد وبالإمامين يحفظ الله تعالى علم الغيب والشهادة وهو ما أدركه الحس وبالأوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب وبالأبدال يحفظ الله الأقاليم السبعة وبالقطب يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ونظيره من الطب وعلم تقويم الصحة .
(فإن قلت) : فهل للقلب تصريف في أن يعطي القطبية لمن شاء من أصحابه أو أولاده ؟
(فالجواب) : ليس له تصريف في ذلك وقد بلغنا أن بعض الأقطاب سأل الله أن تكون القطبية من بعده لولده فإذا بالهاتف يقول له ذلك لا يكون إلا في الإرث الظاهر وأما الإرث الباطن فذلك إلى الله وحدهاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ[الأنعام : 124] انتهى . فعلم أنه ما حفظ من حفظ من الأولياء وغيرهم من جهاته الأربع إلا بالأوتاد الذين كان منهم الإمام الشافعي رضي الله عنه وما حفظ من حفظ في صفاته السبع إلا بالأبدال السبعة فكل صفة لها بدل يحفظها على صاحبها من حياة وعلم وقدرة وإرادة وسمع وبصر وكلام انتهى . وقال الشيخ أيضا في الباب الخامس عشر : اعلم أن لكل بدل من الأبدال السبعة قدرة تمده من روحانية الأنبياء الكائنين في السماوات فينزل مدد كل بدل من حقيقة صاحبه الذي في السماء قال:

....

يخلو نفسا واحدا عن طلب يقوم به لأمر ما وإذا كانت حقيقة الإنسان ظهور الطلب فيه فليجعل متعلق طلبه مجهولا غير معين إلا من جهة واحدة وهو أن يكون متعلق طلبه ما يحدثه الله في العالم فذلك عين مطلوبه من خير وشر ، فللخير الرضا والروح ، وللشر السخط والكراهة ، ومن عرف هذا الذي ذكرناه عرف جهل من طلب المحال
فقال لمن قال له : ما تريد ؟ أريد أن لا أريد وإنما الحق أنه كان يقول : أريد ما تريد فيتصف بالإرادة لما أراده الشارع خاصة ولا يبقى له غرض في مواد معين وأطال في ذلك . وقال : رؤية الله تعالى لا تكون بالطلب لأنها امتنان من الله تعالى ، وما كان امتنانا لا يصح طلبه إنما يصح طلب ما كان سعاية وأطال في ذلك ثم

وكذلك أمداد الأيام السبعة تنزل من هؤلاء الأبدال لكل يوم مدد يختص به من ذلك البدل .
(فإن قلت) : فهل يزيد الأبدال وينقصون بحسب الشؤون التي يبدلها الحق تعالى أم هم على عدد واحد لا يزيدون ولا ينقصون ؟
(فالجواب) : هم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون وبهم يحفظ الله الأقاليم السبعة ومن شأنهم العلم بما أودع الله تعالى في الكواكب السيارة من الأمور والأسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة .
(فإن قلت) : فلم سموا أبدالا ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين : أنهم سموا أبدالا لأن كل واحد منهم إذا فارق مكانه خلفه فيه شخص على صورته لا يشك الرائي أنه ذلك البدل .
(فإن قلت) : فهل ترتيب الأقاليم السبعة على صورة ترتيب السبع سماوات بحيث يكون ارتباط الإقليم الأول بالسماء السابعة والثاني بالسماء السادسة وهكذا ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة : نعم بكون روحانية كل إقليم مرتبة بالسماء المشاكلة له فالإقليم الأول للسماء السابعة وهكذا .
(وإيضاح ذلك) : أن تعلم يا أخي أن الله تعالى جعل هذه الأرض التي نحن عليها سبعة أقاليم واصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال وجعل لكل بدل إقليما يمسك الله وجود ذلك الإقليم به فالإقليم الأول ينزل الأمر إليه من السماء الأولى التي هي السابعة وينظر إليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه هو على قلب الخليل إبراهيم عليه السلام ، والإقليم الثاني ينزل الأمر من السماء الثانية وينزل إليه روحانية كوكبها الأعظم والبدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام ، والإقليم الثالث ينزل إليه الأمر الإلهي من السماء الثالثة وينظر إليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب هارون ويحيى بتأييد محمد صلى الله عليه وسلم ، والإقليم الرابع ينزل إليه الأمر والنهي الإلهي من السماء الرابعة قلب الأفلاك كلها وينظر إليه روحانية كوكبها الأعظم والبدل الذي يحفظه على قلب إدريس عليه السلام ، وهو القطب الذي لم يمت إلى

....

قال :وإذا وقع ما وقع من الرؤية عن طلب فليس هو الرؤية الحقيقية الحاصلة عن الطلب وذلك لأن مطلوبه من المرئي إنما هو أن يراه على ما هو عليه في نفسه وذلك محال فإن التجلي لا يقع لعبد إلا على صورة علمه به وإلا أنكره فما تجلّى تعالى لطالب الرؤية إلا في غير ما طلبه ، فلهذا كانت الرؤية إذا وقعت امتنانا على العبد لا استحقاقا وجزاء ثم إذا وقع الالتذاذ بما رآه وتخيل أنه مطلوبه تجلّى له بعد ذلك من غير طلب فكان ذلك التجلّي امتنانا إلهيا وأعطاه من العلم به ما لم يكن عنده ولا خطر على باله وكان تنعمه بتلك الرؤية كنعيم أهل الجنان وقال :
وهذه المسألة ما نبه عليها أحد غيري فيما أعلم وأطال في ذلك.
[الباب الخامس والسبعون وثلاثمائة “ في معرفة منزل التضاهي الخيالي وعالم الحقائق والامتزاج]
وقال في الباب الخامس

“ 455 “
الآن والأقطاب فينا نوابه كما مر . والإقليم الخامس ينزل الأمر من السماء الخامسة وينظر إليه روحانية كوكبها وبالبدل الذي يحفظ الله به هذا الإقليم على قلب يوسف عليه السلام ، بتأييد محمد صلى الله عليه وسلم ، والإقليم السادس ينزل الأمر إليه من السماء السادسة وينظر إليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله ويحيى عليهما السلام ، والإقليم السابع ينزل الأمر إليه من السماء الدنيا وينظر إليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام . قال الشيخ : وقد اجتمعت بهؤلاء الأبدال السبعة بمكة خلف حطيم الحنابلة حين وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم وسلموا عليّ وتحدثت معهم فما رأيت أحسن منهم سمتا ولا أكثر شغلا منهم بالله عزّ وجلّ وما رأيت مثلهم إلا سقيط الرفرف بن ساقط العرش بقونية وكان فارسيا رضي الله عنه ، وقد أطال الشيخ الكلام على أصحاب الدوائر من الأولياء في الباب الثالث والسبعين من “ الفتوحات “ فراجعه والله أعلم .

المبحث السادس والأربعون : في بيان وحي الأولياء الإلهامي والفرق بينه وبين وحي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغير ذلك

اعلم أن وحي الأنبياء لا يكون إلا على لسان جبريل يقظة ومشافهة وأما وحي الأولياء فيكون على لسان ملك الإلهام وهو على ضروب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائتين : فمنه ما يكون متلقى بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال وهو الوحي في المنام فالمتلقى حينئذ خيال والنازل كذلك والموحى به كذلك . ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس ومنه ما يكون معنى يجده الموحى إليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال ممن نزل عليه . قال :وقد يكون ذلك كتابة ويقع هذا كثيرا للأولياء وبه كان يوحى لأبي عبد الله قضيب البان وغيره كبقي بن مخلد تلميذ الإمام أحمد رضي الله عنه ، لكنه كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده إلا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة انتهى .

(فإن قلت) : فما علامة كون تلك الكتابة التي في الورقة من عند الله عزّ وجلّ حتى يجوز للولي العمل بها ؟

....

والسبعين وثلاثمائة ، في قوله تعالى :كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ]المؤمنون : 53 [.

اعلم أن كل جاهل متنعم بجهله بالأمور لكن لا يعلم أنه جاهل بها فإنه لو علم أن ثم علما خلاف ما يعلمه هو لأدركه التنغيص وما تنعم بجهله قط فليس كل حزب بما لديهم فرحون في الدنيا ، وإنما ذلك في الآخرة ، وأما في الدنيا فذلك في كثير من الناس لا في كلهم .

وقال في قوله تعالى في المنافقين :وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (14)اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ[البقرة : 14 - 15] .

اعلم أن المنافق برزخ بين المؤمن والكافر فإذا انقلب تخلص إلى أحد الطرفين وهو طرف الكفر ولم يتخلص للإيمان إذ لو تخلص هنا

“ 456 “
(فالجواب) : أن علامتها كما قاله الشيخ في الباب الخامس عشر وثلاثمائة : أن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها ، قال الشيخ : وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين فإن وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عزّ وجلّ لكن لا يعمل بها إلا إذا وافقت الشريعة التي بين أظهرنا . قال : وكذلك وقع لفقيرة من تلامذتنا أنها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبق كفّها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فألهمني الله تعالى أني قلت لها :انوي بقلبك أنه إذا فتح الله كفك أن تبتلعيها فنوت وقربت يدها إلى فمها فدخلت الورقة في فمها قهرا عليها فقالوا لي : بما عرفت ذلك فقلت : ألهمت أن الله تعالى لم يرد منها أن يطلع أحدا عليها قال : وقد أطلعني الله على الفرق بين كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه انتهى .

(فإن قلت) : فما حقيقة الوحي ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين من “ الفتوحات “ : أن حقيقته هو ما تقع به الإشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة إذ العبارة يتوصل منها إلى المعنى المقصود منها ولذا سميت عبارة بخلاف الإشارة التي هي الوحي فإنها ذات المشار إليه والوحي هو المفهوم الأول والإفهام الأول ولا عجب من أن يكون عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه فإن لم يحصل لك يا أخي معرفة هذه النكتة فليس لك نصيب من معرفة علم الإلهام الذي يكون للأولياء ، ألا ترى أن الوحي هو السرعة ولا أسرع مما ذكرناه انتهى .

(فإن قلت) : فما صورة تنزل وحي الإلهام على قلوب الأولياء ؟

(فالجواب) : صورته أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى ولي من أوليائه بأمر ما تجلّى إلى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الأمر فيفهم من ذلك الولي التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهناك يجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة قبل ذلك كما وجد النبي صلى الله عليه وسلم ، العلم في الضربة باليد

....

للإيمان ولم يكن برزخا لكان إذا انقلب لا ينقلب إلا إلى الله في دار كرامته فما أخذ المنافق إلا بأمر دقيق لا يشعر به كثير من العلماء وقد نبه على ذلك بقوله :وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا[البقرة : 14] فلو أنهم قالوا ذلك حقيقة لسعدوا وكذلك قوله : وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم أي : لو قالوا ذلك وسكتوا لما أثر فيهم الذم الواقع ولكنهم زادوا قولهم :إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ[البقرة : 14]
فشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فما أخذوا إلا بما أقروا به وإلا فلو أنهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة لسعدوا ألا ترى أن الله تعالى لما أخبر عن نفسه في مؤاخذته إياهم كيف قال :اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [البقرة : 15] .
فما أخذهم بقولهم إنا

الإلهية كما يليق بجلاله تعالى وكما وجد العلم في شربة اللبن ليلة الإسراء ثم إن من الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا في خاطري ولا يعلم من أتاه به ولكن من عرفه فهو أتم لحفظه حينئذ من الشيطان وأطال في ذلك في الباب الثاني عشر وثلاثمائة .
وقال في الباب الثالث والخمسين وثلاثمائة : اعلم أنه لم يجيء لنا خبر إلهي أن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحي تشريع أبدا إنما لنا وحي الإلهام قال تعالى :وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ[الزمر : 65] ولم يذكر أن بعده وحيا أبدا وقد جاء الخبر الصحيح في عيسى عليه السلام ، وكان ممن أوحي إليه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه إذا نزل آخر الزمان لا يؤمن إلا بنا أي :
بشريعتنا وسنتنا مع أن له الكشف التام إذا نزل زيادة على الإلهام الذي يكون له كما لخواص هذه الأمة .
(فإن قلت) : فإذن إلهام خبر إلهي ؟
(فالجواب) : نعم . وهو كذلك إذ هو إخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم .
(فإن قلت) : فهل يكون إلهام بلا واسطة أحد ؟
(فالجواب) : نعم . قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل إنسان وبين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الإلهام لكن علم هذا الوجه يتسارع الناس إلى إنكاره ومنه إنكار موسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى في إنكاره أن الأنبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم إلا على يد ملك لا يعرف شرعا من غير هذه الطريق فعلم أن الرسول والنبي يشهدان الملك ويريانه رؤية بصر عندما يوحى إليهما وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه فليهمه الله تعالى بواسطته ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوساط وهو أجل الإلقاء وأشرفه إذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع في هذا الرسول والولي أيضا .
(فإن قلت) : فما محل الإلهام من العبد ؟
(فالجواب) : محله من العبد هو النفس قال تعالى :فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْواها(8) [الشمس:

....

معكم وإنما أخذهم بما زادوا به على النفاق من قولهم : إنما نحن مستهزئون كما مر ، وفي الحديث : “ مداراة الناس صدقة “ . والمؤمن يداري الطرفين مداراة حقيقة ولا يزيد على المداراة شيئا من الاستهزاء فيجني ثمرته ، قال : فتفطن لذلك فإنه سر غامض في القرآن ووضوحه إخفاء وانظر إلى صورة كل منافق تجده ما أخذ إلا بما زاد على النفاق قال : فالمؤمن المداري منافق لكنه ناج وفاعل خير لأنه إذا انفرد مع أحد الفريقين أظهر الاتحاد به ولم يتعرض إلى ذكر الفريق الآخر الذي ليس بحاضر عنده فإذا انقلب إلى الآخر كان معه بهذه المثابة والباطن في الحالتين مع الله عز وجل ، وقد قال تعالى لموسى وهارون :فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً[طه : 44].

[8أي : أن الله تعالى ألهم النفس فجورها لتجتنبه وتعلمه لا لتعمل به وألهمها تقواها لتعمل به وتعلمه فهو إلهام إعلام لا كما يظنه من لا علم له بالحقائق ولذلك قال تعالى :وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها(10) [الشمس : 10] والدس هو إلحاق خفي بازدحام فقد ألحق هذا الجاهل العمل بالفجور بالعمل بالتقوى وما فرق في مواضع التفريق فأخطأ قال : وسبب خطئه رميه ميزان الشريعة من يده ولو أن الميزان كانت في يده لرأى أنه مأمور بالتقوى منهي عن الفجور فتبين له الأمران معا .
(فإن قلت) : قد ذكر الغزالي في بعض كتبه أن من الفرق بين تنزل الوحي على قلب الأنبياء وتنزله على قلوب الأولياء نزول الملك فإن الولي يلهم ولا ينزل عليه ملك قط والنبي لا بد له في الوحي من نزول الملك به فهل ذلك صحيح .
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلاثمائة : إن ذلك غلط والحق أن الكلام في الفرق بينهما إنما هو في كيفية ما ينزل به الملك لا في نزول الملك إذ الذي ينزل به الملك على الرسول أن النبي خلاف ما ينزل به الملك على الولي التابع فإن الملك لا ينزل على الولي التابع إلا بالاتباع لنبيه وبإفهام ما جاء به مما لم يتحقق له علمه كحديث قال العلماء بضعفه مثلا فيخبره ملك الإلهام بأنه صحيح فللولي العمل به في حق نفسه بشروط يعرفها أهل الله عز وجل لا مطلقا وقد ينزل الملك على الولي ببشرى من الله بأنه من أهل السعادة كما قال تعالى في :الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا[فصلت : 30] وهذا وإن كان إنما يقع عند الموت فقد يعجل الله تعالى به لمن يشاء من عباده . قال الشيخ : وسبب غلط الغزالي وغيره في منع تنزل الملك على الولي عدم الذوق وظنهم أنهم قد عموا بسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملك الإلهام نزل عليهم أنكروه وقالوا ذلك خاص بالأنبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بأن زيادة الثقة مقبولة وأهل الله كلهم ثقات . قال : ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من أهل الله وأخبرهم بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلك ولم ينكروه قال : وقد نزل علينا ملك الإلهام بما لا يحصى من العلوم وأخبرنا بذلك جماعات كثيرة ممن كان لا يقول بقولنا : فرجعوا إلينا فلله الحمد .
(فإن قلت) : فهل ينزل ملك الإلهام على أحد من الأولياء بأمر أو نهي ؟

....

وذلك عين المداراة فإنه يتخيل في ذلك المقام أنك معه . قال الشيخ رحمه الله : ولما صح لي هذا المقام واتحدت بالملوك والسلاطين ما قضيت لأحد من الناس حاجة إلا من طريق المداراة ولذلك ما ردوا لي شفاعة في أحد قط وذلك أني كنت أبسط للملك بساطا أستدرجه فيه حتى يكون هو السائل في قضاء تلك الحاجة فيقضيها على الفور بطيب نفس لما يرى له فيها من المصلحة قال : ولقد كلمت السلطان الملك الظاهر بأمر الله بيبرس أبا الفتوحات صاحب حلب في حوائج كثيرة للناس فقضى لي في يوم واحد مائة حاجة وثمان عشرة حاجة ولو كان معي

" 459 "
(فالجواب) : أن ذلك ممتنع كما قاله الشيخ في الباب العاشر وثلاثمائة فلا ينزل ملك الإلهام على غير نبي بأمر ونهي أبدا وإنما للأولياء وحي المبشرات وهو الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له وهي حق ووحي غالبا لأنها غير معصومة .
(فإن قلت) : فهل يكون وحي المبشرات في غير النوم كما هو في النوم ؟
(فالجواب) : نعم . وعلى كل حال فهي رؤيا بالخيال وبالحس لا في الحس والمتخيل قد يكون من دخل في القوة وقد يكون من بحار تمثيل روحاني أو هو التجلي المعروف عند القوم إذا كان المزاج مستقيما مهيئا للحق وهو خيال حقيقي وأطال الشيخ في ذلك .
(فإن قلت) : إن بعضهم يقول : إذا اعترضوا عليه في فعله أمرا من الأمور ما فعلت ذلك إلا بأمر من الله تعالى كما نقل عن سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ، أنه ما قال قدمي هذه على عنق كل ولي لله تعالى إلا بعد أمر الحق له بذلك فهل ذلك صحيح .
(فالجواب) : الأمر بذلك غير صحيح ولعل الناقل لذلك اشتبه عليه الإذن بالأمر إذ الإذن يطلق على المباح شرعا بخلاف الأمر فإنه تشريع جديد يقتضي عصيان من خالفه فافهم . وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين من " الفتوحات " : من قال من الأولياء إن الله تعالى أمره بشيء فهو تلبيس لأن الأمر من قسم الكلام وصفته وهذا باب مسدود دون الأولياء من جهة التشريع .
(وإيضاح ذلك) : أنه ليس في الحضرة الإلهية أمر تكليفي إلا وهو مشروع فما بقي للأولياء إلا سماع أمرها فإذا أمرهم الأنبياء بشيء كان لهم المناجاة واللذة السارية في جميع وجودهم لا غير ، ومعلوم أن المناجاة لا أمر فيها ولا نهي إنما حديث وسمر وكل من قال من أهل الكشف : إنه مأمور بأمر إلهي مخالف لأمر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الأمر ، وإن كان صادقا فيما قال : إنه سمعه قال : ويمكن أن بعض الأولياء يكشف الله عن قلبه الحجاب ويقيم الله تعالى له مظهرا محمديا فيسمع فيه أمر الحق ونهيه لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيظن أن الحق تعالى كما هو وإنما كلم روح محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون ذلك من باب التعريف بالأحكام الشرعية لا شرعا جديدا فإن ذلك باب قد أغلق بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى.

....

ذلك اليوم أكثر من ذلك لقضاه لي قال : ومن علم أن الحق تعالى مع الجبابرة لزم أدب الخطاب معهم وهذا عزيز جدا وأطال في ذلك .

[الباب السادس والسبعون وثلاثمائة في معرفة منزل يجمع بين الأولياء والأعداء من الحضرة الحكمية]

وقال في الباب السادس والسبعين وثلاثمائة :
وجه من قال : إنه ليس للحاكم أن يحكم بعلمه بل بالبينة كون الحق تعالى مع علمه بما فعل عبيده لا يؤاخذهم يوم القيامة إلا بعد إقامة البينة عليهم وذلك أخلص للحكام في الدنيا والآخرة وأبعد عن التهمة ، ومن هنا يعلم أن الحق تعالى لا يؤاخذ عباده إلا على صورة ما شرعه لهم في الدنيا ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، عن أمر ربه رب احكم بالحق يعني : بالحق الذي بعثتني به ، وشرعت لي أن أحكم به فيهم أي : لأنه رحمة فسأله الرحمة لأمته بهذا القول على سبيل

" 460 "

(فإن قلت) : فإذن وحي البشائر هو الأعم الأغلب ؟

(فالجواب) : نعم إذ هو الوحي الخاص الذي بين كل إنسان وبين ربه عزّ وجلّ فيناجيه منه في سره حال سجوده وغيره ، فلا يجد أحدا أقرب إليه من الله تعالى . وذلك تأييد من الله تعالى لبعض الصادقين وقد يكون وحي البشائر أيضا بواسطة ملك ولكن النبوة من شأنها الواسطة فلا بد من الملك فيها والمبشرات ليست كذلك فالعارف لا يبالي بما فاته من الأمر مع بقاء المبشرات عليه وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والعشرين وثلاثمائة . وقال في الباب الثامن والستين ومائتين : اعلم أن الفرق بين وحي الأولياء ووحي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن الأولياء يشاهدون تنزل الأرواح على قلوبهم لكن لا يرون الملك النازل بخلاف النبي والرسول ، فإن شهد الولي الملك لا يشهد إلقاءه عليه حال شهوده وإن شهد الإلقاء لا يشهد الملك فيعلم أنه من الملك من غير شهود له فلا يجمع بين رؤية الملك والإلقاء منه إليه إلا نبي أو رسول وبهذا يفرق بين الرسول والولي وقد أغلق الله تعالى باب التنزل بالأحكام الشرعية وما أغلق باب التنزل به بالعلم بها على قلوب أوليائه الذي هو التنزل الروحاني بالعلم وذلك ليكون الأولياء على بصيرة في دعائهم إلى الله بها كما كان مورثهم صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال تعالى :قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي[يوسف : 108] . فهو آخذ لا يتطرق إليه تهمة . قال الجنيد في معرض الثناء على علم أهل الله تعالى فما ظنك ، بعلم علم الناس فيه تهمة فإن علم غيرهم لا يكون صاحبه على بصيرة لا في الفروع ولا في الأصول أما في الفروع فللاحتمال في التأويل وأما في الأصول فلما يتطرق إلى الناظر في الدليل من الدخل عليه فيه من نفسه وغيره فهو يتهم دليله لهذا الخلل وقد كان يقطع به قبل ذلك وأهل الله تعالى كلهم أهل بصائر وعلمهم كله من حق اليقين أي : حق استقراره في القلب فلا يزلزله شيء عن مقره . يقال : قر الماء في الحوض إذا استقر وهناك يحصل له السكون والاستقرار ويزول التردد والأوهام والظنون وهذا السكون والاستقرار إن أضيف إلى النفس والعقل يقال له : علم اليقين وإن أضيف إلى الروح الروحاني يقال له عين اليقين وإن أضيف إلى القلب الحقيقي يقال له حق اليقين وإن أضيف إلى السر الوجودي يقال له حقيقة حق اليقين انتهى . وقال في الباب الثامن والثلاثين : لما أغلق الله تعالى باب الرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان ذلك من أشد ما تجرعت

....

التضرع .وقال فيه في قوله تعالى :كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [الأنعام : 54] .

وقوله :وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [الروم : 47] .

ونحوهما من الآيات : اعلم أن للحق تعالى أن يوجب على نفسه ما شاء لأنه يفعل ما يريد ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده ، فله تعالى أن يخلف ما كتب ولا يلحقه ذم ولا لوم بخلاف العبد إذا أوجب على نفسه شيئا كالنذر يدخل تحت حد الواجب فيأثم الناذر إذا لم يقم به عقوبة له حيث أوجب على نفسه ما لم يوجبه الله عليه وزاحم في التشريع ، ولهذا نهى الشارع عن النذر فافهم . ثم إذا وفوا بنذرهم آجرهم الله عليه ، ثواب الواجبات الشرعية فضلا منه ورحمة ، وقال في حديث : " يقول الله عز

“ 461 “
الأولياء مرارته لانقطاع الوصلة بينهم وبين من يكون واسطتهم إلى الله تعالى فرحمهم الحق تعالى بأن أبقى عليهم اسم الولي الذي هو من جملة أسمائه تعالى جبرا لمصيبتهم قال : ولذلك نزع الله تعالى هذا الاسم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسماه بالعبد والرسول اللذين لا يليقان بالله شرفا له صلى الله عليه وسلم ، أن يزاحم الحق تعالى في التسمية وأما وصفه صلى الله عليه وسلم ، برؤوف رحيم فذلك خلعة من الله تعالى بيانا لشرفه من الله على وجه خاص ليغبط به قوما خاصين قال : ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن في أمته من تجرع كأس انقطاع الوحي والرسالة جعل لخواص أمته نصيبا من الرسالة ليكونوا بذلك عبيدا تبعا له صلى الله عليه وسلم ، إذ أشرف مقام يضاف إلى العبد كونه عبدا لله عزّ وجلّ فقال : ليبلغ الشاهد الغائب فأمرهم بالتبليغ ليصدق عليهم اسم الرسل إذ الرسالة مخصوصة بالعبد وقال صلى الله عليه وسلم : “ رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها . “ يعني : حرفا بحرف من غير تصرف فيما يبلغه كما تبلغ الرسل كلام ربها باللفظ الذي يلقيه الله إليهم بواسطة أو بغيرها وما فاز بهذه الدرجة وبدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالرحمة ، إلا الذين يروون أحاديثه بالألفاظ التي سمعوها من غير زيادة لفظ ، فإن من يروي الحديث بالمعنى إنما ينقل إلينا صورة فهمه هو فكأنه رسول نفسه ولا يحشر يوم القيامة في صفوف الرسل إلا من بلغ الوحي من كتاب أو سنة بلفظه كما سمعه ، فالصحابة إذا نقلوا الوحي على لفظة رسل رسول الله والتابعون رسل الصحابة وهكذا جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة فإن شئنا قلنا في المبلغ إلينا إنه رسول الله وإن شئنا أضفناه لمن بلغ عنه وإنما جوزنا حذف الواسطة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يخبره جبريل أو ملك من الملائكة ولا نقول فيه رسول جبريل ولا رسول ذلك الملك ، وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن تسمية العبد بالولي ينقص من عبوديته بقدر هذا الاسم فمن أراد أن لا ينقص وليا من مقام عبوديته فليسمه محدثا بفتح الدال المهملة فإنه أولى به من اسم الولي انتهى .
(فإن قلت) : فهل جميع الأولياء يعرفون الروح النازل عليهم ؟
(فالجواب) : ليس كل الأولياء يعرفون ذلك فيرى أحدهم العلوم النازلة على قلبه ولا يدري عمن جاءته كما يقع للكهنة وأصحاب الزجر وأصحاب الخواطر وأهل الإفهام ، فكل

....

وجل يوم القيامة أكملوا لعبدي فريضة من تطوعه “ أي : ما نقص من الفرض الواجب كملوه من الفرض الذي في النوافل كالقراءة والركوع والسجود ونحو ذلك وما نقص من سنن الفرض الواجب كملوه من السنن التي في النوافل كل شيء بمثله . قال : واعلم أن النوافل هي كل ما جاء زائدا على الفرائض من جنسها فإن لم يكن لذلك الزائد عين صورة في الفرائض فليس هو بنافلة بل عمل مستقل وله مرتبة في الأجر ليست للنوافل . وقال في حديث : لا يقبل من صلاة الرجل إلا ما عقل منها : اعلم أن في حديث “ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين “ إشارة إلى أن أكثر ما يكون حق الله تعالى النصف في الصلاة من غير زيادة وأما هنا فهو القدر الذي

هؤلاء يجدون العلم في قلوبهم ولا يعرفون من جاءهم به حقيقة والخواص يعرفون من جاءهم ولذلك يتلقونه بالأدب ويأخذون عنه الأدب رضي الله عنهم أجمعين . وقد قال الشيخ في الباب الثالث والسبعين في الأجوبة عن أسئلة الحكيم الترمذي : اعلم أن مما اختص به المحدثون من أهل الله كونهم يعرفون حديث الحق تعالى معهم في نفوسهم لما هم عليه من الصفاء وغيرهم لا يعرف ذلك ، قال ورأس المحدثين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والناس كلهم من الأمة ورثته في ذلك .
(فإن قلت) : فمن يحفظ الولي من التلبيس عليه فيما يأتيه من وحي الإلهام ؟
(فالجواب) : يعرف ذلك بالعلامات فمن كان له في ذلك علامة بينه وبين الله عرف الوحي الحق الإلهامي الملكي من الوحي الباطل الشيطاني حفظ من التلبيس ولكن أهل هذا المقام قليل ، قال الشيخ في الباب الثالث والثمانين ومائتين : مما غلط فيه جماعة من أهل الله عزّ وجلّ كأبي حامد الغزالي وابن سيدلون رجل بوادي اشت قولهم : إذا ارتقى الولي عن عالم العناصر وفتح لقلبه أبواب السماء حفظ من التلبيس قالوا : وذلك لأنه حينئذ في عالم الحفظ من المردة والشياطين فكل ما يراه هناك حق قال الشيخ محيي الدين : وهذا الذي قالوه : ليس بصحيح وإنما يصح ذلك أن لو كان المعراج بأجسامهم مع أرواحهم إن صح أن أحدا يرث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في هذا المعراج وأما من عرج به بخاطره وروحانيته بغير انفصال موت وجسده في بيته مثلا فقد لا يحفظ من التلبيس إلا أن يكون له علامة في ذلك كما مر . وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أن الشيطان لا يزال مراقبا لقلوب أهل الكشف سواء كان أحدهم من أهل العلامات أم لم يكن لأن له حرصا على الإغواء والتلبيس لعلمه بأن الله تعالى قد يخذل عبده فلا يحفظه فيعيش إبليس بالترجي ويقول لعل وعسى فإن رأى إبليس باطن العبد محفوظا وأنوار الملائكة قد حفت به انتقل إلى جسد ذلك العبد فيظهر له في صورة الحس أمورا عسى يأخذه بها فإذا حفظ الله تعالى قلب ذلك العبد ولم ير له على باطنه سبيلا جلس تجاه قلبه فينتظر غفلة تطرأ عليه فإذا عجز عن أن يوقعه في شيء يقبله منه بلا واسطة نظر في حال ذلك الولي فإن رأى أن من عادته الأخذ للمعارف من الأرض أقام له أرضا متخيلة ليأخذ منها فإن أيد الله تعالى

....

عينه تعالى له من صلاة عبده وهو العشر فإنه قال : عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها ، وما ذكر النصف إلا في الفاتحة فعلمنا المعنى فعيناه في جميع أفعال الصلاة وأقوالها بل في جميع ما كلفنا من الأعمال فأما عينه فهو ما انحصرت فيه الفاتحة وهي تسعة أقسام القسم الأول :بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِالثاني :الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ(2) الثالث :الرَّحْمنِ الرَّحِيمِالرابع :مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(4) الخامس :إِيَّاكَ نَعْبُدُالسادس :وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُالسابع :اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ(6) الثامن :صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْالتاسع :غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ[الفاتحة : 1-

ذلك العبد رده خاسئا لاطلاعه حينئذ على الفرق بين الأرضين المتخيلة والمحسوسة وقد يأخذ الكامل من إبليس ما ألقاه إليه من الله لا من إبليس فيرده أيضا خاسئا وكذلك إن رأى إبليس أن حال ذلك الولي الأخذ من السماء أقام له سماء متخيلة مثل السماء التي يأخذ منها ويدرج له فيها من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف بما قلناه في شأن الأرض المتخيلة والأصلية وإن رأى أن حال ذلك الولي الأخذ من سدرة المنتهى أو من ملك من الملائكة خيل له سدرة مثلها أو صورة ملك مثل ذلك الملك وتسمى له باسمه وألقى إليه ما عرف أن ذلك الملك يلقيه إليه من ذلك المقام فإن كان ذلك الشخص من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوه وإن كان محفوظا حفظ منه فيطرد عنه إبليس ويرمي ما جاء به أو يأخذ ذلك عن الله تعالى لا عن إبليس كما مر ويشكر الله تعالى على ذلك وإن رأى الشيطان أن حال ذلك الولي الأخذ من العرش أو العماء أو الأسماء الإلهية ألقى إليه الشيطان بحسب حاله ميزانا بميزان . وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والثمانين ومائتين .

(فإن قلت) : فهل يصح أن الحق تعالى يمكر بإبليس فيجعله طريقا لوصول الخبر لبعض العباد ؟

(فالجواب) : نعم يصح أن الله تعالى يمكر بإبليس كما ذكره الشيخ في الباب الثامن والستين وعبارته : واعلم أن من مكر الله تعالى بإبليس أن يلهمه ما به يكون فعل الخير مع العباد من حيث لا يشعر إبليس وذلك أنه يوسوس في قلب العبد بلمته فيخالفه العبد ويعمل بخلافه فيحصل له بمخالفته إبليس الأجر فلو علم إبليس أن ذلك العبد يسعد بوسوسته تلك ما ألقى إليه شيئا . قال : وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذا المكر أبدا انتهى .

(فإن قلت) : فما صورة وصول الأولياء إلى العلم بأحوال السماوات ؟

(فالجواب) : يصل الأولياء إلى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم ، كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة وأهل النار الآن بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما رأى الجنة والنار في صلاة الكسوف ورأى في النار عمرو بن لحي الذي سيب السوائب وصاحب المحجن وصاحبة الهرة التي حبستها حتى ماتت وفي بعض طرق الحديث : " رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط " .

انتهى . والله تعالى أعلم.

....

7] . فالخاسر الساهي عن صلاته من لم يحضر مع الله في قسم واحد من هذه التسعة الأقسام التي ذكرناها في الفاتحة وهي التي ذكرها الله في القبول من العشر إلى النصف ، فمن رأى البسملة آية منها ولا يفصلها فالقسمة على ما ذكرناه في الفاتحة فإن حكم الله تعالى في الأشياء حكم المجتهد فهو معه في اجتهاده ومن أداه اجتهاده إلى الفصل ففصل البسملة من الفاتحة وجعلها ليست بآية منها جعل الله له الجزء التاسع ولا الضالين والبسملة أحق وأولى فإنها من القرآن بلا شك عند العلماء بالله وتكرارها في السور مثل ما تكرر في القرآن من سائر الكلمات

المبحث السابع والأربعون : في بيان مقام الوارثين للرسل من الأولياء رضي الله عنهم أجمعين
اعلم أن عدد منازل الأولياء في المعارف والأحوال التي ورثوها من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، مائتا ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل وتسعمائة وتسعة وتسعون منزلا لا بد لكل من حق له قدم الولاية أن ينزلها جميعها ويخلع عليه في كل منزل من العلوم ما لا يحصى . قال الشيخ محيي الدين :وهذه المنازل خاصة بهذه الأمة المحمدية لم ينلها أحد من الأمم قبلهم ولكل منزل ذوق خاص لا يكون لغيره ذكره في الباب الثالث والسبعين من “ الفتوحات “ . وقال في الباب التاسع والأربعين وثلاثمائة : كنت أظن قبل أن يطلعني الله تعالى على مقامات الأنبياء من حيث كوني وارثا لهم أن من الأدب أن يقال : فلان على قدم الأنبياء ولا يقال : إنه على قلبهم لأن الأولياء على آثار الأنبياء مقتدون ولو أنهم كانوا على قلوب الأنبياء لنالوا ما نالته الأنبياء أصحاب الشرائع فلما أطلعني الله على مقامات الأنبياء علمت أن للأولياء معراجين أحدهما يكونون فيه على قلوب الأنبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم ، كما سيأتي لكن من حيث هم أولياء أو ملهمون فيما لا تشريع فيه والمعراج التالي يكونون فيه على أقدام الأنبياء أصحاب التشريع فيأخذون معاني شرعهم بالتعريف من الله ولكن من مشكاة نور الأنبياء فلا يخلص لهم الأخذ عن الله تعالى ولا عن الروح القدس وما عدا ذلك فإنه يخالص لهم من الله تعالى ومن الروح القدس من طريق الإلهام انتهى . وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة : اعلم أن ورثة الأنبياء هم العلماء والأولياء ، فالأولياء حفاظ الأحوال والأحكام الباطنة التي تدق عن الأفهام والعلماء حفاظ الأحكام الظاهرة التي تفهم ببادي الرأي وقد يرث هؤلاء أيضا الأنبياء في الأحوال الباطنة كما كان عليه السلف الصالح فكانوا أولياء علماء فلما تخلف الناس عن العمل بكل ما يعلمون سموا علماء فقط وسلبوهم اسم الولي وإلا فالعلماء حقيقة هم الأولياء على ما عليه الناس اليوم كل ولي عالم عامل بلا شك وليس كل عالم وليا لأنه قد يتخلف عن مقام العمل بما علم . فالفقهاء على الحقيقة هم الأولياء لزيادتهم بعلم الأحوال على علم المقام.

....

وما زاد على التسعة فعقله في التلاوة على عدد حروف الكلمة فقد يعقل المصلي حرفا من حروف الكلمة ثم يغفل عن الباقي فهذا معنى قوله العام : أنه لا يقبل منها إلا ما عقل ، فالعاقل من أتى بها كاملة ليقبلها الله كاملة ومن انتقص منها شيئا في صلاته جبرت له من قراءة الفاتحة في نوافله من الصلاة فليكثر من النوافل فإن لم تف قراءتها في النوافل فما نقصه من قراءة الفاتحة في الفريضة أكمل له من تلاوته بحضور في غير الصلاة المعينة وإن كان في جميع أفعاله في صلاة كمن هم على صلاتهم دائمون فاعلم ذلك .

[الباب السابع والسبعون وثلاثمائة في معرفة منزل سجود القيومية والصدق والمجد واللؤلؤة والسور]

وقال في الباب السابع والسبعين وثلاثمائة : اعلم أنه لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه أن يكون هو ذلك المطلوب له إلا بإعلام

(فإن قلت) : فما الفرق بين الوارث المحمدي والوارث لغيره من الأنبياء عليهم السلام ؟
(فالجواب) : أن الفرق بينهما أن ورثة الأنبياء آياتهم في الآفاق من خرق العوائد وغيرها وآية الوارث المحمدي في قلبه فلذلك كان الوارث المحمدي مجهولا في العموم معروفا في الخصوص لا غير ، لأن خرق العادة إنما هو حال وعلم في قلبه فهو في كل نفس يزداد علما بربه علم حال وذوق لا يزال كذلك كما مرت الإشارة إليه أول مبحث المعجزات وقال في الباب التاسع والثلاثين وأربعمائة : من علامة الوارث المحمدي أن يشهد نفسه خلف كل نبي ولو كانوا مائة ألف نبي لرأى نفسه في أماكن على عددهم فإن جميع الأنبياء والرسل قد جمعت حقائقهم وشرائعهم في محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن آمن به وصدق فكأنه آمن بجميع الأنبياء حقيقة ثم إنه إذا تعددت صورته خلف جميع الأنبياء يصير يعلم أنه هو وليس غيره في كل صورة ، وأطال في ذلك .
وقال في الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن والخمسين : اعلم أن هذه الدولة المحمدية جامعة لأقدام النبيين والمرسلين فأي ولي رأى قدما أمامه في حضرة الحق فذلك قدم النبي الذي هو له وارث وأما قدم محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا يطأ أثره أحد كما لا يكون أحد على قلبه وكما لا يكون أحد وارثا له على الكمال أبدا لأنه لو ورثه على الكمال لكان رسولا مثله أو نبيا بشريعة تخصه يأخذها عمن أخذ منه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا قائل بذلك فنعوذ بالله من التلبيس انتهى .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : “ العلماء ورثة الأنبياء “ هل هم المحدثون أو مطلق العلماء ؟
(فالجواب) : المراد بهم كل من كان علمه لا تستقل به العقول ولا الحواس بل تحيله العقول من حيث نظرها ، وليس المراد بهم ما يستقل العقول والحواس بإدراك علمهم فإن ذلك لا يكون وارثه فافهم . واعلم أنه لا يصح ميراث لأحد إلا بعد انتقال الموروث إلى البرزخ لأن كل ما حصل للعبد بغير انتقال لا يسمى إرثا وإنما يسمى هبة وعطية ومنحة يكون العبد فيها نائبا وخليفة لا وارثا . قال في الباب الثمانين والثلاثمائة : ولا يخفى أن الإرث كله يرجع إلى نوعين معنوي ومحسوس فالمحسوس هو الأخبار المتعلقة بأفعاله صلى الله عليه وسلم ، وأقواله وأحواله وأما المعنوي فهو تطهير النفس من مذام الأخلاق وتحليتها بمكارمها وكثرة ذكر الله عز وجل على كل حال بحضور ومراقبة.

....

الله وجعله العلم الضروري في نفس العبد مثل ما يجد النائم في نومه من رؤية صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو الحق تعالى في النوم فيجد في نفسه علما ضروريا من غير سبب ظاهر أن ذلك المرئي هو الرسول إن كان الرسول ، أو الحق تعالى إن كان هو الحق ، وذلك لوجد أنه حقا في نفسه مطابقا لما هو الأمر عليه فيما رآه هكذا العلم بالله فلا يدرك إلا هكذا ، وأما النظر والفكر فلا وقال في قوله صلى الله عليه وسلم فأقول : “ سحقا سحقا “ ، يعني :في حق الطائفة الذين أخذ بهم ذات الشمال إنما قال صلى الله عليه وسلم “ : وهو الرؤوف الرحيم سحقا سحقا “ لأن من كان عالما بالأمور لا يزيد

(فإن قلت) : فمن هو أعظم الورثة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الجواب الثالث عشر من الباب الثالث والسبعين : إن أعظم الورثة الختمان وأحدهما أعظم من الآخر فواحد يختم الله به الولاية على الإطلاق وواحد يختم الله به الولاية المحمدية فأما خاتم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السلام ، فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة وقد حيل بينه وبين التشريع والرسالة فينزل آخر الزمان وارثا وخاتما لا ولي بعده بنبوة مطلقة كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده فيعلم أن عيسى عليه السلام ، وإن كان بعده ومن أولي العزم وخواص الرسل فقد زال حكمه من هذا المقام بحكم الزمان عليه الذي هو لغيره فيرسل وليا ذا نبوة مطلقة ويلهم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ، ويفهمه على وجهه كالأولياء المحمديين فهو منا وهو سيدنا فكان آخر الأمر نبيا كما كان آدم أول الأمر نبيا فختمت النبوة بمحمد والولاية بعيسى . قال الشيخ : وأما خاتم الولاية المحمدية فهو رجل من الغرب من أكرمها أصلا ويدا وهو في زماننا اليوم موجود وقد اجتمعت به في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التي أخفاها الحق تعالى فيه عن عيون عباده وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه ورأيته مبتلى بالإنكار عليه فيما يتحقق به في سره من العلوم الربانية وأطال في ذلك .
ثم قال : واعلم أن الأولياء كثيرا ما يتكلمون بالخوارق فينبغي التسليم لهم ما لم يخرج أحد عن الشرع كأن زعم أحدهم أن الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام ، فإن ذلك يبطل اختصاص موسى واصطفاءه على الناس بالكلام وفي القرآن العظيموَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ[الشورى : 51] الآية .
(فإن قلت) : فلم سمّي الإنسان بشرا ؟
(فالجواب) : سمي بشرا لمباشرته للأمور التي تعوقه عن اللحوق بدرجة الروح فلو أنه خلص من العوائق لكلمه الله تعالى من حيث كلم الأرواح وارتفاع بشريته محال لأن جزءها يدق ولا ينقطع فلا يصح مكالمة الله تعالى كفاحا لأحد من الأمة ولو ارتفعت رتبته .
(فإن قلت) : فما الفرق بين الكلام والمحادثة والمناجاة فإن أهل الله يمنعون المكالمة

....

على حكم ما يقضي به الوقت ولذلك قالوا : الصوفي ابن وقته ثم إنه إذا زال الحال تلطف في المسألة وتشفع في كل موحد هوت به الريح من أمته في مكان سحيق .
وقال في قوله تعالى :وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ(3) [الانشقاق : 3] : اعلم أن مد الأرض هو تدكدك جبالها حتى تصير رضا فما كان منها عاليا في الجو إذا انبسط زاد في بسط الأرض
قال : ولهذا جاء في الخبر “ إن الله يمد الأرض يوم القيامة مد الأديم “ فشبه مدها بمد الأديم لأن الإنسان إذا مد الأديم طال من غير أن يزاد فيه شيء لم يكن في عينه فما زاد إلا لما كان فيه من النقيض والنتوء فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتوء الذي كان فيه فزاد في سعة الأرض ورفع المنخفض منها حتى

دون المحادثة والمناجاة ؟
(فالجواب) : الفرق بينهما أن مقام الكلام لا بد وأن يسمع صاحبه كلام الحق ، والمحادثة والمناجاة ليس فيهما سماع كلام الحق فهم كالمتهجدين في الأسحار يناجون الحق ويسامرونه ويلهمهم الفهم عنه وبعض أهل الله يمنع المحادثة مع الحق أيضا لأحد من الأولياء ويقول : المراد بحديث : إن يكن من أمتي محدثون فعمر هو المناجاة .
(فإن قلت) : فما الفرق بين المحدثين من الأولياء والنبيين ؟
(فالجواب) : الفرق بينهما التكليف وذلك أن النبوة لا بد فيها من علم التكليف وحديث المحدثين لا تكليف فيه جملة واحدة وإنما يقع لهم الحديث فيما تنتجه الأحوال والمقامات وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والسبعين .
(فإن قلت) : فما المراد بحديث : إن لله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم من ربهم ؟
(فالجواب) : المراد بهم أرباب العلوم وأرباب السلوك الذين اهتدوا بهدي أنبيائهم ولكن ليس لهم أتباع لعلو مقامهم فهم مستريحون يوم القيامة لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يخافون على أنفسهم لما عندهم من الاستقامة ولا على غيرهم لأنهم ليس لهم أتباع ذكره الشيخ في الباب المذكور أيضا .
(فإن قلت) : قد رأينا في كلام بعضهم تكفير الأولياء المحدثين بفتح الدال المهملة لكونهم يصححون الأحاديث التي قال الحفاظ بضعفها .
(فالجواب) : تكفير الناس للمحدثين المذكورين عدم إنصاف منهم لأن حكم المحدثين حكم المجتهدين فكما يحرم على كل واحد من المجتهدين أن يخالف ما ثبت عنده فكذلك

....

بسطه فزاد فيها ما كان من طول من سطحها إلى القاع منها كما يكون في الجلد سواء فلا ترى في الأرض هناك عوجا ولا أمتا فيأخذ البصر من المبصر جميع من في الموقف بلا حجاب من ارتفاع وانخفاض ليرى الخلق كلهم بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله في الفصل والقضاء في عباده ، وأطال في ذلك .

[الباب التاسع والسبعون وثلاثمائة]

وقال في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة : إنما سمي القرآن قرآنا لأنه جمع بين ما نزل في الكتب والصحف وما لم ينزل فيها ففيه كل ما في الكتب المنزلة وفيه ما لم ينزل في كتاب ولا صحيفة كما قيل في الفاتحة : إن الله تعالى أعطاها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، خاصة دون غيره من الرسل من كنز تحت العرش فلم توجد في كتاب منزل ولا في صحيفة إلا في القرآن خاصة . وقال في قوله صلى الله عليه وسلم : “ إن ربكم واحد وإن أباكم واحد “ إنما لم يقل صلى الله عليه وسلم : إن أبويكم اثنان ، يعني : حواء وآدم كما وقع في الظاهر ، لأن حواء عين آدم إذ هي عين ضلعه فلم يكن إلا أب واحد في صورتين مختلفتين وليس أبوك إلا من أنت عينه فما ثم إلا أب واحد

المحدثون بفتح الدال وكلاهما شرع بتقرير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الجواب السابع والخمسين : وقد وقع لنا التكفير مع علماء عصرنا لما صححنا بعض أحاديث قالوا : بضعفها . قال : ونحن نعذرهم في ذلك لأنه ما قام عندهم دليل على صدق كل واحد من هذه الطائفة وهم مخاطبون بغلبة الظن ولو أنهم وفوا النظر معهم حقه لسلموا لهم حالهم كما يسلم الشافعي للحنفي حكمه ولا ينقض حكم من حكم به من الحكام ومما اعتذروا به قولهم لو صدقت القوم في كل ما يدعونه من نحو ذلك لدخل الخلل في الشريعة لعدم العصمة فيهم فلذلك سددنا الباب وقلنا : إن الصادق من هؤلاء لا يضره سدنا هذا الباب قال الشيخ محيي الدين : ونعم ما فعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالأجر التام على ذلك ولكن إذا لم يقطعوا بأن ذلك الولي مخطىء في مخالفتهم فإن قطعوا بخطئه فلا عذر لهم فإن أقل الأحوال أن ينزلوا الأولياء المذكورين منزلة أهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى . وكذلك قال الشيخ أيضا في أواخر الباب الثالث والستين وثلاثمائة ولفظه : اعلم أن من عدم الانصاف من الناس إيمانهم بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم إيمانهم بها إذا أتى بها أحد من خواص أتباعهم من العلماء والأولياء فإن البحر واحد وياليتهم إذ لم يؤمنوا بها إذا جاءت على يد الأولياء يأخذونها على وجه الحكاية فإن الأنبياء كما جاءوا بما تحيله العقول وآمن الناس به كذلك ينبغي الإيمان به إذا جاء على لسان الأولياء فكثيرا ما تهبّ نفحة من نفحات الأنبياء على قلوب أتباعهم تؤديهم إلى الموافقة في الألفاظ التي جاءت بها الرسل من صفات الباري جل وعلا فكما سلمنا في الأصل فكذلك نسلم في الفرع بجامع الموافقة فإياك والكفران فإنه خسران انتهى . وقال أيضا في الباب الأحد وثلاثمائة : كثيرا ما يرد على أهل الكشف من الأولياء أمور لا تقبلها العقول ونرمي بها وإذا قالها النبي صلى الله عليه وسلم ، قبلت إيمانا وتأويلا ولا تقبل من غيره وهذا من عدم الإنصاف فإن الأولياء إذا عملوا بما شرع لهم هبت عليهم من تلك الحضرة نفحات جود إلهي تكشف لهم عما شاء الله من أعيان تلك الأمور الإلهية التي قبلت من الأنبياء فإذا جاء بها ولي كفروه مع أنهم يؤمنون بها

....

وأطال في ذلك . وقال في حديث : “ حبب إليّ النساء والطيب “ لم يبين صلى الله عليه وسلم ، من حبب إليه ذلك ولكن نحن نعلم يقينا من وجه عصمته أن المراد تحبيب الله تعالى إليه ذلك فإنه معصوم عن أن يحب لطمع أو طبع أو حذر ، فعلم أن من أحب النساء والطيب بحكم الطبع مثلا فليس بوارث للنبي صلى الله عليه وسلم ، في هذا المقام وسيأتي معنى وجعلت قرة عيني في الصلاة في الباب الثامن والثمانين وثلاثمائة فراجعه .
وقال في قوله صلى الله عليه وسلم “ : العلماء ورثة الأنبياء “ : اعلم أنه ليس المراد بالعلم هنا ما تستقل العقول والحواس بإدراكه دون الأخبار فإن ذلك ليس بوراثة وإنما المراد به هنا ما لا تستقل العقول بإدراكه من حيث نظرها بل تحكيه بأدلتها فاعلم ذلك .

[الباب الأحد والثمانون وثلاثمائة “ في معرفة منزل التوحيد والجمع]
وقال في الباب الأحد والثمانين وثلاثمائة : إنما كان أكابر الرجال لا مقام لهم معروف لأن مشهودهم الحق تعالى ومن كان كذلك فلا غاية لمشهوده ولا لشهوده بخلاف أصحاب المقامات من الصوفية

عينها إذا جاء بها النبي فما أعمى بصيرة هؤلاء المكفرين وأقل الأمور أن يقولوا له : إن كان ما تقول حقا وإنك خوطبت به أو كشف لك عنه فتأويله كذا وكذا . إن كان ذلك من أهل التأويل وإن كان ظاهريا يقول قد ورد في الخبر النبوي ما يشبه هذا فإن ذلك ليس هو من شرط النبوة ولا حجره الشارع في كتاب ولا سنة انتهى .

(فإن قلت) : فإن سلمنا للأولياء ما جاءوا به فما حكمه إذا خالف ما جاءت به الرسل ؟

(فالجواب) : حكمه الرد فإن الولي إذا أتى في كشفه بما يخالفه ما كشف للرسل وجب علينا الرجوع إلى كشف الرسل وعلمنا أن ذلك الولي قد طرأ عليه في كشفه خلل لكونه زاد على كشفه نوعا من التأويل بفكره فلم يقو مع كشفه فهو كصاحب الرؤيا يخبر عما رأى وكشفه صحيح ، ولكن أخطأ في التعبير فإن الكشف لا يخطئ أبدا وإنما المتكلم في مدلول ذلك يخطئ ويصيب إلا إن كان يخبر عن الله تعالى في ذلك انتهى . قال الشيخ أبو تراب النخشبي رحمه الله : إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله . قال : ولما علم العارفون من المجادلين بغير علم أنهم لا بد لهم من الإنكار على الطائفة عدلوا إلى الإشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة فكل آية أو حديث له عندهم وجهان : وجه يرونه في نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى :سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ[فصلت : 53] . فيسمون ما يرونه في نفوسهم إشارة ليؤنسوا بذلك المنكرين عليهم ولا يسمونه تفسيرا وقاية لشرهم وتشنيعهم عليهم وذلك لجهلهم بمواقع خطابات الحق تعالى واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم فإن الله تعالى كان قادرا على أن ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم في كتابه ومع ذلك فما فعل بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت على لسان العامة علوم معاني الاختصاص الخاص فهمها بالخلص قال : ولو أن هؤلاء المنكرين ينصفون لاعتبروا في نفوسهم إذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم على بعض في الكلام في معنى تلك الآية مثلا . ويقر الفاضل منهم بفضل الأفضل والقاصر بفضل غير القاصر فيها وكلهم في مجرى واحد ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم ينكرون على أهل الله إذا جاءوا بشيء مما يغمص عن إدراكهم

....

فإن هممهم منحصرة إلى غايات ونهايات فكلما وصلوا إلى تلك الغايات تجددت لهم في قلوبهم غايات أخر تكون تلك الغايات التي وصلوا إليها بدايات لهذه الغايات الأخر فتحكم عليهم الغايات بالطلب لها ، ولا يزال هذا الأمر لهم دائما بخلاف الكمل من الرجال وقال فيه :

اعلم أن للخيال سلطانا عظيما على الطبيعة حتى إنه يجسد ما ليس من شأنه التجسد فيريك الإسلام قبة والقرآن سمنا وعسلا والقيد ثباتا في الدين ، قال : ومن أراد نجابة ولده فليقم في نفسه عند الجماع صورة من شاء من أكابر العلماء وإن أراد أن يحكم ذلك فليجامع وهو ينظر ذلك العالم مثلا من وراء حجاب ويتأمل في جماله ويذكر ذلك الجمال أيضا لامرأته ويستفرغان

وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يحصل إلا على يد المعلم المعتاد في عرفهم وصدقوا فإن أصحابنا ما حصل لهم العلم إلا بالإعلام الروحاني الرباني فهم عاكفون على حضرته ينتظرون ما يفتح الله به على قلوبهم قال تعالى :خَلَقَ الْإِنْسانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيانَ (4)]الرحمن : 3 ، 4] . وقال تعالى :عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ(5 ([العلق : 5] . وقال في حق الخضر :وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً]الكهف : 65] فصدق المنكرون فيما قالوا : إن العلم لا يكون إلا بالتعلم وأخطأوا في اعتقادهم أن الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول قال تعالى :يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ[البقرة : 269] .
والحكمة هي العلم وجاء بمن وهي نكرة ، ولكن لما آثر هؤلاء المنكرون الدنيا على الآخرة وآثروا ما يتعلق بجناب الخلق على ما يتعلق بجناب الحق وتعودوا أخذ العلم من الكتب وأفواه الرجال الذين من جنسهم ورأوا في زعمهم أنهم من أهل الله تعالى بما علموا وامتازوا عن العامة حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمهم في سرائرهم على يد ملك الإلهام فعلمهم معاني كلامه وكلام رسله وهو تعالى هو العالم الحقيقي وأطال في ذلك . ثم قال : فلهذا صان أهل الله تعالى نفوسهم بتسميتهم الحقائق إشارات فإن المنكرين لا يرون الإشارات وأين هؤلاء المنكرون من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لو تكلمت لكم في تفسير الفاتحة لحملت لكم سبعين وقرا فهل هذا العلم إلا من العلم اللدني الذي أعطاه الله تعالى في القرآن إذ الفكر لا يصل إلى ذلك . وقد كان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه ، يقول : خطابا للمنكرين عليه في زمانه : قد أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ، وكان الشيخ أبو مدين إذا سمع أحدا يقول : نقل فلان عن فلان : لا تطعمونا القديد أطعمونا اللحم الطري يرفع بذلك همة أصحابه كأنه يقول :
لا تحدثونا بفتوح غيركم وحدثونا بفتوحكم الجديد في فهمكم لكلام الله أو كلام رسوله . فعلم أن أهل الله تعالى ما وضعوا الإشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لأنفسهم فإنهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وإنما وضعوها للدخيل بينهم حتى أنه لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه أن يسمع منهم شيئا لا يصل إلى عقله القاصر فينكر عليهم فيحرم ذلك العلم فإنه قد جرب أن ما أحدا أنكر شيئا على أحد من العارفين إلا وحرم ذلك الشيء عقوبة له وأطال في ذلك ثم قال :
وأصل الإنكار كله الحسد المشتمل عليه النوع البشري ولو أن الناس تركوا الحسد لأنيرت

....

في النظر إلى حسنه فإنه إن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع أثر في ذلك الحمل ما تخيلاه بقدرة الله تعالى فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بد فإن لم يخرج كذلك فإنما هو لأمر طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم أخرجهما ذلك الأمر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعران قال : ويعبر عما ذكرناه عند العامة بالتوحم وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين صورة كلب أو أسد أو حيوان ما فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه على صورة ما تخيلاه حسنا وقبحا وأطال في ذلك ثم قال : وتأمل كيف أثر الخيال في زكريا حين دخل على مريم المحراب ورآها بتولا يعني : منقطعة عن الرجال فطلب من عند الله

قلوبهم وأدركوا علوم أهل الله تعالى وقد بسطنا الكلام على ذلك في المقدمة أول هذا الكتاب وأطال الشيخ محيي الدين الكلام على ذلك في الباب الثلاثين من الفتوحات المكية والله أعلم .
المبحث الثامن والأربعون : في بيان أن جميع أئمة الصوفية على هدى من ربهم وأن طريقة الإمام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أقوم طرق القوم كلها لتحريرها على الشريعة تحرير الجوهر
اعلم رحمك الله أن حقيقة الصوفي فقيه عمل بعلمه لا غير فأورثه الله تعالى بعلمه الاطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها حتى صار أحدهم مجتهدا في الطريق والأسرار كما هو شأن الأئمة المجتهدين في الفروع الشرعية ، ولذلك شرعوا في الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الأولى زائدا على ما صرحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظير ذلك وأبطلوا أي : مجتهدو القوم العبادات والعقود بالإخلال بما أوجبوه وشرطوه أو بارتكاب ما حرموه وهذا شأنهم رضي الله عنهم . فما من أحد منهم حق له قدم الولاية إلا وهو مجتهد في الطريق ليس عنده تقليد إلا لما صرحت به الشريعة أو أجمع عليه الأئمة فقط فمن ادّعى مقام الكمال وهو مقلد لعالم فهو غير صادق وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا : لا يكمل الرجل عندنا في الطريق حتى يأخذ العلم من حيث أخذه المجتهدون انتهى . ثم مما اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة لهم إلى العمل بالكتاب والسنة فإذا قلت لهم : إن مقصودي أن أزهد في الدنيا بحيث لا يبقى عندي ميل عادي لها يقولون لك أكثر من ذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى يرق حجابك فتدرك الآخرة بعين بصيرتك وتنظر ما لمن يزهد في الدنيا من الدرجات والنعيم كما وقع لإبراهيم بن أدهم رضي الله عنه فإذا رأيت ذلك زهدت لا محالة في الدنيا ولو قال لك جمهور الناس : ارغب في الدنيا لا تصغي لهم ولو أنك يا أخي قلت ذلك لعالم لقال لك : إن الله تعالى أمرك أن تزهد لا غير ، ولا يهتدي للطريق إلى ذلك فحكمه حكم طبيب يحفظ كتابا في الطب ولا يعرف علاج المرض فعلم أن سبب إنكار بعض الناس على الصوفية إنما هو لدقة مداركهم ولو أن المنكر لزم الأدب

....

أن يهبه ولدا من لدنه وليا أي : من عندية الله من حيث الرحمة واللين والعطف ، وكانت مريم في خياله من حيث مرتبتها فجاء يحيى على صورتها حصورا أي : منقطعا عن مباشرة النساء وهو العنين عندنا كما كانت مريم منقطعة عن مباشرة الرجال قال : واسمها حنة ومريم لقب لها .[الباب الثاني والثمانون وثلاثمائة “ في معرفة منزل الخواتم وعدد الأعراس الإلهية والأسرار الأعجمية]
وقال في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة في قوله تعالى :كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ[غافر : 35] : اعلم أن الحق تعالى ختم على كل قلب أن تدخله ربوبية الحق تعالى فلا أحد قط من الخلق يجد في نفسه أنه رب إله بل كل أحد منهم يعلم من نفسه أنه عبد ذليل مفتقر محتاج فلذلك طبع الله على كل قلب متكبر جبار أن لا يدخله كبر إلهي أبدا لختمه

لسلم للقوم كل ما خالف فهمه مما لم يعارض كتابا ولا سنة ولا إجماعا ، وقد رأيت في كتاب " الرعاية " للشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر في عصره ما نصه : كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها التي لا تتزلزل قال : ويؤيد ذلك ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ إلا إن سلك طريقهم انتهى . وقد بلغنا أنه كان يقول قبل ذلك : وهي ثم طريق للشريعة غير ما بأيدينا من النقول ثم يقول : من زعم أن ثم علما باطنا للشريعة غير ما بأيدينا فهو باطل يقارب الزنديق ، فلما اجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي بمصر المحروسة وأخذ عنه صار يمدح طريق القوم كل المدح ويقول : إنها طريق جمعت أخلاق المرسلين وكان يقول حجة الإسلام الغزالي رحمه الله مثل ما كان يقول الشيخ عز الدين أولا فلما اجتمع بالصوفية وذاق طريقهم صار يقول ضيعنا عمرنا في البطالة . أي : لما في الاشتغال بالعلم على طريق أهل الجدال من غلبة للقول على العمل والحق أن الاشتغال بالفقه ليس هو ببطالة إنما هو أساس للطريق فإن من شأن أهل الطريق أن يكون جميع حركاتهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنة ولا يعرف ذلك إلا بالتبحر في علم الحديث والفقه والتفسير فقول الغزالي : إن الاشتغال بالفقه بطالة إنما هو كلام صدر حال عشقه في طريق القوم والعاشق حكمه حكم السكران ، ولو أنه تأمل في حاله لعرف ما قلناه من أن الفقه أساس الطريق وأن غاية الصوفي أنه عالم عمل بعلمه لا غير .

(وقد كان) : سيدي إبراهيم الدسوقي رحمه الله يقول : لو أن الفقيه أتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما أمره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ولكنه أتى العبادات بعلل وأمراض فلذلك احتاج إلى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء ومن هنا استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الأشياخ ولم ينقل عن أحد منهم أنه دون شيئا في علاج الأمراض الباطنة لعدمها في عصرهم أو قلتها جدا حتى لا تكاد توجد وكان معظم اجتهادهم إنما هو في جمع أحاديث الشريعة والمطابقة بينها وبين الكتاب العزيز وهذا أهم بيقين من اشتغالهم بعلاج أمراض لعلها لا توجد وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال : لأي شيء لم يدون الأئمة المجتهدون شيئا في علم التصوف أو يشتغلوا بالذكر لتتجلى قلوبهم كما يفعل الصوفية فإنه لا يقول عاقل قط عن أحد يعني : من الأئمة إنه يعلم من نفسه عجبا أو رياء أو

....

على باطن كل عبد أن يدخله تأله ، وأما الألسنة فلم تعصم من التلفظ بدعوى الألوهية كما لم تعصم الأنفس أن تعتقد الألوهية في غيرها فعصمت أن تعتقدها في نفسها دون أمثالها وأطال في ذلك وقال : من أراد الدخول إلى فهم كلام ربه فليترك عقله ويقدم بين يديه شرعه ويقول لعقله : أنت عبد مثلي كيف أترك ما نسبه الحق إلى نفسه لعجزك عن تعقله مع أنك قاصر عن معرفة ربك ولو ألزمت نفسك الإنصاف للزمت حكم الإيمان والتلقي وجعلت النظر والاستدلال في غير ما لم يرد عن ربك وأطال في ذلك . ثم قال في قوله تعالى :ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ[الأنبياء : 2] : اعلم أنه لا يلزم من حدوث الأمر عندك أن يكون حادثا في نفسه لا

غلا أو حقدا أو مكرا أو خديعة ولا يجاهد نفسه أبدا ولو أنهم علموا أن فيهم شيئا من ذلك لقدموا علاجه على سائر الأعمال من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبوَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ(5) [البينة : 5] فافهم ، فقد بان لك أن سائر أئمة الصوفية على هدى من ربهم كالأئمة المجتهدين وأنه لا ينبغي لأحد أن ينكر عليهم كلامهم إلا بعد أن يدخل طريقهم ويعرف مصطلحهم وجميع من شطح عن ظاهر الشريعة إنما هو دخيل فيهم أو غلب عليه حال أو كان مبتدئا في الطريق وأما الكاملون كالجنيد وأضرابه فطريقهم محررة على الأدب تحرير الذهب إذ هم حماة الدين رضي الله عنهم أجمعين . وإنما خصصنا كغيرنا طريق الشيخ أبي القاسم الجنيد بمزيد التقويم وأن كل من سلكها نجا لأنها كما قال الجلال المحلّي وغيره : طريق خال من البدع دائر على التسليم والتفويض لله تعالى والتبري من حظوظ النفس وهذا من أصح الطرق فهي كطريق الشيخ أبي الحسن الأشعري في العقائد الدينية ولذلك قالوا : ونعتقد أن طريق الشيخ أبي الحسن الأشعري في العقائد الدينية طريق مثلي لكونها بين التفريط والإفراط . قال الجلال المحلي : ولا التفات إلى من تكلم في الشيخ أبي الحسن من أهل الزيغ ويكفينا في إمامته وجلالته إكباب علماء الإسلام من أهل التفسير والحديث والفقه والأصول على الاعتماد على قوله في العقائد وكذلك يكفينا في إقامة أبي القاسم الجنيد رحمه الله إجماع الناس كلهم على جلالته وقولهم : إنه سيد الطائفة كلها علما وعملا وهو جدير بذلك وقد كان يقول : علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة انتهى . وإنما لم يذكر القياس والإجماع لأن القياس والإجماع إنما تعلم دلالتهما إذا وافقا قواعد الكتاب والسنة فاستغنى الجنيد عن القياس والإجماع بذكر الكتاب والسنة وكان يقول أيضا : إذا رأيتم شخصا متربعا في الهواء فلا تلتفتوا إليه إلا إن رأيتموه مقيدا بالكتاب والسنة وكان يقول : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : لو كنت حاكما لضربت عنق من سمعته يقول : لا موجود إلا الله أوليس لي فعل مع الله لأن ظاهر كلامه نفي غير الله وهدم أحكام التكاليف كلها قال الجلال المحلّي وغيره : ولا التفات إلى من رمى الشيخ الجنيدي في جملة من رمي بالزندقة من الصوفية عند الخليفة جعفر المقتدر بالله تعالى حتى أنه أمر بضرب أعناقهم وقد بلغنا أنهم كلهم أمسكوا إلا الجنيد مع أنه

....

عقلا ولا عرفا ولا شرعا ، فإنك تقول : حدث عندنا اليوم ضيف وهو صحيح حدوثه عندك لا حدوثه في نفسه ذلك الوقت بل كانت عينه موجودة من قبل بنحو سبعين سنة وأكثر وأطال في ذلك . وقد ذكرنا ذلك أيضا في أجوبة شيخنا والله أعلم.
وقال في قوله تعالى :مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ[آل عمران : 7] : اعلم أن المحكم من الآيات كله عربي والمتشابه كله موسوي لأنه أعجمي والعجمية عند أهل العجمية عربية والعربية عند الإسلام عجمية وما ثم عجمة إلا في الاصطلاح والألفاظ والصور الظاهرة ، وأما المعاني فلا عجمة فيها بل كلها عربية فمن ادّعى علم المعاني وقال بالتشابه به فلا علم له أصلا بما ادّعى أنه علمه من

شيخ الجماعة وذلك لأنه كان يستر كلام أهل الطريق عمن ليس منهم وكان يستتر بالفقه والإفتاء على مذهب أبي ثور . وكان إذا تكلم في علوم القوم أغلق باب داره وجعل مفتاحه تحت وركه وكذلك بلغنا عن الحسن البصري رضي الله عنه ، وكانا يقولان : أتحبون أن يرمى أولياء الله بالزندقة زورا وبهتانا عند من لا يعرف اصطلاحهم ولم يبلغنا قط عن الجنيد أنه تكلم بشيء من الشطح كما نقل عن أبي يزيد وغيره كل ذلك لكماله . قال الجلال المحلّي : ولما بسط النطع لضرب أعناق الصوفية الذين أمسكوا تقدم من آخرهم الشيخ أبو الحسن النوري وقال للسياف : اضرب عنقي قبل أصحابي . فقال له السياف : لم ذلك ؟ فقال : لأوثر أصحابي بحياة ساعة فبهت السياف وأنهى الأمر إلى الخليفة فردهم إلى القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي فسأل النوري عن مسائل فقهية فأجابه عنها ثم قال : وبعد فإن لله عبادا إذا قاموا قاموا لله ، وإذا نطقوا نطقوا بالله ، فقبل القاضي قوله : وأرسل يقول للخليفة إن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم فخلى الخليفة سبيلهم رضي الله عنهم أجمعين . وحكى ابن أيمن في رسالته عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه كان في أول أمره ينهى ولده عن مجالسة الصوفية حتى نزل عليه جماعة منهم في الليل من الهواء فسألوه عن مسائل في الشريعة حتى أعجزوه ثم صعدوا في الهواء فمن ذلك الوقت كان يقول لولده عليك بمجالسة الصوفية فإنهم أدركوا من خشية الله وأسرار شريعته ما لم ندركه وكان إذا عجز عن جواب مسألة يقول للشيخ أبي حمزة البغدادي ما تقول في هذا يا صوفي فإذا أجابه بشيء أخذ به . وحكى القشيري عن ابن سريج أنه كان ينكر على الجنيد فتنكر يوما وحضر مجلس الجنيد وهو لا يشعر فلما انصرف الجنيد قالوا لابن سريج . ماذا رأيت في كلام هذا الرجل فقال : لم أفهم من كلامه شيئا إلا أن صولة الكلام ليست بصولة مبطل فعلم أن الإنكار لم يزل في العلماء على الصوفية في كل عصر لدقة مداركهم لا لخروجهم عن الشريعة في نفس الأمر معاذ الله أن يقع الأولياء في ذلك وإن جاز ذلك في حقهم وقد بسطنا الكلام على ذلك في مقدمة “ الطبقات الكبرى “ والله تعالى أعلم.

....

ذلك فإن المعاني كالنصوص عند أهل الألفاظ لأنها بسائط لا تركيب فيها والعجمة من شرطها التركيب فلو لا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود .[الباب الثالث والثمانون وثلاثمائة في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات المحمدية]

وقال في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة معنى قوله صلى الله عليه وسلم لبلال يستفهمه : بم سبقتني إلى الجنة ؟ مع أنه صلى الله عليه وسلم ، يعلم أن السبق له هو . أي : بم صرت مطرقا بين يدي في الجنة كالمطرقين في الدنيا بين يدي الملوك . قال :

فأفهمنا صلى الله عليه وسلم ، أن من فعل مثل بلال من أنه كلما أحدث توضأ وصلى ركعتين كان كذلك مطرقا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولبلال الأولية وغيره تبع له .[الباب الخامس والثمانون وثلاثمائة في معرفة منازلة من حقر غلب ومن استهين منع]

وقال في الباب الخامس والثمانين وثلاثمائة ، في قوله صلى الله عليه وسلم للسوداء : “ أين الله ؟ “ : اعلم أنه قد دل الدليل العقلي استحالة حصر الحق في أينية ولكن الشارع صلى الله عليه وسلم ، لما علم أن الجارية المذكورة ليس في قوتها أن تعقل موجدها إلا على ما صورته في نفسها خاطبها بذلك ولو أنه خاطبها بغير ما تصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ، أن سأل مثل هذه الجارية

المبحث التاسع والأربعون : في بيان أن جميع الأئمة المجتهدين على هدى من ربهم من حيث وجوب العمل بكل ما أدى إليه اجتهادهم وإثبات الأجر لهم من الشارع وإن أخطأوا
على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى واعلم يا أخي أن مبحث الجواب عن الأئمة يكتفي فيه بأي وجه كان وأما التحقيق فله مكان آخر فلا ينبغي الاعتراض علينا إذا بنينا هذا المبحث على القول المرجوح بأن كل مجتهد مصيب .
(وسمعت) : سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : اعملوا على الجمع بين أقوال العلماء جهدكم فإن إعمال القولين أولى من إلغاء أحدهما وبذلك يقل تناقض أقوال العلماء ومن وصل إلى مقام الكشف وجد جميع الأئمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة في شيء من أقوالهم وشهدها كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة ، لأنهم على آثار الرسل ، سلكوا . فكما أنه يجب عليك يا أخي الإيمان والتصديق بصحة كل ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، مما يخالف شريعتك ظاهرا فكذلك يجب عليك الإيمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون وإن خالف مذهب إمامك انتهى . وقد تتبعت بحمد الله أدلة المجتهدين فلم أجد فرعا من فروع مذاهبهم إلا وهو مستند إلى دليل إما آية أو حديث أو أثر أو قياس صحيح على أصل صحيح ، لكن من أقوالهم ما هو مأخوذ من صريح الحديث أو الآية أو الأثر مثلا ومنه ما هو مأخوذ من المفهوم أو مأخوذ من ذلك المأخوذ وهكذا فمن أقوالهم قريب وأقرب وبعيد وأبعد وكلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة التي هي الأصل ومحال أن يوجد فرع من غير أصل .
(وإيضاح ذلك) : أن نور الشريعة المطهرة هو النور الوضاح ، ولكن كلما قرب الشخص منه يجده أضوأ من غيره وكلما بعد عنه في سلسلة التقيد يجده أقل نورا بالنسبة لما هو أقرب من عين الشريعة وهذا هو سبب تفاوت أقوال علماء المذاهب وتضعيف بعضهم كلام بعض إلى

....

بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك لما أشارت إلى السماء قال فيها : إنها مؤمنة . يعني : مصدقة بوجود الله ، ولم يقل إنها عالمة لأنها صدقت قول الله تعالى :وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ . [الأنعام : 3] .
ولو كانت عالمة لم تقيده بالسماء ، فعلم أن للعالم أن يصحب الجاهل في جهله تنزلا لعقله والجاهل لا يقدر على صحبة العالم بغير تنزل قال : وإيضاح ما قررناه في الأينية أن الشرائع كلها إنما نزلت بحسب ما وقع عليه التواطؤ في ألسنة الأمم قال تعالى :وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ[إبراهيم : 4] .
ثم إن التواطؤ قد يكون على صورة ما هي الحقائق عليه وقد لا يكون والحق تعالى تابع لهم في ذلك ليفهم عنه ما أنزله من أحكامه وما

عصرنا هذا فإن بيننا الآن وبين الشارع نحو خمسة عشر دورا وأين من يخرق ببصره هذه الأدوار كلها حتى يشهد اتصال أقوال جميع الأدوار بعين الشريعة ، وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : مثال عين الشريعة المطهرة التي يتفرع منها كل قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم مثال العين الأولى من شبكة الصياد ومثال أقوال علمائها مثال العيون المنتشرة منها في سائر الأدوار فمن كشف الله تعالى عن بصيرته وأدرك العين الأولى وما تفرع منها أقر جميع أقوال علماء الإسلام بحق وشاهدها كلها مرتبطة بالعين الأولى من العيون كارتباط الظل بالشاخص أو كارتباط الأصابع بالكف ، ومن لم يكشف الله تعالى عن بصيرته أخطأ ضرورة كل ما زاد عن مطمح بصره وأخرجه عن الشريعة قال : وعلى ما قررناه ينزل القولان من أن كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والباقي مخطىء وبالأول قال جماعة من الأصوليين ومن المالكية أبو بكر بن العربي وغيره وبالثاني قال الجمهور انتهى . وقد كنت وضعت بحمد الله تعالى ميزانا أوضحت فيها أدلة هذين القولين ثم لما رأيت الغالب على أهل المذاهب الإكباب على قول إمامهم وعدل التدين بأقوال غيره إلا لضرورة رجعت عنه .
(وسمعت) : سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ما تم لنا قول إلا وأصله مجمل في الكتاب والسنة ولولا ذلك ما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلملِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ[النحل : 44] بل كان يكتفي بتبليغه القرآن من غير بيان قال : ولما كان من المعلوم أنه لا يفصل العبارة إلا العبارة نابت الرسل عليهم الصلاة والسلام ، عن الحق تعالى في تفصيل ما أجمله تعالى في كتابه العزيز وناب المجتهدون مناب الرسل عليهم الصلاة والسلام ، في تفصيل ما أجملوه في كلامهم وناب أتباع المجتهدين مناب المجتهدين فيما أجملوه من كلامهم ، وهكذا القول في كلام أهل كل دور ممن بعدهم إلى وقتنا هذا يفصل أهل كل دور ما أجمله الدور الذي قبلهم ، ولولا أن حقيقة هذا الإجمال سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان إلى لسان ولا وضع الناس على تفسير بعضهم وشروحه حواشي بل ربما وضعوا على الحواشي حواشي والسر في ذلك أن غير الشارع صلى الله عليه وسلم ، إذا تكلم على حكم شرعي لا يمكنه أن يستحضر جميع ما يرد على تلك العبارة من الأسئلة والأحكام حتى يفصح عنها في تلك العبارة بل ينسى أكثر الأحكام بخلاف الشارع صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يتكلم إلا بوحي من ربه عزّ وجلّ معصوم من الخطأ ونقص

....
وعد به وأوعد عليه فما جاء الشارع بلفظ الأينية في حق الحق إلا من أجل التواطؤ الذي عليه بلسان المرسل إليهم ، قال : ولو أن غير الرسول قالها لشهد الدليل العقلي بجهل القائل فإنه لا أينية لله تعالى فلما قالها الرسول وبانت حكمته وعلمه علمنا أنه تنزل للجارية والله أعلم

[الباب الثامن والثمانون وثلاثمائة في معرفة منازلة مجهولة]
وقال في الباب الثامن والثمانين وثلاثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم : “ جعلت قرة عيني في الصلاة “ ليس المراد به المناجاة وإنما المراد به شهود من ناجاه فيها قال : ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : “ إن الله في قبلة أحدكم . “
وقال : اعبد الله كأنك تراه ، خطابا لمن ليس في مقامه صلى الله عليه وسلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم ، كان يراه في عبادته ما كان كأنه يراه وأطال في ذلك .
وقال في قوله تعالى :لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ [يونس:

المعاني وصحة الإيرادات عليهوَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا[مريم : 64] وغير الشارع بالعكس قال تعالى :وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً[النساء : 82] . فعلم أن أهل كل دور رحمة على من بعدهم كما أن للتابع من الخلق المنة على متبوعه من السلف من حيث علمه بعلم متبوعه وكتابة ثواب ذلك في صحائفه فعلوم جميع الأمة المحمدية وعلمهم في صحائف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن من غير منة عليه صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من المجتهدين وغيرهم فافهم .

فلمحمد صلى الله عليه وسلم المنة على المجتهدين ومقلديهم إلى يوم القيامة بإعطائهم المادة التي يستنبطون منها الأحكام وليس للمجتهدين منة عليه صلى الله عليه وسلم ، إنما لهم المنة على من قلدهم إلى يوم القيامة فلو لا التابع ما ظهر كمال المتبوع من الخلق في كل دور بحسبه فافهم وكذلك لولا بيان الشارع صلى الله عليه وسلم ، ما أجمل في القرآن بأحاديث شريعته لبقي القرآن على إجماله إلى وقتنا هذا وما كنا عرفنا كيفية تأدية الصلاة ولا الطهارة ولا عرفنا نواقض الطهارة ولا عرفنا أنصبة الزكاة ولا شروطها ولا واجبات الصوم والحج ولا مفسدهما ولا كيفية العقود ولا المعاملات ولا غير ذلك مما هو معلوم ، وكذلك لولا بيان المجتهدين ما أجمل في الشريعة لمقلديهم لبقيت السنة على إجمالها وهكذا الكلام في كل دور بعدهم إلى يوم القيامة .

يفصل كل دور ما أجمل في كلام من قبله ومن زعم أن المجتهدين عرفوا المجمل من القرآن بلا واسطة بيان السنة له فليأتنا بمثال ذلك ولعله لا يجده .

(وإيضاح ذلك) : أنه ليس لتابع علم من غير دائرة علم متبوعه أبدا كما أن كشف الأولياء لا يتعدى كتاب نبيهم وسنته أبدا وبتقدير أنه يأتينا بعلم من طريق كشفه لا يجوز لنا العمل به إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما ، وفي “ سنن البيهقي “ : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ولى شريحا القضاء قال له : انظر فما تبين لك في كتاب الله عز وجل صريحا فلا تسألن عنه أحدا وما لم يتبين لك في كتاب الله تعالى فاتبع فيه سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد فيه رأيك وإن شئت فآمرني ولا أرى مؤامرتك إياي إلا أسلم لك انتهى .

وقد تبرأ المجتهدون كلهم من القول في دين الله بالرأي كما أوضحنا ذلك في مقدمة كتابنا المسمى “ بالمنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين “ وهو كتاب ما صنف في الإسلام مثله فراجعه .

وملخص أقوالهم في ذلك أن البيهقي روى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

....

26:] سألت شيخنا عن هذه الزيادة فقال : ما لا يخطر بالبال وقال تعالى :فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ[السجدة : 17] .

فنكر ونفى العلم بما أخفى لهم من قرة أعين ، فعلمنا على الإجمال أنه أمر مشاهد لكونه قرنه بالأعين ولم يقرنه بالأذن ولا بشيء من الإدراكات وفي الحديث : “ إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر “ . فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر ولا بد أن يكون للبشر صفة غير معلومة ولا معينة ليحصل لذلك الشخص الجزاء الذي لم يخطر على قلب بشر موازنة مجهول لمجهول . وقال : كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلا من جهته فهو تعبد محض ، والعبادة مع عدم معرفة العلة أظهر من العمل المعلل فإن

أنه كان يقول إذا أفتى الناس : هذا رأي عمر . فإن كان صوابا فمن الله ، وإن كان خطأ فمن عمر ويقول : استغفر الله . وروى البيهقي أيضا عن عبد الله بن عباس وعطاء ومجاهد ومالك بن أنس رضي الله عنهم أنهم كانوا يقولون ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروي عن أبي حنيفة رضي الله عنه ، كان يقول : لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي وكان رضي الله عنه إذا أفتى يقول : هذا رأي النعمان بن ثابت - يعني نفسه - وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب ، وكان الإمام مالك يقول :
ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى الحاكم والبيهقي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه ، أنه كان يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي وفي رواية : إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وقال يوما للمزني : يا إبراهيم لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين . وكان رضي الله عنه يقول :
لا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كثروا لا في قياس ولا في شيء وما ثم إلا طاعة الله ورسوله بالتسليم وقد نقلنا جميع ما نقل عنه من التبري من الرأي في كراسة وإن الإمام أحمد رضي الله عنه يقول : ليس لأحد مع الله تعالى ورسوله كلام .
(قلت) : ولذلك لم يدوّن له كتابا أبدا في الفقه وجميع مذهبه الآن إنما هو ملفق من صدور الرجال رضي الله عنه ، وبلغنا أنه وضع في الصلاة ثلاثين ألف مسألة وسأله رجل مرة عن مسألة فقال : لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الأوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم . وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة انتهى . وهو محمول على من أعطي قوة الاجتهاد أما الضعيف فيجب عليه التقليد لأحد من الأئمة وإلا هلك وضل .
(فإن قلت) : فما دليل المجتهدين في استنباطهم الأحكام وهلا وقفوا على صريح ما ورد ؟
(فالجواب) : دليلهم في الاجتهاد ما وقع من اجتهاده صلى الله عليه وسلم ، ليلة المعراج في شأن الصلوات من المراجعة بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل فإن الله تعالى لما فرض على أمة محمد الخمسين صلاة نزل بها إلى موسى ولم يقل شيئا ولا اعترض ولا قال : هذا كثير

....

العمل إذا علل ربما يكون الباعث للعبد على ذلك العمل حكمة تلك العلة وإذا لم يعلل لم يقمه إلى ذلك العمل لا العبادة المحضة امتثالا لأمر الله لا غير .
(وقال) : ثم مقام للأنبياء يطلب منهم أن يطلبوا رؤية الحق تعالى ولذلك طلب موسى الرؤية وأطال في ذلك والله أعلم .

[الباب التاسع والثمانون وثلاثمائة في معرفة منازلة إلى كونك وألك كوني]
وقال في الباب التاسع والثمانين وثلاثمائة : من أراد فهم المعاني الغامضة في الشريعة فليتعمل في تكثير النوافل في الفرائض ، وإن أمكنه أن يكثر من نوافل النكاح فهو أولى إذ هو أعظم نوافل الخيرات فائدة لما فيه من الازدواج والإنتاج فيجمع بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شيء من العلم الصادر عن الاسم الظاهر والباطن فيكون

فلما قال له موسى عليه السلام : راجع ربك بقي صلى الله عليه وسلم ، متحيرا من حيث إن شفقته على أمته تطلبه بالتخفيف عنهم لئلا يقعوا في الضجر والسآمة والكراهية من ثقل تلك التكاليف ، فلما بقي حائرا أخذ يطلب الترجيح أي الحالين أولى وهذا هو الاجتهاد فلما ترجح عنده أنه يراجع ربه رجع إلى قول موسى وأمضى ذلك في أمته بإذن من ربه عز وجل وكان في تشريع أمته الأحكام بإذن الله تأنيسا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، بما جرى منه لئلا يستوحش مع أن ما جرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، من التشريع فيه جبر لقلب موسى عليه السلام أيضا . فإن موسى لا بد إذا رجع إلى نفسه وخف عنه الحال الذي كان عليه من وفور الشفقة يجد الله تعالى الذي كلف أمة محمد بالخمسين صلاة أرحم بهم من موسى ويرى أن الخمسين كانت من أقل ما ينبغي لجلال الله عز وجل في العبادة ولم يستكثر بها على العبيد . وعلم أيضا أن الله تعالى لو أمضى عليهم الخمسين صلاة فلا بد أنه كان يقويهم على فعلها فإن القوة بيد الله ولا يكلف نفسا إلا وسعها ثم إن موسى عليه السلام ، لما ندم على قوله في شأن المراجعة جبر الله تعالى قلبه بقوله تعالى :ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ[ق : 29] . في آخر رجعة وآنسه باطلاعه على أن القول قبل ذلك كان معروضا يقبل التبديل ولذلك سرّ بهذا القول وعلم أن من القول الإلهي ما يقبل التبديل ومنه ما لا يقبله وعلم أن كلامه الذي كان ندم عليه من حيث معارضته لما فرضه الحق تعالى العليم الخبير ما وقع منه إلا حين كان القول معروضا لا حين حق القول منه تعالى فعلم أن في تشريع الاجتهاد للأئمة المجتهدين جبرا لقلب محمد صلى الله عليه وسلم ، بالاجتهاد فصار له أسوة بهم وصار لهم أسوة به . فهذا كان منشأ الاجتهاد للمجتهدين .
(قلت) : ومما جرأ الأئمة على استنباط الأحكام قوله صلى الله عليه وسلم : “ من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها “ . فافهم .
(فإن قلت) : فهل يجوز لأحد الطعن في قول مجتهد ؟
(فالجواب) : لا يجوز لأحد الطعن في حكم المجتهد لأن الشارع قد قرر حكم المجتهد فصار شرعا بتقرير الله إياه فمن خطأ مجتهدا بعينه فكأنه خطأ الشارع فيما قرره حكما وهذه مسألة يقع في محظورها كثير من أصحاب المذاهب لعدم استحضارهم لما نبهناهم عليه مع

....

اشتغاله بمثل هذه النافلة أتم وأقرب لتحصيل ما يرومه فإنه إذا فعل ذلك أحبه الحق وإذا أحبه صار من أهل الله كأهل القرآن وإذا صار من أهل القرآن كان محلا لإلقائه ، وعرشا لاستوائه وسماء لنزوله ، وكرسيا لأمره ونهيه ، فيظهر له منه ما لم يره فيه مع كونه كان فيه وأطال في ذلك . وقال في قوله تعالى :لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً[الكهف : 18] .
اعلم أن الأنبياء لا تنهزم ولا تقتل في مصاف وقد وصف الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالانهزام وقول الله صدق لكن لم يكن توليه لرؤية أجسامهم لأنهم أناس مثله وإنما توليه من شهود أمر يهوله مما قام بهم قال : وقد رأيناهم في سياحتنا وما ملئنا منهم رعبا لأنا ما شهدنا منهم إلا

كونهم عالمين به ذكره الشيخ في باب مسح الخف من " الفتوحات " . وقال في باب الوصايا منها : إياكم والطعن على أحد من المجتهدين وتقولون إنهم محجوبون عن المعارف والأسرار كما يقع فيه جهلة المتصوفة فإن ذلك جهل مقام الأئمة فإن للمجتهدين القدم الراسخ في علم الغيوب فهم وإن كانوا يحكمون بالظن فالظن علم وما بينهم وبين أهل الكشف إلا اختلاف الطريق وهم في مقامات الرسل من حيث تشريعهم للأمة باجتهادهم كما شرعت الرسل لأممهم انتهى . وقال في الباب التاسع والستين وثلاثمائة بعد كلام طويل في مدح المجتهدين : فعلم أن المجتهدين هم الذين ورثوا الأنبياء حقيقة لأنهم في منازل الأنبياء والرسل من حيث الاجتهاد وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أباح لهم الاجتهاد في الأحكام وذلك تشريع عن أمر الشارع فكل مجتهد مصيب من حيث تشريعه بالاجتهاد ، كما أن كل نبي معصوم قال : وإنما تعبد الله المجتهدين بذلك ليحصل لهم نصيب من التشريع ويثبت لهم فيه القدم الراسخة ولا يتقدم عليهم في الآخرة سوى نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فتحشر علماء هذه الأمة حفاظ الشريعة المحمدية في صفوف الأنبياء والرسل لا في صفوف الأمم فما من رسول إلا وبجانبه عالم من علماء هذه الأمة أو اثنان أو ثلاثة أو أكثر وكل عالم منهم له درجة الأستاذية في علم الأحكام والأحوال والمقامات والمنازلات إلى أن ينتهي الأمر في ذلك لخاتم الأئمة المجتهدين المحمديين الذي هو المهدي عليه السلام انتهى .
وقال أيضا في باب الجنائز من " الفتوحات " : إنما أمرنا صلى الله عليه وسلم ، بالصلاة على آله العلماء بقوله لنا :
" قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم . " ليكون لآله الذين هم المجتهدين من الوحي مثل ما كان لآل إبراهيم الذين هم إسحاق ويعقوب ويوسف من التشريع بالاجتهاد وإن تفاوتت المقامات قال : وقد حقق الله تعالى له رجاءه صلى الله عليه وسلم ، وجعل وحي المجتهدين في اجتهادهم : إذ المجتهد لم يحكم إلا بما أراه الله تعالى في اجتهاده ولذلك حرم الله على المجتهد أن يخالف ما أدى إليه الاجتهاد كما حرم على الرسل أن تخالف ما أوحى به إليهم فعلم أن الاجتهاد نفحة من نفحات التشريع ما هو عين التشريع وأن معنى اللهم صل على آل محمد كما صليت على آل إبراهيم . أي : كما جعلت آل إبراهيم أنبياء ورسلا في المرتبة عندك بما أعطيتهم من التشريع والوحي فارحم آل محمد ومن رحمتك أن تجعل خواص أمتي مشرعين بالاجتهاد قد وقع ذلك ولله الحمد فقد أشبه المجتهدون الأنبياء من حيث تقرير الشارع

....

صور أجسامهم فرأيناهم أمثالنا مع أنه صلى الله عليه وسلم ، رأى : ليلة الإسراء أمورا مهولة ، ولم يتأثر مثل ما كان يتأثر لو اطلع على أهل الكهف وروى البيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " لما تدلى لنا الرفرف ليلة عرج بي غشي على جبريل ولم يغش عليّ " . من ذلك فعلمت فضل جبريل عليّ في العلم بذلك قال : وهنا نكتة وهي : أن الله تعالى ما ذكر إلا رؤية عينهم بذكر الاطلاع عليهم فهم أسفل منه بالمقام ومع ذلك خاف أن يلحق بهم فينزل عن مقامه فامتلأ بذلك رعبا لئلا يؤثروا فيه تأثير الأدنى في الأعلى الرضا عنه والسخط عليه ، فلذلك كان حقيقا أن يولي منهم فرارا كما يفر الإنسان من الوقوف على مهواة خوف السقوط وأطال في ذلك فراجعه ،
[الباب التسعون وثلاثمائة في معرفة منازلة زمان الشيء وجوده إلا أنا فلا زمان لي وإلا أنت فلا زمان لك فأنت زماني وأنا زمانك]
وقال في

لهم كل ما اجتهدوا فيه وجعله حكما شرعيا انتهى . وقال في الباب الحادي والستين ومائة :
اعلم أن جميع المجتهدين لهم في مقام الإرث النبوي القدم الراسخة لكنهم لا يعرفون أنهم في ذلك المقام ، ولذلك ناظر بعضهم بعضا لسريان الأمداد الإلهية بالعلوم إليهم من هذا المقام فطلب كل واحد من صاحبه أن يرجع إلى ما ظهر له من الأدلة من وجوب أو تحريم أو ندب أو كراهة وكما أنهم لا يعرفون أنهم في ذلك المقام كذلك لا يعرفون ممن يستمدون كشفا ومشاهدة وإنما يعرفون ذلك بواسطة الأدلة فكل مجتهد على حق لاستمدادهم كلهم من عين الشريعة ، كما أن كل نبي تقدم على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على حق والإيمان بذلك واجب فعلم أن المجتهدين من هذه الأمة ورثة الأنبياء في التشريع لكن لا يستقلون بشرع لأنه لولا المادة التي أعطاها لهم الشارع من شرعه ما قدروا على التشريع المذكور ، فقد قامت لهم أدلتهم مقام الوحي للأنبياء وكان اختلاف اجتهادهم كاختلاف شرائع الرسل إلا أنهم لا يلحقون بالرسل لعدم الكشف اليقيني فإن أحدهم يحكم بحكم ثم يبدو له خلافه فيرجع عنه بخلاف الأنبياء لا يتركون الحكم الأول إلا بأمر جديد ورد عليهم من الله تعالى بنسخ حكمه فهم في حال علمهم وفي حال تركهم تابعون لأمر الشارع خارجون عن رأي نفوسهم كما أشار إليه قوله تعالى :لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ[النساء : 105] .
وقال في خلافة داودوَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ[ص : 26] فخص سبحانه وتعالى حكم محمد وغيره بما أراه الله تعالى لنبيه ولم يقل له : احكم بما رأيت بل عاتبه لما حرم باليمين ما حرم على نفسه في قصة عائشة وحفصة تشريعا لنا فقاليا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ[التحريم : 1] فكان هذا من جملة ما أرته نفسه الشريفة وتبين أن المراد بقوله : بما أراك الله . أي : ما يوحي به إليك لا ما تراه من رأيك فلو كان الدين بالرأي لكان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أولى من كل رأي وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك في الباب الثمانين وثلاثمائة ثم قال : وإذا كان العتب وقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما أرته نفسه فكيف برأي من ليس بمعصوم والخطأ أقرب إليه من الإصابة وأطال في ذلك ، ثم قال : وقد دل هذا على أن المراد بالاجتهاد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الاجتهاد في طلب الدليل على نفس الحكم في المسألة الواقعة ، لا في تشريع حكم في النازلة من قبل نفس المجتهد فإن ذلك شرع لم يأذن به الله.

....

الباب التسعين وثلاثمائة : لقد طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فأنشدوني بيتين حفظت واحدا ونسيت الآخر :لقد طفنا كما طفتم سنينا * بهذا البيت طرا أجمعيناوقال لي واحد منهم : أما تعرفني فقلت : لا . قال : أنا من أجدادك الأول . قلت له : كم لك منذ مت قال لي : بضعة وأربعين ألف سنة فقلت له : ليس لآدم عليه السلام ، هذا القدر من السنين فقال لي : عن أي آدم تقول عن هذا الأقرب إليك ، أو عن غيره . فتذكرت حديثا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله قد خلق مائة ألف آدم " . فقلت : قد يكون ذلك الجد الذي نسبني

(فإن قلت) : فمما اشتق الاجتهاد ؟
(فالجواب) : أنه مأخوذ من الجهد وهو بذل الوسعلا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا[البقرة : 286]
ومن هنا عمم بعضهم الحكم في حصول الأجر للمجتهد إذا أخطأ ولو في الأصول ، ولكن الجمهور خصصوا الأجر بمن أخطأ في الفروع دون الأصول مع أن تخصيص الخطأ بالفروع هو من الاجتهاد أيضا ، وقد قرر الشارع كل علم حصل بواسطة الاجتهاد وجعله حكما شرعيا في حق المجتهد يحرم عليه مخالفته .
(فإن قلت) : فهل تقرير الشارع حكم المجتهد باق بعده إلى يوم القيامة ؟
(فالجواب) : نعم . لا يجوز لأحد نقضه وقد أرسل الإمام الليث بن سعد سؤالا للإمام مالك يطلب جوابه فكتب إليه الإمام مالك : أما بعد فإنك يا أخي إمام هدى وحكم الله في هذه المسألة ما أدى إليه الاجتهاد انتهى .
(فإن قلت) : فإذا كان كل مجتهد مصيبا عندكم فما الجواب عن حديث : “ إذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران “ ؟
(فالجواب) : أن المراد بالخطأ في هذا الحديث عدم مصادفة المجتهد الدليل الوارد في تلك المسألة من الكتاب أو السنة ، فهذا له أجر واحد وهو أجر التتبع ولو أنه كان وجد الدليل لكان له أجران أجر التتبع وأجر مصادفة الدليل هكذا أجاب ابن حزم الظاهري وغيره . وقد قال الشيخ محيي الدين في الكلام على صلاة الكسوف من “ الفتوحات “ : اعلم أن الخطأ الواقع للمجتهد بمنزلة الكسوف الواقع للشمس ليلا أو للقمر نهارا فكما لا اعتبار بذلك كذلك لا وزر على المجتهد إذا أخطأ في الحكم بل هو مأجور هذا على أن المراد بخطأ المجتهد خطؤه في نفس الحكم كما هو المتبادر إلى الأذهان أما على ما قاله ابن حزم الظاهري فلا يصح خطأ المجتهدين في الحكم لأنه لو صح خطؤه في الحكم لخرج عن الشرع وإذا خرج عن الشرع فلا أجر فافهم .
(فإن قلت) : فهل الاجتهاد خاص بهذه الأمة المحمدية أم هو فيها وفي غيرها وهل هو

....

إليه من أولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك فإن العالم لا يصح له مرتبة الأولية لأنه مفعول الله تعالى .

[الباب الأحد والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازلة المسلك السيال الذي لا يثبت عليه أقدام الرجال السؤال]

وقال في الباب الأحد والتسعين وثلاثمائة في قوله تعالى :فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى[الأنفال : 17] : اعلم أن في هذه الآية إثبات القتل والرمي لمن نفاه عنه ثم إنه لم يثبت على الإثبات بل أعقب الإثبات نفيا كما أعقب النفي إثباتا بقوله :وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ[الأنفال : 17] . وبقوله :وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى[الأنفال : 17] فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت لعين واحدة ، قال : وإيضاح ذلك أن الله تعالى قال :فَاقْتُلُوهُمْ[البقرة : 191] فأظهر أمرا وآمرا ومأمورا في هذا الخطاب فلما وقع

باق إلى يوم القيامة أم لا ؟
(فالجواب) : هو خاص بهذه الأمة كما صرح به الشيخ في “ الفتوحات “ وهو باق إلى يوم القيامة حتى يخرج المهدي عليه السلام ، فله أجر مجتهد ، قال الشيخ محيي الدين في كتاب الجنائز من “ الفتوحات “ : وإذا بلغ المريد مرتبة الاجتهاد المطلق حرم عليه الرجوع إلى قول شيخه إلا أن يكون دليل شيخه أوضح من دليله .
(فإن قلت) : فهل الأولى أن يسمى ما شرعه المجتهد سنة أو يقال : بدعة حسنة ؟
(فالجواب) : الأولى أن يقال : سنة حسنة وأما قول عمر بن الخطاب في التراويح نعمت البدعة فلا يقدح في ذلك فإن قوله : ونعمت البدعة هي مدح لها فرجعت إلى أنها حسنة .
(فإن قلت) : ما قررتموه من أن الاجتهاد خاص بهذه الأمة يشكل عليه قوله تعالى :وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها[الحديد : 27]فإنه كالصريح في أن الاجتهاد كان في الأمم قبلنا لأنه من جملة ما نفس الله به عن عباده وذلك يقتضي العموم .
(فالجواب) : ليس اجتهاد الأمم كاجتهادنا لعدم تقرير نبيهم لهم على ذلك بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم ، فإنه أقرنا على ذلك فصار اجتهادنا من شرعه بتقريره فلم يشبه اجتهادنا اجتهادهم لأن اجتهادهم من باب القوانين العقلية بخلاف اجتهادنا . وقال بعضهم : لا فرق بين اجتهادنا واجتهاد الأمم قبلنا لأنهم ما ابتدعوا تلك الرهبانية إلا باجتهاد منهم وطلب مصلحة عامة أو خاصة يقتضيها أدلة شريعتهم ، ويؤيد ذلك كون الحق تعالى أثنى عليه من رعاها حق رعايتها وما أثنى عليه إلا لحسن القصد والنية في ذلك مع أنهم إنما شرعوها لأنفسهم لا للناس قال :
وعلى هذا ففي الآية تقديم وتأخير تقديره : فما رعوها حق رعايتها إلا ابتغاء رضوان الله فما ذموا إلا من حيث قلة مراعاتهم لما ابتدعوه لا غير انتهى . وذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة .فليتأمل ويحرر .
(فإن قلت) : فما حكم من قلد مجتهدا من علماء الأمة : هل يكون بذلك معدودا من

....

الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال : ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فأنتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أي آلة كانت للقتل فكما أن القتل وقع في المقتول بالآلة ولم يقل فيها : إنها القاتلة من الضارب هو القاتل كذلك الضارب بالنسبة إلينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة إليه هو فافهم .

[الباب الثاني والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازلة من رحم رحمناه ومن لم يرحم رحمناه ثم غضبنا عليه ونسيناه]

وقال في الباب الثاني والتسعين وثلاثمائة في قوله تعالى :وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها[الشورى : 40] . الآية . اعلم أن كل من غضب من العالم وانتقم فقد رحم نفسه بذلك الانتقام لكونه شفاء له مما يجده من ألم الغضب وصدقة الإنسان على نفسه من أفضل الصدقات ، ثم إذا رحم نفسه وزال الغضب لا بد أن تعقبه الرحمة وهو الندم الذي

ورثة الأنبياء ؟ أم هو وارث لذلك المجتهد فقط ؟
(فالجواب) : هو وارث لذلك العالم فقط وهو مع ذلك معدود من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، أيضا لأن ذلك من جملة شرعه وكلامنا فيما لم يكن فيه نص عن الشارع ، أما ما فيه نص فلا يدخله الاجتهاد أبدا كما إذا نص الشارع على تحريم شيء أو وجوبه أو استحبابه أو كراهيته فلا سبيل لأحد إلى مخالفته إنما هو السمع والطاعة والتسليم فلو قدر أن مجتهدا خالف النص باجتهاده حرم علينا العمل بقوله وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم ، لما خطب في قصة تزويج علي على فاطمة ابنة أبي جهل : “ إن فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها ويسرني ما يسرها وأنه ليس لي تحريم ما أحل الله ولا تحليل ما حرم الله ولكن إن أراد ابن أبي طالب ذلك يطلق ابنتي فوالله ما تجتمع بنت عدو الله مع بنت رسول الله تحت رجل واحد أبدا “ . فما طلب صلى الله عليه وسلم ، مع معرفته بهذا الوجه الإلهي إلا إبقاء ما هو محرم على تحريمه وما محلل على تحليله فلم يحرم على علي نكاح ابنه أبي جهل إذا كان ذلك حلالا له . وإنما قال : إن أراد ابن أبي طالب ذلك إلى آخره . فرجع ابن أبي طالب عن ذلك فلو أنه كان لأحد من المجتهدين أن يحرم ما أحل باجتهاد لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أولى بذلك وما فعل مع أنه له الشكف الأتم والحكم الأعم صلى الله عليه وسلم ، ذكره الشيخ في الباب الثاني والمائتين من “ الفتوحات . “
(فإن قلت) : فمن المراد بحديث : “ العلماء ورثة الأنبياء “ ؟ هل هم الأولياء أم الفقهاء ؟
(فالجواب) : المراد بهم العلماء العاملون لجمعهم في الإرث بين القال والحال كما كان عليه علماء السلف في الزمن الماضي ، فإن حقيقة الصوفية هم علماء عملوا بعلمهم وتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، في الأخلاق فلمّا تخلف غالب الناس عن العمل سماهم الناس فقهاء لا صوفية وإنما قال : ورثة الأنبياء ولم يقل : ورثة نبي خاص لأن كل عالم على قدم نبي ممن تقدم محمدا ومن ورث محمدا صلى الله عليه وسلم ، نال الحظ الأوفر من إرث جميع الأنبياء ، ودليل ما قلناه قوله تعالى :ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا[فاطر : 32] . فإنه ذكر أن الإرث على قسمين وزادهم قسما ثالثا وهو الظالم لنفسه والمراد به من ظلم نفسه لمصلحة دينه وطلبا للثواب فحملها مشاق التكاليف التي لم يوجبها الله تعالى عليه حتى يسعد بها في الآخرة.

....

يجده الإنسان في نفسه إذا عاقب أحدا ويقول : لو شاء الله كان العفو عنه أحسن لا بد أن يقول ذلك إما دنيا أو أخرى يعني : في انتقامه لنفسه لئلا يتخيل أن إقامة الحدود من هذا القبيل فإن إقامة الحدود شرع من عند الله ما للإنسان فيها تعمل وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أنه لم يأت في القرآن قط أن الله خير الآخذين ولا خير الباطشين ولا المعذبين ولا المنتقمين وإنما جاء خير الراحمين خير الفاصلين ، خير الشاكرين ، خير الغافرين . وأما خير الماكرين فلحكمة لا ينبغي أن تذكر إلا بين أهل الله تعالى ، فتأمل ما تحته .

[الباب الثالث والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازلة من وقف عندما رأى ما هنا له هلك]

وقال في الباب الثالث والتسعين وثلاثمائة في قول الله تعالى :وَإِنَّ مِنْها[البقرة : 74] . أي : الحجارةلَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ

وذلك كحال أبي الدرداء وأمثاله من الرجال الذي صاموا فلم يفطروا وقاموا الليل فلم يناموا وأخذوا بالعزائم دون الرخص . فعلم أن الشريعة تشمل هذا القسم الثالث لتقرير الشارع لصاحبه على فعله وإن كان ثم فوقه مقام أكمل منه كما أشار إليه حديث إن لنفسك عليك حقا إلى آخره . فإن من ذكر في الآية ما ظلم نفسه إلا ابتغاء مرضاة الله فاحتقر عملها في جانب ما عليه من حقوق الربوبية وكذلك تشمل الشريعة الظالم لنفسه بالمعاصي إذا مات على الإسلام لأنه مصطفى في العموم بالنسبة للكفار قلنا : مصطفى في الخصوص ومصطفى في العموم . فافهم انتهى .
(وسمعت) : سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : أكمل الورثة للأنبياء هم المجتهدون رضي الله عنهم لظهور قيامهم بالإرث بتعليم شريعته للناس والفتوى بها بخلاف الصوفية عرفا إنما هم معدون لتعليم الأخلاق الباطنة في الغالب انتهى .
(وسمعته) : أيضا يقول : المجتهد المطلق هو الوارث الحقيقي للشارع لكون الشارع أمره أن يعمل بكل ما أدى إليه اجتهاده .
(وسمعته) : أيضا يقول : الاجتهاد هو وإن كان مبناه على الظن فقد يكون منتهاه إلى علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين .
(فإن قلت) : فما حقيقة هذه العلوم الثلاثة ؟
(فالجواب) : حقيقة علم اليقين أنه هو الذي أعطاه الدليل الصحيح الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة ، وحقيقة عين اليقين هو ما أعطته المشاهدة والكشف وحقيقة حق اليقين هو كل ما حصل في القلب من العلم بباطن ذلك الأمر المشهود مثال علم اليقين علم العبد بأن لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس إليه في كل سنة ويطوفون به فإذا وصل العبد إليه وشاهده فهو عين اليقين الذي كان قبل الشهود علم يقين لأنه حصل في النفس عند رؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا . ثم إن الله تعالى لما فتح عين بصيرة هذا العبد حتى شهد وجه إضافة ذلك البيت إلى الله وخصوصيته على غيره من البيوت علم بإعلام الله تعالى تلك الخصوصية ، فكان علمه حق اليقين لكن ذلك ليس هو بنظره واجتهاده فإن حق اليقين هو الذي

....

اللَّهِ]البقرة : 74] : هذا دليل سمعي شهد للحجارة بالخشية ولا يخشى إلا حي دراك قال : وقد أخذ الله بأبصار الإنس والجان عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله تعالى كنحن وأضرابنا ، فإنا لا نحتاج إلى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا وأسمعنا تسبيحها ونطقها قال : وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي إنما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل فلولاه ما عنده من العظمة لما تدكدك لأن الذوات لا تؤثر في أمثالها ذلك وإنما يؤثر في الأشياء معرفتها بقدر من تجلّى لها ومنزلته لا غير فالعلم بالمنزلة هو الذي أثر لا الذات التي لها المنزلة الكامنة فيها قال : وانظر الملك إذا دخل السوق في صورة العامة ومشى بينهم

حق استقراره في القلب فلم يكن يزول بعد ذلك بدليل آخر فما كل علم يقين أو عين يقين يحق له هذا الاستقرار وإلا فأين يقين الأنبياء من يقين آخر الأمة يقال : يقن الماء في الحوض إذا استقر .
(فإن قلت) : فهل يقدح في علم اليقين وجود اضطراب من قبل الأسباب ؟
(فالجواب) : إن كان الاضطراب من الوقوف مع الأسباب دون الله قدح ذلك في علم اليقين وإن كان هبوب النفس في إزالة ذلك الاضطراب إلى جناب الحق دون الأسباب فلا يقدح ذلك في علمه لاعتقاده أن الحق تعالى هو الفاعل فإن شاء أزال ذلك الأمر بأسباب أي :
عندها وإن شاء أزاله بغير ذلك فصار متعلق اليقين الاعتماد على الجناب الإلهي دون الاعتماد على الأسباب ذكره الشيخ في الباب الثاني والعشرين ومائة . فقد بان لك بهذا التقرير أن أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد والسفياني والأوزاعي وداود وسائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم وإن مذاهب الأئمة كلها منسوخة من الكتاب والسنة سداها ولحمتها منهما ووجب عليك حينئذ أن تعتقد جزما أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم إما كشفا ويقينا ، وإما نظرا واستدلالا وإما أدبا وتسليما وما بقي لك عذر في تخلفك عن هذا الاعتقاد فإن بعض الناس يقول ذلك بلسانه فقط دون قلبه ومصداق ذلك : أنه إذا اضطر إلى العمل بقول أحد غير إمام مذهبه يلحقه بذلك حصر وضيق حتى كأنه قد خرج عن الشريعة فأين دعواه أنه يعتقد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم . فإن من فعل الرخصة بشرطها فهو على هدى من ربه فيها أيضا وبالجملة فلا يصل إلى اعتقاد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم جزما ويقينا ، إلا من سلك طريق القوم وقطع منازلها ، حتى وقف على العين التي يستمد منها جميع المجتهدين وقد وضعت في تقرير مذاهب جميع المجتهدين ، ميزانا عظيمة تعلمتها من مولانا أبي العباس الخضر عليه السلام فمن شاء فليراجعها والله عليم حكيم.

....

وهم لا يعرفون أنه الملك كيف لا يقوم له وزن في نفوسهم ثم إذا لقيه في تلك الحالة من يعرفه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتأدب وخضع له فإذا رأى الناس الذين يعرفون قرب ذلك الخاضع من الملك وأن منزلته تعطي أنه لا يظهر منه مثل هذا الفعل إلا مع الملك حارت إليه أبصارهم ، وخشعت له أصواتهم ، وأوسعوا له وتبادروا لرؤيته واحترامه فهل أثر فيهم إلا ما قام بهم من العلم فما احترموه حينئذ لصورته لأنها كانت مشهودة لهم حين لم يعلموا أنه الملك فإن كونه ملكا ليس هو عين صورته وإنما هي رتبة نسبة أعطته التحكم في العالم الذي تحت بيعته فتأمل ذلك فإنه نفيس .

[الباب السادس والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازلة من جمع المعارف والعلوم حجبته عني وهو من الحضرة المحمدية]

وقال في الباب السادس والتسعين وثلاثمائة :
مراد الحق تعالى من عباده بجميع ما خلق وأنزل من العلوم أن يجمعهم بذلك عليه ومن أتعب نفسه في جميع العلوم من غير أن ينظر في دلالتها على الحق تعالى فإنه المقصود الأعظم ، وحجب عن موضع الدلالة التي فيها على الحق حتى علوم الحساب والهندسة والمنطق ونحوها

المبحث الخمسون : في أن كرامات الأولياء حق إذ هي نتيجة العمل على وفق الكتاب والسنة فهي فرع لمعجزات وأن من لا حال له لا كرامة له وأن كل من لا يخرق العادة في العلوم والمعارف والأسرار واللطائف والمجاهدات وكثرة العبادات لم تخرق له العادات
اعلم أنه قد تقدم في مبحث المعجزات أن كرامات الأولياء ثابتة شائعة بين أهل السنة والجماعة ، وإنما أنكرها أكثر المعتزلة لعدمها فيما بينهم وذلك من أدلّ دليل على أنهم أهل بدعة كما تقدم بسطه في المبحث المذكور ، ومن شبه المعتزلة في إنكارها قولهم لو جوزنا وقوعها ، على يد الأولياء لعجز الناس عن الفرق بينها وبين المعجزة .
(والجواب) : لا تعجز لأن المعجزة هي التي تظهر وقت الدعوى بخلاف الكرامة ، فإن صاحبها لا يتحدى بها ولو أظهرها وقت الدعوى كانت شعبذة ثم إن ذلك يؤدي إلى إنكار كرامة السيدة مريم ، ونقل عرش بلقيس ونحوهما مما ثبت في الكتاب والسنة وكان أبو منصور الماتريدي رحمه الله يقول : من الفرق بين المعجزة والكرامة أن صاحب المعجزة مأمون من الاستدراج ، وصاحب الكرامة لا يأمن أن يكون حاله كحال بلعام بن باعوراء قال : وإنما أنكرت المعتزلة الكرامة بناء منهم على أن الفعل إنما يكون معجزة لخرق العادة ، فحسب وليس كذلك بل ينضم إلى خرق العادة التحدي بالنبوة والاقتران بدعوة النبي ألا ترى أن آيات الساعة خارقة للعادة وليس بمعجزة انتهى .
(وسمعت) : سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : الكمل يخافون من وقوع الكرامات على أيديهم ، ويزدادون بها وجلا وخوفا ، لاحتمال أن تكون استدراجا ومعجزات الأنبياء تزيد قلوبهم تثبيتا لعصمتهم عن وقوع الاستدراج لهم وأيضا فإن الأنبياء يحتجون بالمعجزات على المشركين ، والأولياء يحتجون بالكرامات على نفوسهم لتصلح ولنفوسهم لتطمئن وأجمع القوم على أن كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لا بد له أن يخرق له العادة إذا

....

فما منها علم إلا وهو طريق للعلم بالله تعالى ، ولكن أكثر الناس لا ينظر فيه من حيث ذلك الوجه الدال على الله فوقع الذم من العارفين على أصحاب هذه العلوم حيث حجبتهم عما فيها من الدلالة وأطال في ذلك.

[الباب السابع والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازلة إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ هذا قول الله الصادق]
وقال في الباب السابع والتسعين وثلاثمائة : إنما ظهر الشيخ عبد القادر الجيلي بالتصريف في الوجود والتأثير والدعاوى العريضة لأن مشهده من الحق تعالى كان حضرة الاسم الظاهر فأعطاه مقام الصولة والهمة والشطح وإظهار العلو على أمثاله وأشكاله ، بل على من هو أعلى منه في مقامه قال : وهذا المقام وإن كان رفيعا فثم ما هو أرفع منه وهو مقام الأدب وإظهار الذل والمسكنة قال : ومن شطح على أحكام الله أكثر أدبا ممن

شاءها ، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله يقول : من أصدق دليل على صحة طريق الصوفية وإخلاصهم في أعمالهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق قال : ومن أدل دليل على إثبات جواز وقوع الكرامات كونها أفعالا خارقة للعادة فإذا لم تؤد إلى سد باب النبوة جاز ظهورها على أيدي الأولياء كجريان النيل بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورؤيته جيشه وهو أي الجيش بنهاوند العجم وهو على المنبر بالمدينة المشرفة وحتى قال لأمير الجيش : يا سارية الجبل محذرا له ممن وراء الجبل لمكر العدو به هناك وفي ذلك كرامتان أحدهما رؤيته سارية مع بعد المسافة والثانية إسماع سارية كلامه كذلك ، وكشرب خالد بن الوليد السم من غير تضرر به وكقلب العصا ثعبانا وإحياء الموتى بإذن الله ونحو ذلك من الخوارق .
وقال الأستاذ أبو إسحاق القشيري رحمه الله : ولا ينتهون إلى نحو ولد دون والد ولا إلى قلب جماد بهيمة ، قال ابن السبكي : وهذا حق فخصص به قول غيره ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي أي فلا فارق بينهما إلا التحدي فقط وتقدم في مبحث المعجزات تقييد قولهم ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي بما إذا أظهر الولي الكرامة بحكم التبع لا بحكم الاستقلال من غير اتباع للشرع وبما إذا لم يقل النبي هذه المعجزة لا تكون لأحد بعدي فراجعه ، وبالجملة فمن عاشر الصالحين بالصدق وخالطهم رأى كرامتهم عيانا وعرف صدقهم .
(فإن قلت) : فهل يجب على الإنسان الإيمان بالكرامة إذا وقعت على يده كما يجب عليه الإيمان إذا وقعت على يد غيره ؟
(فالجواب) : نعم كما صرح به اليافعي رحمه الله وقال : لا فرق بين وقوعها على يده أو يد غيره .
(فإن قلت) : فهل يستحب للولي أن يحمي نفسه وأصحابه بالحال والكرامة ؟
(فالجواب) : نعم يستحب له ذلك كما صرح به سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه وقال : إن كان ذلك نقصا في المقام فهو كمال في تعلم انتهى .
(فإن قلت) : فإذا ادعى شخص غريب لا يعرف له أب أنه خلق من تراب كما وقع آدم

....

شطح على عباد الله لأن الله تعالى يقبل الشطح لوسعه بخلاف المخلوق لضيقه قال :وثم أقوام يشطحون على أهل الله من شهود في حضرة خيالية فهؤلاء لا كلام لنا معهم لأنهم مطرودون عن باب الله وعلامتهم أنهم لا يرفعون بالأحكام الشرعية رأسا ولا يقفون عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف عندهم وأطال في ذلك .

[الباب الثامن والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازلة “ من وعظ الناس لم يعرفني ومن ذكرهم عرفني فكن أي الرجلين شئت “]

وقال في الباب الثامن والتسعين وثلاثمائة ، في قوله تعالى :قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَفُرادى [سبأ : 46] . الواحدة أن يقوم الواعظ من أجل الله إما غيرة وإما تعظيما وقوله : مثنى أي : بالله ورسوله فإنه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا عن هوى نفس ولا

عليه السلام هل لنا تصديقه ؟
(فالجواب) : نعم نصدقه لأن غايته أنه ادّعى ممكنا لم يرد لنا نفي وقوعه ولا أنه خاص بآدم عليه السلام هكذا أجاب بعضهم فليتأمل .
(فإن قلت) : إن الكرامات قد تشبه السحر فما الفرق بينهما ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ اليافعي رحمه الله وغيره من المحققين : الفارق بينهما كون السحر يظهر عل يد الفساق الزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة ، وأما الكرامة فلا تقع إلى علي يد من بالغ في الاتباع للشريعة حتى بلغ الغاية فهذا هو الفارق بينهما قال اليافعي : والناس في إنكار الكرامات على أقسام فمنهم من ينكرها مطلقا وهم أهل مذهب مشهور ومنهم من يصدق بكرامات من مضى ويكذب بكرامات أهل زمانه فهؤلاء كبني إسرائيل فإنهم صدقوا بموسى حيث لم يروه وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث رأوه حسدا وعدوانا ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء في عصره ولكن لا يصدق بأحد معين فهذا محروم من جميع الأمداد في عصره وبعضهم إذا رأى أحدا من أولياء زمانه متربعا في الهواء قال : هذا استخدام للجن لا ولاية وأطال اليافعي في ذلك ثم قال : وبالجملة فلا ينبغي لأحد التوقف في الإيمان بكرامات الأولياء لأنها جائزة وعقلا وواقعة نقلا أما جوازها عقلا فلأنها من جملة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة الإلهية ولذلك قال أهل السنة والجماعة من المشايخ العارفين والنظار والأصولين والفقهاء والمحدثين رضي الله عنهم أجمعين . وأما وقوعها نقلا فمن ذلك قصة مريم عليها السلام في قوله تعالى :كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً[آل عمران : 37]الآية وفي قوله تعالى لها أيضاوَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا(25) [مريم : 25] وكان ذلك في غير أوان الرطب . ومن ذلك كلام كلب أهل الكهف معهم وقصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في عرش بلقيس وإتيانه قبل أن يرتد الطرف وكل هؤلاء ليسوا بأنبياء . ومن ذلك كلام الطفل لجريج الراهب حين قال : من أبوك ، قال : فلان الراعي ، ومن ذلك قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين دعوا الله عز وجل بصالح أعمالهم فانفرجت عنهم الصخرة التي لا يستطيع الجم الغفير أن يزحزحوها عن فم الغار . ومن ذلك

....

تعظيم كوني ولا غيرة نفسية وقوله : فرادى أي : بالله خاصة أو برسوله خاصة . وقال : لا يجوز لأحد المبادرة إلى الإنكار إذا رأى رجلا ينظر إلى امرأة في الطريق مثلا فربما يكون قاصدا خطبتها أو طبيبا فلا ينبغي المبادرة للإنكار إلا فيما لا يتطرق إليه احتمال . قال : وهذا يغلط فيه كثير من المتدينين لا من أصحاب الدين لأن صاحب الدين أول ما يحتاط على نفسه ولا سيما في الإنكار خاصة وقد ندبنا الحق تعالى إلى حسن الظن بالناس لا إلى سوء الظن بهم ، فصاحب الدين لا ينكر قط مع الظن لأنه يعلم أن بعض الظن إثم ويقول : لعل هذا من ذلك البعض وإثمه أن ينطق به وإن وافق العلم في نفس الأمر ، وذلك أنه ظن وما علم فنطق فيه بأمر

كلام البقرة التي حمل عليها صاحبها المتاع وقولها إني لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث كما في " الصحيحين " . ومن ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أكل مع ضيفه فكان كلما أكل لقمة من تلك القصعة يربو من أسفلها أكثر منها حتى شبع الضيوف وهي أكثر مما كانت قبل الأكل بثلاث مرات : ومن ذلك استجابة دعوة سعد بن أبي وقاص في الرجل الذي كذب عليه كما في " الصحيحين " وكان يقول : أصابتني دعوة سعد ومن ذلك ما رواه أبو نعيم في " الحلية " أن عون بن عبد الله بن عتبة كان إذا نام في الشمس أظلته الغمام ، ومن ذلك حديث البخاري في قصة خبيب حين كان أسيرا موثقا بالحديد وكانوا يجدون عنده العنب وما بأرض مكة حينئذ عنب ، ومن ذلك قصة الرجل الذي سمع صوتا في السحاب يقول : اسق حديقة فلان كما في " الصحيح " ومن ذلك قصة العلاء بن الحضرمي حين أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة وحال بين الجيش وبين عدوهم قطعة من البحر فدعا الله تعالى ومشوا كلهم بخيلهم ودوابهم على الماء ، ومن ذلك تسبيح القصعة التي أكل منها سلمان الفارسي وأبو الدرداء حتى سمع تسبيحها الحاضرون روى هذا والذي قبله الحافظ أبو نعيم وغيره . ومن ذلك أن عمران بن الحصين كان يسمع تسليم الملائكة عليه ومن ذلك ما رواه أبو نعيم عن عبد الله بن شقيق أنه كان إذا مرت عليه سحابة يقول لها أقسمت عليك بالله إلا مطرت علينا فتمطر في الحال . ومن ذلك أن عامر بن قيس كان يعطي عطاءه فيضعه في حجره ويصير يقبض منه ويعطي الناس حتى يصل إلى داره فيعده فيجده لم ينقص منه شيء . ومن ذلك أن عبد الرحمن بن أبي نعيم بلغ الحجاج أنه يمكث خمسة عشر يوما لا يأكل ولا يشرب فحبسه الحجاج خمسة عشر يوما ثم فتح الباب فوجده قائما يصلي بالوضوء الذي دخل به الحبس . ومن ذلك أن حارثة بن النعمان الصحابي كان يقول لعياله في كل شيء احتاجوا إليه ارفعوا الفراش تجدوا حاجتكم فيرفعونه فيجدونها ولم يكن تحت الفراش شيء قبل ذلك . وبالجملة فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الكرامات ما يبلغ حد الاستفاضة . وقد سئل الإمام أحمد رضي الله عنه : لم لم يشتهر عن الصحابة من كثرة الكرامات كما وقع لمن بعدهم من الأولياء فقال : إنما لم يشتهر عن الصحابة كثرة كرامات لأن إيمانهم كان في غاية القوة بخلاف إيمان من بعدهم فكلما ضعف إيمان قوم كثرت كرامات أولياء عصرهم تقوية ليقين الضعفاء منهم ويؤيد ذلك قول أبي

....

محتمل وما كان له ذلك قال : ومعلوم أن سوء الظن بنفس الإنسان أولى من سوء ظنه بالغير وذلك لأنه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال في حقه : إن فلانا أساء الظن بنفسه لأنه عالم بنفسه وإنما عبرنا بسوء الظن بنفسه اتباعا لتعبيرنا بسوء ظنه بغيره فهو من تناسب الكلام قال : وإلى الآن ما رأيت أحدا من العلماء استبرأ لدينه هذا الاستبراء فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله وقال في قوله تعالى :إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ[إبراهيم : 5] . يعني : في حق راكب البحر إذا اشتد عليه الريح ويرد فيما في ذلك من النعمة يطلب منه الشكر وبما في ذلك من الشدة والخوف يطلب منه الصبر قال : ومما يغفل عنه كثير

الحسن الشاذلي رضي الله عنه أن مريم عليها السلام كان يتعرف إليها في بداياتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لإيمانها وتكميلا ليقينها فكانتكُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً[آل عمران : 37] فلما قوي إيمانها ويقينها ردت إلى السبب لعدم وقوفها معه فقيل لهاوَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا] (25)مريم : 25] انتهى .

(فإن قيل) : إذا كان الحق تعالى خلاقا على الدوام يوجد كوائن بعد كوائن فما ثم عوائد تنخرق إنما هو خلق جديد ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلاثمائة : نعم والأمر كذلك ونقله عن المحققين من أهل الكشف ولفظه : اعلموا أنه ليس عند المحققين عوائد تنخرق أبدا وإنما هو إيجاد كوائن وما ثم في نفس الأمر عوائد تنخرق لعدم التكرار في الوجود فما ثم هناك ما يعود وإنما هي خرق العوائد في أبصار العامة فقط وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى :بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ[ق : 15] أي في الصفات لا في الذوات فافهم انتهى . وقال في الباب الثاني والخمسين وثلاثمائة : اعلم أن أكابر الأولياء يشهدون كونهم في حال خرق العادة في عين العادة فلا يشهدهم الناس إلا وهم آخذون من الأسباب ولا يفرقون بينهم وبين العامة وليس لأصحاب خرق العوائد الظاهرة من هذا المقام شمة لأنهم آخذون من الأسباب مع الوقوف معها فما زالت الأسباب عنهم وإنما خفيت عليهم لأنه لا بد لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسية هي سبب عين وجود ذلك المطلوب فيغرف أو يقبض بيده من الهواء ذهبا أو سكرا أو نحوهما فلم يكن إلا عن سبب من حركة يده وقبض وفتح فما خرج عن سبب لكنه غير معتاد فسموه خرق عادة انتهى .

(فإن قلت) : فهل كرامة كل ولي تكون تبعا لمعجزة من هو وارثه من الأنبياء ، أم هي غير متوقفة على إرث ؟

(فالجواب) : لا يكون قط كرامة لولي إلا تبعا لمن هو وارثه من الأنبياء ، ولذلك كان خواص هذه الأمة يمشون في الهواء وخواص قوم عيسى يمشون على الماء دون الهواء فكل وارث لا يتعدى كرامة مورثه فلا يقال كيف قال صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى

....

من الناس عدم شهودهم ما في النعم من البلايا وما في البلايا من النعم وذلك أنه ما من نعمة ينعمها الله على عباده إلا وهي محتفة ببلاء وذلك أن الله يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها وإضافتها إلى من يستحقها بالإيجاد وصرفها في الموضع الذي أمره الحق أن يصرفها فيه ومن كان مكلفا بفعل هذه الأمور متى يتفرغ للالتذاذ بها حتى تكون في حقه نعمة خالصة وكذلك القول في البلايا والرزايا هي في نفسها مصائب وبلايا وهي محتفة ببلاء يطلب الصبر عليها ورجوعه إلى الحق في رفعها عنه ووجوب تلقيها بالرضا أو بالصبر الذي هو حبس النفس عن الشكوى لغير الله مطلقا ووجه النعمة في المصائب ما فيها من الأجر في الآخرة وتوضع النفس

على الهواء مع أن عيسى عليه السلام أقوى يقينا من خواص هذه الأمة الذين مشوا على الهواء بما لا يتقارب لأنا نقول : إن الخواص منا مشوا على الهواء إلا بحكم التبعية لنبيهم صلى الله عليه وسلم فإنه أسري به محمولا في الهواء فما كان مشي الخواص منا على الهواء لزيادة يقينهم على يقين عيسى عليه السلام وإنما كان لصدق التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم فنحن مع الرسل في خرق العوائد التي اختصوا بها وورثناهم فيها بحكم صدق التبعية لا غير ألا ترى أن المماليك الذين يمسكون نعال أساتيذهم من الأمراء يدخلون مع أساتيذهم على السلطان وغيرهم من الأمراء واقف على الباب حتى يؤذن لهم بالدخول ومعلوم أن الأمراء أرفع مقاما عند السلطان من المماليك فما دخل المماليك إلا بحكم التبعية لأساتيذهم لا لشرفهم على الأمراء انتهى ذكره الشيخ في الباب السادس والثلاثين من " الفتوحات . "

(فإن قلت) : فما المراد بقولكم في ترجمة المبحث إن الكرامات فرع المعجزات ؟

(فالجواب) : مرادنا أنها فرع الحال النبوي فلا تقع كرامة لولي إلا إن كان صحيح الحال والحال هو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ومن علامته تغير صفات صاحبه فهو إلى الوهب أقرب من الكسب ولذلك يقتل صاحب الحال بالهمة ويعزل ويولى كما عليه بعض الطوائف بأفريقية .

(فإن قلت) : فهل هذا الحال خاص بأهل الإسلام ؟

(فالجواب) : نعم هو خاص بأهل الإسلام وإن وقع لبعض المشركين أنه مشى في الهواء أو قتل بالهمة فلذلك باستعمال عقاقير على أوزان معلومة فيفعل بها ما أراد هذا بخلاف حال أهل الله عز وجل والفارق بين الحالين هو أن أهل الله عز وجل لا يحصل لهم هذا الحال إلا بعد المبالغة في اتباع الشريعة بخلاف الكفار فإن حكم حالهم حكم من شرب الدواء المسهل فيفعل ما وضع له بالخاصية لا بالمكانة عند الله عز وجل فلا يسمى بالكرامة إلا من كان صاحبه على شرع .

(فإن قلت) : فهل القتل بالهمة والولاية والعزل الذي يقع من بعض الأولياء كمال فيهم أم نقص ؟

....

في الدنيا للخاص والعام ، فإن البلايا تذل نفوس الجبابرة .

[الباب السادس عشر وأربعمائة في معرفة منازلة عين القلب]

وقال في الباب السادس عشر وأربعمائة : اعلم أن كل من تكلف دليلا على كون الصفات الإلهية عينا أو غيرا فدليله مدخول هكذا كان شيخنا أبو عبد الله الكناني إمام المتكلمين بالمغرب يقول :

[الباب السابع عشر وأربعمائة في معرفة منازلة من أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ]

وقال في الباب السابع عشر وأربعمائة في قوله تعالى في نوح عليه السلام :إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ[يونس : 72] إنما كان أجرهم على الله لأنه تعالى هو الذي استخدمهم في التبليغ ، وأطال في ذلك ثم قال : ولا يخفى أن أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم ولا يعلم ذلك إلا الله ، فصح طلب الأجر المجهول عند الرسول من

(فالجواب) : هو نقص بالنسبة لما فوقه من المقامات ، وقد أعطى الشيخ أبو السعود بن الشبل مقام التصريف في الوجود فتركه ، وقال : نحن قوم تركنا الحق تعالى يتصرف لنا فكان أكمل من الشيخ عبد القادر الجيلاني مع أنه تليمذه هكذا ذكره الشيخ في الباب الثاني والتسعين ومائة ، وأيضا فإن الكامل لا يجد في الوجود شيئا حقيرا حتى يرسل تصريفه عليه أو ينفذ همته فيه ومن شرط نفوذ الهمة أن تكون على حقير فيرى صاحب الحال نفسه كبيرا وغيره حقيرا فيجمع حقارته في قلبه ثم يتوجه بقلبه إليه فيؤثر فيه القتل أو المرض ونحو ذلك .
(وسمعت) : سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : الكامل من الأولياء هو من مات عن التصريف والتدبير اكتفاء بفعل الله تعالى له فيسرق الناس ماله حال حياته ويسرقون ستره وشمعه بعد مماته فلا يقابل أحدا بسوء بخلاف الولي الناقص كل من تعرض له عطبه وذلك علامة على بقايا بخل عنده ومن شرط الكامل الكرم حيا وميتا انتهى .
(فإن قلت) : فما الفرق بين الكرامة والمعجزة ؟
(فالجواب) : الفرق بينهما أن الرسول يجب عليه إظهار المعجزة من أجل دعواه إذا توقف إيمان قومه عليها بخلاف الولي لا يجب عليه إظهار الكرامة إنما الواجب عليه سترها هذا ما عليه الجماعة وذلك الولي تابع والتابع غير مشرع فهو يدعو إلى شرع قد ثبت وتقرر على يد رسوله فلا يحتاج إلى إظهار كرامة على أن يتبعه الناس على ما دعاهم إليه . وقال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين ومائتين : إنما كان الأولياء يجب عليهم ستر الكرامات دون الرسل عليهم الصلاة والسلام لأن الولي متبع فهو يدعو إلى الله بحكاية دعوة الرسول الذي ثبت عنده رسالته بلسانه لا بلسان يحدثه من قبل نفسه وقد صار الشرع كله مقررا عند العلماء فلا يحتاج ولي إلى آية ولا بينة على صدقه بل لو فرض أنه قال ما يخالف شرع رسوله لم يتبع عليه بخلاف الرسول يحتاج إلى آية لأنه ينشئ التشريع ويريد ينسخ بعض الشرائع المقررة على يد غيره من الرسل فلذلك كان لا بد من إظهار آية تدل على صدقه وأنه يخبر عن الله تعالى انتهى وكان يقول : قد وضع الله تعالى ميزان الشرع بيد العلماء أهل التقوى فهم أرباب التعديل والتجريح فما وقع على يد من ظهرت أمارات اتباعه للشرع سموه كرامة وما وقع عل يد غيره

....

الله لأن الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الأجر المجهول من الخلق لا بد من تقديره قبل الطلب .
قال : فكل من يرد رسالة نبي ولم يؤمن بها أصلا فإن لذلك النبي أجر المصيبة وللمصاب أجر على الله بعدد من رد رسالته من أمته بلغوا ما بلغوا ، فله أجر الهداية وأجر المصيبة وعلى هذا فلا يكون أحد أكثر أجرا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يتفق لنبي من الأنبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم ، في كثرة طائعي أمته إجابته ولا في كثرة عصاة أمته دعوته خارجين عن الإجابة وأطال في ذلك ، قال : وفي قوله تعالى :فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ[الشورى : 40] .
المراد بالإصلاح هنا أن يحسن إلى من كان أساء عليه زيادة على العفو عنه ولو علم الناس قدر أجرهم عند الله إذا عفوا

سموه شعرا وشعبذة غير ذلك ذكره الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائة قال : ولا يخفى أن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس إلا إن كانت لنصرة دين أو جلب مصلحة لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم هذا مشهدهم وليس وجه الخصوصية إلا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم فإذا أحيا كبشا مثلا أو دجاجة فإنما ذلك بقدرة الله لا بقدرته وإذا رجع الأمر إلى القدرة فلا يعجب فتأمل .
(فإن قلت) : فهل التطور الذي يقع للأولياء كمال أم نقص ؟
(فالجواب) : هو كما يدل على فناء بشريتهم وقوة أرواحهم حتى صاروا كأهل الجنة يلبسون من الصور ما شاؤوا فإن من غلبت بشريته على روحانيته فهو كشف لا يصح له تطور ، إذ التطور من خصائص الأرواح . وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والستين وأربعمائة : أن الحلاج كان يدخل بيتا عنده يسميه بيت العظمة فكان إذا دخله ملأه كله بذاته في عين الناظرين حتى إن بعض الناس نسبه إلى علم السيمياء لجهله بأحوال الفقراء في تطوراتهم ولما دخلوا عليه ليأخذوه للصلب كان في ذلك البيت فما قدر أحد أن يخرجه من ذلك البيت لأن الباب يضيق عنه فجاءه الجنيد وقال : سلم لله تعالى واخرج لما قضاه وقدّره فرجع إلى حالته المعهودة وخرج فصلبوه ، وكان ينشد وهو يرفل في قيوده حال ذهابهم به إلى الصلب :حبيبي غير منسوب * إلى شيء من الحيف
سقاني ثم حياني * كفيل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاسات * دعا بالنطع والسيف
وذاك جزاء من يشرب * مع التنين في الصيف(فإن قلت) : فما دليل القوم في تسميتهم ما وقع على يد المتبعين للشرع كرامة دون المخالفين ؟
(فالجواب) : دليلهم في ذلك أن الكرامة صادرة من حضرة اسمه تعالى البر فلا يكون إلا للأبرار من عباده جزاء وفاقا إذ المناسبة تطلبها وإن لم يطلبها صاحبها ذكره الشيخ في الباب

....

ما جازى أحد أحدا بإساءة وما كان في العالم إلا عفوا مصلحا ولكن الحجب التي على أعين بصائر غالب الناس كثيفة وليست سوى الأغراض واستعجال التشفي والمؤاخذة ، ومن أحسن إلى من أساء إليه فقد أزال ما قام به من الموجب للإساءة ولا شك أن ذلك محبوب والله يحب المحسنين ولو لم يكن في إحسانه المعبر عنه بإصلاح سوى حصول حب الله له الذي لا يعدله شيء لكان فيه كفاية في الترغيب فيه لكنه شديد ما كل أحد يقدر على فعله كما أشار إليه قوله تعالى :وَما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا[فصلت : 35] . أي : حبسوا نفوسهم عن مجازاة المسئ بإساءته إساءة وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أن الملائكة الكتاب لا يكتبون على العبد من

الرابع والثمانين ومائة وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أن الكرامة على قسمين حسية ومعنوية ولا تعرف العامة إلا الحسية مثل الكلام على الخاطر والأخبار بالمغيبات الآتية والأخذ من الكون والمشيء على الماء واختراق الهواء وطيّ الأرض والاحتجاب عن الأبصار وإجابة الدعوة في الحال ونحو ذلك ، فهذا عند العامة هو الولي .
(وأما) : الكرامة المعنوية فهي التي بين الخواص من أهل الله تعالى وأجلها وأشرفها أن يحفظ الله على العبد آداب الشريعة فيوفق لفعل مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها وأن يحافظ على أداء الواجبات والسنن في أوقاتها مطلقا والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغل والحقد والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس ومراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي الأشياء ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها فيتلقاها بالأدب ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله تعالى لأنها رسل الله إليه فترجع شاكرة من صنيعه معها . فهذه عند المحققين هي الكرامات التي لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف الكرامات التي يعرفها العامة فإنه يمكن أن يدخلها المكر والاستدراج فالكامل من قدر عل الكرامة وكتمها ثم إذا فرضنا كرامة فلا بد أن تكون نتيجة عن استقامة فلا يبعد أن يجعلها الله عز وجل هي حظ جزاء أعمال ذلك الولي فيذهب إلى الآخرة صفر اليدين من الخير وإنما قلنا إن الكرامات المعنوية لا يدخلها مكر ولا استدراج لأن العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الإلهي بل هي عين الطريق الواضحة إلى نيل السعادة .
(وسمعت) : سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا وقع على يد الكامل شيء من الكرامات المحسوسة خاف وضج إلى الله تعالى وسأل الله ستره بالعوائد وأن لا يتميز عن العامة بأمر يشار إليه فيه ما عدا العلم فإن العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة لو لم يعمل أحد بهقُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ[الزمر : 9]
(وسمعته) أيضا يقول : أسنى ما أكرم الله تعالى به العلماء هو العلم خاصة فهو الكرامة التي لا يعاد لها كرامة إذا عمل به وذلك لأن موطن الدنيا إنما هو للعلم والعمل وأما النتائج من خرق العوائد ونحو ذلك فإنما موطنه الدار الآخرة انتهى . وقد ذكر الشيخ في الباب السابع

....

أفعال السوء إلا ما يتكلم به وهو قوله تعالى : ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) [ق : 18] . وهو الكاتب فهم وإن كانوا يعلمون ما يفعلون لا يكتبونه .
(قلت) : يرد على كلامه رضي الله تعالى عنه ، قوله تعالى : إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الجاثية : 29] . إلا أن يكون الشيخ حمل الاستنساخ على خلاف الكتابة والله أعلم .انتهى فليتأمل ويحرر .

[الباب الثامن عشر وأربعمائة في معرفة منازلة " من لم يفهم لا يوصل إليه شيء "]
وقال في الباب الثامن عشر وأربعمائة ، في قوله تعالى : وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ [فصلت : 5] .
وفي قوله : كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ [المطففين : 14] . وقوله تعالى : أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها [محمد : 24] . ونحو ذلك : اعلم أن المراد

والسبعين ومائة : إن أعظم الكرامات أن يصل العبد إلى حد لو غفل العالم كله عن الله عز وجل لقام ذكر ذلك الولي مقام ذكر الجميع فإذا قال سبحان الله مثلا انتقش في جوهر نفسه جميع ما كان يقوله ذلك العالم كله لو ذكر الله تعالى وذلك لأن الله تعالى إذا جازى ذلك الولي أعطاه مثل ثواب جميع العالم انتهى .
(فإن قلت) : فما الذي يحفظ الولي من المكر الخفي الذي في الكرامات الحسية ؟
(فالجواب) : يحفظه من ذلك عدم رمي ميزان الشريعة من يده ليزن بها حاله في كل نفس ، لأن في الكرامات مكرا خفيا لا يشعر به إلا العارفون قال تعالىسَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ[القلم : 44] . قال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين ومائتين : أكثر ما يقع المكر الخفي للمتأولين آيات الصفات وأخبارها وفيمن يبقى على حاله مع وقوعه في المخالفات وفيمن يرزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الإخلاص فيه فإذا رأيت يا أخي هذا الحال من نفسك أو من غيرك فاعلم أن المتصف بذلك ممكور به . وأطال في ذلك ، ثم قال : فعلم أن الله تعالى ما أخفى المكر إلا عن الممكور به خاصة دون غير الممكور به فإن الله تعالى ما أعاد الضمير في يعلمون إلا على الضمير في سنستدرجهم . وقال أيضاوَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(50) [النمل : 50] فمضمر قوله هم هو المضمر في مكروا فكان مكر الله تعالى بهؤلاء هو عين مكرهم الذي اتصفوا به وهم لا يشعرون . وأطال في ذلك ثم قال : وكل من لا يدعو إلى الله على بصيرة وعلم يقيني فهو غير محفوظ من المكر وإن كان هو صاحب اتباع والله تعالى أعلم .
المبحث الحادي والخمسون : في بيان الإسلام والإيمان وبيان أنهما متلازمان إلا فيمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ فإن الإيمان وجد هنا دون الإسلام كما سيأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى
واعلم أن الإسلام الشرعي هو أعمال الجوارح من الطاعات كالتلفظ بالشهادتين والصلاة

....

بالكن أن يكون العبد في بيت الطبيعة مشغولا بأمه ما عنده خبر من أبيه الذي هو الروح فلا يزال هذا في ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار إليه بقوله :وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ[فصلت : 5] . ومن كان في حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام دعاة الشرع ولا يفهم ، وأما الوقر فهو ثقل الأسباب الدنياوية التي تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه في الآخرة ، وأما الران فهو صدأ أو طخاء في مرآة القلب يحدث من النظر ما لم يأمره الله بالنظر إليه ، وجلاؤه يكون بذكر الله وتلاوة كلامه وأما القفل فهو لأهل الاعتذار يوم القيامة من الموحدين فإنهم يقولون : ربنا إننا لم

والزكاة وغير ذلك كما بينه حديث الشيخين بقوله : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، ثم إن هذه الأعمال الإسلامية لا يخرج الإنسان بها عن عهدة التكليف بالإسلام إلا مع الإيمان وحقيقة تصديق القلب بما علم مجيء الرسول به من عند الله ضرورة كما بينه سؤال جبريل في حديث “ الصحيحين “ السابق بقوله فيه : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، والمراد بتصديق القلب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الإذعان لما جاءت به الرسل والقبول له . قال أئمة الأصول : والتكليف بذلك تكليف بأسبابه كإلقاء الذهن وصرف النظر وتوجيه الحواس وصرف الموانع وإلا فذلك ليس من الأفعال الاختيارية التي هي مناط التكليف وإنما هو من الكيفيات النفسانية وأشاروا بقولهم والتكليف بذلك تكليف بأسبابه إلى سؤال وجوابه تقرير السؤال أن التصديق أحد قسمي العلم وهو من الكيفيات النفسانية دون الأفعال الاختيارية فكيف يتعلق التكليف بتحصيله ؟ وتقرير الجواب أن تحصيل تلك الكيفية اختيارا يكون باختيار مباشرة الأسباب وصرف النظر وما ذكر معهما والتكليف بها معناه التكليف بذلك لا يقال وانشراح الصدر الذي هو أول المبادئ في النظر ليس هو باختيار العبد أيضا لأنا نقول : ما رقي فوق ذلك فهو من علم سر القدر الذي نهى العلماء عن إفشائه والإيضاح عنه .

(فإن قلت) : فهل الإيمان مخلوق أو غير مخلوق .

(فالجواب) : الإيمان من حيث هو هداية من الله تعالى غير مخلوق لأن الهداية صفة من صفاته تعالى ، وصفات الله قديمة وأما من حيث هو إقرار من العبد وإذعان فهو مخلوق لأنه معدود حينئذ من أعمال العبدوَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ(96) [الصافات : 96] وقال أئمتنا : ولا يعتبر التصديق المذكور في خروج العبد به عن عهدة التكليف بالإيمان إلا مع التلفظ بالشهادتين للقادر عليه وذلك لأن الشارع جعل التلفظ بالشهادتين علامة لنا على التصديق الخفي عنا حتى يكون المنافق مؤمنا فيما بيننا كافرا عند الله تعالى قال تعالىإِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً(145) [النساء : 145] . قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في

....

نقفل على قلوبنا وإنما وجدناها مقفلا عليها ولم نعرف من قفلها فرمنا الخروج فخفنا من فك الختم والطبع فبقينا ننتظر الذي قفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها فلم يكن بأيدينا من ذلك شيء . قال : وكان عمر بن الخطاب وأضرابه ممن أسلم من الصحابة من أهل تلك الأقفال فلما تولى الله فتحه وأسلم شيد الله به الإسلام وعضده رضي الله عنه .

(وقال) : من أوتي الفهم في القرآن فقد أوتي الحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا إنما كثرها لما فيها من الوجوه قال : وإيضاح ذلك أن الفهم في الكلام على قسمين : قسم

“ حاشيته “ : وحاصل هذه المسألة كما قاله بعضهم : إن جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج ذهبوا إلى أن الإيمان ليس هو التصديق فقط بما علم مجيء الرسول به في أحكام الدنيا والبرزخ والآخرة وإنما هو مجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بمقتضاه ، فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج به وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة ، ورأيت على “ حاشية الحاشية “ بخطه أيضا ما نصه : حاصل الكلام في هذه المسألة أن الإيمان شرط للاعتداد بالعبادات فلا ينفك الإسلام المعتبر عن الإيمان وإن كان الإيمان قد ينفك عنه فلا يوجد إسلام معتبر بدون الإيمان وقد يوجد الإيمان المعتبر بدون الإسلام كمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ ومن قال : إن الإيمان والإسلام واحد فسر الإسلام بالاستسلام والانقياد الباطن بمعنى قبول الأحكام فمن حقق النظر ظهر له أن الخلاف في أنهما مترادفان أم لا خلاف في مفهوم الإسلام وقد قال بالترادف كثير من الحنفية وبعض الشافعية انتهى . قال الشيخ تاج الدين بن السبكي : وهنا سؤال وهو أنه هل التلفظ بالإيمان الذي هو الشهادة شرط الإيمان أو شطر منه فيه تردد للعلماء ، قال الجلال المحلي : وكلام الغزالي يقتضي أنه ليس بشرط ولا شطر وإنما هو واجب من واجباته قال الكمال في “ حاشيته على شرح جمع الجوامع : “ وإيضاح ذلك بأن يقال في التلفظ هل هو شرط لإجراء أحكام المؤمنين في الدنيا من التوارث والمناكحة وغيرهم فيكون غير داخل في مسمى الإيمان أو هو شطر منه أي جزء من مسماه ؟ قال : والذي عليه جمهور المحققين الأول وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الإقرار كان مؤمنا عند الله تعالى قال وهذا أوفق باللغة والعرف . وذهب شمس الأئمة السرخسي وفخر الإسلام البزدوي من الحنفية وكثير من الفقهاء إلى الثاني وألزمهم القائلون بالأول بأن من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الإقرار كان كافرا وهو خلاف الإجماع على ما نقله الإمام الرازي وغيره .

(فإن قلت) : فهل الإيمان يتجزأ أي يتبعض ؟

(فالجواب) : أن الإيمان واحد لا يتبعض حتى يكون جزء منه في مكان في البدن وجزء

....

مكتسب من مادة وقسم مكتسب من غير مادة فالذي يكتسب من غير مادة لا يقال فيه فهم . وإنما يقال فيه علم . وأما المكتسب من المادة فهو الذي يقال فيه فهم وهو تعلق خاص في العلم ، فإذا علم السامع اللفظة من اللافظ بها أو رأى الكتابة ففيه تفصيل فإن علم مراد المتكلم من تلك الكلمة مع تضمنها في الاصطلاح معاني كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فهو الفهم وإن لم يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل واحتمل عنده فيها وجوه كثيرة مما تدل عليه الكلمة ولا علم مراد المتكلم من تلك الوجوه هل أرادها كلها أو أراد بعضها فمثل هذا لا يقال فيه : إنه أعطي الفهم في القرآن وإنما أعطي العلم بمدلولات تلك الألفاظ بالاصطلاح

منه في مكان آخر بل نوره منتشر في جميع الأعضاء حتى إذا قطع عضو منه ذهب الإيمان في القلب لكونه لا يتجزأ والله أعلم هذا ملخص ما وجدته عن أئمة الأصول . وأما عبارات الشيخ محيي الدين فقال في الباب الستين وأربعمائة من “ الفتوحات المكية “ : اعلم أن الإسلام عمل والإيمان تصديق والإحسان رؤية أو كالرؤية فالإسلام انقياد والإيمان اعتقاد والإحسان إشهاد فمن جمع هذه النعوت لم ينكر شيئا من تجليات الحق تعالى حيث يتجلى في الآخرة وينكره بعضهم كما في حديث مسلم فكان الحق تعالى تجلى له في سائر التجليات وحده ومن لم يجمع في اعتقاده بين هذه النعوت أنكره ضرورة في كل ما لم يذقه في دار الدنيا انتهى . وقال أيضا في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة : اعلم أن الصدق محله الخبر والخبر محله الصادق وليس هو بصفة لأصحاب الأدلة وإنما هو نور يظهر على قلب العبد يصدق به المخبر عن الله تعالى أو عن غيره ويكشف له ذلك النور عن صدق المخبر لم يرجع عنه برجوع المخبر لأن نور الصدق تابع للمخبر حيث مشى والمصدق بالدليل ليس هذا حكمه إن رجع المخبر لم يرجع لرجوعه فهذا هو الفارق بين الرجلين قال : وهذه المسألة من أشكل المسائل في الوجود فإن الأحكام المشروعة أخبار إلهية يدخلها النسخ والتصديق تبع الحكم فيثبته ما دام المخبر يثبته ويرفعه ما دام المخبر يرفعه ولا يتصف الحق تعالى بالبداء في ذلك وهذا هو الذي جعل بعض الطوائف ينكرون النسخ للأحكام وأما الصادق فما أكذب نفسه في الخبر الأول وإنما هو أخبر بثبوته وأخبر برفعه وهو صادق في الحالين فعلم أن صدق الإيمان نور كشفي لا يقبل صاحبه دخول الشبه عليه أصلا اهـ.

(فإن قلت) : فهل ثم فرق بين الصدق والحق أم هما بمعنى واحد ؟

(فالجواب) : إنهما شيئان ، لأن الحق ما وجب فعله ، والصدق ما أخبر به على الوجه الحق الذي هو عليه وقد يجب فيكون حقا وقد لا يجب فيكون صدقا لاحقا فلهذا قال تعالى[لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ] الأحزاب [8 : يعني فإن كان وجب عليهم فعله نجوا وإن لم يجب عليهم بل منعوا منه هلكوا ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة وأطال في ذلك . ثم قال : واعلم أن من الحقوق ما يقتضي الثناء الجميل على من لا يقيمه كالمجرم

....

الذي عرفه وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أن كلام الله تعالى قد أنزل بلسان العرب فإذا اختلفوا في الفهم عن الله ماذا أراد بكلامه مع اختلاف مدلولات تلك الكلمة أو الكلمات كان كلام الله يقبل جميع الوجوه التي فهموها ، وذلك لأن الله تعالى عالم بجميع تلك الوجوه فما من وجه منها إلا وهو مقصود لله تعالى من تلك الكلمة بالنظر إلى من يفهم منه ذلك الوجه المقصود ومقصود أيضا لذلك الشخص المتكلم ما لم يخرج عن اللسان فإن خرج عن لسان العرب فلا فهم ، ولا علم .

قال : وليس هذا الحكم الذي قررناه لكلام أحد من المخلوقين فقد يكون بعض الوجوه غير مقصود لصاحب ذلك الكلام فليتأمل ويحرر والله تعالى أعلم .

[الباب التاسع عشر وأربعمائة في معرفة منازلة الصكوك وهي المناشير والتوقيعات الإلهية]

وقال في

المستحق للعقاب بإجرامه يعفى عنه فهذا حق قد أبطل وهو محمود كما أن الغيبة والنميمة وإفشاء سر الزوجة صدق وهو مذموم فكل حق صدق وما كل صدق حقا لأن الصادق يسأل عن صدقه ولا يسأل ذو الحق إذا قام به عنه فالغيبة وأشباهها صدق لا حق والسلام .
(فإن قلت) : فكم ينقسم نور الإيمان على قسم ؟
(فالجواب) : هو على قسمين كما أن أهله على قسمين .
(القسم الأول) : من آمن من نظروا استدلال وبرهان فهذا لا يوثق بثبات إيمانه لدورانه مع الدليل ومثل هذا لا يخالط بشاشة نور إيمانه القلوب لأنه لا ينظر إلا من خلف حجاب دليله وما من دليل من أدلة أصحاب النظر إلا وهو معرض لحصول الدخل فيه والقدح ولو بعد حين فلهذا كان لا يمكن صاحب البرهان أن يخالط الإيمان بشاشة قلبه للحجاب الذي بينه وبينه .
(القسم الثاني) : من كان برهانه حين حصول الإيمان في قلبه لأمر آخر ضروري وهذا هو الإيمان الذي يخالط بشاشة القلوب ولا يتصور في حق صاحبه شك لأن الشك لا يجد محلا يعمره فإن محله الدليل وما ثم دليل فما ثم ما يرد عليه الدخل ولا الشك ذكره الشيخ في الباب الثالث والسبعين . وقال قبله في الباب الخامس من " الفتوحات " : اعلم أن الإيمان على خمسة أقسام إيمان عن تقليد وإيمان عن علم وإيمان عن عيان وإيمان عن حق وإيمان عن حقيقة ، فالتقليد للعوام والعلم لأصحاب الأدلة والعيان لأهل المشاهدة والحق للعارفين والحقيقة للواقفين وأما حقيقة الحقيقة الزائدة على الخمسة أقسام فهي للمرسلين وقد منعنا الحق تعالى من كشفها فلا سبيل إلى بيانها انتهى . وتقدم في المقدمة أول الكتاب أن من أخذ إيمانه تقليدا جزما ما للشارع فهو أعصم وأوثق ممن يأخذ إيمانه عن الأدلة وذلك لما يتطرق إليها من الدخل والحيرة .
(فإن قلت) : فأي الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعلى إيمانا ؟
(فالجواب) : أعلى الناس إيمانا وتصديقا الصحابة على اختلاف طبقاتهم ثم من يؤمن بالغيب على الكمال كأهل زماننا رأينا سوادا في بياض فآمنا به وصدقناه ولم نقل كما قال غيرنا

....

الباب التاسع عشر وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم : " من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي " : اعلم أن من التوفيقات الإلهية المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ، قال : وله العمل بما فيها من الحكم في حق نفسه فقط بشرط أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على الصورة المجسدة التي كان عليها في دار الدنيا كما نقل إليه من الوجه الذي صح عنده حتى أنه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مكسور الثنية العليا فإن لم يره بهذه العلامة فما هو ذاك وإن تحقق أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في رؤيا لكن رآه شخصا أو شابا مغايرا للصورة التي كان عليها في الدنيا ، ومات عليها أو رآه في حسن أزيد مما وصف له أو في أقبح صورة أو وقع منه سوء أدب مع

هذا أساطير الأولين فالحمد لله رب العالمين .
(فإن قلت) : فما الوجه الجامع بين قول بعضهم : الإيمان لا يزيد ولا ينقص بين قول الجمهور أنه يزيد وينقص ؟
(فالجواب) : الوجه الجامع بينهما أن يحمل قول من قال إنه لا يزيد ولا ينقص على إيمان الفطرة ويحمل قول من قال إنه يزيد وينقص على ما بين الفطرة إلى طلوع الروح ، فإن كل إنسان لا يموت إلا على ما فطر عليه وإيضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الأحد وثمانين ومائتين أن يقال : الإيمان الأصلي الذي لا يزيد ولا ينقص هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهو شهادتهم له تعالى بالوحدانية في الأخذ للميثاق فكل مولود يولد على ذلك الميثاق ولكنه لما حصل في حصر الطبيعة في هذا الجسم الذي هو محل النسيان جهل الحالة التي كان عليها مع ربه ونسيها فافتقر إلى النظر في الأدلة على وحدانية خالقه إذا بلغ إلى الحال التي يعطيها النظر وإن لم يبلغ إلى هذا الحد كان حكمه حكم والديه فما نظر العبد في الأدلة إلا ليرجع إلى الحالة التي كان عليها عند أخذ الميثاق كالذي يكون مسافرا والسماء مصحية وهو يعرف جهة القبلة وصوب مقصده فحصل لها سحاب وغيم حتى صار لا يعرف جهة مقصده ولا القبلة ومثل هذا يجب عليه الاجتهاد فافهم وسيأتي قريبا إيضاح ذلك .
(فإن قلت) : فما حكم من تقدم إيمانه بتوحيد الله شرك ورثه عن أبويه أو عن نظره أو عن الأمة التي هو فيها ؟
(فالجواب) : حكمه حكم من لم يغير ولم يبدل لأن التوبة تجبر ما قبلها فكان ذلك الإيمان هو عين إيمانه الميثاقي لا غيره فإن المشرك مقرّ بوجود الله لكنه أشرك به حين حال بينه وبين توحيده الحجاب فلما ارتفع الحجاب رجع لحالته عند الميثاق .
(فإن قلت) : فأيهما أقرب إلى الإيمان المشرك أو المعطل ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني : المعطل أقرب إلى الإيمان من المشرك فإنه لا بد لكل إنسان أن يجد في نفسه مستندا في وجوده إلى أمر ما لا يدري ما هو فيقال له

....

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذلك راجع إلى الرائي ، لا إليه صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز له الحكم بصحة ما رآه ولا يجوز له العمل بما أخبره به لا سيما إن خالف نصا صريحا في الشريعة أو اقتضى نسخ حكم ثابت ونحو ذلك .
قال : وقد رأينا على الصورة التي كان عليها وسألناه عن عدة أحاديث قيل بضعفها فأخبرنا صلى الله عليه وسلم ، بصحتها فعلمنا بها وقد ذكر الإمام مسلم في صدر كتابه عن شخص أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في المنام فعرض عليه ألف حديث كان في ذهنه أنها صحيحة فأثبت له صلى الله عليه وسلم ، من الألف ستة أحاديث وأنكر صلى الله عليه وسلم ، ما بقي فعلم أن من رآه صلى الله عليه وسلم ، في المنام فقد رآه في اليقظة ما لم تتغير عليه الصورة فإن الشيطان لا يتمثل على صورته أصلا ، فهو معصوم

ذلك الذي لا تدري ما هو : هو الله الذي خلقك ورزقك فربما آمن به وصدق ، فإن حدث له بعد ذلك هل هو واحد أو أكثر كان في محل النظر الذي في ذلك أو يقلد من يعتقده من الموحدين فما ثم على هذا إيمان محدث بل هو مكتوب في قلب كل مؤمن على ما هو التفصيل أوائل المبحث .
(فإن قلت) : فإذن بالتوحيد تتعلق السعادة وبنفيه يتعلق الشقاء المؤبد ؟
(فالجواب) : نعم وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا[الممتحنة : 1] يعني في العهد الميثاقي آمنوا أي لقول رسولنا لكم آمنوا ، فلو لا أن الإيمان كان موقورا عندهم ما وصفوا به فقد بان لك بهذا التقرير أن إيمان الفطرة هو الذي يموت عليه العبد وهذا لا يزيد ولا ينقص وأن المراد بزيادته ونقصه هو ما طرأ في العمر والله أعلم . وقال في الباب الثالث والسبعين من “ الفتوحات “ : اعلم أنّ المراتب التي تعطي السعادة للإنسان أربعة الإيمان والولاية والنبوة والرسالة ثم إن العلم من شرائط الولاية وليس من شرط الولاية الإيمان لأن متعلق الإيمان الخبر وقد يوجد ولي لله تعالى من غير إيمان كقس بن ساعدة فإنه موحد لا مؤمن وهو سعيد بلا شك ، فأول مرتبة للعلماء باللّه تعالى توحيدهم ثم إيمانهم ثم علمهم وما اتخذ الله من ولي جاهل به أبدا وقد تقدم في مبحث أهل الفترات أنه يصح أن يلغز فيقال لنا شخص يدخل الجنة وهو غير مؤمن وهو من وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه ولم يكن في زمنه شرع يؤمن به وهي مسألة عظيمة أغفلها العلماء فإنه يدخل تحت فلك الولاية كل موحد لله بأي طريق كان توحيده .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى :وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ(106) [يوسف : 106] وكيف صح الإيمان مع الشرك ؟
(فالجواب) : ما قاله الشيخ في الباب السابع والتسعين وأربعمائة : أن المراد بهذا الشرك هو شرك النفس فإن المؤمن الكامل هو من آمن باللّه لا بنفسه ويؤيد ذلك قوله تعالى :وَلْيُؤْمِنُوا بِي[البقرة : 186] أي لا بنفوسهم فيرون لها مدخلا في الإيمان بل الواجب أن يروا حصول الإيمان محض فضل من الله تعالى وأطال في ذلك ثم قال : وهذه الآية لا تعطي الإيمان بتوحيد

....

الصورة حيا وميتا فمن رآه فقد رآه في أي صورة لكن منها ما هو أوضح وقد تقدم الكلام على الرؤيا في الباب الثامن والثمانين ومائة فراجعه .
(قلت) : وكان شيخنا سيدي محمد المغربي الشاذلي رحمه الله يقول في رؤية للنبي صلى الله عليه وسلم ، يقظة كما يقول به بعضهم : المراد باليقظة هنا يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية وذلك لأن من بالغ في كمال الاستعداد والتقرب صار محبوبا للحق وإذا أحبه كان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحالة اليقظة لغيره قال : وحينئذ فما رآه صلى الله عليه وسلم ، إلا بروحه المتشكلة بشكل الأشباح من

الله وإنما تعطي مشاهدة ميثاق الذرية حين أشهدنا الحق تعالى على أنفسنا بقوله ألست بربكم وقلنا بلى ، ولم يكن هناك إلا التصديق بالملك والوجود لا بالإيمان والتوحيد وإن كان هناك توحيد فهو توحيد الملك فمعنى قوله تعالى :إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ[يوسف : 106] أي حين خرجوا إلى الدنيا لأن الفطرة إنما كانت على إيمانهم بوجود الحق والملك كما مر فلما احتجب التوحيد عن الفطرة ظهر الشرك في الأكثر ممن يزعم أنه موحد وما أداهم إلى ذلك إلا التكليف فإنه لما كلّفهم تحقق أكثرهم أن الله ما كلّفهم إلا وقد علم أن لهم اقتدارا نفسيا على إيجاد ما كلفهم به من الأفعال فلم يخلص لهم توحيد ولو أنهم علموا أن الله تعالى ما كلفهم إلا لما فيهم من الدعوى في نسبة الأفعال إليهم لكانوا تجدروا عنها بنفوسهم كما فعل أهل الشهود فعلم أنه لو كان المراد بالإيمان في الآية التوحيد لم يصح قوله إلا وهم مشركون فدل على أنه تعالى لم يرد الإيمان بالتوحيد إنما أراد الإيمان بالوجود انتهى .

(فإن قلت) : فمن أين شقي الكفار ؟

(فالجواب) : شقوا بحكم القضاء الذي لا مرد له فلم يرجعوا إلى حالة الميثاق أبد الآبدين ودهر الداهرين وأيضا فإن الربوبية لله تعالى فلم ينكرها أحد مطلقا وإنما أشركوا معها ربوبية أخرى وزادوا على ذلك تكذيب الرسل فشقوا الأبد . نسأل الله حسن الخاتمة من فضله وإحسانه . وقال الشيخ في الباب الرابع وأربعين وأربعمائة في قوله تعالىأَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ[الزمر : 3] المراد بهذا الدين هو الدين الذي خلص لنفسه في وفاء العهدية وليس المراد به ما استخلصه العبد من الشيطان أو من الباعث عليه من خوف من نار أو رغبة في جنة فإنه قد يكون الباعث للمكلف على إخلاصه مثل هذه الأمور فيكون العبد من المخلصين ويكون الدين بهذا الحكم مستخلصا من يد من يعطي المشاركة فيه فيميل العبد به عن الشريك ولهذا قال تعالى حنفاء لله أي غير مائلين به إلى جانب الحق الذي شرعه وأخذه على المكلفين من جانب الباطن إذ قد سماهم الحق تعالى مؤمنين في كتابه فقال في طائفة أنهم آمنوا بالباطل وكفروا بالله فكساهم خلعة الإيمان فعلى هذا ليس اسم الإيمان خاصا بالسعداء ولا الكفر خاصا بالأشقياء من حيث الألفاظ وإنما ذلك من حيث المعاني فإن قرائن الأحوال هي التي تميز في العهد الخالص

....

غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ إلى مكان هذا الرائي لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجيء والرواح هذا هو الحق الصراح انتهى . والله أعلم .

[الباب الأحد والعشرون وأربعمائة في معرفة منازلة “ من طلب الوصول إلي بالدليل والبرهان لم يصل إلي أبدا فإنه لا يشبهني شيء]

وقال في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة في قوله تعالى : لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام : 103] .

يعني من كل عين من أعين الوجوه ، وأعين القلوب فإن القلوب ما ترى إلا بالبصر وأعين الوجوه لا ترى إلا بالبصر ، فالبصر حيث كان هو الذي يقع به الإدراك لكن يسمى البصر في العقل عين البصيرة ويسمى في الظاهر بصر العين إذ العين في الظاهر محل البصر كما أن البصيرة في الباطن محل لبصر العين التي في الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه فكما لا تدركه العيون بأبصارها

هو الذي أخذه الله من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ثم إن كل بني آدم ولدوا على الفطرة وهذا هو الميثاق الخالص لنفسه الذي ما ملكه أحد غصبا فاستخلص منه بل لم يزل خالصا لنفسه في نفس الأمر طاهرا مطهرا ومن هنا كان أبو يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري وأضرابهما يقولون : ما نقصنا من ميثاق الحق تعالى شيئا بل عهده باق عندنا سالما خالصا وهذا هو الدين الخالص لا المخلص بفتح اللام المشددة لأنه قام في العبد من غير استخلاص ولم يزل محفوظا من النقص قبل تكليف صاحبه وبعده فمثل هؤلاء لم يؤمروا بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين إذ لا فعل لهم في الاستخلاص هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في بعض نسخ " الفتوحات " : والذي يظهر لي أن لسان الأمر بالإخلاص عام في كل مقام بحسبه حتى مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاعبد الله مخلصا له الدين وقال تعالى :وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً[النساء : 113] وعلى ما قرره الشيخ محيي الدين يكون المخاطب بالإخلاص للدين حقيقة أمته صلى الله عليه وسلم لا هو فهو المخاطب بالإخلاص والمراد به غيره لأنه إذا كان خواص أمته لا يصح منهم تغيير للعهد الميثاقي فكيف به صلى الله عليه وسلم الذي هو صاحب جميع المقامات فتأمل والله تعالى أعلم .

(فإن قلت) : فهل يقدح في الإيمان عدم إيماننا بحياة الجماد ؟

(فالجواب) : نعم يقدح ذلك في إيمان كل مؤمن وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وثلاثمائة أنه يجب على كل مؤمن حفظ إيمانه مما ينقصه كان لا يؤمن بحياة كل شيء أخبر الحق تعالى أنه يسبح بحمده فإن الله تعالى ما نفى حياة كل شيء وإنما نفى كوننا نفقه تسبيحه لا غير ، فهل الكشف يشهدون ذلك عيانا وأهل الإيمان الكامل يقبلون ذلك إيمانا وعبادة . قال : وإنما عقب ذلك بقوله إنه كان حليما غفورا اللذين هما أسماء الحجاب والستر وتأخير المؤاخذة إلى الآجل وعدم حكمها في العاجل لما علم أن في عباده من حرم الكشف والإيمان الكامل وهم عبيد الأفكار من العقلاء وأطال في ذلك . ثم قال : فأهل الكشف يقولون سمعنا نطق الجمادات ورأيناه وأهل الإيمان يقولون آمنا بذلك وصدقنا وعبيد الأفكار من المحجوبين يقولون ما سمعنا ولا رأينا قال وتأمل في قوله تعالى :أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ

....

كذلك لا تدركه البصائر بأعينها .

(قلت) : وقد أخبروا سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ، أن شخصا يزعم أنه رأى ربه بعين بصره فقال : هذا شخص ملبس عليه وهو أنه خرق من عين بصيرته خرق إلى باصر عين وجهه ، فرأى ربه حينئذ فظن أنه رآه بعين بصره انتهى . ففي هذه الحكاية إشارة إلى صحة الرؤية بالبصيرة في دار الدنيا فليتأمل مع كلام الشيخ محيي الدين فإني حاولت جمعا فلم يحصل لي سوى أن المتفق عليه جواز الرؤية بنفس البصيرة لا بعين البصيرة ولا بعين الوجه ، ولا بعين القلب ، فتكون البصيرة على هذا قدرا زائدا عن الجميع وفي الجميع إنما يتأتى إذا

تُكَلِّمُهُمْ]النمل : 82] كيف عقبها بقولهأَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ[النمل : 82] لما علم أن طائفة من الناس لا يؤمنون بذلك ويخرجونه بالتأويل عن آخره ومعنى لا يوقنون أي لا يستقر الإيمان بالآيات التي هذه الآية منها في قلوبهم بل يقبلون ذلك على غير وجهه الذي قصد له فالله يرزق جميع إخواننا الإيمان إن لم يكونوا من أهل العيان آمين وسيأتي في مبحث عذاب القبر وسؤال منكر ونكير بيان أدلة تسبيح الجمادات بلسان المقال فراجعه .
(فإن قلت) : فهل يجب التحفظ من قبول هدية من أمرنا الله تعالى بمعاداته ؟
(فالجواب) : نعم يجب علينا ذلك فإن في الحديث “ تهادوا تحابوا “ وللعطاء أثر قادح في الإيمان إذ المحسن محبوب للنفس قهرا عليه وهذه مسألة خطيرة في حق كل محجوب عن شهود العطاء من الله عز وجل فكيف يطلب من يرى العطاء من الخلق أنه لا يحب الكفار والظلمة المصرين على المعاصي إذا قبل برهم وإحسانهم هذا أمر عسر على غالب الخلق إلا من شاء الله لأنه خروج عن الطبع فهو وإن لم يكن له أثر في الظاهر فله أثر في الباطن انتهى .
(فإن قلت) : فأوضح لنا مثالا نعرف به المؤمن الكامل ؟
(فالجواب) : المؤمن الكامل من صار الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب وتولاه الله تعالى بالإيمان الذي هو القول والعمل والاعتقاد الصحيح فكان قوله وفعله مطابقا لاعتقاده في ذلك الفعل ولهذا قال تعالىيَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ[الحديد : 12] يريد ما قدموه من الأعمال الصالحة عند الله قال صلى الله عليه وسلم : “ المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم “ .
وفي رواية : “ المؤمن من أمن جاره بوائقه . “
(وسمعت) أخي أفضل الدين رحمه الله يقول : من شرط كمال الإيمان أن يصير الغيب عند المؤمن كالشهادة سواء ويسري منه الأمان في نفس العالم كله فيأمنه المؤمنون الكاملون على القطع على أنفسهم وأموالهم وأهليهم من غير أن يتخلل ذلك الأمان تهمة في أنفسهم من هذا الشخص فمن لم يكن فيه هاتان العلامتان فلا يغالط ولا يدخل نفسه في كمل المؤمنين .
(وسمعت) : سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من ادعى كمال الإيمان بما وعده الله

....

قررنا الكلام على رؤيته تعالى في دار الدنيا ولغيره صلى الله عليه وسلم ، أما رؤيته في الآخرة ورؤيته في الدنيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنؤمن بأن ذاك بعين الرأس قطعا والله أعلم .

[الباب الثاني والعشرون وأربعمائة في معرفة منازلة “ من رد إلي فعلى فقد أعطاني حقي وأنصفني من مالي عليه“]

وقال في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة : قد عفا الله عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا إلا بمكة كما مر إيضاحه في الباب التاسع والستين وثلاثمائة . وقال في قوله تعالى :فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ (9) وَما أَدْراكَ ما هِيَهْ(10) [القارعة : 6 - 10] اعلم أن الميزان يوم القيامة يظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لأنهم إنما يحشرون وينشرون في الأجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد فإن الحسنة بعشر

عليه فليمتحن نفسه فيما وعده الله به من مضاعفة الصدقة مثلا إلى سبعين ضعفا وأكثر ، فإن وجدها لا تتوقف في إعطاء أحد من المحتاجين شيئا ولو أنفقت جميع ما بيدها فليعلم أن إيمانه بذلك كامل فيجب عليه الشكر لله عز وجل وإن توقفت عن العطاء وجود قوت يومها وليلتها فليعلم أنه ناقص الإيمان بما وعده الله تعالى ولو أن يهوديا جلس بشكارة ذهب وقال كل من أعطى فقيرا نصفا أعطيته دينارا لتزاحم الناس على العطاء وأعطوا الفقراء كل ما بأيديهم من الفضة نسأل الله تعالى اللطف .

(وسمعته) : يقول أيضا في قوله تعالى :وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ(55) [الذاريات : 55]

إذا رأيت يا أخي من يدعي كمال الإيمان ويذكره الناس فلا تنفعه الذكرى فاعلم أنه في ذلك الحال ناقص الإيمان بمرة فإن شهادة الله حقّ وهو صادق وقد أعلمنا أن المؤمن ينتفع بالذكرى ، وقد رأينا هذا لم ينتفع بالذكرى فلا بد أن نقول أن إيمانه توارى عنه تصديقا لله ولا معنى للنفع إلا وجود العمل منه بالجملة ، فلا نرى أحدا يتوقف عن العمل بما أمر به إلا وفي نفسه احتمال من قام له في شيء أخبره الصادق به احتمال فليس هو بكامل الإيمان مع أنك لو سألته لقال لا أشك في صدق ما أخبرنا الله به ورسوله . فتنبه يا أخي لنفسك فإنك الآن تأتي الله تعالى وأنت كامل الإيمان من غير كثير عمل خير لك من أن تأتيه بأعمال الثقلين وفي إيمانك ثلمة ونقص فعلم كما قاله الشيخ في الباب التاسع والخمسين ومائة : أن الإيمان علم ضروري يجده المؤمن في قلبه لا يقدر على دفعه وكل من آمن عن دليل فلا وثوق بإيمانه كما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب وذلك لأن صاحب الدليل معرض للشبه القادحة في إيمانه إذ هو إيمان نظري لا ضروري والنظري صاحبه أسير لدليل فكل شيء ترجح عنده في وقت وترك ما كان عليه قبل ذلك ولهذا لا يشترط في وجود الرسالة إقامة الدليل للمرسل إليه ولذلك لم نجد مع وجود الدليل وقوع الإيمان من كل أحد بل من بعضهم فقط فلو كان لنفس الدليل لنعم ونراه أيضا يوجد ممن لم ير دليلا فدل على أن الإيمان إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده لا بدليل ، ولذلك قلنا لا يشترط فيه وجود الدليل وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والخمسين ومائة قال : قد نبهتك على سر غامض لا يعرفه كل أحد فاحتفظ به والله تعالى أعلم.

....

أمثالها إلى مائة ألف فما فوق ذلك ، وقد فعل هذا حسنا في ظاهر بدنه وأراد حسنا في باطنه وأما الذي خفت موازينه وهو الشقي فلأنه فعل سيئا والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة إلى ثقل ميزان السعيد قال : ولم يعتبر الحق تعالى في الوزن إلا كفة الخير لا كفة الشر ، فهي الثقيلة في حق السعيد الخفيفة في حق الشقي ، مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره ، فالكفة الثقيلة للسعيد هي بعينها الخفيفة للشقي لقلة ما فيها من الخير أو عدمه بالكلية مثل الذي يخرجه الله من النار وما عمل خيرا قط ، فميزان هذا ليس في كفة اليمين منه شيء أصلا وليس عنده إلا ما في قلبه من التوحيد الحاصل من العلم الضروري وليس له في ذلك

(خاتمة) : قال الشيخ في الباب الرابع والستين وثلاثمائة : اعلم أنه لا يموت أحد من أهل التكليف إلا مؤمنا عن عيان وتحقق لا مرية فيه ولا شك لكن من العلم بالله والإيمان به خاصة وما بقي الأهل ينفعه ذلك الإيمان أم لا وفي القرآن العظيمفَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا[غافر : 85] قال وقد حكى الله تعالى عن فرعون أنه قالآمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ[يونس : 90] فلم ينفعه هذا الإيمان وأطال في أدلة أنه لم ينفعه إيمانه .

(قلت) : فكذب والله وافترى من نسب إلى الشيخ محيي الدين أنه يقول بقبول إيمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل على أنه قال بقبول إيمان فرعون جماعة منهم القاضي أبو بكر الباقلاني وبعض الحنابلة قالوا لأن الله حكى عنه الإيمان آخر عهده بالدنيا انتهى . وجمهور العلماء قاطبة على عدم قبول إيمانه ، وإيمان جميع من آمن في البأس لأن من شرط الإيمان الاختيار وصاحب إيمان البأس كالمجلىء إلى الإيمان والإيمان لا ينفع صاحبه إلا عند القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا ولأن متعلق الإيمان هو الغيب وأما من يشاهد نزول الملائكة لعذابه فهو خارج عن موضوع الإيمان والله تعالى أعلم .

<u>المبحث الثاني والخمسون : في بيان حقيقة الإحسان</u>

اعلم أن حقيقة الإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه كما صرح به في حديث سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان ، وقال الجلال المحلي رحمه الله : حقيقة الإحسان مراقبة الله تعالى في جميع العبادات الشاملة للإيمان والإسلام أيضا حتى تقع عبادات العبد كلها في حال الكمال من الإخلاص وغيره انتهى .

وتقدم في مبحث مسألة خلق الأفعال والكسب أن علم العبد بأن الله تعالى يراه أكمل في التنزيه من شهوده هو للحق لأنه لا يشهده إلا بقدر دائرة عقله هو فقط وتعالى الله عن ذلك بخلاف علمه بأن الله يراه وتقدم فيه أيضا أن في الحديث إشارة لطيفة وهو أن صاحب مقام الإحسان إذا عبد الله كأنه يراه لم يجد الفعل إلا لله وحده وليس للعبد فيه أثر وإنما له حكم فيه لكونه محلا لبروزه من الجوارح لا غير ومن شهد هذا

....

تعمل مثل سائر الضروريات فلو اعتبر الحق في الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بيانا في ذلك ، فإن إحدى الكفتين إذا ثقلت خفت الأخرى بلا شك خيرا كان أو شرا ، هذا حكم وزن الخير والشر ، وأما إذا وقع الوزن للعبد فيكون هو في إحدى الكفتين وعمله في الأخرى فذلك وزن آخر فمن ثقل ميزانه نزل عمله إلى أسفل وذلك لأن الأعمال في الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار فتنزل كفة عمله تطلب النار وترتفع الكفة التي هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لأنها العلو والشقي تثقل كفة الميزان التي هو فيها وتخف كفة عمله فيهوي في النار وهو قوله :فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ(9) [القارعة : 9] . فكفة ميزان العمل هي

المشهد فهو الذي أخلص عمله لله ولم يشرك فيه نفسه مع الله . وتقدم أيضا في المباحث السابقة أن من كمال العبد أن يواخي بين العيان والإيمان فيكون مؤمنا بما هو مشاهده من غير حجاب وذلك حتى لا يفوته ثواب الإيمان بالغيب حال الشهود والمعاينة وأن ذلك مقام عزيز .
قال الشيخ محيي الدين في باب الأسرار من " الفتوحات " : ولا يخفى أن الإيمان والإسلام مقدمتا الإحسان لأن الإيمان له التقدم والإسلام قال وإلا لم يقبل فهذا شفع قد ظهر والختام للوتر فأوتره الإحسان لأنه أول الأفراد الثلاثة لا الواحد فافهم . وقال فيه أيضا : اعلم أن الإيمان تصديق فلا يكون إلا عن مشاهدة الخبر في التخيل فلا بد من الإحسان والإسلام انقياد والانقياد لا يكون إلا لمن رأى يد الحق كما يليق بجلاله وهي آخذة بناصيته فانقاد طوعا فإن لم يرد الحق التي هي تأييده له ولا تخيلها فما انقاد إلا كرها والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .
(قلت) : قد رأيت في كلام سيدي علي بن وفا رضي الله عنه أن وراء مقام الإحسان مقام آخر يسمى مقام الإيقان ولم أر ذلك في كلام غيره فليتأمل . وقد تقدم في مبحث الأجوبة عن الأنبياء أن أهل مقام الإحسان لا يتصور منهم معصية ما داموا في حضرة الإحسان وأن من هنا عصم الأنبياء وحفظ غيرهم من الأولياء لعكوف الأنبياء والأولياء في حضرة الإحسان ، أما الأنبياء فهم فيها على الدوام وأما الأولياء فهم فيها في أغلب أحوالهم وغاية معصية أهل حضرة الإحسان أن يقعوا في خلاف الأولى لا في حرام ولا مكروه كما مر في الجواب عن آدم عليه السلام والله تعالى أعلم .
<u>المبحث الثالث والخمسون :</u> في بيان أنه يجوز للمؤمن أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله خوفا من الخاتمة المجهولة لا شكا في الحال
قال الجلال المحلي رحمه الله : ومنع الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه ذلك .
وحكى في " المقاصد " المنع عن الأكثرين وعبارة النسفي في عقائده ولا ينبغي أن يقول العبد أنا مؤمن إن شاء الله وقد حملها المولى سعد الدين على أن الأولى تركه لا على المنع بمعنى عدم الجواز ثم

....

المعتبرة في هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل في السعيد لرفعه صاحبها والموصوفة بالخفة في حق الشقي لثقل صاحبها وهو قوله : يحملون أوزارهم على ظهورهم ، وليس إلا ما تعطيهم من الثقل الذي يهوون به في نار جهنم . وحاصل ذلك أن وزن الأعمال بعضها ببعض يعتبر فيه كفة الحسنات ووزن الأعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل انتهى . فليتأمل ويحرر .
[الباب الرابع والعشرون وأربعمائة في معرفة منازلة " أحبك للبقاء معي وتحب الرجوع إلى أهلك فقف حتى أتشفي منك وحينئذ تمر عني " قال اللَّه تعالى يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فهو المحب المحبوب]
وقال في الباب الرابع والعشرين وأربعمائة : العبد المسلم محب لله ومحبوب لله ولكن الابتلاء لا يكون إلا من وجه كونه محبا لله لا من وجه كونه محبوبا وذلك ليظهر بالابتلاء الصادق في المحبة من الكاذب وأطال في ذلك ، ولا يرد الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا أحب الله عبدا ابتلاه " ، لأنا نقول:

ذكر المولى سعد الدين أنه لا خلاف بين الفريقين حقيقة في المعنى لأنه إن أريد بالإيمان مجرد حصول المعنى فهو حاصل في الحال وإن أريد ما يترتب عليه النجاة والثواب في الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى ولا قطع بحصوله في الحال فمن قطع بالحصول أراد الأول ومن فوض إلى المشيئة أراد الثاني انتهى . وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا سئل عن ذلك يقول : قول العبد أنا مؤمن إن شاء الله تعالى أولى من الجزم لا يقال إن قول العبد إن شاء الله يوهم الشك في الحال في إيمانه لأنا نقول كل مؤمن متحقق بالإيمان في الحال جازم باستمراره عليه إلى الخاتمة التي يرجو حسنها ويسأل من فضل ربه تحقيقها انتهى . ودليل الإمام أبي حنيفة ومن تبعه في عدم جواز الاستثناء في الإيمان قول الله تعالى في السحرةقالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسى وَهارُونَ(122) [الأعراف [122 - 121 : ولم يستثنوا وقوله تعالى :أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا[الأنفال : 4] ولم يستثن وأيضا فإن الإيمان عقد فالاستثناء يقطعه ويحله وأجاب الشافعية بأنا لم نوجب الاستثناء وإنما جوزناه ومعلوم أن من يستثني منا لا يريد إبطال الأول ولا التردد فيه بالإجماع .

(خاتمة) : إذا أشرك المؤمن في عمله رياء وسمعة فلا أجر له واختاره ابن عبد السلام والزركشي وقال إنه الظاهر وأما الإمام الغزالي فاعتبر الباعث على العمل فإن كان الأغلب الباعث الدنيوي فلا أجر له وإن كان الأغلب هو باعثه الديني فله أجره بقدره وإن تساويا تساقطا والله أعلم .

المبحث الرابع والخمسون : في بيان أن الفسق بارتكاب الكبائر الإسلامية لا يزيل الإيمان خلافا للمعتزلة في زعمهم أنه يزيله يعني أنه واسطة بين الإيمان والكفر بناء على قولهم إن الأعمال جزء من الإيمان قاله الجلال المحلى وقد استند المعتزلة إلى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم “ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق “ الحديث وقالوا : ظاهر الحديث نفي الإيمان ، قال الشيخ نجم الدين البكري : والحق الذي نعتقده أن المراد بقوله وهو

....

محبة العبد لله عزّ وجلّ من لازم محبة الله العبد وحيث كان ذلك فقد صح كلام الشيخ ،

[الباب الرابع والثلاثون وأربعمائة في معرفة منازلة “ لا يحجبنك لو شئت فإني لا أشاء بعد فأثبت]

وقال في الباب الرابع والثلاثين وأربعمائة في قوله تعالى :وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ[الأنفال 23 :] .

ففيه نفي تعلق العلم لا نفي العلم مع أن نفي العلم علم لمن فهم .

[الباب الخامس والثلاثون وأربعمائة في معرفة منازلة “ أخذت العهد على نفسي فوقتا وفيت ووقتا على يد عبدي لم أف وينسب عدم الوفاء إلى عبدي فلا تعترض فإني هناك].

وقال في الباب الخامس والثلاثين وأربعمائة في حديث : “ من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير “ . إنما عوقب هذا بالكفارة لأن فيه حثا على فعل مكارم الأخلاق واليمين على ترك فعل الخير من مذام الأخلاق فعوقب بالكفارة وفي هذا إشارة إلى أن لنا إخلاف الوعيد إذا لم يكن حدا مشروعا وكان لنا الخيار فيه وعلمنا أن تركه أولى من فعله

مؤمن أي بأن الله يراه أي حاضر القلب مع الله تعالى إذ لو كان حاضر القلب مع الله تعالى لم يستطع أن يعصي حياء من الله عز وجل فلا بد للعاصي من سدل الحجاب عليه حتى يقع في المعصية وأقل الحجاب أن يقع في تأويل أو تزيين من النفس كأن تقول له نفسه ربك غفور رحيم ولا يكون غفورا رحيما إلا للمذنبين وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " وبعيد أن الله تعالى يؤاخذ مثلك ما دمت تستغفر الله وتقول له نفسه أيضا : افعل ما قدر عليك فإنك لا تستطيع أن ترد ما قدره الله عليك وتفتح له نفسه باب الرجاء الواسع حتى تهون عليه الذنب : وقد أجمع أهل الكشف على أنه لا يصح لعارف أن يعصي الله تعالى على الكشف والشهود أبدا فإن علمه بأن الله تعالى يراه يمنعه من الوقوع ثم لو فرض أن العاصي يشهد أن الله تعالى يراه حال المعصية فلا بد أن يشهده غير راض عنه في تلك المعصية . وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا : إذا أراد الله تعالى إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم والمراد بهذه العقول التي تسلب : العقول التي تشهد نظر الحق تعالى إليهم حال معصيتها لا عقول التكليف إذ لو كان المراد بها ذلك ما آخذ الله تعالى أحدا عدم التكليف وقد ثبتت المؤاخذة بالنصوص القاطعة فافهم . فإن هذا موضع غلط فيه جماعة من المتصوفة فعلم أنه لا يلزم من كون العبد يحجب عنه الإيمان بأن الله تعالى يراه حال المعصية أن ينتفي عنه الإيمان بوجود الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره كما توهمه بعضهم ، بل هو مؤمن بذلك كله لم يحجب عنه ما عدا كون الله تعالى يراه فإنه لا بد من حجابه فيه ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلا كان ذلك في غاية قلة الحياء مع الله تعالى فإذا فهمت ذلك علمت أن الإيمان يتخصص في كل موطن بما يناسبه بحسب السياق الذي هو فيه وذلك قوله تعالى :وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[الروم : 47] أي بأني أنصرهم فإني عند ظن عبدي بي وقس على ذلك هكذا قرره الشيخ نجم الدين البكري في " تفسيره . "

(فإن قلت) : فما معنى حديث : " نعم العبد صهيب لو لم يخف الله تعالى لم يعصه " ؟

(فالجواب) : معناه كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة : أن الأسباب المانعة للعبد من الوقوع في المعاصي أربعة أشياء لا خامس لها وهي الحياء من الله تعالى

عند الله قلنا أن لا نفي به وأن نتصف بالخلف فيه وأطال في ذلك . ثم قال : وهنا دقيقة وهو أن من أساء إلينا قد أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون إليه حتى لو كشف الغطاء لقلنا : إنه لم يحسن إلينا أحد مثل ما أحسن إلينا ذلك المسئ ومن كان هذا مشهده فلا ينبغي أن يكون جزاء المسئ إليه الحرمان بل يعفو عنه ولا يجازيه ويكفيه قوله تعالى :فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ[الشورى : 40] . أو يحسن إليه بما عنده من الفضل علي قدر ما تسمح به نفسه كما أشار إليه قوله تعالى :وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَالْمَساكِينَ[النور : 22] الآية . فتأمل ذلك والله أعلم .

[الباب السادس والثلاثون وأربعمائة في معرفة منازلة " لو كنت عند الناس كما أنت عندي ما عبدوني]

وقال في الباب السادس والثلاثين وأربعمائة : للعبد أن يدعو على

والخوف من عقابه والرجاء في ثوابه وعدم التقدير في علم الله تعالى فمعنى الحديث أن صهيبا لو لم يخف الله تعالى لم يعصه أي لأن معه من الأسباب المانعة من الوقوع في المعصية ثلاثة أشياء وهي الحياء من الله والرجاء لثواب الله وعدم التقدير في علم الله وكذلك القول في الثلاثة الباقية كما لو قال صلى الله عليه وسلم : " نعم العبد صهيب لو لم يستح من الله لم يعصه أو لم يرج ثواب الله لم يعصه " فإن معناه كما قلنا في الخوف سواء انتهى . وقال في الباب الثامن والستين : اعلم أن الحكمة في أن الإيمان يخرج من صاحبه حال الزنا والسرقة وشرب الخمر مثلا أنه يخرج عن صاحبه حتى يحميه من وقوع العذاب الذي عرض نفسه له بالزنا مثلا فإن الإيمان لا يقاومه شيء وقد أشار إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم إذا زنى العبد خرج عنه الإيمان حتى يصير عليه كالظلة فإذا أقلع رجع إليه الإيمان . قال : وما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان . فعلم أن خروج الإيمان ليس هو لدخول صاحبه في الكفر وإنما خرج ليمنع عنه وقوع العذاب عناية بصاحبه ، وأطال الشيخ في ذلك ثم قال :وهنا نكتة جليلة خفية وهي أن العبد المؤمن لا يخلص له قط معصية محضة فلا بد أن يشوبها طاعة وتلك الطاعة هي إيمانه بأنها معصية تسخط الله تعالى فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم أي يرجع عليهم بالرحمة . قال العلماء : وعسى من الله واجبة الوقوع من حيث أن رحمته بالمسلمين سبقت غضبه عليهم .

وقال في الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة أيضا في معنى حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن : أي مصدق بالعقاب عليه إذ لو كان معه تصديق بالعقاب ما وقع في الذنب كما إذا أوقدنا له نارا عظيمة وقلنا له ازن بهذه المرأة لنحرقك بالنار لا يزني بها قط ولو مكثنا نأمره مدى الدهر وذلك لشهوده العقاب فافهم . وقال في الباب الرابع والثلاثين ومائتين أيضا : اعلم أن من لازم المؤمن الكامل أنه لا يأتي معصية قط توعد الله عليها بالعقوبة إلا ويجد في نفسه الندم عند الفراغ منها في الحديث : الندم توبة وقد قام بهذا الندم فهو تائب أي من جهة حقوق الله تعالى لا من جهة حقوق الآدميين فسقط حكم الوعيد بهذا الندم فإنه لا بد للمؤمن الكامل أن يكره المخالفة ولا يرضى بها في حال عمله بها فهو من حيث كونه كارها نادم على وقوعه فيها ومؤمن بأنها معصية ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وهو من حيث كونه فاعلا لها شرعا ذو عمل سئ من وجه واحد وهو ارتكابه إياها ومن تأمل في قوله تعالى :وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ

....

من آذاه بحصول العقوبات والأنكاد والموت بقصد أن لا يريد التشفي فيه وإنما يكون ذلك خوفا عليه أن يزداد طغيانا وكفرا فيزداد من الله مقتا ولكن الدعاء لمن آذاه بالإصلاح أولى من أن يدعو عليه بالهلاك والله سبحانه وتعالى أعلم .

[الباب الثامن والثلاثون وأربعمائة في معرفة منازلة " من قرأ كلامي رأى غمامتي فيها سرج ملائكتي تنزل عليه وفيه فإذا سكت رفعت عنه ونزلت أنا]

وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة في قوله تعالى :إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ [البقرة : 248]

الآية . كانت السكينة في بني إسرائيل خارجة عنهم وجعلها الله في هذه الأمة في قلوبهم فلم تكن في قلوب بني إسرائيل والسكينة هي الطمأنينة كما قال تعالى :أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد : 28 .]فعلوم هذه الأمة كلها وأسرارهم في قلوبهم لا يكاد يظهر للناس

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) [الزلزلة : 8] عثر على ما قلناه فإنه تعالى لم يتعرض للمؤاخذة بذلك الشر وإنما ذكر أنه يراه فقط ثم لا يكون من الكريم إلا الكرم انتهى . هكذا رأيته في كلام بعضهم وعليه فتكون الحكمة في الطائفة التي تدخل النار من الموحدين إنما هو لبيان إظهار فضله على الذين لم يؤاخذهم كما يؤدب السلطان من شاء أدبه من الغلمان ولا تقل فيه شفاعة ليعرف الناس من مقدار نعمه عليهم والله تعالى أعلم . وقال الشيخ في الباب السابع والتسعين ومائتين في معنى حديث " لو لم تذنبوا وتستغفروا الله لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم " :

اعلم أن من رحمة الله تعالى بخلقه أنه أوجد فيهم النسيان والحجاب حال عصيانهم في دار التكليف فإن المعاصي والمخالفات قد سبق تقديرها على العباد في هذه الدار فلا بد من وقوعها منهم ولو أنها وقعت منهم على الكشف والتجلي لكان ذلك مبالغة في قلة الحياء مع الله تعالى حيث أنه يشهده ويراه فلو لا الحجاب لعظم الأمر وشق والقدر حاكم بالوقوع فلذلك حجب الله تعالى العاصي من ذلك المشهد لعظم المصاب انتهى . وقال في أواخر باب الحج من " الفتوحات " :

اعلم أن بعض الناس قد ينفعه ذنبه فيرد إبليس خاسئا وذلك كما إذا كان عند العبد عجب بأعماله وكبر على إخوانه ونحو ذلك فيقع في معصية فيحصل له ذل وانكسار وندم فيزول مرضه ويكتب من التوابين وأطال في ذلك انتهى ، وفي كلام ابن عطاء الله : ربّ معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا انتهى وسيأتي في المبحث عقبه زيادة على ما ذكرناه هنا والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس والخمسون : في بيان أن المؤمن إذا مات فاسقا بأن لم يتب قبل الغرغرة تحت المشيئة الإلهية

فأما أن يعاقب بإدخاله النار ثم يخرج منها لموته على الإسلام وإما أن يسامح بأن لا يدخل النار فضلا من الله من غير شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم أو مع شفاعته أو شفاعة من شاء الله تعالى وتردد الإمام النووي في الأخير وهو كلام القاضي عياض . قال الشيخ تقي الدين السبكي :

وإنما تردد النووي في شفاعة من شاء الله لأنه لم يرد في السنة تصريح بذلك ولا بنفيه ثم قال

....

منه إلا ما كان فيه إقامة حجة أو فتح باب للاتباع والاقتداء ولذلك كان الناس ينكرون على أهل الله كل ما لم يظهر عليهم فيه أثر ، وتأمل قصة الإسراء لما خرج صلى الله عليه وسلم بكرة تلك الليلة ، وذكر لأصحابه ما وقع له في تلك الليلة كيف أنكر عليه بعضهم لكونهم لم يروا لذلك أثرا في الظاهر وموسى عليه السلام ، لما جاء من عند ربه كساه نورا على وجهه يعرف الناس به صدق ما ادعاه فما رآه أحد إلا عمي فكان يمسح الرائي إليه وجهه بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره ، من شدة نوره ، ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى بذلك الرائي له عند رؤية وجهه ، قال الشيخ :

وكان شيخنا أبو يعزى بالمغرب موسوي المقام فكان لا يرى أحد وجهه إلا عمي وممن رآه

وهي في إجازة الصراط بعد نصبه ويلزم منها النجاة من النار قال تعالى :فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ[آل عمران : 185]وقال تعالى :ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا(72) [مريم : 72] وزعمت المعتزلة أن من مات مصرّا على كبيرة يخلد في النار ولا يجوز العفو عنه ولا الشفاعة فيه ونقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما مستندا إلى قوله تعالى :وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً[النساء : 93] الآية فإنها نزلت بعد قولهإِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ]النساء : 116] فهي محكمة غير منسوخة هكذا رأيته في " تفسير الإمام سند بن عبد الله الأزدي " من أقران الإمام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وأجاب الجمهور مع تقدير عدم النسخ بأنه لا يلزم من الوعيد بالشر وقوعه كما يقول السيد لعبده إذ خالفه ما جزاؤك إلا أن أضربك وأحبسك ثم لا يضربه ولا يحبسه هذا كلام أهل الأصول .
وأما نقول الشيخ محيي الدين قال في الباب السابع والأربعين ومائة : اعلم أن من قتل إنسانا ولم يقتل به في الدنيا فأمر القاتل إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه قال وأما قوله في الحديث القدسي فيمن قتل نفسه بادرني عبدي حرمت عليه الجنة ، فالمراد به أنه لا يدخل الجنة مع الرعيل الأول كما في نظائره من الأحاديث الواردة في عذاب الشيخ الزاني ومدمن الخمر وقاطع الرحم والمسبل إزاره خيلاء ونحو ذلك ليوافق النصوص الصحيحة نحو قوله صلى الله عليه وسلم " من كان آخر كلامه لا إله إلا لله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق " . وقال أيضا في باب صلاة الجنائز من " الفتوحات " : اعلم أن الأخبار الصحيحة والأصول الصريحة تقضي بخروج قاتل نفسه من النار وأن النص الوارد بتأبيد الخلود خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار لأنه لم يقيده في الحديث بالمؤمنين فتطرق الاحتمال وإذا تطرق الاحتمال رجعنا إلى الأصول وإذا رجعنا إلى الأصول رأينا الإيمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود على التأبيد إلى غير نهاية ، فتعين قطعا أن الشارع إنما أخبر بذلك في حق الكفار لكونه لم يخص في الحديث صنفا دون صنف بعينه والأدلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة يضم بعضها إلى بعض ليقوي بعضها بعضا فكما أن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فكذلك الإيمان بكذا يشد الإيمان بكذا فيقوي بعضه بعضا وأطال في ذلك ثم قال : والمراد بقوله فيمن قتل نفسه حرمت عليه الجنة أي حرمت عليه الجنة قبل رؤيتي لا سيما من كان الحامل له على قتل نفسه الشوق إلى

....

شيخنا أبو مدين فعمي فمسح أبو مدين عينيه بالثوب الذي على أبي يعزى فرد الله عليه بصره ، قال : وكان أبو يعزى في زماني وما اجتمعت به لما كنت عليه من الشغل وأطال في ذلك ثم قال : فمن جعل الله نوره في قلبه فقد ملأ يديه من الخير فتأمل والله أعلم .

[الباب التاسع والثلاثون وأربعمائة في معرفة منازلة " قاب قوسين الثاني الحاصل بالوراثة النبوية للخواص منا]

وقال في الباب التاسع والثلاثين وأربعمائة : ما تولى الله عز وجل ، عبدا من عبيده إلا وأسمعه كلامه من قلبه نثرا ونظما كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم لحسان لما أراد أن يهجو قريشا نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " قل يا حسان فإن روح القدس يؤيدك ما دمت تنافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " فلم يجعل صلى الله عليه وسلم ، للشيطان على حسان سبيلا وأطال في ذلك . وقال نشأة الآخرة تشبه في بعض الأحكام النشأة البرزخية

لقاء الله من العشاق ممن كتم عشقه وعفّ فمات وهذا هو الأليق أن يحمل عليه لفظ الخبر إلا أن يأتي لنا نص صريح بخلاف هذا التأويل وأطال في ذلك ، ثم قال : وإن ظهر للناظر بعد فيما قررناه فإنما هو لبعد الناظر في نظره من الأصول المقررة التي تناقض هذا التأويل بالشقاء المؤبد فإذا استحضرها ووزن الأمر بميزان الشريعة عرف ما قلناه في الصحيح أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان فلم يبق إلا ما أولناه انتهى .
(قلت) : وفي هذا الكلام ومن بعده رد عن الشيخ وتكذيب لمن افترى عليه أن يقول بخروج أهل النار من الكفار والله أعلم . وقال في باب الجنائز أيضا بعد كلام طويل : اعلم أن الله تعالى إنما أوجب علينا الصلاة على الميت يريد أن يقبل شفاعتنا فيه وإعلاما لنا بأن سؤالنا فيه مقبول وأنه تعالى يرضى منا ذلك فإن الأمر بالشيء يقتضي رضا الشارع به فمن قال من المعتزلة : إن قاتل نفسه خالد مخلد في النار فهو محمول على كافر مات على كفره أو على الميت الذي لم يصل عليه فلهذا قلنا بوجوب الصلاة على من قتل نفسه وأن صلاتنا عليه تنفعه وتمنعه من تأبيد الخلود في النار على زعمهم وأما على قول أهل السنة والجماعة فلا يخلد في النار مؤمن ولا موحد وفي الحديث أيضا : صلوا على من قال لا إله إلا الله . فدخل فيه أهل الكبائر وجميع أهل الأهواء والبدع الذين لا يكفرون بأهوائهم وبدعهم لأنه صلى الله عليه وسلم ما فصل ولا خصص بل عمم بقوله من وهي نكرة تعم وما أمرنا الشارع بالصلاة على من قال لا إله إلا الله وهو يريد أن يرحمه إما بعدم دخوله النار أصلا وإما بإخراجه منها بعد أن أخذت العقوبة حدها . وقال في الباب الخامس والخمسين وثلاثمائة في قوله تعالى :أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ] (4)العنكبوت : 4] اعلم أن في هذه الآية ردا على من يقول بإنفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة من الموحدين وفيها بيان لشمول الرحمة لكل موحد ، وذلك لأن المؤمن إذا عصى فقد تعرض للانتقام والبلاء فهو جار في شأن الانتقام بما وقع منه والحق تعالى يسابقه في هذه الحلبة من حيث ما هو غفار وعفو ومتجاوز ورؤوف ورحيم فالعبد يسابق ربه بفعل السيئات إلى الانتقام والرب سبحانه وتعالى أسبق منه إلى الرحمة والمغفرة بالاسم الرحيم أو الغفار مثلا ، فإذا جاء الاسم المنتقم وجد الاسم الغفار وأخواته قد حالوا بينه وبين ذلك العبد العاصي . قال ومعنى الآيةأَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ

....

فترى نفسها وهي واحدة في صور كثيرة وفي أماكن مختلفة في الآن الواحد فيدخل الإنسان من أبواب الجنة الثمانية في آن واحد من غير تقدم ولا تأخر ويجد الإنسان نفسه داخلا من كل باب كما قال أبو بكر : فما على من يدخل منها كلها يا رسول الله بأس ، الحديث قال : ولذلك يطلب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن القيامة ، فيجدونه من حيث طلبهم في كل موطن يقتضيه ذلك الطلب في الوقت الذي يجده الطالب الآخر فيه وأطال في ذلك .

[الباب الأحد والأربعون وأربعمائة في معرفة منازلة " عيون أفئدة العارفين ناظرة إلى ما عندي لا إلي]

وقال في الباب الحادي والأربعين وأربعمائة : اعلم أن العلم والمعرفة والفهم في الاصطلاح بمعنى واحد لكن بينهما تميز معقول في الدلالة كالتميز الواقع في ألفاظهم فيقال في الحق : إنه عالم ولا يقال فيه:

[العنكبوت : 4] أن يسبقوا بسيئاتهم مغفرتي وشمول رحمتيساءَ ما يَحْكُمُونَ *[العنكبوت : 4] بل السبق لي بالرحمة لهم ولكل موحد وهذا غاية الكرم . قال وهذا لا يكون إلا فيمن مات على غير توبة من عصاة الموحدين فإن العاصي منهم إذا مات تلقته رحمة الله في الموطن الذي يشاء الله أن يلقاه فيه . وأما حديث ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فذلك في حق الكافر وأما في حق عصاة الموحدين ممن لم يحق عليه كلمة العذاب فينبغي تأويله ، من كره لقاء الله من كثرة مخالفته فما كره لقاء الله من حيث اللقاء مطلقا وإنما هو لما عمله من المخالفات فخاف أن يؤاخذه انتهى فليتأمل .

وقال في الباب السابع والأربعين وثلاثمائة : لولا أن رحمة الحق تعالى بالمؤمن ممزوجة بغضبه لم يبق للعاصي أثر على وجه الأرض فالمؤمن حال مؤاخذات الحق له كالمعذب المرحوم لكونه لا يقع في معصية إلا وهو مؤمن بأنها معصية خائف من عاقبتها فلا يخلد في النار إلا كافر والسلام .

المبحث السادس والخمسون : في بيان وجوب التوبة على كل عاص وبيان أنها تصح ولو بعد نقضها وأنها تصح من ذنب دون ذنب

أي تصح من ذنب ولو كان صغيرا مع الإصرار على ذنب آخر ولو كان كبيرا كما قاله الجلال المحلي قال : وإذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة بل ذلك ذنب يوجب توبة أخرى هذا ما عليه جمهور العلماء ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنها لا تصح بعد نقضها وهو عوده إلى المتوب منه وقيل إنها لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير وقيل لا تصح من ذنب الإصرار على ذنب كبير . قالوا : ومن المساعد للعبد على حصول التوبة أن يستحضر ما فيها من المحاسن والوصلة بأهل الله تعالى من الأنبياء والأولياء وصالحي المؤمنين ، وأنه إذا لم يتب اتصل بأعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين ثم من الواجب الإتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن أكثر الناس ومعظم شروطها الندم على المعصية أي من حيث أنها معصية ليخرج ما لو ندم على شربه الخمر مثلا من حيث إضراره بالبدن فإن ذلك ليس بتوبة وعرف بعضهم الندم بأنه تحزن وتوجع لما فعل وتمن لكونه

....

عارف ولا فهيم ويقال هذه الثلاثة ألقاب في الإنسان ، قال : ولما أثنى تعالى على من اختصه من عباده بالعلم أكثر مما أثنى به على من أعطاه المعرفة علمنا أن اختصاصه بمن شاركه في الصفة أعظم عنده وأطال في ذلك .

[الباب الثالث والأربعون وأربعمائة في معرفة منازلة واجب الكشوف العرفاني]

وقال في الباب الثالث والأربعين وأربعمائة في قول الصديق رضي الله عنه “ ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله “ أثبت رضي الله عنه ، أنه يرى انفعال الأكوان عن الحق وحده ليس للكون فيه أثر البتة وليس هذا المشهد لغير مقام الصديق فافهم .

[الباب الرابع والأربعون وأربعمائة في معرفة منازلة “ من كتب له كتاب العهد الخالص لا يشقى]

وقال في الباب الثامن والأربعين وأربعمائة ، في قول موسى :رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ [الأعراف : 143] .

إلى قوله :تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [الأعراف : 143] . اعلم أن مراده بقوله : تبت إليك

لم يفعل قال الكمال في " حاشيته على شرح جمع الجوامع " : ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الأزمنة بل يكفي استصحاب الندم حكما بأن لا يصدر منه ما ينافيه لأن الشارع أقام الأمر الثابت حكما مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الإيمان فإن التائب مؤمن بالاتفاق وأيضا قلما في التكليف يتذكر الندم في جميع الأزمنة من الحرج المنفي في الدين قال الجمهور : وتتحقق التوبة بالإقلاع عن المعصية وعزم أن لا يعود إليها وتدارك ممكن التدارك من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلا فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف أو وارثه يستوفيه أو يبري منه فإن لم يكن تدارك الحق كأن لم يكن مستحقه موجودا سقط هذا الشرط كما يسقط أيضا في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق لآدمي قال العلماء : وكذلك يسقط شرط الإقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ منها كشرب الخمر مثلا ، قال الجلال المحلي : فالمراد بتحقق التوبة بهذه الأمور أنها لا تخرج عما يتحقق به عنها لا أنه لا بد منها في كل توبة انتهى ، قال الكمال في " حاشيته " وقولهم وتدارك ممكن التدارك إلى آخره هو المشهور عند أصحابنا والذي جرى عليه الآمدي وصاحب " المواقف " و " المقاصد " أن التدارك واجب برأسه فمن قتل وظلم أو ضرب فعليه أمران التوبة والخروج من المظلمة وهو تسليم نفسه مع الإمكان ليقتص منه ومن أتى بأحد الواجبين لم تكن صحة ما أتى به متوقفة على الإتيان بالواجب الآخر وقال في " المقاصد " إنه التحقيق إلا أنه قد لا يصح الندم بدونه كرد المغصوب انتهى . قال ابن السبكي وغيره : وإذا أحس الإنسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به وإن احتاج إلى استغفار آخر لأن اللسان إذا ألف ذكرا يوشك أن يألفه القلب فيوافقه فيه وكان الإمام السهروردي يقول :

اعمل وإن خفت العجب مستغفرا قال العلماء ويجب عل كل مؤمن مجاهدة نفسه الأمارة بالسوء إذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات قالوا وهي أوجب عليك من مجاهدة عدوك الظاهر لأن النفس تريد هلاكك الأبدي باستدراجك من معصية إلى معصية أخرى وفي الحديث المعاصي بريد الكفر أي مقدمته فإن غلبتك نفسك الأمارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوبا على الفور ليرتفع عنك أثر فعله بالتوبة إن شاء الله تعالى ، فإن لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذموم لكسل يعوقك عن الخروج منه أو لاستلذاذ به فتذكر هاذم اللذات وهو الموت وفجأته فربما أخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتخسر مع الخاسرين وإن

....

أي :لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها أولا فإني علمت عند تدكدك الجبل ما لم أكن أعلمه منك يا رب وأنا أول المؤمنين أي : بقولك : لن تراني لأنك ما قلت ذلك إلا لي وهو خبر فلذلك ألحقه بالإيمان لا بالعلم ، ولولا أن المراد بالإيمان الإيمان بقوله :لَنْ تَرانِي[الأعراف : 143] ما صحت الأولية فإن المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن وأطال في ذلك والله أعلم .

[الباب السادس والخمسون وأربعمائة في معرفة منازلة " من تحرك عند سماع كلامي فقد سمع " يريد الوجد الذي يعطي الوجود]

وقال في الباب السادس والخمسين وأربعمائة : لا ينبغي للأشياخ أن يسلموا للمريد حركة الوجد الذي يبقى معه الإحسان بمن في المجلس ولا تسلم له حركته إلا إن غاب ومهما أحسن بمن في المجلس تعين عليه أن يجلس إلا أن يعرف الحاضرين أنه

كان عدم إقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وعفوه عنك لشدة الذنب الذي سبق منك أو لاستحضار عظمة من عصيت فخفف عقاب ربك على هذا فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الخاسرون واستحضر سعة رحمة الله تعالى التي لا يحيط بها إلا هو لترجع عن قنوطك فإن جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين أرجح من جانب عقوبته لهم هذا آخر كلام ابن السبكي رحمه الله في مبحث التوبة . واعلم يا أخي أن التوبة من أعظم ما منّ الله تعالى به على عباده فإن لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة فإن لم يصح لنا التوبة من ترك التوبة وجب علينا التوبة من الإصرار على ترك التوبة وهكذا أبدا ما عشنا وما ثم لنا داء بلا دواء أبدا فإن لم يصح لنا شيء من ذلك كله فلله رحمة خاصة بمن بها على من مات مصرّا من أهل الإسلام .
واعلم أن حقيقة التوبة هي الرجوع إلى شهود أن الله تعالى هو المقدر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق ومعنى حديث « إذا أذنب العبد فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به يقول الله عز وجل له في الثانية أو الثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك » أي افعل ما شئت من المعاصي واندم واستغفرني أغفر لك فلا يكفيه العلم بأن له ربا يغفر الذنب من غير ندم فافهم.
قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والسبعين من « الفتوحات » ومن أعظم دليل على وجوب التوبة فورا قوله تعالى : وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [النور : 31] فأمر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة إذا خالفوا بإعلامهم بمضمون قوله تعالى ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ [التوبة : 118] ليتوبوا ليقولوا إذا سئلوا عن ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا مثل قوله تعالى : يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) [الانفطار : 6] ليقول غرني كرمك يا رب فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجه بها إذا كان محبوبا وليس هذا التعليم إلا للسعداء خاصة فافهم . قال واعلم أن توبة الله على العبد مقطوع بها وتوبة العبد في محل الإمكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها والجهل بعلم الله تعالى فيها فكل عارف يسأل ربه أن يتوب عليه وحظه هو من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير فمعنى قوله وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ [النور : 31] أي ارجعوا إلى الاعتراف والدعاء كما فعل أبوكم آدم عليه السلام تعليما لكم بالفعل والصورة لا بالمعنى لأنه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمة وإنما كان محض نفوذ أقدار لا غير . قال وأما الرجوع إلى الله تعالى

....

متواجد لا صاحب وجد فيسلم له ذلك على أن هذه الحالة غير محمودة بالنظر إلى ما فوقها .
[الباب الستون وأربعمائة في معرفة منازلة " الإسلام والإيمان والإحسان الأول والثاني]
وقال في الباب الموفى ستين وأربعمائة في حديث مسلم في تجلي الحق يوم القيامة ، في الصور حين يقع الإنكار من قوم : اعلم أن صاحب مقام الإحسان هو الذي لا ينكره تعالى في تجلّ من التجليات لأنه جاوز مقام الإسلام والإيمان وصاحب مقام الإيمان ينكره في تجليه في مقام الإحسان وصاحب مقام الإسلام ينكره في تجلي مقام الإيمان والإحسان ، فإن كل إنسان إنما ينكر ما لم يذقه في دار الدنيا ولا يخفى أن الإسلام عمل والإيمان تصديق والإحسان رؤية أو كالرؤية فشرط الإسلام الانقياد وشرط الإيمان الاعتقاد وشرط الإحسان الإشهاد .

بطريق المعاهدة وهو لا يعلم ما في علم الله تعالى ففيه خطر عظيم فإنه إن كان بقي عليه شيء من المخالفات فلا بد من نقضه ذلك العهد فينتظم في سلك من قال الله تعالى فيهمالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ[البقرة : 27] ولم يكن أحد أكمل معرفة بمقام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعا ربه وما نقل أنه عاهد الله تعالى على أنه لا يعود كما اشترطه بعضهم في صحة التوبة فالناصح لنفسه من سلك طريق أبيه آدم عليه السلام فإن في العزم المصمم عند أهل الكشف ما لا يخفى من ادعاء القوة ومقاومة الأقدار الإلهية إلا أن يقصد بذلك أنه لا يعود إن وكل الأمر إليه استقلالا وذلك محال انتهى . فليتأمل ويحرر وقد وقع لبعض الأكابر من عباد بني إسرائيل أنه قال رب لو فرغتني لعبادتك ووكلتني إلى نفسي لأريتك من العبادة ما لم يفعله أحد من العبيد ، ففتح التوراة ذلك اليوم وأمر أن لا يدخل عليه أحد يشغله عن ربه فما جاء نصف العصر حتى وقع في الخطيئة . وما قص الله تعالى علينا وقائع الأكابر إلا لنتأدب بما أدبهم الله به فعلم أن العبد لم يكلف إلا بوزن أعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطي كل فعل حظه فما كان من طاعة فليشكر الله وما كان من معصية فليستغفر الله وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه فإن كان عارفا قلب المباح بالنية إلى شيء محمود وفي بعض الهواتف الربانية ليس للعبد أن يشغل عليه بالاختيار لفعل شيء أو تركه في المستقبل وإنما عليه أن يعطي ما أبرزناه على يديه حقه فإن كان طاعة حمدنا على قسمتها له واستغفرنا من تقصيره فيها وإن كان معصية حمدنا على تقديرنا عليه واستغفرنا من ارتكابه مخالفة أمرنا وإن كان غفلة وسهوا فعل ما هو اللائق بمقامه انتهى . وقوله ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شيء أو تركه في المستقبل لا ينافي مجاهدة النفس ورد خواطرها لأن ذلك في الحالة الراهنة لا في مستقبل الزمان لأنها وجدت وكذلك لا ينافي الاستخارة لفعل شيء في المستقبل لأن الاستخارة مأمور بها وقس على ذلك كل مأمور والله أعلم . وقال الشيخ محيي الدين في " الفتوحات " بعد كلام طويل : وبالجملة فلا يخلو العبد الذي يعاهد ربه على ترك شيء أو فعله في المستقبل إما أن يكون ممن أطلعه الله تعالى على أنه لا يقع منه زلة في المستقبل أم لا فإن كان ممن أعلمه الحق تعالى بذلك على لسان ملك الإلهام الصحيح فلا فائدة للمعاهدة على عزم أن لا يعود بعد علمه أنه لا يعود وإن كان لم يطلعه الله تعالى على

....

)قلت) : رأيت في كلام سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه ، أن وراء مقام الإحسان مقام الإيقان ، ولم أر ذلك في كلام أحد غيره والله أعلم .

[الباب الثاني والستون وأربعمائة في الأقطاب المحمديين ومنازلهم]

وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة : اعلم أنه لا ذوق لنا في مقامات الرسل لنتكلم عليها وإنما غاية ذوقنا في الوراثة خاصة . فلا يتكلم في الرسل إلا رسول ، ولا في الأنبياء إلا نبي ، ولا في الأولياء إلا ولي ، هذا هو الأدب الإلهي .
وقال : لا بد في كل إقليم أو بلد أو قرية من ولي لله عز وجل به يحفظ الله تلك الجهة

ذلك وعاهد الله على أنه لا يعود فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه أن يعود فيصير ناقضا عهد الله وميثاقه وإن كان أطلعه الله على أنه يعود فعزمه على أن لا يعود مكابرة ومعارضة للأقدار فعلى كل حال لا فائدة للمعاهدة على ترك الفعل في المستقبل لا الذي علم ولا الذي جهل وليست التوبة التي طلبها الحق تعالى من عباده إلا أن يفعلوا ما فعل أبوهم آدم عليه السلام وما بقي على العاصي أمر بعد الوقوع يكلف به إلا عدم الإصرار على الذنب والتوبة منه لإشعاره بالتهاون بأوامر الله عز وجل وحد بعضهم الإصرار على الذنب بأن يدخل عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب ، وقال بعضهم : من لم يتب عقب الذنب فورا فهو مصر ما عدا ما هو أقل من مدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين فإنه ورد أنهم ينتظرون العاصي ساعة وما عرفنا مقدار هذه الساعة هل هي الفلكية أو غيرها ومما يؤيد عدم وجوب المعاهدة على العزم أن لا يعود ما ورد في حديث إذا أذنب العبد فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به إلى آخره فإنه لم يذكر فيه العزم على أن لا يعود ولعل من شرطه رأى أنه من لازم صحة التوبة المشروعة فأفرده بالشرطية كما أفرد الإقلاع عن الذنب بالشرطية مع أنه من لازم وقوع الندم وكذلك إفرادهم رد المظالم إلى أهلها والله أعلم .
(فإن قلت) : فهل التوبة من المقامات المستصحبة إلى الموت ؟
(فالجواب) : نعم هي باقية ما دام العبد مخاطبا بها حتى تطلع الشمس من مغربها فحينئذ يسد باب التوبة ويغلق فلا ينفع نفسا إيمانها ولا ما تكتسبه من خير بذلك الإيمان . قال الشيخ محيي الدين : ولا يخفى أن المؤمن لا يغلق له باب يمنعه من التوبة وإنما يغلق عليه الباب حتى لا يخرج إيمانه من قلبه ، وكيف يغلق دونه وقد جاوزه وتركه وراء ظهره باستقرار الإيمان في قلبه فكان من سعادته غلق هذا الباب على إيمانه حتى لا يخرج منه بعده ما دخل فلا يرتد بعد ذلك مؤمن أبدا إذ ليس هناك للإيمان باب يخرج منه فعلم أن غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ونقمة بالكافر ذكره الشيخ في الجواب السادس والثلاثين ومائة من الباب الثالث والسبعين من " الفتوحات المكية " ، وقال في الباب السبعين في الزكاة في حديث مسلم " تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فلا يجد من يقبلها " الحديث فيه الأمر بالمسارعة بالصدقة مبادرة للتوبة

....

سواء كان أهل تلك الجهة مؤمنين أو كفارا .

[الباب الثالث والستون وأربعمائة في معرفة الاثني عشر قطبا الذين يدور عليهم عالم زمانهم]

وقال في الباب الثالث والستين وأربعمائة : ما ورد في تفضيل بعض السور والآيات على بعض راجع إلى التالي لا إلى المتلو لأن المتلو لا تفاضل فيه لأنه كله كلام الله تعالى فالتفاضل راجع إلى ما هي الآية عليه من حيث كونها متكلما بها لا في الكلام فليتأمل ويحرر . وقال في قوله صلى الله عليه وسلم : " يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدي الله عز وجل فيقول له : ما فعلت من الحسنات ، فيقول : يا رب فعلت كذا وكذا والله يعلم أنه كاذب فيأمر الله به إلى الجنة فتقول الملائكة : يا رب إنه كاذب ، فيقول الله تبارك وتعالى : قد علمت ذلك ولكني استحيت منه أن أكذب شيبته: "

فإن التوبة من الفرائض الواجبة حال التكليف فإن أخرها إلى الاحتضار لم تقبل ولهذا لم يقبل إيمان فرعون انتهى .
(قلت) : فكذب والله وافترى من قال إن الشيخ محيي الدين يقول بقبول إيمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل والله أعلم .
(فإن قلت) : فمتى يصح من العبد التوبة النصوح التي ما بعدها ذنب ؟
(فالجواب) : إذا استوفى جميع ما قدره الله تعالى عليه من المعاصي فهناك يتوب العبد لا محالة توبة نصوحا حتى لو أراد أن يعصي ربه لم يجد ما به يعصي وما دام الحق تعالى يخلق المعصية للعبد فهو واقع لا محالة ولكن ما تركه الحق تعالى سدى بل أمره بالتوبة . وقد قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين وثلاثمائة : لا يصح لعبد قط عصيان الإرادة الإلهية وإنما يصح له عصيان الأمر لقوة سلطان الإرادة عليه فمن أطاع الأمر أطاع الإرادة ولا يلزم من طاعة الإرادة طاعة الأمر والسعادة منوطة بفعل الأوامر لا بموافقة الإرادة وإياك والتفريط في التوبة وتقول هذا مقدر علي لا أستطيع رده ، وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب التاسع والستين وثلاثمائة فراجعه . وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول : في قوله تعالى :فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ[الفرقان : 70] اعلم أن من علامة من قبل الله توبته وبدل الله سيئاته حسنات أن لا يصير يتذكر شيئا من ذنوبه لكونها محيت وكل ذنب تذكره العبد فليعلم أنه لم يبدل انتهى ، ويؤيده حديث الطبراني : إذا تاب الله على عبد أنسى حفظته ذنبه وأنسى جوارحه ومعالمه من الأرض أن تشهد عليه وهي قاصمة للظهر فليتأمل ويحرر والله أعلم .
(فإن قلت) : إن من رجال الله من يقع في المعاصي ولا يهتدي لكونها معصية كالمجاذيب وأرباب الأحوال فما حكم هؤلاء في التوبة ؟
(فالجواب) : حكمهم حكم من تصرف في مباح لزوال التكليف وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب العشرين ومائتين ثم قال : وحاصل الأمر أن أهل الله عز وجل في وقوعهم في المعاصي على قسمين رجال لا تخطر المعاصي لهم ببال لعدم تقديرها عليهم فهؤلاء معصومون أو محفوظون ورجال أطلعهم الله تعالى على ما قدره عليهم من المعاصي لكن من

....

اعلم أن في هذا الحديث حثا لنا أن نظهر لمن كذب علينا بصورة من نصدقه من غير أن نتركه يلحق بنا فإن الشارع ما أخبرنا بذلك إلا لنكون بهذه الصفة مع الناس . وقال : سأل بعض الأقطاب ربه عز وجل أن يعطي مقامه لولده فقال له الحق تعالى في سره مقام الخلافة لا يكون بالوراثة إنما ذلك في العلوم أو الأموال .وقال : وقد يفتح الله تعالى على الطالب على لسان شيخه بعلوم لم تكن عند الشيخ لحسن أدبه مع الله ومع شيخه ، قال : وقد وقع لي ذلك وأفدت الطالب علوما لم تخطر لي قط على بال قبل سؤاله.

حيث إنها أفعال لا من حيث كونها معاصي فبادروا إلى فعل ما رأوه مقدرا عليهم مع فنائهم عن شهود ما يقرب ويبعد من حضرة الله تعالى من الطاعات والمعاصي فهؤلاء لسان الشريعة المطهرة يقضي عليهم بعصيانهم ووجوب التوبة عليهم وربما يكون حكم هؤلاء عند الله في الآخرة حكم من فعل أمرا لا يدري أطاعة هو أم معصية . قال الشيخ : وهذا فناء غريب أطلعني الله تعالى عليه بمدينة فاس ولم ألق من رجاله أحدا مع علمي بأن من رجال الله من ذاقه انتهى .
(فإن قلت) : فإذا اطلع الولي على ما قدره الله تعالى عليه في اللوح المحفوظ وأن ذلك لا تغيير فيه فهل له المبادرة إلى فعله ليستريح من شهوده فإن صور المعاصي قبيحة بين العبد وبين ربه ؟
(فالجواب) : لا يجوز له ذلك بل يصبر حتى يأتي وقتها ويقع بحكم القضاء والقدر كما أنه لا يجوز لمن أطلعه الله على أنه يمرض في يوم من رمضان أنه يصبح مفطرا إنما يجب عليه الإمساك حتى يوجد المرض المبيح للفطر .
(فإن قلت) : فما مراد بعضهم بقوله شرط التوبة التوبة من التوبة ؟
(فالجواب) : مراده أن يدمن مراقبة الله تعالى حتى يكون محفوظا من الوقوع فيما يسخط الله عليه باطنا وظاهرا فلا يكون له سريرة يفتضح بها قط ولا يتوب منها وقد يريدون بقولهم التوبة من التوبة أن لا يرى توبته هل تقبل لعدم خلوصها اتهاما لنفسه فلا يقال إن مراد هذا القائل أن التوبة يجب تركها فإن ذلك ظن فاحش بالقوم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والسبعين من “ الفتوحات . “
(خاتمة) : ذكر الشيخ في الباب السبعين في الزكاة ما نصه : وهنا مسألة دقيقة قل من عثر عليها من أصحابنا وهي أن العارف بالله تعالى قد لا يوصف بتوبة في بعض الأحوال وذلك إذا كشف الله تعالى له أنه هو الفاعل وحده فلا يجد العارف لنفسه حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولا عملا ولا نية ولا شيئا من الأمر ويجد الأمر كله لله تعالى فهل يتصور من مثل هذا توبة أم لا فإنه يرى نفسه مسلوب الأحوال ثم إنه إذا تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف أو يكون بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فإن شمس الحقيقة قد طلعت له من مغرب قلبه فسلت

....

)وقال) : من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم في اليقظة فقد رأى جميع المقربين لانطوائهم فيه ومن اهتدى بهديه فقد اهتدى بهدي جميع النبيين .
(وقال) : قد أجمعنا على أنه لا موجد إلا الله وأنه حكيم يضع الأمور كلها في مواضعها ومن شهد هذا علم يقينا أن كل ما ظهر في العالم فهو حكمه وضعه في محله لكن مع هذا المشهد لا بد من الإنكار لما أنكره الشارع فإياك والغلط . وقال : كنت من أبغض خلق الله تعالى للنساء وللجماع في أول دخولي للطريق وبقيت على ذلك نحو ثمان عشر سنة حتى خفت

جميع أفعاله ، وهو أصعب الأحوال فإن قبول التوبة ونحوها من العمل الصالح إنما يكون ممن هو خلف حجاب إضافة الفعل للعبد وهنا لم يخرج شيء عن الحق في هذا الكشف عن التعبد حتى يوصف بأن الله تعالى يتقبله منه بل هو في يد الحق تعالى وتصريفه وحده لم يخرج وموضوع القبول إنما هو ممن يأتي بشيء ليس في مشهده أنه في ملك الحق . قال الشيخ والذي أقول به تصور التوبة مع هذا الكشف ويكون الله تعالى هنا هو التواب على العبد لا العبد انتهى .
(قلت) : والذي ظهر لي أن الجزء البشري المنوط به التكليف يدق ولا ينقطع ، فلا بد من شهود العبد نسبة الفعل إليه من ذلك الوجه وبه صحت مؤاخذته فإن الله لا يؤاخذ العبد إلا بحسب دعواه من جزء بشريته والله أعلم .
المبحث السابع والخمسون : في بيان ميزان الخواطر الواردة على القلب
قال في " جمع الجوامع " لابن السبكي رحمه الله : وإذا ألقي في قلبك يا أخي أمر فزنه بميزان الشرع ولا يخلو ذلك من ثلاثة أحوال إما أن يكون مأمورا به أو منهيا عنه أو مشكوكا فيه . قال ويعبر عن هذا الذي ألقي في القلب بالخاطر في اصطلاح العلماء فالحال الأول هو أن يكون مأمورا به فلا ينبغي التأخير فيه بل يبادر العبد إلى فعله لأنه من الرحمن تبارك وتعالى رحم العبد به إن أراد به الخير حيث أخطره بباله ليفعله فإن خشي العبد وقوعه منه على صفة منهية كعجب ورياء فلا بأس عليه في وقوع ذلك العمل على تلك الصفة لأن افتتاح هذا العمل أولا على الإخلاص ، لكن لا تكون تلك الصفة المذمومة مقصودة له فإن أوقعها قاصدا للرياء مثلا كان عليه إثم ذلك فليستغفر منه وجوبا والحال الثاني وهو أن يكون الخاطر منهيا عنه فلا تنبغي المبادرة إلى فعله بل يجب على العبد أن يرده المرة بعد المرة فإنه من الشيطان ، فإن مال العبد إلى فعله ولكن لم يقع فليستغفر الله من هذا الميل والحال الثالث أن يكون ما ألقى في القلب مشكوكا فيه بأن لم يظهر للعبد أهو مأمور به أم منهي عنه فمن الأدب الإمساك عن العمل

....

على نفسي المقت لمخالفة ما حبب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفهمني الله معنى حبب علمت أن المراد أن لا يحبهن طبعا وإنما يحبهن بتحبيب الله عز وجل فزالت تلك الكراهة عني ، وأنا الآن من أعظم الخلق شفقة على النساء لأني في ذلك على بصيرة لا عن حب طبيعي وأطال في ذكر قوله تعالى :وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ [التحريم : 4]الآية .
(قلت) : وتقدم الكلام على هذه الآية أيضا في الباب الثاني والعشرين من " الفتوحات " فراجعه تر العجب والله أعلم . وقال : إنما نسب الحق تعالى الخلق إلى عباده في قوله تعالى ،فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ[المؤمنون : 14] فإنه ثبت أن ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم

به حذرا من الوقوع في المنهي ومن ثم قال الشيخ أبو محمد الجويني رحمه الله : إذا شك المتوضىء أن يغسل ثالثة فيكون مأمورا بها أم رابعة فيكون منهيا عنها فلا يغسل خوف الوقوع في المنهي عنه قال الكمال في " حاشيته : " والمعتمد أنه يغسل لأن التثليث مأمور به ولم يتحقق قبل هذه الغسلة فيأتي به انتهى كلام شرح " جمع الجوامع " و " حاشيته " . وأما كلام الشيخ محيي الدين في الخواطر فقال في الباب الرابع والستين ومائتين : اعلم أن لله تعالى سفراء إلى قلب عبده يسمون الخواطر لا إقامة لهم في قلب العبد إلا زمان مرورهم عليه فيؤدون ما أرسلوا به إلى ذلك العبد من غير إقامة بذواتهم وهم سبعون ألف خاطر في اليوم والليلة على عدد من يدخل البيت المعمور كل يوم لا يزيدون ولا ينقصون فلا تغفل يا أخي عن هؤلاء السفراء فإنهم يمرون بساحتك ضيوفا ولا يثبتون فإن وجدوك متصفا باليقظة فهو المقصود وإن وجدوك متصفا بالغفلة نفروا في مرورهم على بابك لتتيقظ فإن تيقظت فإنهم لا يفوتونك وإن لم تتيقظ لنفرهم تركوك ورجعوا إلى ربهم . وأطال في ذلك . ثم قال : وعدة الخواطر خمسة جعلها الحق تعالى لك لتمشي عليها على القلب وتمشي على الطريق الواحد وجوبا والثاني ندبا والثالث حظرا والرابع كراهة والخامس إباحة وجعل الله تعالى في كل طريق من هذه الطرق ملكا يقابل الشيطان يأمر العبد بضد ما يأمره به الشيطان ما عدا طريق الإباحة انتهى .

(فإن قلت) : فهل عفو الله تعالى عن هذه الخواطر في حق كل الناس أم العفو خاص ببعضهم ؟

(فالجواب) : هو خاص ببعضهم عند من يقول إن قوله تعالى :وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ [البقرة : 284] غير منسوخة أو منسوخة في حق العامة دون الخاصة ، أما عند من يقول إنها منسوخة فهي عامة في حق كل الأمة ولكن كتب القوم مشحونة بالمؤاخذة لهم بالخواطر في هذه الدار . وذكر الشيخ في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة ما نصه : اعلم أن الله تعالى قد عفا عن الخواطر التي لا تستقر عندنا إلا بمكة شرفها الله تعالى لأن الشرع ورد أن الحق تعالى يؤاخذ من أراد الظلم فيها ، قال وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه رضي الله عنه فإن الإنسان ليس في قدرته أن يمنع قلبه عن

....

خلقا وذلك أنه تعالى إذا خلق شيئا يخلقه عن شهود في علمه فيكسوه الخلق حلة الوجود بعد أن كان معدوما في شهود الخلق بخلاف العبد إذا خلق الله على يديه شيئا لا يخلقه إلا عن تقدم تصور أي تصور من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فحصل الفرق بين خلق الله وخلق العباد وأكثر من هذا لا يقال .

[الباب الخامس والستون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله الله أكبر]

وقال في الباب الخامس والستين وأربعمائة : أعل هبل ، أعل هبل هو صنم كان يعبد في الجاهلية وهو الحجر الذي يطؤه الناس في العتبة السفلى من باب بني شيبة وهو الآن مكبوب على وجهه ، وبلط الملوك فوقه البلاط .

[الباب السابع والستون وأربعمائة في حال قطب كان منزله الحمد لله]

وقال في الباب السابع والستين وأربعمائة : أعلى المحامد عندنا بلا خلاف عقلا وشرعا

الخواطر التي تناقض مقامه إلا أن يكون معصوما أو محفوظا إنما نكر في الآية قوله بظلم ليجتنب الساكن بالحرم كل ظلم انتهى . وقال في علوم الباب التاسع والستين وثلاثمائة أعلم أن حديث النفس إنما كان مغفورا إذا لم يعمل أو يتكلم والكلام عمل فيؤاخذ به العبد من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فإن العبد يؤاخذ بذلك ويسأل عنه من حيث لسانه ولا يدخل الهم بالشيء في حديث النفس لأن الهم بالشيء له حكم آخر في الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن كمن يريد في الحرم المكي إلحاد بظلم فإن الله أخبر أنه يذيقه من عذاب أليم سواء أوقع منه ذلك الظلم الذي أراده أم لم يقع وأما في غير المسجد الحرام المكي فإنه غير مؤاخذ بالهم فإن لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة إذا ترك ذلك لله خاصة فإن لم يتركها من أجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا هو الفرق بين حديث النفس والإرادة التي هي الهم انتهى .

(فإن قلت) : فما حكم من كثرت عليه وسوسة الشيطان في الصلاة ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في باب صلاة شدة الخوف من “ الفتوحات “ : أن حكمه حكم المصلي صلاة شدة الخوف فهو أي الشيطان مع المصلي في حوب عظيم فيصلي من هذه حالته ولو قطع الصلاة كلها في محاربة الشيطان فيؤدي الأركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذي له من الحضور أنه في الصلاة في باطنه كما يؤدي المجاهد الصلاة حال المسابقة بباطنه كما شرعت بالقدر الذي له من الصلاة في ظاهره من الإيمان بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه الظاهر فإن وسوس له الشيطان في ذلك لم يضره وسوسته في صلاته فإن كان قد جعل المصلي في نفسه أنه يصلي رياء وسمعة وكان قد أخلص في أول شروعه في الصلاة فلا يبالي فإن الأصل صحيح في أول نشأة صورة الصلاة فلا يبطل عمله وغرض الشيطان بذلك الخاطر إنما هو أن يترك العبد العمل الذي شرع فيه العبد على صحة ليخالف قوله تعالى :وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ [محمد : 33] بسبب تلك الشبهة التي يلقيها إلى قلب العبد انتهى .

(فإن قلت) : فما محل مخالفة النفس من الأحكام ؟

(فالجواب) : محل مخالفتها في ثلاثة أمور في المباح والمكروه والمحظور لا غير كما ذكره الشيخ في الباب الثاني عشر ومائة قال : وأما إذا وقعت لها لذة عظيمة في طاعة مخصوصة

....

قولنا ليس كمثله شيء لأنه لا يصح أن يثني على الله تعالى مما لا يعقله العبد فما بقي إلا أن يثني عليه بما يتعقله والحق تعالى وراء كل ثناء للعبد فيه شرف فمتى علمت شيئا أو عقلته كان صفتك ولا بد فحقيقة التسبيح عن التسبيح مثل قولهم التوبة هي التوبة من التوبة إذ التسبيح تنزيه ومعلوم أنه لا نقص في جانب الحق .

قال : وإذا كان كل شيء يسبح بحمده ، فسبح بعد ذلك أو لا تسبح فإنك مسبح شئت أم أبيت علمت أو جهلت وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أنا لا نحمد الله إلا بما أعلمنا أن نحمده به فإن حمده مبناه على التوقيف إذا التلفظ بالحمد على جهة القربة لا يصح إلا من جهة الشرع ، ومن هنا كان لا ينبغي للعبد أن يثني على الله تعالى

وعمل مقرب فهنالك علة خفية فيخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فإن استوى عندها جميع التصرفات في فنون من العبادات سلمنا لها تلك اللذة في تلك الطاعة الخاصة وإن وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول إلى الشاق واجب لأنها إن اعتادت المساعدة في مثل هذا انتقلت إلى المساعدة المحظور والمكروه والمباح قال : وإذا فكر خبيث السريرة أنه يفعل سوءا إذا فرغ من الصلاة مع كونه مؤمنا فالصلاة صحيحة وهو ممن حدث نفسه بسوء وقد عفا الله عنه ما لم يعمله انتهى .
(فإن قلت) : فكم ينقسم الخاطر الشيطاني إلى قسم ؟
(فالجواب) : ينقسم إلى قسمين : حسي ومعنوي ، ثم الحسي ينقسم إلى قسمين لأن الشياطين قسمان شيطان إنسي وشيطان جني قال تعالىشَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ]الأنعام : 112] فجعلهم أهل افتراء على الله وحدث بين هذين الشيطانين في الإنسان شيطان آخر معنوي وذلك أن شيطان الإنس والجن إذا ألقي في قلب الإنسان أمرا عاما يبعده بذلك عن الله فقد يلقى أمرا خاصا أو خصوص مسألة بعينها وقد يلقي أمرا عاما ويتركه فإن كان أمرا عاما فتح له في ذلك طريقا إلى أمور لا يتفطن لها الجني ولا الإنسي يتفقه فيه ويستنبط من تلك الشبه أمورا إذا تكلم بها يعلم إبليس الغواية منها فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الأسلوب العام الذي ألقاه إليه أو لا شيطان الإنس أو شيطان الجن وتسمى الشياطين المعنوية إذ كل واحد من شياطين الإنس والجن يجهل ذلك ولم يقصدوه على التعيين وإنما أرادوا بالقصد الأول فتح هذا الباب على الإنسان لأنهم علموا أن في قوته وفطنته أن يدقق النظر فيه فينقدح له من المعاني المهلكة ما لا يقدر على ردها بعد ذلك وسببه الأصل الأول فإنه اتخذه أصلا صحيحا عول عليه فلم يزل التفقه فيه يسوقه حتى خرج به عن ذلك الأصل . قال : وعلى هذا جرى أهل البدع والأهواء فإن الشياطين ألقت إليهم أولا أصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا فنسبت ذلك إلى الشياطين بحكم الأصل وما علموا أن الشيطان في تلك المسألة تلميذ لهم يتعلم منهم ، قال وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولا سيما في الإمامية منهم فأدخلت عليهم

....

بخلقه المحقرات عرفا والمستقذرات طبعا وإن كان ذلك داخلا في قول العبد : الحمد لله خالق كل شيء ، ولكن لا ينبغي في الأدب التعيين للمحقر لئلا ينسب العبد إلى سوء العقيدة مع أن ذلك صحيح لو قاله العبد قال : ولا أمثل به لأني أستحيي أن يقرأ في كتابي مع أني ما أرى شيئا في الوجود حقيرا من حيث إن الله تعالى اعتنى به وأبرزه في الوجود والله أعلم .

[الباب الأحد والسبعون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ]

وقال في الباب الحادي والسبعين وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل : “ ما تقرب المتقربون إلى بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه “ الحديث : اعلم أن عبادة الفرض عبادة اضطرار وعبادة النفل عبادة اختيار فيها رائحة دعوى

الشياطين أولا حب أهل البيت واستفراغ الحب فيهم ورأوا أن ذلك من أسنى القربات إلى الله تعالى وإلى رسوله وكذلك هو ولو وقفوا لم يزيدوا عليه بغض الصحابة وسبهم وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فكل شخص لا يفرق بين الخواطر لا يفلح في طريق أهل الله أبدا فإنه ليس غرض الشيطان من الصالحين إلا أن يجهلوه في الخواطر المذمومة فيأخذوا عنه ما يلقيه إليهم من الضلالات والشبه وتقدم في المبحث الثالث والعشرين في إثبات الجن وزيادة على ذلك وكذلك في مبحث الولاية فراجعه والله أعلم .

المبحث الثامن والخمسون : في بيان عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنبه أو ببدعته وبيان أن ما ورد في تكفيرهم منسوخ أو مؤول أو تغليظ وتشديد كقوله تعالىوَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ [المائدة : 44]

قال ابن عباس وغيره : هو كفر لا ينقل عن الإسلام ومن أمثلة ما ورد التكفير به من الذنوب شرب الخمر وإتيان الساحر والكاهن ومن أمثلة ما قيل التكفير به من البدع إنكار صفات الله تعالى أو خلقه أفعال عباده أو عدم جواز رؤيته يوم القيامة فإن من العلماء من كفر هؤلاء .

أما من خرج ببدعته من أهل القبلة كمنكري حدوث العالم ومنكري البعث للنشر والحشر للأجسام والعلم بالجزئيات على ما مرّ في مبحث اسمه تعالى العالم فلا نزاع في كفرهم لإنكارهم بعض ما علم مجيء الرسول به ضرورة .

قال الكمال في “ حاشيته على شرح جمع الجوامع “ : وقد عزى القول بكفر أهل البدع والذنوب من أهل القبلة إلى الأشعري . وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره قد رجع الشيخ أبو الحسن الأشعري قبل موته عن تكفير أحد من أهل القبلة ، قال لأن الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوف . وقال : قد اختلفنا في عبارات كثيرة والمشار إليه واحد قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومن قال منا بأن لازم المذهب مذهب كفر المبتدعة الذين يلزم مذهبهم ما هو كفر فإن المجسمة مثلا عبدوا جسما وهو غير الله تعالى بيقين ومن عبد غير الله كفر ، قال : وأما المعتزلة فإنهم وإن اعترفوا بأحكام

....

لأنها كالتواضع ومعلوم أن التواضع تعمل لا يقوم إلا ممن له سهم في الرفعة ، والعبد ليس له سهم في السيادة . ولهذا قالوا : العبد من لا عبد له فنقص النفل عن درجة الفرض وإيضاح ذلك أن علم العبد بربه ينقص بقدر ما اعتقده من النفل بل من أول قدم يضعه في النفل يتصف بالنقص في العلم بما هو الأمر عليه ، وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن حب الله لصاحب الفرائض أكمل من حبه لصاحب النوافل كما أشار إليه حديث : “ إذا قال العبد لأخيه أنا أحبك فأحبه الآخر فإنه لا يلحقه في درجته في الحب أبدا لأن حب الأول ابتداء وحب الثاني جزاء فلم يكافئه أبدا كما أن حب العناية من الله للأنبياء أعلى من حب الكرامة للأولياء. “

الصفات فقد أنكروا الصفات ويلزم من إنكار الصفات إنكار أحكامها فهم كفار بذلك . قال الكمال والصحيح أن لازم المذهب ليس بمذهب وأنه لا كفر بمجرد اللزوم لأن اللزوم غير الالتزام وقد وقع في " المواقف " ما يقتضي تقييده بما إذا لم يعلم ذو المذهب اللزوم وبأن اللازم كفر فإنه قال : من يلزمه الكفر ولا يعلم به ليس بكافر انتهى . ومفهومه أن علمه كفر لالتزامه إياه والله أعلم انتهى . وقد ذكر الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه " سراج العقول " أنه روي في بعض طرق حديث ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة .ما نصه :
كلها في الجنة إلا واحدة رواها ابن النجار . قال العلماء والمراد بهذه الواحدة التي في النار هم الزنادقة قال القزويني وعلى هذه الرواية فيكون معنى الرواية المشهورة كلها في النار إلا واحدة أي في النار ورودهم وذلك في مرورهم على الصراطثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا(72) [مريم : 72] والظالمون هم الكافرون فلا ينبغي لمتدين أن يكفر أحدا من الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ما داموا مسلمين يتدينون بأحكام أهل الإسلام . قال : وأمهات هذه الفرق الواردة في الحديث المتقدم ستة مشبهة معطلة جبرية قدرية رافضة خوارج وكل طائفة من هذه الستة قد تشعبت اثنتي عشرة فرقة فاضرب الستة في اثنتي عشر فما خرج فهو العدد الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم لا يخفى أن الكفر هو ضد الإيمان قال تعالى :فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ [البقرة : 253] والإيمان هو التصديق بالرسول وبما جاء به والكفر هو التكذيب لأنه مخالفة نص مقطوع به أو مخالفة الإجماع وفيهما جميعا تكذيب الرسول ثم إن التكذيب ينقسم إلى أربعة أقسام : الأول تكذيب اليهود والنصارى وذلك كفر لا شك فيه . الثاني تكذيب المنكرين لأصل النبوة وتكفيرهم يكون على الطريق الأولى لأنهم كذبوا جميع الأنبياء ومن أهل هذا القسم الدهرية لأنهم كذبوا الله وبالرسل جميعا ومنهم أيضا الملاحدة لأنهم لبسوا التكذيب في صورة التصديق فعلقوا معرفة الله بمعرفة الرسول وقد علم قطعا أن معرفة الرسول معلقة بمعرفة المرسل فتكون المسألة دورية لا يمكن إثبات واحد منهما وفي ضمن دعواهم هذا نفي الرسول والمرسل جميعا وتبعهم أقوام على هذا الاعتقاد فأنكروا الشرائع وأباحوا نكاح الأمهات والبنات وقالوا ما ثم إلا فروج تدفع وأرض تبلع فالتحقوا بالمجوس والدهرية .
القسم الثالث قوم صدقوا الرسول ولكن اعتقدوا أن جميع ما أخبر به الرسل من الشرائع ومنكر ونكير

....

(قلت) : ومن هنا كان الملامتية الذين هم أكابر القوم لا يصلون من الفرائض إلا ما لا بد منه من مؤكدات النوافل خوفا أن يقوم بهم دعوى أنهم أتوا الفرائض على وجه الكمال الممكن وزادوا على ذلك ، فإنه لا نفل إلا عن كمال فرض ونعم ما فهموا ولكن ثم ما هو أعلى وهو أن يكثر من النوافل توطئة لمحبة الله لهم ثم يرون ذلك جبرا لبعض ما في فرائضهم من النقص والله أعلم]. الباب الثاني والسبعون وأربعمائة في حال قطب كان منزله الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ [
وقال في الباب الثاني والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى :لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ

والحشر والنشر ونحو ذلك إنما هو على طريق المصالح للخلق وهم الفلاسفة وكفرهم من حيث تجويزهم الكذب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي ذلك سد باب النبوة أصلا إذ يبطل الثقة بقولهم فيجب تكفيرهم بالطريق الأولى ويقرب من أهل هذا القسم الحلولية الذين يزعمون أن روح الإله حلت فيهم وأن لله تعالى أعضاء على صورة حروف الهجاء وكذلك يقرب منهم الخطابية التي ادعت الألوهية لجعفر بن محمد الصادق ، وكذلك الصابئة ادعوها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فأمر علي بن أبي طالب بإحراقهم بالنار فصاروا يصرخون في النار الآن تحققنا إنك إله فلما اطلع أئمة الشريعة على هذه الفضائح الشنيعة ألحقوا القدرية بالمجوس ، والحلولية بأهل الردة والمجسمة بعيدة الأوثان فيستتابون وينبهون على أن ذلك كفر فإن أصروا ولم يرجعوا عقد السلطان لهم مجلسا وفعل بهم ما اتفق رأي العلماء عليه من قتل أو عقوبة وليس ذلك لآحاد الرعية بإجماع الأمة . القسم الرابع قوم صدقوا الرسول في قوله ولكنهم أخطأوا في التأويل مع كونهم من أهل القبلة كالمعتزلة والنجارية والروافض والخوارج والمشبهة ونحوهم وقد اختلف الأئمة هل الخطأ في التأويل يبلغ حد التكفير فيبلغوا التكفير أم لا فصاروا في ذلك فرقتين : الفرقة الأولى زعمت أن من خالف الرسول في شيء أخبر به فقد كذبه ، سواء كان بمجرد الإنكار أو الخطأ في التأويل وأجروا عليهم بذلك أحكام الكفرة ولم يميزوا بين الغلاة منهم وبين المقتصدين وهؤلاء مع ما ضيقوا من رحمة الله التي وسعت كل شيء لم يتابعهم الجمهور من العلماء والخلفاء ولم يهرقوا دماء القوم بقولهم ولا استباحوا أموالهم ولا حريمهم بفتواهم ، بل أجروا عليهم أحكام المسلمين إلى عصرنا هذا لدخولهم في صدق اسم المسلمين عليهم وهم من أمة الإجابة بلا شك فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى وإنما يقال فيهم فسقة ضالة مبتدعة مخطئة ونحو ذلك . ومن سماهم كفرة فإنما ذلك على سبيل التشديد والتغليظ لما هم عليه من الخطأ الفاحش والبدع الشنيعة فشبه ذلك بالكفر لمقاربته له كما ورد في الحديث المراء في القرآن كفر . وكما ورد : بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر وإذا قال المسلم للمسلم يا كافر فقد كفر لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ونحو ذلك فإنه كله ورد على وجه التغليظ والزجر فإن الشيء قد يطلق على الشيء الآخر بنوع شبه ولا يقتضي حقيقة الحكم عند التفصيل كما يقول الشخص لأجنبي أنت أخي أو

....

الْقَوْلِ]النساء : 148] في هذه الآية نفي للمحبة أن يكون متعلقها الجهر بالسوء من القول مع أن الجهر بالسوء قد يكون قولا وقد يكون فعلا فيكون المراد بهذا السوء القولي ، وأما السوء الفعلي فقد وقع التصريح بالنهي عنه في آيات أخر وربما كان ذلك يؤخذ من هذه الآية بطريق الأولى والمراد بالجهرية ظهور الفحشاء من العبد كما في حديث " من بلي منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر " يعني لا يجهر بها وأطال في ذلك . ثم قال : فعلم أن السوء على نوعين سوء شرعي وسوء يسوؤك وإن حمده الشرع ولم يذمه فهذا السوء هو سوء من حيث كونه يسوؤك لا أن السوء فيه حكم الله كما في السيئة الثانية في قوله تعالى :وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ

ولدي على طريق التقريب والإكرام ثم لا يرثه إذا مات ولا يحرم عليه بناته وأخواته وكما يقول الرجل لآخر أنا عبدك على معنى التواضع والطاعة ولا يجوز له بذلك القول بيعه ولا امتلاكه انتهى .
(قلت) : لكن في فتاوى الإمام الكردي في آخر ألفاظ التكفير بعد ما قاله أئمة الحنفية من المكفرات ما نصه : ويحكى عن بعض من لا سلف له أنه كان يقول ما ذكر في الفتاوى أن فلانا يكفر بكذا إنما هو للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر قال وهذا كلام باطل وحاشا أن يلعب أمناء الله أعني علماء الأحكام بالحلال والحرام والكفر والإسلام بل لا يقولون إلا الحق الثابت عن سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم أو ما أدري اجتهاد الإمام آخذا من نص القرآن أنزله الملك العلام وشرعه سيد المرسل العظام أو قاله الصحب الكرام قال هذا الذي حررته هو كلام المشايخ السابقين العظام بوأهم الله بفضله دار السلام . انتهى كلامه وما عليه الجمهور أولى فإن منازع الفرق دقيقة على غالب الناس وكيف يقتل رجل يقول ربي الله ومحمد نبيي ويؤمن بالحشر والحساب والله تعالى أعلم .
الفرقة الثانية من الأئمة قد أمسكت عن القول بتكفير المؤولين ولم يجعلوا أحدا منهم كافرا ولا مكذبا للرسل وقالوا لو كان المؤولون مكذبين للرسل كالكفرة ولم يعتنوا بتأويل كلامه صلى الله عليه وسلم ولم يشتغلوا به كانوا يضربون عنه صفحا فأشعر عدولهم إلى تأويله بأنهم قبلوه وصدقوا به غير أنهم لم يوفقوا للصواب في تأويله فاخطأوا فيه فكان حكمهم حكم من فر من الكفر فوقع في البدعة بخطئه قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله : وأول ما وقع مفارقة أهل السنة في زمن الإمام علي رضي الله عنه وكان هؤلاء المخالفون هم الذين أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال وقد سئل الإمام علي رضي الله عنه عنهم أكفّار هم ؟ فقال لا إنهم من الكفر فروا فقيل أمنافقون هم ؟
فقال : لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقيل أي شيء هم ؟
فقال : قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا قال الخطابي وإنما لم يجعلهم كفارا لأنهم تعلقوا بضرب من التأويل والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين أي الطاعة كما قال تعالى :ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي

....

مِثْلُها]الشورى : 40] فإن السيئة الأولى في الآية شرعية لأن صاحبها تعدى حدّ الله والسيئة الثانية التي هي جزاء ليست بشرعية وإنما سميت سيئة لأنها تسوء المجازي بها ، فإن الله لا يشرع البداءة بالسوء ولكن لما أطلق في الاصطلاح في اللسان على السيء والحسن نزل الشرع من عند الله بحسب التواطؤ فإنهم سموا سوءا وقالوا : إن ثم سوءا فأخبرنا الله تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم أي لا يحب السوء الذي سميتموه أنتم سوءا لكونه لا يوافق أغراضكم فما ثم إلا حسن بنسبة سيىء بالنسبة في الحقيقة ولكن كل ما وافق الأغراض من القول فهو حسن كما أن كل شيء من الله حسن ساء ذلك أم مر فليتأمل ويحرر.

دِينِ الْمَلِكِ[يوسف : 76] أي طاعته قال وحجة من قال بعدم تكفير المتأولين أنه قد ثبت عصمة دمائهم وأموالهم بقولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يثبت أن الخطأ في التأويل كفر وإلا فلا بد من دليل على ذلك من نص أو إجماع أو قياس صحيح على أصل صحيح من نص أو إجماع ولم نجد من ذلك شيئا فبقي القوم على الإسلام فإن اتفق في زمان وجود مجتهد تكاملت فيه شروط الاجتهاد كالأئمة الأربعة وبان له دليل قاطع أن الخطأ في التأويل موجب للكفر كفرناهم بقوله وهيهات أن يوجد مثل ذلك في مثل هذه الأزمان انتهى .
وقد سئل الإمام المزني رحمه الله عن مسألة في علم العقائد فقال : حتى أنظر وأتثبت ، فإنه دين الله وكان ينكر على من يبادر إلى تكفير أهل الأهواء والبدع ويقول : إن المسائل التي يقعون فيها لطاف تدق عن النظر العقلي وكان إمام الحرمين رحمه الله يقول : لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير من العبارات مما لا يقتضيه لقلنا هذا الجمع طمع في غير مطمع فإن هذا بعيد المدرك وعر المسلك يستمد من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق وكان أبو المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة يقولون لا يكفر أحد من أهل المذاهب الإسلامية لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله مالنا وعليه ما علينا . انتهى .
(قلت) : وقد رأيت سؤالا بخط الشيخ شهاب الدين الأذرعي صاحب “ القوت “ قدمه إلى شيخ الإسلام الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله وصورته : ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الإسلام في تكفير أهل الأهواء والبدع ؟
فكتب إليه اعلم يا أخي وفقني الله وإياك أن الإقدام على تكفير المؤمنين عسر جدا وكل من في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء والبدع مع قولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله فإن التكفير أمر هائل عظيم الخطر ومن كفر إنسانا فكأنه أخبر عن ذلك الإنسان بأن عاقبته في الآخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين وأنه في الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجري عليه أحكام أهل الإسلام في حياته ولا بعد مماته والخطأ في قتل مسلم أرجح في الإثم من ترك قتل ألف كافر ثم إن تلك المسائل التي يحكم فيها بالتكفير لهؤلاء المبتدعة في غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها ودقة مداركها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعي أهلها ويحتاج من يحيط بالحق فيها إلى الاستقصاء في معرفة الخطأ

....

وقال في قوله تعالى : إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [الروم : 24] اعلم أن من الأدب أن تمشي حيث مشى بك الشرع وتقف حيث وقف بك فتعقل فيما قال لك فيه اعقل ، وتؤمن فيما قال لك فيه آمن وتنظر فيما قال لك فيه : انظر يعني تفكر وتسلم فيما قال لك فيه سلم وذلك لأن الآيات وردت في القرآن متنوعة ف لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، و لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأنعام : 99] ، و لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [الروم : 21] ، و لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ [الروم: 23] ، و لَآيَاتٍ لِلْعالِمِينَ [الروم : 22] ، و آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، و آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ [الذاريات : 20] وآيات لِأُولِي النُّهى [طه : 128] لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ [آل عمران : 190] وآيات لِأُولِي

بسائر صنوف وجوهه وإلى الاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه في الأماكن ومعرفة الألفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعي معرفة جميع طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق الأمور في علم التوحيد إلى غير ذلك مما هو متعذر جدا على غالب العلماء فضلا عن غيرهم . وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن القول بتكفير أهل الأهواء والبدع يحتاج إلى أمرين عزيزين أحدهما تحرير المعتقد وهو صعب من جهة عدم الاطلاع على ما في القلب وتخليصه مما يشوبه مع تعذر أن الشخص ينطق عند حاكم بما يعرف أن به يكون قتله هذا أمر أعز من الكبريت الأحمر وكذلك البينة على ما في قلب الشخص يتعذر إقامتها . الثاني أن الحكم بأن ذلك كفر صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومواطن الاستنباط وتمييز الحق فيه من غيره وإنما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس حتى خرج عن الهواء والتعصب بالكلية مع امتلائه من علوم الشريعة والاطلاع على أسرارها ومنازع الأئمة المجتهدين فيها وهذا أقل أن يوجد الآن عند شخص وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير اعتقاد نفسه في عبارة فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره في عبارة فالأدب من كل مؤمن أن لا يكفر أحدا من أهل الأهواء والبدع لا سيما وغالب أهل الأهواء إنما هم عوام مقلدون لبعضهم بعضا لا يعرفون دليلا يناقض اعتقادهم اللهم إلا أن يخالفوا النصوص الصريحة التي لا يحتمل التأويل عنادا وجحدا فللعلماء في ذلك النظر انتهى كلام الشيخ تقي الدين السبكي . ومن خطه نقلت رحمه الله وهو كلام في غاية الجودة والنفاسة :

وكان الإمام أحمد بن زاهر السرخسي أخص أصحاب الشيخ أبي الحسن الأشعري يقول : لما حضرت الوفاة أبا الحسن الأشعري في داري ببغداد أمر بجمع أصحابه ثم قال اشهدوا على أنني لا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب لأنني رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد والإسلام يشملهم ويعمهم انتهى . فانظر كيف سماهم مسلمين والله تعالى أعلم .

(خاتمة) : أخبرني شيخنا الإمام العالم المحدث الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري بمصر المحروسة أن شخصا وقع في عبارة في التوحيد ظاهرها مخالف للشريعة فعقدوا له مجلسا بحضرة السلطان بمصر فأفتى العلماء بكفره ، وكان الشيخ جلال الدين المحلي غائبا عن المجلس فلما حضر قال : من أفتى بقتل هذا فقال شيخ الإسلام صالح البلقيني وجماعة : نحن

....

الْأَبْصارِ]النور : 44] ففصل كما فصل لك الحق ولا تتعد إلى غير ما ذكر لك ونزل كل آية وغيره موضعها وانظر فيمن خاطبه بها واجعل نفسك مخاطبا بها فإنك مجموع ما ذكر فإنك منعوت بالعقل والإيمان والتفكر والتقوى والعلم والسمع واللب والأبصار وغير ذلك ، فانظر بنظرك في تلك الصفة الذي نعتك بها وأظهرتها تكن ممن جمع له القرآن وأعطى الفرقان .

[الباب الثالث والسبعون وأربعمائة في حال قطب كان منزله وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ]

وقال في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى :إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ[النساء : 116]اعلم أن الشريك عدم لا وجود له هذا يتيقنه المؤمن بإيمانه وإذا كان عدما فالإشراك عدم وإذا كان الإشراك عدما فلا يغفره الله إذ الغفر الستر ولا يستر إلا من له وجود والشريك عدم

أفتينا بذلك فقال لهم ما دليلكم في ذلك فقال الشيخ صالح : أفتى بذلك والدي شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني في نظير هذه الواقعة فقال تقتلون رجلا مسلما موحدا يقول ربي الله ومحمد الرسول نبينا بفتوى والدك ثم أخذ بيد الرجل ونزل به من القلعة فما تجرأ أحد يتبعه رضي الله عنه . وقال الشيخ الإسلام بالشام سراج الدين المخزومي : أفتيت مرة بقتل يهودي انتقص رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبني على ذلك شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني وقال : هلا كنت بعثت به إلى المالكية ليتقلدوا أمره وأرحت نفسك من تبعته قال المخزومي رحمه الله وقد أفتى شيخنا شيخ الإسلام شهاب الدين الزهري رحمه الله بقتل رجل سبّ أمنا عائشة وكان قد نهاه فلم ينته فلما خرجوا به يجرونه للقتل قال بأعلى صوته يا زهري ما حجتك عند الله أتقتلون رجلا يقول ربي الله ومحمد رسول الله نبيي فكان الزهري بعد ذلك لا يزال يذكر قوله ويبكي ويقول : إني أخاف من قتل ذلك الرجل أن يؤاخذني الله به يوم القيامة انتهى ، هذا الخوف في حق من سب من صرح القرآن ببراءتها فكيف بمن يتجرأ على الإفتاء بقتل أحد من أولياء الله تعالى بعبارة لم يفهمها على وجهها الغلظ حجابه وكان الإمام الغزالي رحمه الله يقول : من أكبر الآثام تخطئة العلماء من غير اطلاع على مرادهم وحمل كلامهم على حال قد لا يرتضونها .
وقال في كتابه “ المنقذ من الضلال “ إنما يجب على العلماء بيان ما تبين لهم أنه الحق لا ما لا يتبين لهم . وقال شيخ الإسلام المخزومي قد نص الإمام الشافعي على عدم تكفير أهل الأهواء في “ رسالته “ فقال لا أكفر أهل الأهواء بذنب وفي رواية عنه ولا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب وفي رواية أخرى عنه ولا أكفر أهل التأويل المخالف للظاهر بذنب ، قال المخزومي رحمه الله أراد الإمام الشافعي رحمه الله بأهل الأهواء أصحاب التأويل المحتمل كالمعتزلة والمرجئة وأراد بأهل القبلة أهل التوحيد انتهى . فقد علمت يا أخي مما قررناه لك في هذا المبحث أن جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لأحد من أهل القبلة بذنب فبهداهم اقتده والله تعالى أعلم.

....

فما ثم من يستر فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله :إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ[النساء : 116] أنه لا وجود له ولو وجده لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها وأطال في ذلك .

[الباب الخامس والسبعون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ]

وقال في الباب الخامس والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى :وَالْبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ[الحج : 36] اعلم أن شعائر الله إعلامه وإعلامه الدلائل عليه الموصلة إلى معرفته ، ويا عجبا كيف يصل إليه من هو عنده قال : ولما كانت البدن من شعائر الله لهذا كانت تشعر أي تجرح ليعلم أنها من شعائر الله وما وهب لله لا رجعة فيه إلا تراها أنها إذا ماتت قبل الوصول إلى البيت الحرام كيف ينحرها صاحبها ويخلي بينها وبين الناس ولا يأكل منها شيئا . قال :
واعلم أن الشعائر جمع شعيرة وكل شعيرة دليل على الله وأطال في ذلك .

[الباب السادس والسبعون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله لا حول ولا قوة إلا بالله]

وقال في الباب السادس والسبعين وأربعمائة : ثم من العلوم علم بعلم ولا يعتقد ولا

المبحث التاسع والخمسون : في بيان أن جميع ملاذ الكفار في الدنيا من أكل وشرب وجماع وغير ذلك كله استدراج من الله تعالى
حيث يلذه مع علمه بإصراره على الكفر إلى الموت فهي نقمة عليه يعذب بها عذابا زائدا على عذاب الكفر ، وقالت المعتزلة إنها نعمة يترتب عليها الشكر . وقال بعض المحققين جميع ما يرزقه الله للكافر ليس لكرامة ولا إهانة وإنما ذلك لسبق العلم بأنه رزقه ما به قوام بدنه حتى يفعل جميع ما كتبه له أو عليه انتهى . قالوا وجميع ما يفعله الكافر من الخيرات يجازيه الله عليه في دار الدنيا من صحة في البدن وتوسعة في الرزق وغير ذلك وليس له في الآخرة من نصيب فإنه تعالى أخبر أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا لوسع كرمه ثم إن ختم الله لذلك الكافر بالإسلام أثيب على كل عمل لا يشترط فيه النية كحفر الآبار للعطش وإطعام الجائع وقرى الضيف وصلة الرحم والعتق زيادة على ثواب الأعمال الإسلامية كما قال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام حين أسلم أسلمت على ما سلف لك من خير وكان قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الأمور وأنه تبر ربها في الجاهلية وهذا ما عليه الجمهور . وقال الآمدي في الأذكار لا نعلم خلافا بين أصحابنا أنه تعالى ليس له على من علم إصراره على الكفر نعمة دينية أبدا وأما النعمة الدنيوية فللأشعري فيها قولان وميل القاضي أبي بكر إلى الإثبات ثم أشار إلى أن الخلاف لفظي فمن نفى النعم لا ينكر الملاذ في الدنيا وتحقيق أسباب الهداية غير أنه لا يسميها نعما لما يعقبها من الهلاك ، ومن أثبت كونها نعما لا ينازع في تعقيب الهلاك لها غير أنه سماها نعما للصورة ، وكان أبو العباس الساري رضي الله عنه يقول : عطاء الحق للمؤمن على نوعين كرامة واستدراج فما أبقاه عليك فهو كرامة وما أزاله عنك تبين أنه استدراج قالوا والألم يقابل اللذة واختلفوا فيه هل هو وجودي أو عدمي ولكل منهما وجه قالوا : وأعلى اللذات اللذة العقلية وهي الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها وهي اللذة على الحقيقة ، وعلى هذا فاللذة محصورة في المعارف . وقال أبو زكريا الطبيب : إن اللذة أمر عدمي وهو الخلاص من الألم وضعف هذا القول أن الإنسان قد يلتذ بالشيء من غير سبق ألم كما إذا وقع بصره على صورة

....

ينطق به ولا يجري على لسان عبد مختص إلا في مضايق الأحوال لا غير .

[الباب الثامن والسبعون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ]

وقال في الباب الثامن والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى :وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها[هود : 6] اعلم أن الحق تعالى لا بد أن يوصل لكل مخلوق رزقه الذي قسمه له قال : وليس ذلك من إهانته عليه ولا كرامته فإنه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف وغاية اعتنائه تعالى بالعبد أن يقسم له حلالا لا شبهة فيه قال تعالى :بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ [هود : 86] أي ما أحل لكم تناوله من الشيء الذي تقوون به على طاعة ربكم قال : وليس رزق العبد إلا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه

حسنة فإنه يلتذ بأبصارها مع أنه لم يكن له شعور بها حتى تجعل تلك اللذة مخلصة من ألم الشوق إليها وكذلك من وقف على مسألة علم أو كنز مال فجاءه من غير خطور ذلك بالبال وألم الشوق إليهما . وقال السمرقندي في “ الصحائف “ : الحق أن الإدراك ليس هو نفس اللذة بل ملزومها وفي المحصول أن الصواب أنها لا تحد لأنها من الأمور الوجدانية وعليه مشى في الطوالع ، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : هذا مخصص بدار المحنة وأما دار الكرامة التي هي الجنة فإن اللذة تحصل فيها من غير ألم يتقدمها أو يقترن بها لأن العادات خرقت فيها فيجد أهل الجنة فلذة الشرب من غير عطش ولذة الطعام من غير جوع وكذلك القول في العقوبات فإن أقل عقوبات الآخرة لا يبقى معها في هذا الدار حياة وأما الدار الآخرة فيأتي أحدهم أسباب الموت من كل مكان وما هو بميت والله تعالى أعلم .

المبحث الستون : في بيان وجوب نصب الإمام الأعظم وثوابه ووجوب طاعته وأنه لا يجوز الخروج عليه وأن وجوب نصبه علينا لا على الله عز وجل وأنه لا يشترط كون الإمام أفضل أهل الزمان بل يجب علينا نصبه ولو مفضولا وذلك ليقوم بمصالح المسلمين

كسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطرق وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم وحفظ جميع مصالح الناس الدينية والدنيوية . فلو لا الإمام الأعظم ما زجر الناس عما يضرهم ولا نفذت أحكامهم ولا أقيمت حدودهم ولا قسمت غنائمهم وقد أجمع الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات وقدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم ولم يزل الناس في كل عصر على ذلك . ويؤيد ذلك أيضا عدة أحاديث منها حديث مسلم : من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية . وقال الكمال في “ حاشيته “ : نصب الإمام واجب سماعا أي شرعا لا عقلا وقال أصحاب الجاحظ والبلخي والبصري من المعتزلة بوجوب نصب الإمام على الحق تعالى عقلا لأنهم يقولون الضرر مع عدم الإمام متوقع من الظلمة على الضعفاء ودفع الضرر المظنون

....

وأطال في ذلك .

[الباب الثمانون وأربعمائة في حال قطب كان منزله وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا]

وقال في الباب الثمانين وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم “ في الغيث إنه حديث عهد بربه “ أي قريب التكوين وكذلك عيسى عليه السلام لما لم يكن عن أب عنصري لم يحل بينه وبين إدراك قربه من الله حائل لبعده عن عالم الأركان في خلقه فلم يكن ثم ما يغيبه عمن صدر عنه فقال وهو صبي في المهد مخبرا عما شاهده من الحال ما قال من جهة براءة أمه وبرأها الله بنطقه عما كانوا افتروا عليها فكان نطقه أحد الشاهدين ، وتحنين الجذع إليه هو الشاهد الثاني وقد اكتفى

واجب عقلا وذلك إنما يندفع بنصب إمام يقوم بأحكام الشرع وهم موافقون لأهل السنة في تعيين الأئمة . وأما أهل السنة فذهبوا إلى أن الإمام يعرف بأمور إما بنصب من يجب أن يقبل قوله كنبي أو إمام أو بإجماع المسلمين وكان الإمام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالإجماع أبا بكر الصديق ثم عمر الفاروق بنص أبي بكر عليه ثم عثمان بنص عمر على جماعة جعل أمر الخلافة شورى بينهم فإنه لم يستخلف أحدا فاجتمع الناس على إمامة عثمان ثم على المرتضى وأجمع المعتبرون من الصحابة على ذلك وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون ثم وقعت المخالفة بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن واستقرت الخلافة عليه ثم على من بعده من بني أمية وبني مروان حتى انتقلت الخلافة إلى بني العباس وأجمع أكثر أهل الحل والعقد عليهم ، وانساقت الخلافة منهم إلى أن جرى ما جرى . وأما قول بعض الروافض إن أبا بكر غصب الخلافة وتقدم على علي رضي الله عنه ظلما فهو باطل يلزم منه إجماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشاهم من ذلك فإنهم حماة الدين . وقالت الخوارج والأصم من المعتزلة لا يجب عل الناس نصب إمام ومنهم من قال بوجوب نصبه عند ظهور الفتن دون زمن الأمن وبعضهم عكس الأمر . وقالت الشيعة المسلمون بالإمامية بوجوب نصب الإمام على الله تعالى والحق أنه لا يجب على الله تعالى شيء ولو أوجبه على نفسه أو حرمه كما في قوله تعالى :وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[الروم : 47] وكما في قوله تعالى في الحديث القدسي : إني حرمت الظلم على نفسي ، وذلك لأن حضرته سبحانه وتعالى لا تقبل التحجير وبذلك باين خلقه إذ التحجير لا يكون إلا من أعلى على أدنى فإنهم . وقالت المعتزلة يجب على الله تعالى أشياء يترتب الذم بتركها منها الجزاء اي الواب على الطاعة والعقاب على المعصية ومنها اللطف بأن يفعل بعباده ما يقويهم على الطاعة ويقربهم منها ويبعدهم عن المعصية بحيث لا ينتهون إلى حد الإلجاء ، ومنها فعل الأصلح لهم في الدنيا من حيث الحكمة ، وقولنا في ترجمة المبحث لا يجوز الخروج على السلطان قد خالفنا فيه المعتزلة فجوزوا الخروج على السلطان الجائر بناء على انعزاله بالجور عندهم وقولنا يجب نصب الإمام ولو مفضولا قد خالفنا قوم في ذلك فقالوا : لا يكفي نصب الإمام المفضول مع وجود الفاضل بل يتعين نصب الفاضل ونقل ذلك عن الإسماعيلية وهم قوم منسوبون إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق المدفون بالقرب من

....

بالشاهدين العدلين في الحكومات ولا أعدل من هذين ، قال : وكان نطقه أن قال : إني عبد الله فحكم على نفسه بالعبودية لله ، وما قال : ابن فلان لأنه لم يكن ثم آتاني الكتاب فحصل له الحكمة قبل بعثه فكان على بينة من ربه وجعلني نبيا فحكم بأن النبوة بالجعل وجعلني مباركا أي خصني بزيادة لم تحصل لغيري وتلك الزيادة هي ختمه لدورة الولاية ونزول آخر الزمان وحكمه بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ليرى ربه يوم القيامة في المرآة المحمدية التي هي أكمل المرايا أينما كنت دنيا وأخرىوَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ[مريم : 31] ، يعني : المفروضة في أمة محمد أن أقيمها إذا نزلت لأنه جاء بالألف واللام فيهاوَالزَّكاةِ [مريم : 31] كذلكما دُمْتُ حَيًّا [مريم : 31]

البقيع ويسمون بالباطنية وبالملاحدة أما الباطنية فلكونهم يقولون لكل ظاهر باطن وأما تلقيبهم بالملاحدة فلعدولهم عن ظواهر الشريعة إلى بواطنها في بعض الأحوال . واعلم أن بعضهم جعل كلام بعض الصوفية في دقائق العلوم كمذهب الباطنية سواء والحق أن بينهما فرقا فإن الصوفية لا يعتمدون قط على باطن إلا إن وافق ظاهر الشريعة وإلا رموا به ، وكتبهم مشحونة بذلك بخلاف الباطنية يعتمدون ما انتحله أكابرهم سواء وافق الشريعة أو خالفها فافهم . وقد تقدم في مبحث الكلام على القطب والأفراد أنه قد يكون من الأفراد من هو أكمل من القطب لأن القطب لم ينل في هذا المقام بفضله على الكافة من الأولياء وإنما هو لسبق العلم بأنه لا بد في العالم من واحد يرجع إليه أمر الناس فتعين للقطبية لا بأولوية فكذلك القول في مبحث الإمامة هنا لا يشترط أن يكون الإمام أفضل الرعية والله أعلم . واعلم أنه لا يشترط في الإمام العصمة ولا كونه هاشميا ولا علويا خلافا للرافضة وذهب الجمهور إلى أن الإمام الأعظم لا ينعزل بالفسق . وفي كتب أصحاب إمامنا الشافعي رضي الله عنه يشترط أن يكون الإمام بالغا عاقلا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية قرشيا سميعا بصيرا ناطقا سليم الأعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض فإن لم يوجد قرشي اجتمعت فيه الشروط فكناني فإن لم يوجد فغيره والجاهل العادل أولى من الجاهل الفاسق كما هو مقرر في كتب الفقه ، هذا ما رأيته في كتب المتكلمين . وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال في الباب الثاني والعشرين وثلاثمائة من الفتوحات . “

(فإن قلت) : إن الشارع لم ينص على الأمر باتخاذ الإمام فمن أين يكون واجبا ؟

(فالجواب) : إن الله تعالى أمرنا بإقامة الدين ولا سبيل إلى إقامته إلا بوجود الأمان على أنفس الناس وأهليهم وأموالهم ومنع تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يصح لهم إلا مع وجود إمام يخافون سطوته ويرجون رحمته ويرجعون إليه ويجتمعون عليه فإن لم يأمنوا على أنفسهم لا يتفرغون لإقامة الدين الذي أوجب الحق تعالى عليهم إقامته وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب فاتخاذ الإمام واجب علينا على الله تعالى قال ويجب أن يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدي إلى الفساد في الكون كما أن إله العالم واحد وكما أن القطب الغوث في العالم واحد

....

زمان التكليف وهو الحياة الدنياوَبَرًّا بِوالِدَتِي[مريم : 32] لأنها محل تكوينهوَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا[مريم : 32] وذلك لا يكون إلا من الجهل والأنبياء تنزّه عن ذلكوَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ [مريم : 33] ومعناه : السلامة من إبليس الموكل بطعن الأطفال عند الولادة حين يصرخ الولد إذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى بل وقع ساجدا لله حين خرجوَيَوْمَ أَمُوتُ[مريم : 33] تكذيبا لمن افترى عليه إنه قتل لأنه لم يقل : ويوم أقتلوَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا [مريم : 33] في القيامة الكبرى فكان في إتيانه الحكم صبيا رضيعا في المهد بيان تمام وصلته بربه وأنه أتم من يحيى ابن خالته لأن عيسى سلم على نفسه بسلام ربه ولهذا ادعي فيه أنه إله ويحيى سلم عليه ربه

فنصب الإمام واحدا واجب شرعا انتهى .
(فإن قلت) : إذا صحت إمامة شخص فبماذا ينعزل منها ؟
(فالجواب) : ينعزل بعجزه عن القيام بحقها من منع بغي الرعية على بعض ونحو ذلك مما تقدم في شروط الإمامة كما هو مقرر في كتب الفقه . وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الستين من " الفتوحات " : كل إمام لا ينظر في أحوال رعيته ولا يمشي فيهم بالعدل والإحسان فقد عزل نفسه من الإمامة في نفس الأمر دون الظاهر ، قال : وعندي أن الحاكم إذا جار أو فسق انعزل فيما فسق فيه خاصة لأنه لم يحكم بما أمره الله أن يحكم به وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم للولاة اسم الإمامة ولو جاروا فقال فإن عدلوا فلكم ولهم وإن جاروا فلكم وعليهم ، ونهانا أن نخرج يدا من طاعة ولا خص بذلك واليا دون آخر ومن هنا قلنا إنه انعزل في نفس الأمر دون الظاهر انتهى . فعلم أنه ليس للإمام مخالفة الشريعة أبدا لكن رأيت في الباب التاسع والستين وثلاثمائة في الكلام على علم السياسة للملوك أن يعفوا عن كل شيء إلا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وفشاء السر والقدح في ملكهم انتهى . ورأيت في " تاريخ الخلفاء " للجلال السيوطي أن ذلك من كلام أبي جعفر المنصور وكذلك رأيت في " الأحكام السلطانية " أن للوالي أن يضرب المجرم حتى يقر وليس ذلك للقاضي فليتأمل ذلك . وقال في علوم الباب الرابع والستين وثلاثمائة من " الفتوحات : " من طعن في الولاة فقد نسب من نصبهم إلى السفه وقصور النظر وهو باب خطير جدا قال : ولهذا نهى الحق تعالى عن الطعن في الملوك والخلفاء وأخبر أن قلوبهم بيد الله تعالى إن شاء قبضها عنا وإن شاء عطف بها علينا وأمرنا أن ندعو لهم لأن وقوع المصلحة بهم في العامة أعظم من جورهم مع أنهم باب الله تعالى في قضاء الحوائج في أهل الأرض سواء كانوا فاسقين أو صالحين عادلين أو جائرين فلا يخرجهم ذلك عن إطلاق اسم النيابة عليهم انتهى . وقال في الكلام على الإمامة من صلاة الجماعة في أبواب الصلاة من " الفتوحات " في قوله صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بر وفاجر ، المراد بالفاجر هنا هو العاصي المسلم لا الكافر فما دام الإمام فيه ربقة الإسلام قبلنا الصلاة خلفه وإن كان ذلك مكروها لكن لا يخفى أن الكراهة خاصة بما إذا كان فسق الإمام بأمر متيقن لا مظنون

....

تعالى وأطال في ذلك .
ثم قال : واعلم أن الناس إنما كانوا يستغربون الحكمة من الصبي الصغير دون الكبير ، لأنهم ما عهدوا إلا الحكمة الحاصلة عن الفكر والرؤية وليس الصبي في العادة بمحل لذلك فيقولون : إنه منطق بها فتظهر عناية الله بهذا المحل الطاهر فزاد يحيى وعيسى بأنهما على علم بما نطقا به علم ذوق لأن ظهور مثل ذلك الزمان والسن لا يصحّ إلا ذوقا فإن الله آتاه الحكم صبيا وهو حكم النبوة الذي لا يكون إلا ذوقا .
قال الشيخ : وقد قلت مرة لابنتي زينب وهي في سن الرضاعة قريبا عمرها من سنة ما تقولين في الرجل يجامع مع حليلته ولم ينزل فقالت:

لأنه يبعد من المؤمن الكامل اعتقاد الفسق في أحد بالظن انتهى . وقال في الكلام على الطواف من باب الحج من " الفتوحات " إنما جوز إمامة الفاسق مع الكراهة ولم تبطل الصلاة خلفه لأنه لا يدخل للصلاة إلا حتى يتوضأ الوضوء المشروع ثم إنه يحرم بالصلاة فلا يزال في خير وعبادة ما دام بين قراءة وذكر وخضوع حتى يسلم من الصلاة ولا يوصف إذ ذاك بفسق بل هو في طاعة الله عز وجل وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج وكفى به فاسقا ، وأيضا فإنه ما من معصية تقع من المسلم إلا والإيمان بأنها معصية يصحبه فالحجاج ونحوه حال صلاته وإن كان فاسقا خارجها مؤمن مطيع لله تعالى بإيمانه والإيمان لا يقاومه شيء فضعف جانب المعصية فلذلك قلنا إن إمامته مكروهة لا باطلة ، انتهى كلامه وفيه نظر أن الكراهة ليست من حيث عدم وصفه بالمعصية في الصلاة وإنما هي من حيث استصحابه الظلم والجور ولو خارج الصلاة فلذلك كانت إمامته مكروهة .

(فإن قلت) : فما شبهة الإمامية في قولهم يشترط أن يكون الإمام معصوما ؟

(فالجواب) : شبهتهم قولهم إن الإمام إذا صلى لا يناجي إلا صفته الأحدية خاصة فيجب عصمته في الصلاة حتى يسلم منها وهم قائلون بعدم عصمته خارج الصلاة قالوا وأصل هذا المقام إنما هو خاص بالأنبياء ، ولكن من قدم للإمامة من غيرهم يجب علينا القول بعصمته حتى يفرغ من الصلاة انتهى ، والحق الواضح بل الواقع عدم وجوب عصمة الأئمة فإنه ما من إمام إلا ويقع له في السهو في صلاته وإن لم يسه عن صلاته فإن بين المقامين فرقا فإنه يلزم من السهو عن الصلاة عدم فعلها بالكلية بخلاف الساهي فيها وأطال في ذلك في الباب السابع والأربعين وثلاثمائة . ومما يؤيد عدم القول بعصمة الأئمة أيضا ما قاله الشيخ في الباب السادس والثلاثين وثلاثمائة من قوله : اعلم أن الحق تعالى لا ينظر إلى القطب الذي هو السلطان الباطن إلا بعين الأهلية ولو أنه تعالى نظر إلى السلطان الظاهر بهذا العين ما جار إمام قط كما يراه الإمامية فإن العصمة ليست من شرط الإمام الظاهر ولو كانت الإمامة غير مطلوبة له ثم أمره الله تعالى أن يقوم بها لعصمة الله بلا شك كما وقع للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإلى ذلك الإشارة بحديث من أعطيها يعني الإمارة بغير مسألة وكل الله تعالى به ملكا يسدده ، قال وهذا

....

يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم إني فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة في مكة وكنت أذنت والدتها في الحج ، فجاءت مع الحاج الشامي فلما خرجت لملاقاتها رأتني من فوق الجمل وهي ترضع ، فقالت بصوت فصيح قبل أن تراني أمها : هذا أبي ، وضحكت ورمت بنفسها إلي .

قال : وقد رأيت من أجاب أمه بالتشميت وهو في بطنها وكان اسمه الشيخ عبد القادر بدمشق وكذلك ذكره أيضا في الباب الثالث وثلاثمائة . وقال : شهد على الثقات بذلك ولم يذكر أنه سمعه وهو في بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها . (قلت) : وقد

هو معنى العصمة لكن الإدب أن يقال إنه محفوظ لا معصوم وأما قوله تعالى في حق داود عليه الصلاة والسلاموَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ[ص : 26] فالمراد بهذا الهوى عدم اتباع إشارة من أشار عليك بما يخالف ما أوحينا به إليك من فعل الأولى لا المكروه ولا الحرام لأن مقام الأنبياء يجل عن ذلك كما بسطه الشيخ في الباب السادس والأربعين وثلاثمائة وأنشد في ذلك يقول :عجبت لمعصوم يقال له اتبع * ولا تبتدع واحكم بما أنزل الله
وكيف يرى المعصوم يحكم بالهوى * مع الوحي والتحقيق ما ثم إلا هوإلى آخر ما قال وكذلك بسط الشيخ الكلام في ذلك أيضا في الباب الخامس عشر وخمسمائة فراجعه .
(فإن قلت) : فهل بين الخلافة والملك فرق ؟ فإن في الحديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ، ومن أقرب إلى صفات الحق تعالى الخليفة أو الملك ؟
(فالجواب) : بين الخلافة والملك فرق ظاهر كما صرح به الحديث وكما تقدم في مبحث النبوة والرسالة وقد قال الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة : الفرق بين الخليفة والملك أن الخليفة يعلم الأسماء ومصارفها بخلاف الملك لا يلزم منه أنه يعرف علم الأسماء ولا مصارفها فليس هو بخليفة في العالم ، وقال في الباب الستين ومائتين : لا يكون القرب الصوري من الله تعالى إلا للخلفاء خاصة سواء أكانوا رسلا أم غير رسل ، قال ثم إن قربهم على نوعين الأول الخلافة عن التعريف الإلهي بمنشور والثاني خلافة لا عن تعريف إلهي مع نفوذ الأحكام منه ومثل هذا لا يسمى بلسان الأدباء خليفة وفي الحقيقة هو خليفة .
(فإن قلت) : فأيهما أتمّ ؟ فالجواب الخلافة بغير تعريف إلهي إتم في القرب المعنوي فإن الخليفة بالتعريف والأمر الظاهر يبعد من المستخلف في الصورة فإن حكمه في العالم لم يكن عن أمر من غيره بل هو حاكم لنفسه فهو أقرب إلى الصفة الإلهية ممن عقدت له الخلافة بتعريف ومنشور ولكن هذا أقرب إلى السعادة المطلوبة ممن لم يقترن بخلافته أمر إلهي إذ

....

تقدم في الباب الثاني والخمسين نحو ذلك فتزاد هذه القصة على ما نظمه الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله بقوله :تكلم في المهد النبي محمد * وموسى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالأمة التي يقال لها تزني * ولا تتكلم وماشطة في عهد فرعون طفلها
وفي زمن الهادي المبارك يختم * وبنت لمحيي الدين قدس سرهوعم بنا جمعا وذلك متمم .

[الباب الأحد والثمانون وأربعمائة في حال قطب كان منزله إن اللَّه لا يضيع أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا]

وقال في الباب الأحد والثمانين وأربعمائة : الإحسان هو

القرب من السعادة هو المطلوب عند العلماء بالله تعالى . وقال في الباب السابع والسبعين ومائة .
(فإن قلت) : فهل الأولى للخليفة التحكم في العالم أو التسليم ؟
(فالجواب) : هو مخير في ذلك فإن شاء تحكم وظهر كالشيخ عبد القادر الجيلي وإن شاء سلم وترك التصريف لربه في عباده مع التمكن منه كأبي السعود بن الشبل تلميذ الشيخ عبد القادر إلا أن يقترن بذلك أمر إلهي كداود عليه السلام فلا سبيل إلى رد أمر الله فإنه من الهوى الذي نهى الخليفة عن أتباعه وكعثمان بن عفان رضي الله عنه نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلع ثوب الخلافة فلم يخلعه من عنقه حتى قتل لعلمه بما للحق تعالى في ذلك . وأما من لم يقترن بتحكمه أمر إلهي فهو مخير إن شاء ظهر به بحق وإن شاء لم يظهر به فاستتر بحق مع أن ترك الظهور أولى عند كل عاقل فعلم أن الأولياء قد يلحقون بالأنبياء في الخلافة وأما الرسالة والنبوة فلا لأن ذلك باب مسدود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فللرسول الحكم ثم استخلف فله التحكم أيضا فإن كان رسولا فتحكمه بما شرع وإن لم يكن رسولا فتحكمه عن أمر الله بحكم وقته الذي هو شرع زمانه وبذلك الحكم ينسب إلى العدل والجور .
(فإن قلت) : فهل رتبة التحكم للإنسان ابتلاء أو تشريف ؟
(فالجواب) : هو ابتلاء له إذ لو كانت تشريفا لبقيت معه في الآخرة في دار السعداء ولما كان يقال للخليفة ولا تتبع الهوى فإن التحجير مؤذن بالابتلاء بلا شك بخلاف التشريع فإنه إطلاق لا تحجير فيه ، وأيضا فلو كانت تشريفا لما نسب في التحكم إلى عدل ولا إلى جور ولا كان يتولى الخلافة في العالم إلّا أهل الله خاصة وقد ولى الله تعالى بعض الفسقة وأمرنا بالسمع والطاعة لهم وإن جاروا هذه حالة ابتلاء لا حالة تشريف .
(فإن قلت) : فأيهما أكمل خلافة ؟ هل هو آدم عليه السلام أم داود عليه السلام ؟
(فالجواب) : كل منهما فاضل من وجه مفضول من وجه آخر كما قاله الشيخ في الباب السادس والأربعين وثلاثمائة فقال : اعلم أن الحق تعالى لما شرح صدر آدم عليه الصلاة والسلام

....

العمل على استحضار ما أمكنه من عظمة الله وجلاله حتى يصير كأنه في حضرة الحق ومشاهدته في العبادة في ذلك تنبيه عجيب فإنه بتلك الرؤية يبصر أن العامل هو الله لا هو وأن العبد إنما هو محل لظهور ذلك العمل لا غير .

[الباب السادس والثمانون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً]

وقال في الباب السادس والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى :مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ[النساء : 80] اعلم أنه لم يرد من يعص الرسول فقد عصى الله وذلك لأن طاعة المخلوق لله ذاتية ومعصيته عارضة لأنها بالواسطة فلو أنزل هنا الرسول كما أنزله في الطاعة لم يكن تعالى إلها وهو إله فما عصى من عصى ما إلا الحجاب وليس الحجاب سوى الواسطة بيننا وبين الله ، قال : فنحن اليوم أبعد من معصية الرسول صلى الله عليه وسلم من

لأن يهب ابنه داود من عمره ستين سنة ثم نسي آدم ذلك عند الوفاة وجحد ما أعطاه من عمره حصل لداود انكسار قلب عند ذلك فجبره الله بذكر لم يعطه آدم عليه السلام وذلك أنه تعالى قال في آدمإِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً]البقرة : 30] وما عينه باسمه ولا جمع له بين أداة المخاطب وبين ما شرفه فلم يقل له وعلمتك الأسماء كلها وقال في داودجَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ[ص : 26] فسماه فلما علم الله تعالى في سابق علمه أن مثل هذا المقام والاعتناء قد يورثه النفاسة على أبيه من وجه بشريته بحسب النشأة قالوَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ[ص : 26]فحذره فاشتغل بذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله تعالى له باسمه وأمره بمراقبة السبيل ثم إن الحق تعالى سلك مع داود سلك الأدب حيث قال له :إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ[ص : 26] ولم يقل له إنك إن ضللت عن سبيل الله لك عذاب شديد وأطال الشيخ في ذلك .

(خاتمة) : ذكر الشيخ في الباب الستين من " الفتوحات " أن الله تعالى جعل في السماوات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركبه الذي يسبح فيه وجعل الأفلاك تدور بهم كل يوم دورة فلا يفوتهم شيء من مملكة السماوات والأرض فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته فقد عزل نفسه في نفس الأمر قال : وقد جعل الله تعالى بين ولاة السماوات وولاة الأرض مناسبات ورقائق تمتد إلى أهل الأرض من الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مطهرة من العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الأرضين من أرواحهم بحسب استعدادهم حسنا أو قبحا فلا يلومن الوالي إلا نفسه . قال وقد بسطنا الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية والله تعالى أعلم .

المبحث الحادي والستون : في بيان أنه لا يموت أحد إلا بعد انتهاء أجله وهو الوقت الذي كتب الله في الأزل انتهاء حياته فيه بقتل أو غيره وبيان معنى قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده وأنه يتجلى لكل ميت عند موته اثنتا عشرة صورة

....

اعلم أن كثيرا من المعتزلة زعموا أن المقتول لم يمت بأجله وإنما القاتل قطع بقتله أجل أصحابه إلى من دونهم إلينا لأنا ما عصينا إلا أولي أمرنا في وقتنا وهم العلماء منا بما أمر الله به ونهى عنه فنحن أقل مؤاخذة وأعظم أجرا ، لأن للواحد منا أجو خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة كما في الحديث للواحد منهم أجر خمسين يعملون مثل عملكم فاجعل بالك لكونه لم يقل منكم .

[الباب السابع والثمانون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله ومن يعمل من الصالحات (مَنْ عَمِلَ صالِحاً) مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً]

وقال في الباب السابع والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى :مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

المقتول وأنه لو لم يقتله لعاش أكثر من ذلك ويحتاج القائل بهذا القول أن يعرف مقدار عمر ذلك المقتول في علم الله تعالى حتى يحكم بنقصه بالقتل ولا سبيل له إلى ذلك ثم بتقدير اطلاعه على ذلك لا يجد أجله ينقضي إلا بقتله بالسيف فإن للحق تعالى أن يأخذ روح العبد بآلة وبلا آلة وكلاهما هو الأجل المضروب له في علم الله تعالى فإن الحق تعالى إذا كتب قتل عبد بسيف عند انتهاء أجله فلا بد من السيف ولو أن السيف فقد لعاش لا محالة إلى وجود السيف ، قال بعضهم والأولى حمل كلام المعتزلة على هذا لأنهم أهل إسلام بلا شك ولا ينبغي حمله على اعتقاد أن الله تعالى أراد حياة هذا المقتول بالسيف والقاتل لم يردها فغلب بقتله الإرادة الإلهية فإن ذلك بعيد عن أن يريده مثل الزمخشري وأضرابه بخلاف عامة المعتزلة من المقلدين فإنهم ربما فهموا أن القاتل قطع عمر المقتول فهما من نحو حديث : بادرني عبدي فيمن قتل نفسه ، وهو فهم خطأ لا يصلح أن يكون دليلا لأن قاتل نفسه لم يبادر بقتل نفسه مستقلا بغير قضاء الله وإنما هو بإرادة الله ومشيئته فما بقي اللوم على قاتل نفسه إلا من حيث إنه قتل نفسه بغير أمر من الله تعالى فكأنه هدم ملك الغير بغير إذنه وذلك حرام والأحكام الشرعية دائرة مع الاحتجاجات بالأمر دون الاحتجاج بالإرادة ومن هنا قالوا : نؤمن بالقدر ولا نحتج به . قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في “ حاشيته “ ومن مشهور أدلة أهل السنة قوله تعالى :فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ[النحل : 61] وقوله تعالىإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ[نوح : 5] ومن متمسكات المعتزلة أحاديث في “ الصحيحين “ وغيرهما صرحت بأن بعض الطاعات تزيد في العمر كحديث من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه . قال وعن ذلك أجوبة أصحها أن هذه الزيادة مؤولة بالبركة في أوقات العموم بأن يصرف عمره في الطاعات إذ لا يحسب له من عمره إلا ما كان في طاعة وهذا جمع بين الأدلة ، قال وأما نحو حديث الطبراني إن المقتول يتعلق بقاتله يوم القيامة ويقول : يا رب إنه ظلمني وقتلني وقطع أجلي ، فقد تكلم الحفاظ في إسناده وبتقدير صحته فهو محمول على مقتول سبق في علم الله أنه لو يقتل لكان يعطي أجلا زائدا لأن معنى قولنا المقتول ميت بأجله أن قتله لم يتولد من فعل القاتل وإنما ذلك من فعل الله تعالى وأنه لو لم يقتل لم

أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً[النحل : 97] من الحياة الطيبة أن يبدل الله سيئات العبد حسنات حتى أنه يود أن لو كان أتى بسائر المعاصي الواقعة من الخلق حين يشاهد التبديل .
قال : ورأيت من أهل هذا المقام في عمري كله رجلين أحدهما : شيخنا أبو العباس العريني بغرب الأندلس والثاني : رجل بمكة .

[الباب الثامن والثمانون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى]

وقال في الباب الثامن والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى :وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى [طه : 131] .
اعلم أن رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك وما لم يعطك فإن كان لك فلا بد من وصوله إليك وما ليس لك فلا يصل إليك قط فلا تتعب نفسك في غير مطمع . قال : والمراد بقولنا إن كان لك أن تأخذه على الحد الإلهي الذي أباحه

يقطع بموته ولا بحياته على ما ذكره في “ شرح المقاصد “ انتهى .
(قلت) : وهذا هو الاعتقاد الصحيح المعتمد وأما نقص العمر في نحو قوله تعالىوَما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتابٍ[فاطر : 11] فليس المراد به النقص من ذلك العمر لأن المراد وما ينقص من عمر معمر آخر والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابله عليه والموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لا صنع فيه للعبد لا كسبا ولا خلقا ومبنى هذا على أن الموت وجودي بدليل قوله تعالىخَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ[الملك : 2] وفي الحديث أيضا : يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فينظر إليه أهل الجنة وأهل النار فيعرفونه فيضعه الروح الأمين ويأتي يحيى عليه السلام ومعه الشفرة فيذبحه . والأكثرون على أنه عدمي ومعنى خلق الموت قدره والنفس باقية بعد موت الجسد منعمة أو معذبة هذا هو مذهب المسلمين بل وغيرهم وخالف في ذلك الفلاسفة بناء على إنكارهم المعاد الجسماني والكتاب والسنة مشحونان بالدلالة على بقاء النفس قال تعالىكُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ[آل عمران : 185] والذائق لا بد أن يبقى بعد المذوق . وقال تعالىكَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ] (26)القيامة : 26] وهي نص في بقاء الأرواح وسوقها إلى الله تعالى يومئذ وقال تعالى :وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(169) [آل عمران : 169] .
وفي “ الصحيحين “ أنه صلى الله عليه وسلم كان يزور الموتى ويقول : ما أنتم بأسمع منهم .
فتأمل . وأما من أماتهم الله تعالى عقوبة لهم أو اعتبارا كقوم موسى حين قالواأَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً[النساء : 153] كالذينخَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ[البقرة [243 : وكَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها]البقرة : 259] فليس موت هؤلاء بانتهاء آجالهم ولذلك بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم المقدرة في علم الله تعالى فقد بان لك أنه لا يموت أحد إلا بأجله وأن معنى حديث : بادرني عبدي أي لكونه قتل نفسه بغير أمري فهو عاص للأمر مطيع للإرادة كسائر المعاصي الواقعة في هذا الوجود والله أعلم . وأما معنى قوله تعالى :ثُمَّ قَضى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ[الأنعام : 2] فالمراد بقوله :ثُمَّ قَضى أَجَلًاهو الأجل المقضى لكل حي يقبل الموت وأما قوله تعالى بعد ذلكوَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُفالمراد به أجل الروحانية الذي

....

الشارع لك فإن ما أخذ من حرام لا ينبغي إضافته إلى الله أدبا وإنما يضاف إلى الطبع وأطال في ذلك .

[الباب التاسع والثمانون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ]

وقال في الباب التاسع والثمانين وأربعمائة في حديث : “ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له “ المراد بهذا العلم المذكور في الحديث : هو ما سنه من السنن الحسنة كما عليه الأئمة المجتهدون والمراد بالصالح المسلم والصدقة الجارية مثل حفر الآبار ونحو ذلك .

[الباب الموفي تسعين وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ]

وقال في الباب التسعين وأربعمائة في قوله تعالى :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا

ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الأولى المعبر عنه بالبعث ولذلك عقبه بقوله تعالىثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَيعني في البعث فإن الموت لا يمترون فيه لأنه مشهود لهم في كل حيوان فما وقعت المرية إلا في البعث الذي هو الأجل المسمى عنده تعالى ، وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك الباب الرابع والسبعين ومائتين ثم قال وإنما لم يجعل أجل الموت مسمى عنده لأنه إذا نفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله يبقي طائفة لا يصعقون فأما أن يكونوا على حقائق لا تقبل الموت فيكون الاستثناء منقطعا ويكون معنى قولهلِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ[غافر : 16] فلا يجيبه أحد ممن صعق ، وإما أن يكونوا على مزاج يقبل الموت لكن لم يصل إليهم النفخ فلم يصعقوا فيكون الاستثناء متصلا انتهى .

(فإن قلت) : فمن آخر الناس يقبض روحه من بني آدم ؟

(فالجواب) : آخر من يقبض روحه الإنسان الموحد الذي يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم المشار إليه بحديث لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله .

(فإن قلت) : فما مذهب الشيخ محيي الدين في الموت ؟ هل هو عدمي أو وجودي ؟

(فالجواب) : هو عنده عدمي وعبارته في الباب السابع عشر وثلاثمائة : اعلم أن الموت حقيقة إنما هو للسلب وأما الحياة فهي دائبة للأعيان من حيث كونها مسبحة بحمد الله تعالى ولا يسبح إلا حي ، ولكن لما أعرض الروح عن الجسد بالكلية وزال بزواله جميع القوى عبر عنه الموت فهو كالليل بمغيب الشمس وأما النوم فليس إعراض الروح عن الجسم فيه إعراضا بالكلية وإنما هي حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاته الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس إذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الأرض يكون الضوء موجدا كالحياة وإن لم يقع إدراك الشمس لذلك الذي حال بينه وبين السماء ذلك السحاب المتراكم انتهى .

(فإن قلت) : فما معنى قوله تعالىفَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ[ق : 22] ؟

(فالجواب) : المراد به أن البصر يحتد عند الموت فيعاين العبد جميع ما ينتهي أمره إليه

....

تَفْعَلُونَ] (3)الصف : 2 - 3] الآية ، اعلم أن للمقت درجات بعضها أكبر من بعض . ومن قال قولا ولم يفعل هو به مقت نفسه عند الله أكبر المقت إذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك الفعل ولا سيما إذا رأى غيره قد انتفع به عملا قال : والناس يأخذون في هذه الآية غير مأخذها فيقولون إن الله مقتهم وما يتحققون قوله تعالى عند الله أي تمقتون أنفسكم أكبر المقت عند الله إذا رجعتم إليه في الدنيا أو الآخرة وأطال في ذلك .

ثم قال : وملخص القول أن الحق تعالى كأنه يقول : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون إن الفعل لكم وما هو كذلك فإنه لي فكيف تضيفون إلى أنفسكم ما لا تفعلون ، إن الله يحب الذين

وهو اليقين المشار إليه بقولوَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ] (99)الحجر : 99] . قال الشيخ في الباب السادس والسبعين مائة : واعلم أن كل محتضر يرد عليه اثنتا عشرة صورة يشهدها كلها أو بعضها لا بد له من ذلك وهي صورة علمه وصورة عمله وصورة اعتقاده وصورة مقامه وصورة حاله وصورة رسوله وصورة الملك وصورة اسم من أسماء لأفعال وصورة اسم من أسماء الصفات وصورة اسم من أسماء النعوت وصورة اسم من أسماء التنزيه وصورة اسم من أسماء الذات : فأما الذي يتجلى وله علمه عند الموت فقد قال الشيخ محيي الدين : المراد به علمه بالله تعالى والعلماء بالله تعالى رجلان رجل أخذ علمه بالله تعالى عن نظر واستدلال ورجل أخذ علمه به عن كشف ومعلوم أن صورة علم الكشف أتم وأكمل وأجمل في التجلي من صورة النظر والاستدلال لما يطرقها من الشبه وكلا الصورتين لا بد أن يفرح بهما العبد فإن صحبه في علمه دعوى نفسية كان صورة علمه دون صورة علم من لم يصحبه دعوى فتفاوت الناس في جمال صورة التجلي يكون على قدر نياتهم . وأما الذي يتجلى عمله عند الموت فيكون في صورة حسنة أو قبيحة لا بد له من ذلك والحسن والقبح على قدر ما أنشأه العامل من الكمال والنقص ، فإن كان أتم عمله كما أمر ولم ينقص شيئا من أركانه وشروطه وآدابه في أحسن صورة وكان براقا لروحه يسرى به عليه إلى أعلى عليين وإن كان انتقص شيئا من أركانه وشروطه وآدابه رآه في أحسن صورة وكان براقا لروحه يسري به عليه إلى أعلى عليين وإن كان انتقص شيئا أركانه وشروطه وآدابه رآه في أقبح صورة وهوى به إلى سجين وعباد الله على طبقات في العمل فمنهم من عمله حسن ومنهم من عمله أحسن ومنهم من عمله جميل ومنهم من عمله أجمل . وأما الذي يتجلى له صورة اعتقاده فهو بحسب ما كان عليه في دار الدنيا فينظره من خارج كما يرى جبريل في صورة دحية وتزيد صورة اعتقاده حسنا وجمالا بحسب علو المشاهد وأما الذي يتجلى له صورة مقامه فهو الذي لحق بدرجة الأرواح النورية فيظهر له مقامه فيعرفه معرفة لا يدخلها شك ولا ريب فهو إما حزين وإما فرح مسرور والغالب على كل من مات مسلما الفرح والسرور . وأما من يتجلى له حاله فهو إما منقبض وإما منبسط فإذا مات على حاله كان بحسب ميزان الشرع فإن كان البسط في محل كان اللائق به فيه القبض قضاه في البرزخ فلا يزال مقبوضا بقدر ما فرط . وأما من يتجلى له رسوله فهو خاص بورثة الرسل فإن

....

يقاتلون في سبيله صفا أي يقاتلون من ينازع الحق في إضافة الأفعال ، ويقول : إن الفعل للخلق كالمعتزلة حتى يرجع عن نزاعه ، ويضيف الأفعال كلها إلى الله قال : فالمراد بالعندية عنا هو شهود الحق فاعلا وحده ومقته نفسه هو الرجوع عن إضافة الفعل لنفسه إلا على وجه ما وبذلك يسعد ويلحق بالعلماء فليتأمل ويحرر .

[الباب الثاني والتسعون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ]

وقال في الباب الثاني والتسعين وأربعمائة : العلم المأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أو غيرها أوثق من العلم الذي يأخذه العبد من الله بلا واسطة من الوجه الخاص الذي هو الإلهام

العلماء ورثة الأنبياء فتارة يرى هذا عيسى عند احتضاره وتارة يرى موسى أو إبراهيم أو محمدا أو أي نبي كان على جميعهم أفضل الصلاة والسلام . فمن الناس من ينطق باسم ذلك النبي الذي ورثه عندما يأتيه فرحا به لكون الرسل كلهم سعداء فيستبشر عند رؤية ذلك النبي بالسعادة فيقول عند الاحتضار عيسى أو المسيح وهو الأغلب فيسمع الحاضرون ذلك فيسيئون به الظن ويعتقدون أنه تنصر عند الموت وسلب دين الإسلام وكذلك يظنون من نطق باسم موسى أنه تهود وليس كذلك إنما ذلك الناطق من أكبر السعداء عند الله تعالى ، وهذا أمر لا يعرفه إلا أهل الكشف وأما من يتجلى له الملك فهذا الملك هو ملكه الذي يشاركه في المقام فإن فيهم الصافين والمسبحين والتالين إلى غير ذلك من المقامات فينزل إلى ذلك الشخص صاحب هذا المقام مؤنسا وجليسا فربما يسميه عند الموت باسمه ويتهلل وجهه لكن هذا لا يكون للعامة وإنما ذلك لأهل الاختصاص الخارجين عن دائرة التلبيس وأما العامة فتتمعر وجوههم عند رؤية ذلك الملك وتسود وذلك لغلبة الأحوال النفسانية عليهم في أعمالهم وأحوالهم وعلومهم . وأما من يتجلى له اسم فهو الاسم الذي كان غالبا عليه من أسماء الأفعال كالخلق بمعنى الموجد والبارىء والمصور والرزاق والمحيي وكل اسم يطلب فعلا فإن كان بذل جهده في أعمال حضرة ذلك الاسم تجلى له في أحسن صورة وكان من لازمه السرور والفرح ، وإن كان دخله في تلك الأعمال كسل أو غفلة أو فتور كان في صورة ممتهنة وكل صورة تخاطب العبد بحسب حاله فإن كان عمله كاملا خاطبته تلك الصورة وهي في غاية الحسن وتقول له أنا ذكرك فيسر وإن كان عمله ناقصا خاطبته صورته وهي في أقبح صورة فتقول له أنا ذكرك فيحزن ويقاس على ذلك بقية الأسماء انتهى .

(فإن قلت) : فما معنى قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ؟ هل المراد بالغطاء الذي ينكشف غطاؤه رضي الله عنه أو غطاء غيره فإنه رضي الله عنه كان كامل الإيمان بلا شك وكامل الإيمان الغائب عنده كالحاضر على حد سواء .

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلاثمائة : إن المراد بذلك الغطاء الذي ينكشف هو غطاؤه هو ، إذ لا بد من مزيد كشف غطاء لكل طائفة عند الموت لأنه رضي الله

....

على أنه ليس لنا علم الآن يؤخذ عن الله إلا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم لقوله : “ فعلمت علم الأولين والآخرين “ وأنت يا أخي من الآخرين بلا شك فلا تقل : قد حجرت واسعا لأني ما حجرت عليك العلم مطلقا وإنما حجرت عليك أن لا يأتيك إلا بواسطة وهذا ليس بتحجير فتأمل . قال : وقد وافقنا على ما قلناه أبو القاسم بن قسي وما رأيت هذا النفس لغيره .

[الباب الخامس والتسعون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ]

وقال في الباب الخامس والتسعين وأربعمائة في قوله تعالى :لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ[المائدة : 48] أي أيها الأنبياء شرعة ومنهاجا فالضمير في منكم للأنبياء عليهم السلام لا للأمم إذ لو كان المراد به الأمم لم يبعث قط رسول في أمة قد بعث فيها رسول إلا أن يكون مؤيدا لمن قبله فقط لا يزيد

عنه أثبت أن ثم غطاء ينكشف وقوله ما ازددت يقينا يعني في علم اليقين إن كان ذا علم أو في عينه إن كان ذا علم عين أو في حقه إن كان ذا علم حق لا أنه لا يزيد بكشف الغطاء أمرا لم يكن عنده إذ لو كان كذلك لكان كشف الغطاء في حق من هذه صفته عبثا معرى عن الفائدة فلم يكن الغطاء وراءه أمر عدمي وإنما هو وجودي بالجملة فجميع الأغطية تنكشف عند الموت ويتبين الحق لكل أحد ولكن ذلك الانكشاف لا يعطي صاحبه سعادة فهو كإيمان أهل البأس لا ينفع صاحبه ولكن هذا حق العامة أما الخاصة من أهل الكشف والشهود فينتقلون من عين اليقين إلى حق اليقين كما أن أهل العلم ينتقلون من علم اليقين إلى عين اليقين وما سوى هذين الرجلين فينتقلون من العمى إلى الأبصار فيشاهدون الأمر عند كشف غطاء العمى عنهم لا عن علم تقدم . انتهى . وتصريح الشيخ بأن إيمان أهل البأس لا ينفع صاحبه فيه إيماء إلى أنه لا يقول بقول إيمان فرعون لأنه إنما آمن عند البأس والله أعلم .

(خاتمة) : (إن قلت) : ما المراد بقولهم العارفون لا يموتون وإنما ينقلون من دار إلى دار ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة : إن المراد به أن من مات الموت المعنوي بمخالفة نفسه حتى لم يبق له مع الله تعالى اختيار ولا إرادة ولا يعظم تألمه عند طلوع روحه لأنه عجل بموت نفسه حين قتلها بسيف المجاهدة ، وأما من وافق نفسه في هواها وشهواتها فيشتد عليه الألم عند الموت لاجتماع تلك الآلام التي فاتته حين لم يجاهد . وإيضاح ذلك أن أهل الله تعالى لما علموا أن لقاء الله لا يكون إلا بالموت وعلموا معنى الموت استعجلوه في الحياة الدنيا فماتوا في حين حياتهم عن جميع حركاتهم وإرادتهم فلما ظهر عليهم الموت في حياتهم التي لا زوال لهم عنها حين ورد عليهم حيث كانوا لقوا الله تعالى فلقيهم وكان لهم حكم من يلقاه محبا للقائه فإذا جاءهم الموت المعروف في العامة وانكشف عنهم غطاء هذا الجسم لم يتغير عليهم حال ولا ازدادوا يقينا عما كانوا عليه فما ذاقوا إلا الموتة الأولى وهي التي ماتوا في حياتهم فوقاهم ربهم عذاب الجحيم فضلا من ربهم وإلى هذا الموت المعنوي الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر رضي الله عنه ، أي لأنه رضي الله عنه كان ميتا في حياته عن حركاته

....

ولا ينقص وما وقع الأمر كذلك ، قال : وقد تكلف في التأويل شططا من جعل الضمير في منكم للأمم والرسل جميعا ، فكون الضمير راجعا إلى الرسل أقرب إلى الفهم ، وأوصل إلى العلم ، وأطال في ذلك .

[الباب السابع والتسعون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ]

وقال في الباب السابع والتسعين أربعمائة في قوله تعالى :وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ(106) [يوسف : 106] أي يشركون نفوسهم في الإيمان فيرون أنهم آمنوا بنظرهم واستدلالهم ولم يروا أن الله تعالى هو الذي من عليهم بالإيمان . هنا هو المراد بالشرك هنا فافهم . فإن المراد بالإيمان هنا هو الإيمان بالوجود لا التوحيد إذ لو كان المراد به التوحيد لم

وسكناته النفسانية كلها مذمحق التسليم لله تعالى جميع ما عنده مما فيه رائحة اعتراض ما نفساني فكان مع الله تعالى في مال حياته كحاله معه في حال عدمه . انتهى . وقال في الباب الثاني والثمانين ومائتين : اعلم أن من صار حكمه حكم الميت في عدم التصرف فقد وفي مقام الكمال حقه فإن الميت لا يتصور منه من ولا إباية ولا حمد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم لله تعالى فهو حي في الأفعال الظاهرة ليقوم بالأمر والنهي ميت بالتسليم لموارد القضاء راض بالقضاء لا بالمقضى والله تعالى أعلم .

المبحث الثاني والستون : في بيان أن النفس باقية بعد موت جسدها منعمة كانت أو معذبة وفي فنائها عند القيامة تردد للعلماء وبيان أن أجساد الأنبياء والشهداء لا تبلى

اعلم أن العلماء اختلفوا في فناء النفس عند القيامة واتفقوا على بقائها بعد موت جسدها وكان الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله يقول : الأظهر أن الروح لا تفني أبدا لأن الأصل في بقائها بعد الموت استمرار أي البقاء فيكون من المستثني بقوله إلا من شاء الله كما قالوا ذلك في الحور العين . وقال بعضهم إنها تفني عند النفخة الأولى كغيرها توفية لقوله تعالىكُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ(26) [الرحمن : 26] رجحه الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور لكنه قال : المراد بفنائها عند الصعق الأخروي خمودها فقط . قال وذلك هو حظها من الموت والفناء اللازم لصفة الحدوث فمن رآها في كشفه الصوري حال خمودها قال إنها ماتت ، ومن أعطاه الله علم حقيقتها قال إنها نائمة . قال والذي كشف لي أيضا أن الطائفة الذين لا يصعقون عند النفخة يموتون أيضا بعد ذلك بأمر الله تعالى تحقيقا لوعده وتمييزا لصفة القدم من الحدوث وعليه يحمل قوله تعالىلِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ[غافر : 16] فلا يجيبه أحد لأنه ما ثم حي ينطق فيقول الله تعالى ردا بنفسهلِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ[غافر : 16] قال وذهب قوم إلى أن الطائفة الذين لم يصعقوا عند النفخة

....

يصح قوله إلا وهم مشركون مع ثبوت الإيمان .

(قلت) : وقال بعضهم : المراد بالشرك هنا هو الاعتماد على الأسباب انتهى فتأمل وحرر .[الباب الموفي خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ أي نرده إلى أصله وهو البعد يقال بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر]

وقال في الباب الموفى خمسمائة في قوله تعالى :وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ[الأنبياء : 29] . اعلم أن من جعل نفسه إلها فقد ادعى جعل نفسه في غاية القرب فلذلك أخبر أن هذا جزاء هذا القائل أن يكون في غاية الشقاوة التي هي غاية البعد عن طريق السعادة الذي هو رد إلى أصله فلذلك كان جزاؤه جهنم فينزل في قعرها لكونه طغى إلى مقام الألوهية التي لها الاستواء على العرش يقال : بئر جهنم إذا كانت بعيدة القعر . قال : واعلم أنه لم يبلغنا أن أحدا وقع في هذا القول سوى فرعون حين استخف عقل قومه فقال : يا أيها الملأ

الأولى لا يموتون أيضا لأن الله تعالى أنشأهم على حقائق لا تقبل الموت كالمخلوقات التي خلقها الله تعالى للبقاء وعلى هذا تخصيص عدم الإجابة المذكورة بمن صعق أي فلا يجيبه أحد ممن صعق أو ممن خمد انتهى .
(فإن قلت) : فما الصحيح في عجب الذنب ؟
(فالجواب) : المشهور من القولين أنه لا يبلى لحديث الشيخين : ليس من الإنسان شيء لا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة . وفي رواية لمسلم : كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة . وفي رواية للإمام أحمد وابن حبان : قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه ينشأون . قال العلماء وهو في أسفل الصلب عند رأس العصعص يشبه في المحل محل أصل الذنب من ذوات الأربع . وقال المزني رحمه الله الصحيح أنه يبلى كغيره قال تعالىكُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ[القصص : 88] وتأول الحديث بأنه لا يبلى بأكل التراب وإنما يبلى بلا تراب كما يميت الله تلك الأموات بلا ملك موت انتهى ، ووافق المزني على ذلك ابن قتيبة وقال إنه آخر ما يبلى من الميت ولم يتعرضا لوقت فنائه هل هو عند فناء العالم أو قبل ذلك وهو محتمل ؛ وروى الطبراني وغيره مرفوعا : المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه فإن مات لم يدود ، أي لم يأكله الدود قال في " النهاية " وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله يقول في قوله تعالىهُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا[القصص : 88] المراد بالوجه هنا حقيقة الشيء الثابتة في علم الله عز وجل وهذه لا يصح فناؤها في العلم الإلهي لأنها معلوم علم لله عز وجل وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول في قوله تعالى :وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ[الرحمن : 27] المراد به العمل الصالح كما إذا عمل العبد عملا صالحا وخلط معه نوعا من الرياء فوجه الحق تعالى هو الشق الخالص ووجه غير الرب هو ما أريد غير الله فما كان لله فهو باق وما كان لغيره فهو فان انتهى .
(خاتمة) : يستثنى من بلاء الأجساد أجساد الأنبياء والشهداء في قتال الكفار بشرطه ويلحق بهم من خالطت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشاشته حتى سرت في جسمه سريان الماء في العود ، وكذلك من يأكل الحلال الصرف الذي لا يخالطه شبهة كما شاهدنا ذلك في الشيخ نور الدين

....

ما علمت لكم من إله غيري ثم إنه جعل ذلك ظنا بعد شك في قوله لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وأطال في ذلك .

[الباب السادس وخمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ ومَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ]

وقال في الباب السادس وخمسمائة في قوله تعالى :وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(50) [النمل : 50] . واعلم أن كل من شعر بالمكر فليس بممكور به إلا في حال واحد وهو أن يشعر بمكر الله في أمر أقامه فيه ثم إنه إن داوم عليه بعد علمه بأنه مكر من الله فهذه المداومة مكر من الله فهو كقوله تعالى :وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ]الجاثية : 23] . وأطال في ذلك . بكلام نفيس.

الشوني شيخ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي جدي الشيخ علي رحمه الله أما الشيخ نور الدين الشوني فنزلت بعد سنة وتسعة أشهر فوجدته طريا كما وضعناه وكنت رأيت له رؤيا قبل أن يموت وذلك أني سمعت قائلا يقول : من أراد أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم فليزره في المدرسة السوفية عند الشيخ نور الدين الشوني فمضيت إليه فوجدت على بابها الأول أبا هريرة وعلى الباب الثاني المقداد بن الأسود وعلى الباب الثالث الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقلت للإمام علي رضي الله عنه أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ها هو جالس على التخت داخل تلك الخلوة فوقفت على بابها فوجدت الشيخ نور الدين هو الجالس فقلت له أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم ، وصرت أتطلب النبي صلى الله عليه وسلم فظهر لي وجهه في وجه الشيخ نور الدين فما زال النور يتشرب من جهة جبهة الشيخ نور الدين إلى أصابع رجليه فخفي الشوني وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقصصت هذه الرؤيا على الشيخ فقال : يا ولدي ما سررت في عمري كله بشيء مثل هذه الرؤيا وإن صح منامك يا ولدي لا يبلي لي جسد فكان الأمر كما ذكرناه وأما جدي رضي الله عنه فكان يبالغ في الورع ويقول : من أحكم أكل الحلال الصرف لم يبل له جسد وكان لا يأكل قط طعام أحد من مشايخ البلاد ولا طعام قاض ولا طعام مباشر ولا طعام أحد لا يتورع وكان لا يأكل فراخ حمام الأبراج لأكلها من زرع الناس وترك آخر عمره أكل عسل النحل لما أخبره أهل برشوم الصغرى أن نحل بلده يعدي البحر ويأكل زهر فواكههم فلما مات دفنوا والدي بجانبه بعد إحدى وعشرين سنة فوجده طريا كما وضعوه هكذا أخبرني الذي دفنه ودفن الوالد والله تعالى أعلم .

المبحث الثالث والستون : في بيان أن الأرواح مخلوقة وأنها من أمر الله تعالى كما ورد وكل من خاض في معرفة كنهها بعقله فليس هو على يقين من ذلك وإنما هو حدس بالظن

ولم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم تكلم على حقيقتها مع أنه سئل عنها فتمسك عنها أدبا ولا يعبر عنها بأكثر من موجود كما قاله أبو القاسم الجنيد وغيره وعبارة الجنيد رحمه الله : الروح شيء استأثر

....

[الباب السابع والعشرون وخمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ الآية]

وقال في الباب السابع والعشرين وخمسمائة في قوله تعالى :وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ[الكهف : 28] الآية . اعلم أن كل خطاب خاطب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم مؤدبا له قلنا : فيه اشتراك لا بد من ذلك فهو صلى الله عليه وسلم المقصود لله تعالى بالأدب أصالة ونحن المقصودون بالتأسي به قال تعالى :لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ[الأحزاب : 21] . وقد كان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية إذا لقي أحدا من أهل الصفة أو قعد في مجلس يكونون فيه لا يزال يحبس نفسه معهم ما داموا جلوسا حتى يكونوا هم الذين ينصرفون وحينئذ ينصرف صلى الله عليه وسلم ، ولما عرفوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخففون الجلوس والحديث

الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لأحد البحث عنه بأكثر من أنه موجود وإليه ذهب أكثر المفسرين كالثعلبي وابن عطية . وقال جمهور المتكلمين : إنه جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر . وقال كثير منهم إنها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حيا وإليه مال القاضي أبو بكر الباقلاني ويدل للأول وصفها في الأخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ قاله السهروردي وهذا شأن الأجساد لا الأعراض إذ العرض لا يوصف بهذه الأوصاف وقال كثير من الصوفية : إنها ليست بجسم ولا عرض بل هو جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل في البدن ولا خارج عنه وهذا رأي الفلاسفة وهو كلام ساقط والذي ظهر لي أن العبد بتقدير إنه يطلع على كنه الروح لا يستطيع أن يعبر عنها بعبارة تؤدي السامع إلى معرفة كنهها لأن الحق تعالى جعلها رتبة تعجيز لنا ليقول أحدنا لنفسه : إذا كنا نعجز عن معرفة حقيقة ذاتنا فنحن بذاته تعالى أعجز وأعجز حتى لا نخوض بالفكر في الذات فإننا إذا كنا نعجز عن معرفة روحنا مع كونها مخلوقة ، ومن أقرب الأشياء إلينا فكيف نعرف خالقنا فافهم . وفي كلام الإمام علي رضي الله تعالى عنه : من عرف نفسه عرف ربه قال بعضهم أي لأنه لا يمكن لأحد معرفة نفسه قط لأن الحق تعالى جعل النفس رتبة تعجيز لنا بيننا وبين معرفة ذاته كأنه تعالى يقول إذا عجز الإنسان عن معرفة نفسه مع كونها مخلوقة ومن أقرب الأشياء إليه فكيف بمعرفة من لا شبيه له ولا نظير ولا يجتمع مع عباده في حد ولا حقيقة انتهى ، قال الكمال بن أبي شريف في " حاشيته " فإن قيل كيف خاض الناس في معنى معرفة الروح وهو باب أمسك عنه الشارع فالجواب من وجهين الأول أنه إنما ترك الجواب تفصيلا لأجل قول اليهود فيما بينهم إن لم يجب عنها فهو صادق لأن ذلك عندهم من علامات نبوته فكان تركه صلى الله عليه وسلم الجواب عن الروح تصديقا لما تقدم في كتبهم من وصفه بذلك . الثاني أن السؤال كان سؤال تعجيز وتغليظ وتعنت وإذا كان السؤال

....

معه صلى الله عليه وسلم قال : " وإنما قيد تعالىالَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ[الأنعام : 52] لأنه زمان تحصيل الرزق في المرزوقين وهو الصبوح والغبوق عند العرب ، وأطال في ذلك .
(قلت) : إنما أمر صلى الله عليه وسلم بالصبر مع من ذكر لأن الكامل تصير عبادته روحانية لا جسمانية فرجوعه إلى الكثائف من أصعب الأمور عليه إلا أن يؤمر بذلك هكذا شأن المقربين وإلى ذلك الإشارة بقوله : " لي وقت لا يسعني فيه غير ربي " أي لا يسعني فيه الالتفات لغيره من ذكر أو غيره والله أعلم .[الباب التاسع والعشرون وخمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ] "
وقال في الباب التاسع والعشرين وخمسمائة : لا بد من الفترة لكل داخل طريق أهل الله عز وجل ثم إذا حصلت فإما أن يعقبها رجوع إلى الحال الأول من العبادة والاجتهاد وهم أهل العناية الإلهية وإما أن لا يعقبه رجوع فلا يفلح بعد ذلك أبدا فيصير من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل . وقال : للدنيا أبناء ، وللآخرة أبناء وللمجموع أبناء فالكامل من جمع بينهما فكان ابنا للدنيا والآخرة انتهى . ولا يخفى أن من طلب الدنيا للآخرة فهو ابن

على هذا الوجه فلا يجب الجواب عنه فإن الروح أمر مشترك بين روح الإنسان وبين جبريل وملك آخر يقال له الروح ويقال أيضا لصنف من الملائكة وللقرآن ولعيسى بن مريم فلو أنه صلى الله عليه وسلم كان أجاب بواحد منها لقالت اليهود لم نرد هذا تعنتا منهم وأذى له صلى الله عليه وسلم فلذلك جاء الجواب مجملا على وجه يصدق على كل من معاني الروح انتهى كلام الأصوليين . وقال الشيخ محيي الدين في " لواقح الأنوار " : إنما كانت الروح من أمر الله لأنها وجدت عن خطاب الحق تعالى بغير واسطة قال لها كوني فكانت كما قال عيسى عليه السلام إنه روح الله لأنه وجد عن نفخ الحق تعالى كما يليق بجلاله من غير واسطة قال تعالى :إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ[النساء : 171]قال : وقد ذهب الغزالي إلى أن معنى قوله تعالىقُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي[الإسراء : 85] أي من غيبه فإن عالم الأمر هو عالم الغيب وعالم الخلق هو عالم الشهادة وقال : والأمر عندنا بخلاف ما قاله الغزالي رحمه الله وذلك إنا نقول كل ما أوجده الحق تعالى بلا واسطة فهو من عالم الأمر أي قال له الحق كن فكان وله وجه واحد إلى الحق وكل ما أوجده بواسطة فهو من عالم الخلق وله وجهان وجه إلى الحق ووجه إلى سببه الذي وجد عنه فتارة يدعوه الحق من الوجه الخاص وتارة يدعوه من وجه سببه لتفاصيل وحكم بالغة انتهى . وقال في الباب الرابع والستين مائتين من " الفتوحات " : اعلم أن اليهود لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يسألوه عن ماهية الروح وإنما سألوه عن الروح من أين ظهر وفهم بعض المفسرين أن ذلك سؤال عن الماهية وليس كذلك فإن اليهود لم يقولوا له صلى الله عليه وسلم ما الروح فإن كان السؤال بهذه الصيغة محتملا لكن قد قوى الوجه الذي ذهبنا إليه ما جاء في الجواب من قوله من أمر ربي ولم يقل هو كذا وقد سمى الله تعالى الوحي روحا من قوله تعالىوَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِناانتهى .

(فإن قلت) : فما المراد بحديث : إن الله خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام ؟

....

لمجموعهما وهو أكمل ممن يريد الآخرة فقط كأهل الصفة والله أعلم .[الباب السابع والثلاثون وخمسمائة في معرفة حال قطب كان هجيره وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ وهذه آية عجيبة]

وقال في الباب السابع والثلاثين وخمسمائة في قوله تعالى :وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ[الأحزاب : 37] اعلم أن الرجل الكامل واقف مع ما يمسك عليه المروءة العرفية حتى يأتيه أمر الله الحتم فيمتثله قال : وكان وقوع ما ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم مكان قوله : لو كنت موضع يوسف لأجبت الداعي يعني : داعي الملك لما دعاه إلى الخروج من السجن فلم يخرج يوسف حتى قال : ارجع إلى ربك يعني : العزيز الذي حبسه فاسأل ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ليثبت عنده براءته فلا تصح له المنة عليه في إخراجه من السجن والرسول يطلب ثبوت عدالته عند أمته ومن هنا كانت خشية رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس حتى لا يرد الناس دعوته لما وقع في نكاح زوجة من تبناه إذ كان ذلك مما يقدح في المروءة عند العرب فلذلك أبان الله عن العلة في ذلك بقوله :ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ[الأحزاب : 40] الآية فرفع الحرج عن المؤمنين في

(فالجواب) : مراده بالخلق هنا التقدير والتعيين أي قدر الأرواح وعين لكل جسم وصورة روحها المدبر لها الموجود بالقوة في الروح الكل المضاف إليه فيظهر ذلك بالتفصيل عند النفخ ومثال ذلك صاحب الكشف يرى في المداد الذي في الدواة جميع ما فيه من الحروف على صورة ما يصوره الكاتب أو الرسام فيقول في هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة فإذا جاء وقت الكتابة أو الرسم وكتب من ذلك المداد لم يزد حرفا عما قاله المكاشف ولم ينقص ذكره الشيخ في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة . وقال في الباب الثاني والسبعين من “ الفتوحات : “
إنما كان الروح من أمر الرب جل وعلا لأنه لم يوجد عن خلق وإنما أوجده الله تعالى بلا واسطة ولا يطلع على كنه ذلك إلا من شاء الله من الأصفياء انتهى . وقال في الباب السابع والستين ومائتين : إنما تفاضلت النفوس من حيث القوابل وإلا فهي من حيث النفخ الإلهي غير متفاضلة فلها وجه إلى الطبيعة ووجه إلى الروحية المحضة فلذلك قلنا مرارا إنها من عالم البرزخ كالأفعال المعلولة سواء فإنها من حيث نسبتها إلى العبد مذمومة ومن حيث كون الحق تعالى خالقا لها لا يقال مذمومة فإن أفعاله كلها محمودة انتهى . وقال في الباب الثامن والستين ومائتين : إنما قال تعالى في آدموَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي[الحجر : 29] ، [ص : 72] بياء الإضافة إلى نفسه لينبه على مقام التشريف لآدم وفيه من الاعتبار كأن الحق تعالى يقول لآدم إنك شريف الأصل فإياك أن تفعل ما يخالف أصلك من أفعال الأراذل انتهى . وقال في الباب الثامن والسبعين ومائتين : اعلم أنه لا رياسة عند الأرواح ولا تذوق لها طعما وإنما هي خاضعة لباريها على الدوام انتهى . وقال في الباب التاسع والتسعين ومائتين : وليس للروح كمية فيقبل الزيادة في جوهر ذاته وإنما هو فرد ولولا ما هو عاقل بذاته ما أقر بربوبية خالقه عند أخذ الميثاق منه إذ لا يخاطب الحق تعالى إلا من يعقل عنه خطابه وهذا هو حقيقة الإنسان في نفسه وأطال في ذلك ، ثم قال فعلم أن الله تعالى خلق الروح كاملا بالغا عاقلا عارفا بتوحيد الله مقرا بربوبيته

....

هذا الفعل فكان من الله تعالى في حق رسوله ما كان من يوسف حين لم يجب الداعي سواء أولئك الذين هدى الله فهداهم اقتداه أي فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكان يوسف ما أجاب الداعي ولقال مثل ما قال يوسف فعلم أنه ليس مراده صلى الله عليه وسلم بقوله : لو كنت مكان يوسف لأجبت الداعي إلا تعظيم يوسف كما قال : “ نحن أولى بالشك من إبراهيم “ وقد تقدم بسطه في الكتاب فليتأمل ويحرر .
(قلت) : ويحتمل أن يكون المراد من قوله عليه السلام لأجبت الداعي ولم أراع الناس على حد ما راعاهم يوسف عليه السلام وإن ندبت إلى مراعاتهم من وجه آخر كما يعرفه أهل الله تعالى لا سيما وقد ورد : أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض ويكون قوله عليه السلام : “نحن أولى بالشك من إبراهيم “ حيث يتمشى على من يتبادر إلى الأذهان ومعاتبة الله تعالى له عليه السلام في الآية المذكورة قبل أن يوقفه الله من مقامه الشريف على ما هو الأرفع ، والله أعلم.

وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما أشار إليه خبر كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . فذكر الأغلب وهو وجود الأبوين والذي يربيه هو له بمنزلة أبويه وقال الشيخ في الباب السادس والعشرين وثلاثمائة : اعلم أن كل مقيد بصورة من جميع العالم روحا إلهيا ملازما له وبه كان مسبحا لله عز وجل فمن الأرواح ما يكون مدبرا لتلك الصورة لكونها تقبل تدبير الأرواح لها وهي كل صورة تتصف بالحياة الظاهرة بالموت فإن لم تتصف بالحياة الظاهرة والموت فروحها روح تسبيح لا روح تدبير . وأطال في ذلك ثم قال وما ثم أعرف بالله تعالى من أرواح الصور التي لاحظ لها في التدبير وهي أرواح الجماد ، ودونها في الرتبة أرواح النبات ودونها في الرتبة أرواح الحيوان ودونهم أرواح المتمردين من الإنس أما الصالحون فما ثم أعلى من معرفة أرواحهم على اختلاف طبقاتهم من أنبياء وأولياء ومؤمنين اختصاصا إلهيا انتهى . وقال في الباب الثامن والخمسين وثلاثمائة : اعلم أنه لاحظ للروح السعيدة في الشقاء في الدنيا والآخرة وأطال في ذلك . وقال في الباب السادس والأربعين وثلاثمائة : مما غلط فيه جماعة قولهم إن الروح إحدى العين في أشخاص نوع الإنسان وأن روح زيد هي روح عمرو وهؤلاء لم يحققوا النظر على ما هو الأمر عليه وشبهتهم في ذلك كونهم رأوا أن الحق تعالى لما سوى جسم العالم وهو الجسم الكلي الصوري في جوهر الهباء المعقول قبل قبض الروح الإلهي الذي كان منتشرا غير معين إذ لم يكن ثم من يعنيه وهي جسم العالم به ضمن جسمه أجسام شخصياته فقاس على ذلك أنه تعالى ضمن روحه أرواح شخصياته وربما استند إلى قوله تعالى :هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ[الأعراف : 189] وغاب عن هؤلاء أنه كما لم يكن صورة جسم آدم صورة جسم كل شخص من ذريته وإنما كانوا متفرعين عنه فكذلك لم يكن كل روح في العالم هي عين الروح الأخرى وأطال في ذلك ثم قال : ولا يخفى أن من قال يتناسخ الأرواح فهو كافر عندنا والله أعلم.

....

[الباب الرابع والأربعون وخمسمائة في معرفة حال قطب كان هجيره ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]

وقال في الباب الرابع والأربعين وخمسمائة في قوله تعالى :لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ[الرعد : 11] ليس المراد بهؤلاء الملائكة هم الحفظة وإنما المراد بهم ملائكة التسخير وهم ملائكة يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه يحفظونه عن أن يعرض عليه أمر خلاف ما هو مسخر له فهم تبع له وأطال في ذلك .

[الباب الخامس والخمسون وخمسمائة في معرفة السبب الذي منعني أن أذكر فيه بقية الأقطاب من زماننا هذا إلى يوم القيامة]

وقال في الباب الخامس والخمسين وخمسمائة : قد أطلعني الله على جميع الأولياء المتقدمين والمتأخرين إلى يوم القيامة وما يمنعني أن أعين للناس الأقطاب والأبدال وغيرهم من أهل زماننا إلا خوف الإنكار عليهم وعدم التصديق لهم ، فأكون بذلك سببا في مقتهم على أن الله لم يكلفنا بإظهار مثل هذا حتى نكون عصاة لو تركناه وبسط الرحمة على كافة المسلمين أولى من اختصاصها . قال : وقد فعل مثل هذا القشيري رحمه الله في رسالته فإنه ذكر الأوائل من الرجال في أول الرسالة وما ذكر فيهم الحلاج للخلاف الذي وقع فيه حتى لا تتطرق التهمة لمن ذكره من رجال الرسالة ثم إنه لما ذكر عقائد الرجال على الكتاب والسنة ذكر عقيدة الحلاج أولا وصدر بها الكلام ليزيل

(خاتمة) : في معنى قوله صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، اعلم أنه لا يعرف معنى هذا الحديث حقيقة إلا من شهد من طريق كشفه أخذ الذرية من ظهر آدم وذلك مشهد أقدس قل من يشهده لأنه خاص بالأفراد كسهل بن عبد الله التستري وأبي يزيد البسطامي وأضرابهما فكانوا يقولون لم نزل نشهد تلامذتنا وهم نطف في الظهور من أخذ الله الميثاق على الذرية وهم في صلب آدم ، قالوا : ولم نزل نراعي تلامذتنا حتى وصلوا إلينا ونعرف ذلك اليوم من كان عن يميننا ومن كان عن شمالنا قالوا ولما جمع الله تعالى الذرية في تلك الحضرة على وجه التمثيل فما كان وجها لوجه هناك تعارفوا هنا وائتلفوا وما كان ظهر الظهر تناكروا وتعادوا واختلفوا وما كان وجه الظهر فصاحب الوجه يحب وصاحب لظهر لا يحب وكذا الحكم فيما كان جنبا لجنب أو جنبا لوجه أو جنبا لظهر يكونون في هذه الدار بحكم ما كانوا هناك والله تعالى أعلم .

المبحث الرابع والستون : في بيان أن سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه وجميع ما ورد فيه حق خلافا لبعض المعتزلة والروافض

فأما سؤال منكر ونكير فقال أهل السنة : إنه يكون لكل ميت سواء كان في قبره أو في بطون الوحوش أو الطيور أو مهاب الريح بعد أن أحرق وذرى في الريح ، قال الجلال المحلي رحمه الله : ويكون عذاب الله تعالى للكافرين ولمن شاء الله تعذيبه من الفاسقين فقط فترد روح المعذب إلى جسده كله أو ما بقي منه فإنه لا يمتنع إحياء بعض الجسد وإن كان ذلك خلاف

....

بذلك ما في نفوس بعض الناس منه من سوء الطوية رضي الله عنه .

[الباب السادس والخمسون وخمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ]

وقال في الباب السادس والخمسين وخمسمائة : كان شيخنا أبو مدين أحد الإمامين ثم قطب بعد ذلك إلى أن مات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ويدل على إمامته أنه كان يقول سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك وهي مختصة بالإمام الواحد من الإمامين والله أعلم .

[الباب التاسع والخمسون وخمسمائة في معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة]

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة ، وهو باب جمع فيه أسرار " الفتوحات " كلها من أولها إلى آخرها : اعلم أن التنزيه يرجع إلى التحديد المنزه ، والتشبيه يرجع إلى تثنية المشبه ، والكمال الجمع بين المرتبتين كما ورد . وقال : إن العالم علامة بدؤه ممن فهو علامة على من ما ثم إلا الله وحبله وما لا يسع جهله وقال : وما نشأ الخلاف إلا من عدم الإنصاف .

وقال : كل علم أنتجه الفكر فلا يعول عليه لأن النكير يسارع إليه وقال :لا ضلال إلا بعد هداية كما أنه لا عزل إلا بعد ولاية . وقال : لا يشترط في المجاورة الجنس لأنه علم في لبس فالله جار عبده بالمعية وإن انتفت المثلية وقال لولا الشبه ما كان الشبه . وقال : من أعجب ما ورد أنه

العادة لأن خرق العادة غير ممتنع في مقدور الله عز وجل قال الكمال في " حاشيته : " وقول أهل الأصول إن سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق جرى على الغالب وإلا فالحق أن ذلك لا يختص بالقبر المعروف فيحس بالعذاب من أكله السمك والسباع وغير ذلك فقولهم لكل مقبور لا مفهوم له ومما أوقعهم في التعبير بالقبر قوله صلى الله عليه وسلم إذا وضع الميت في قبره أتاه ملكان .
الحديث قالوا ويجوز إعادة الحياة لجزء واحد ووقوع السؤال على وجه لا يشاهد لأن أحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا كما أن روح النائم تشاهد أشياء لا يشاهدها اليقظان الذي هو جانبه قالوا ويستثنى من فتنة القبر الشهيد لحديث مسلم في ذلك ولفظه : كفى ببارقة السيوف على رأسه شاهدا . قال الجلال المحلي رحمه الله : ولعل سكوت بعضهم عن استثنائه كون المسألة قطعية ودليل استثنائها ظني لأنه خبر آحاد انتهى . وقول الجلال المحلي السابق فترد روح المعذب إلى جسده كله أو ما بقي منه إشارة للخلاف في ذلك فإن الحليمي يقول ترد الروح إلى جسده كله .
وابن جرير الطبري وإمام الحرمين يقولون ترد الروح إلى ما بقي منه وقولنا أول المبحث خلاف لبعض المعتزلة والروافض والمراد بالروافض الجهمية وحجتهم في إنكار عذاب القبر عدم مشاهدتهم لتألم الميت وقالوا لو وضع على بطن الميت شيء زمانا لم يقع فلو أنه تحرك للعذاب أو غيره لتحرك ذلك الشيء عن مكانه فكيف يقال إن الملكين يجلسانه ويسألانه ومن هنا أنكروا تسبيح الجمادات أيضا .
(والجواب) : أن العقل عاجز عن إدراك هذه الأشياء بمجرده وقد ورد : تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الخالق . يعني لضعف العقول عن ذلك وإذا قصرت عقولكم أيها المعتزلة والجهمية عن إدراك هذه الأشياء فلا تنكروه وصدقوا الأخبار الصادقة الواردة في ذلك ومن الدليل على عذاب القبر قوله تعالىسَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ[التوبة : 101] أي مرة في القبر ومرة في القيامة وقوله تعالىوَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ[السجدة : 21] وهو

....

لم يلد وعنه ظهر العدد فله تعالى أحدية العدد وما بالدار من أحد وقال : من تعبدته الإضافات فهو صاحب آفات . وقال : لو كانت العلة مساوية للمعلول لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شيء من محدثاته . الكثرة معقولة وما ثم علة إلا وهي معلولة . وقال : من الأمر الكبار خوف النار بالنار لأن الشيطان المرجوم محروق بذات النجوم .
وقال : علوم النظر أوهام عند علوم الإلهام . وقال الزمان ظرف المظروف كالمعاني مع الحروف وليس المكان بظرف فلا يشبه الحرف . وقال في التنزيه : عين التشبيه فأين الراحة التي أعطتها المعرفة وأين الوجود من هذه الصفة ، وقال : إذا استقصيت الحقوق حوسب الإنسان على ما اخترته في الصندوق .
وقال : في قوله تعالى :كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ[الرحمن : 26] . اعلم أن ما كل كل في كل موضوع ترد فيه تكون للحصر لأنها قد تأتي ويراد بها القصر مثل قوله في الريح العقيم : تدمر كل شيء بأمر ربها وفي آية أخرى ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم وقد مرت على الأرض

العذاب في الحياة والعذاب في القبر وقوله في الآيةلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]السجدة : 21] محمول على عذاب الحياة لأنهم بعد الموت لا يمكن رجوعهم وكذلك من الدليل قوله تعالىالنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا]غافر : 46] أي في البرزج بدليل قولهوَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ[غافر : 46] ومن الدليل على عذاب القبر من السنة حديث نزل قوله تعالىيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ[إبراهيم : 27] عذاب القبر وما ثبت من استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وفي حديث القبرين : إن هذين يعذبان وما يعذبان في كبير . وقد صح مرفوعا : تنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه . وقال بعض المعتزلة التعذيب للروح دون البدن وعذابها تألمها على هلاك البدن كما يتألم السلطان على عسكره إذا أفناه عدوه لأن الروح ملكية انتهى . وقال بعضهم يعذب بلا إعادة روح فإذا عاد إليه الروح يوم القيامة ظهر عليه الألم وهذا ليس بشيء لما صح في أبي داود وغيره مرفوعا :إن الروح تعود إلى الجسد وأما إنكار الجهمية وبعض المعتزلة تسبيح الجماد فمردود بقوله تعالىوَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ]الإسراء : 44] وإن تأتي نافية ومنه قوله تعالىإِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ[المجادلة : 2]وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها]مريم : 71]إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى[التوبة : 107]إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِناثاً[النساء : 117]إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً[الكهف : 5] فالتسبيح من الجمادات ثابت لأن الاستثناء من النفي إثبات وهذا منه وقد ثبت تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وقد اتفق من يعتد باتفاقه على تسبيح العالم كله بلسان الحال . واختلفوا في تسبيحه بلسان المقال فقال الشيخ عبد الوهاب بن السبكي في شرحه لعقيدة الإمام الماتريدي أبي منصور رحمه الله المختار أن كل شيء يسبح ربه نطقا وأنه ليس في العقل ما يمنعه وقد دل عل ذلك قوله تعالى :إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ(18) [ص : 18] وفي “ صحيح البخاري “ إنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل عند النبي صلى الله عليه وسلم وفي “ صحيح مسلم “ مرفوعا إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، وخبر حنين الجذع ثابت مشهور فإذا ثبت أن هذه الأشياء تتكلم ثبت جواز التسبيح بالقال كما دلت عليه الآية فلتحمل على ظاهرها وذهب الفخر الرازي وأكثر المعتزلة إلى أن الجمادات وغير المكلف من الأحياء لا يسبح إلا بلسان الحال وهو مذهب مردود . وقال بعضهم : إن كل حي ونام يسبح الله دون الميت واليابس واستدلوا لذلك بما ثبت

....

وما جعلتها كالرميم .

وقال : الشهيد يشبه الميت فيما اتصف به من الموت ولذلك يورث ماله وتنكح عيانه فطلاقه قد يشبه تطليق الحاكم على الغائب وإن كان حيا قد أبعد في المذاهب .

وقد ثبت عن سيد البشر لا ضرر ولا ضرار وقد علم أن الشهيد بدار الخلود لا سبيل إلى رجعته ولا إلى إنزال من رفعته مع كونه حيا يرزق وما هو عند أهله ولا طلق وهذه حالة الأموات وإن كانوا أحياء عند ربهم فعظامهم عندنا رفات وما لنا إلا ما نراه ولا نحكم إلا بما شهدناه فاستمع تنفع .

وقال : الاشتراك بالأجسام من الأوهام لأن الكامل مع الله على كل حال في أهل ومال .

وقال المال مالك وصاحبه هالك إن أمسكه أهلكه البخل وإن منحه أضر به البذل وقد جبل

في حديث القبرين من قوله صلى الله عليه وسلم في الجريدتين اللتين شقهما ووضعهما على القبر لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين . إشارة إلى أنهما يسبحان ما دامتا رطبتين ، دون ما إذا يبستا ونقل هذا المذهب عن الحسن وعكرمة وسبق في مبحث الإيمان مزيد كلام في حياة الجماد فراجعه والله أعلم انتهى كلام المتكلمين ، وكان الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور يقول : إذا جاء الإنسان منكر ونكير لا يجيئان إلا متشكلين لكل إنسان بشاكلة عمله وعلمه واعتقاده فهما بوابان للبرزخ لا يدخل أحد البرزخ ، ولا يمر عليهما أو يمران عليه فيسألان العبد بعد رد روحه إليه كله أو ما بقي منه عن ربه وعن دينه وعن نبيه فيجيبهما بما يوافق ما مات عليه من إيمان أو كفر أو شك نسأل الله العافية . قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله : وإنما كان الملكان يقولان للميت ما تقول في هذا الرجل من غير لفظ تعظيم وتفخيم لأن مراد الملكين الفتنة ليتميز الصادق في الإيمان من المرتاب ، إذ المرتاب يقول : لو كان لهذا الرجل القدر الذي كان يدعيه في رسالته عند الله لم يكن هذا الملك يكنى عنه بمثل هذه الكناية وعند ذلك يقول المرتاب لا أدري فيشقى شقاء الأبد قال وهل يكون كلام الملكين للميت وكلامه لهما بصوت وحرف أم لا ؟ الذي أعطاه الكشف أن الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التي يرى الميت نفسه فيها فإن اقتضت الخوف والصوت كان الكلام بحرف وصوت وإن اقتضت الإشارة أو النطق أو ما كان فهو ذلك وإن اقتضت الذات أن تكون هي عين الكلام كان ذاك فإن حضرة البرزخ تقتضي ذلك كله قال : وإذا رأى الميت نفسه في صورة إنسان جاز جميع المراتب في الكلام فإنه المقام الجامع لأحكام الصور كلها قال وقد جعل الله تعالى لنا النوم في هذه الدار لنألف حالنا في البرزخ بعد الموت فإن حال الميت كحال النائم في الصورة الظاهرة إلا أن علاقة تدبير الهيكل باقية في النوم بخلاف الموت فإنه لا علاقة في التدبير مع إحساس الجسم بالنعيم والعذاب كما يرى النائم في نومه أنه في عذاب وشرور أو في نعيم وسرور .
(فإن قلت) : فلم حجب الثقلان عن سماع كلام الميت وشهود عذابه أو نعيمه دون البهائم ؟

....

بخلقه من نطفة أمشاج على الفاقة والاحتياج لا يمتحن إلا صاحب دعوى ، فمن ادعى فقد تعرض للبلوى .
وقال : ليس الوقوف خلف الباب بحجاب إذا كان يستحيل على من خلفه الوصول فإذن الباب عين المطلوب .
وقال : من اتقى الله في موطن التكليف على كل حال حاز درجة الكمال عند الارتحال .
وقال : إنما لم يجب الخليل الآفل لأنه رآه يطلب السافل وهمته كانت في الدنو لصاحب العلو .
وقال :إذا حققت الأصول فلا زهد إلا في الفضول وأما ما تدعو الحاجة إليه فذلك المعول عليه .
وقال : لو تعطلت الأجور لالتبست الأمور .
وقال : المباح أتم شرع شرع للإنسان وعليه جميع الحيوان ، ألا ترى أن لهم الكشف التام في اليقظة ، والمنام ، ولهم الكتم فيما يرونه من عذاب القبر الحتم وقال : كل جزء في العالم فقير إلى العظيم والحقير ، فالكل عبيد النعم ومن النعم الأمان من حلول النقم والأمر إضافي ونسبي وإلا

(فالجواب) : إنما حجب الثقلان دون غيرهما لأنهما من عالم التعبير بخلاف غيرهما فإن الناس لو أبصروا شيئا من أحوال الموتى لأخبروا بعضهم بعضا كما أشار إليه خبر : لولا تمزع في قلوبكم وتزيدكم في الحديث لدعوت الله تعالى أن يسمعكم عذاب القبر . وفي رواية أخرى : لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر . فعلم كما قال الشيخ في الباب الثامن والسبعين وثلاثمائة أن كل من رزقه الله تعالى الأمانة من الأولياء سمع عذاب القبر وسمع كلام الشياطين حين يوحون إلى أوليائهم ليجادلون وأن الله تعالى ما أخذ بأسماع الجن والإنس وأبصارهم إلا طلبا للستر فإن المكاشف لو أفشى ذلك لأبطل حكمة وضع الإلهي من وجوب الإيمان بالغيب فإنه كان يصير شهادة .

(فإن قلت) : كيف استعاذ الأنبياء من فتنة الممات مع عصمتهم ؟

(فالجواب) : إنما استعاذوا من ذلك لعلمهم بسعة الإطلاق وأن الله تعالى يفعل ما يريد فقاموا بواجب عبوديتهم وإظهار عجزهم وفاقتهم وسألوه من باب الافتقار أن لا يفتنهم إذا سألهم الملكان عمن أرسل إليهم وهو جبريل عليه السلام فإنهم يسألون عنه تكريما كما نسأل نحن عمن أرسل إلينا امتحانا وإلا فالأنبياء معصومون لا يحزنهم الفزع الأكبر فضلا عن الأصغر فحضرتهم الاعتراف بانكسار بين يدي ربهم على الدوام .

(فإن قلت) : فما حقيقة البرزخ الذي ينتقل إليه بعد الموت ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثالث والستين من “) الفتوحات “ أن حقيقة البرزخ هو صور إسرافيل الذي ينفخ فيه وهو يسمى بالناقور ويسمّى بالقرن فلا شيء أوسع من هذا القرن وجميع ما يقع للميت في قبره من العذاب والنعيم يدركه صاحبه إدراكا حقيقيا بالحس لا في الحس كما أن جميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من نعيم وعذاب إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن فإن الله تعالى إذا قبض الأرواح من الأجسام الطبيعية أودعها صورا جسدية في حضرة البرزخ الذي هو صور إسرافيل ، ثم إن من الصور ما يكون هناك مقيدا ومنها ما يكون مطلقا كأرواح الأنبياء كلهم وأرواح الشهداء وبعض الأولياء لأن كل من حبس نفسه أيام تكليفه في قمقم الشريعة وحجر عليها ما حجره الشرع جازاه الله تعالى

....

فأين حال قوله صلى الله عليه وسلم : “ نور أنّى أراه “ وقوله : “ إنكم سترون ربكم “ فأثبتها لنا ونفاها عنه لما علم منه .

(وقال) : ليس من شرط البيان حركة اللسان فإن لسان الأحوال أفصح وميزانها في الإبانة عن نفس صاحبها أرجح ومن سكت ربما رمى بالخرس وقام له مقام الجرس فظهر سره وإن جهل أمره وكثرت فيه المقالات ، وتطرقت إليه الاحتمالات ففتح بصممه أبواب الألسنة وعمر بملازمة بيته جميع الأمكنة ما شرف موسى عليه السلام إلا مما نسب إليه من الكلام وبالكلام

بالإطلاق في البرزخ وفي الجنة يتبوأ منها حيث يشاء قال : ومن الأرواح ما يكون له نظر إلى عالم الدنيا ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال قال وأما قوم فرعون فيعرضون على النار في تلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها لأنهم محبوسون في ذلك القرن وفي تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل كان لهم حال موتهم بالعرض عليه ومنهم من يحرق بالنار المحسوسة أيضا انتهى . وقال الشيخ محيي الدين في كتابه (“ لواقح الأنوار “ : إن من أهل البرزخ من يخلق لله تعالى من همته من يعمل في قبره بعلمه الذي كان يعمله في دار الدنيا كما صح ذلك عن ثابت البناني التابعي الجليل أنهم فتحوا قبره فوجدوه قائما يصلي وشهده خلائق قال ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل إلى أن يخرج من البرزخ ويؤيد ذلك رجحان ميزان أهل الأعراف بالسجدة التي يسجدونها يوم القيامة ويدخلون بها الجنة فلو لا أن البرزخ له وجه إلى أحكام الدنيا ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت بها ميزانهم فهي آخر ما يبقى من أعمال أهل التكليف . قال : وأما جميع من يرى في المنام واليقظة من الأموات فكله مثالات متخيلة وليس منه شيء متحقق إلا أرواح الأنبياء فقط فإنها مشرفة على جميع وجود الدنيا والآخرة والبرزخ بخلاف أرواح من سواهم إلا من شاء الله فإنه ليس لها خروج من البرزخ فإن رأى أحدهم فهو إما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي وإما مثال أقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما يشاء من حكمه وأطال في ذلك بنحو ورقة ثم قال : إن المكاشفين الكمل يرون حياة الجسم بعد مفارقة الروح وذلك أن للجسد عندهم حقائق وعوالم بها الإدراك من غير واسطة الروح إذا انتقلت الروح إلى محلها بعد المفارقة وبقي الجسم كان له الإدراك بتلك الحقائق التي تخصه ولولا ذلك ما كان مسبحا بحمد ربه إذ التسبيح فرع من المعرفة قال تعالى :وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ[الإسراء : 44] تقديره وإن من شيء يعرفه لأنه لا يمكن أن ينزه البارىء جل وعلا عما لا يجوز عليه إلا من عرفه قال وبتلك الحقائق نطقوا أو شهدوا قال تعالى :وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ[فصلت : 21] انتهى وتقدم في مبحث الإيمان ماله تعلق بحياة الجماد فراجعه ، وقد بان لك يا أخي مما قررناه أنه لا يقدح في صحة نعيم القبر وعذابه كون أبصار أهل الدنيا لا تدركه قال صلى الله عليه وسلم : القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . قال الشيخ في الباب السادس والعشرين ومائة من

....

وجد العالم وظهر على أتم نظام وكل قول برز فهو بحسب حقيقة القائل فمنه الدائم ومنه الزائل ومنه ما يكون إلا بحرف وهو لمعنى القول كظرف ومنه ما لا حرف فيه فيزول فقد أبنت لك عن الأصول . وقال : إن أردت أن تكون من الخدام فالتزم الأدب التزام الألف واللام .

(وقال) : صاحب علم سر القدر لا يقول قط : أنا الله حاشاه من هذا القول ، حاشاه بل يقول : أنا العبد الذليل في المسير والمقيل ، وقال : الإيمان برزخ بين الإسلام والإحسان ، فله من الإسلام ما يطلبه عالم الأجسام وله من الإحسان ما يشهد به المحسان فمن آمن فقد أسلم ،

("الفتوحات المكية " والمراد بهذه الجنة وهذه النار جنة البرزخ وناره لا الجنة والنار الكبيرتان اللتان يدخلهما الناس بعد الحساب والمرور على الصراط قال وهذا مما غلط فيه بعض أهل الله في كشفهم فإنهم إذا طولعوا بشيء من أحوال الآخرة يظنون أن ذلك صحيح وأنهم شاهدوا الآخرة على الحقيقة وليس كذلك وإنما هي الدنيا أظهرها الله تعالى لهم في عالم البرزخ بعين الكشف أو النوم في صورة ما جهلوه من أحكام الدنيا في اليقظة فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة وأين الدار من الدار وأين الإتساع من الإتساع ومعلوم أن القيامة ما هي الآن موجودة وإذا رؤيت في الحياة الدنيا فما هي إلا قيامة الدنيا ونار الدنيا وفي الحديث الصحيح : رأيت الجنة والنار في مقامي هذا ، وما قال رأيت جنة الآخرة ولا نار الآخرة بل قال في عرض هذا الحائط من الدار الدنيا وذكر أنه رأى في النار صاحبة الهرة التي حبستها وعمرو بن لحي الذي سيب السوائب وكان ذلك كله في صلاة الكسوف في اليقظة وفي حديث آخر مثلت لي الجنة في عرض هذا الحائط وتمثال الشيء ما هو عين الشيء بل هو شبهه فقط ولا معنى لقول من قال إن أهل النار اليوم في النار الكبرى فإذا كان يوم القيامة رجعوا إلى القبر ثم بعثوا أو حشروا أو حوسبوا ثم يدخلون النار ثانيا .

(قلت) : ويكفي أحدنا الإيمان بعذاب القبر ولا يحتاج إلى بيان كيفية الحقيقة فإن العقول تعجز عن مثل ذلك وسيأتي في مبحث خلق الجنة والنار مزيد كلام فراجعه والله تعالى أعلم .

المبحث الخامس والستون : في بيان أن جميع أشراط الساعة التي أخبرنا بها الشارع حق لا بد أن تقع كلها قبل قيام الساعة

وذلك كخروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن وفتح سد يأجوج ومأجوج حتى لو لم يبق في الدنيا إلا مقدار يوم واحد لوقع ذلك كله ، قال الشيخ تقي الدين بن أبي منصور في عقيدته :وكل هذه الآيات تقع في المائة الأخيرة من اليوم الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بقوله إن صلحت أمتي فلها يوم وإن

....

وأحسن ومن جمع الطرفين فقد فاز بالحسنيين الإسلام صراط قويم والإيمان خلق كريم والإحسان شهود القديم إذا صح الانقياد كان علامته خرق المعتاد المسلم لا يحتاج إلى تأويل فهو معرس في حسن مقيل .

(وقال) : من مال إلى الآمال اخترمته الآجال ليس بالمواتي من اشتغل بالماضي والآتي والحليم الأواه من كان مشتغلا بالله ومن كان عبدا لغير الله فما عبد إلا هواه لأن العدو أخذ به عن طريق هداه .

وقال : في قوله تعالى :حَتَّى نَعْلَمَ[محمد : 31] ما علم الشيء قبل كونه فما علمه من حيث كونه العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم إلا بالعلم فقولوا لنا : كيف

فسدت فلها نصف يوم يعني من أيام الرب المشار إليها بقوله تعالى :وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ[الحج : 47] قال بعض العارفين وأول الألف محسوب من وفاة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه آخر الخلفاء فإن تلك المدة كانت من جملة أيام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته ، فمهد الله تعالى بالخلفاء الأربعة البلاد مراده صلى الله عليه وسلم أن بالألف قوة سلطان شريعته إلى انتهاء الألف ثم تأخذ في ابتداه الاضمحلال إلى أن يصير الدين غريبا كما بدأ وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضي ثلاثين سنة في القرن الحادي عشر فهناك يترقب خروج المهدي عليه السلام وهو من أولاد الإمام حسن العسكري ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام فيكون عمره إلى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، سبعمائة سنة وست سنين هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل عل بركة الرطل بمصر المحروسة على الإمام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدي علي الخواص رحمهما الله تعالى .
وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلاثمائة من “ الفتوحات “ : واعلموا أنه لا بد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنها جده الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده حسن العسكري ابن الإمام علي النقي بالنون ابن محمد التقي بالتاء ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلق بفتح الخاء وينزل عنه في الخلق بضمها إذ لا يكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه والله تعالى يقول :وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(4) [القلم : 4] . هو أجسي الجبهة أقنى الأنف أسعد الناس به أهل الكوفة يقسم المال بالسوية ويعدل في الرعية يأتيه

....

الحكم هذه مسألة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول وقال : لا نقل نحن إياه لقوله :فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ[التوبة : 6] فأنت الترجمان ، والمتكلم الرحمن فقيده كلام الله بالأمكنة بكونه في المصاحف والألسنة يقول القارئ قال الله .
ثم إنه يتلو الحروف ظروف والصفة غير الموصوف عند أهل الكشف والشهود وهو عين المقصود فإذا نطقت فاشهد بمن تنطق التنزيه تحديد فلا تقل بالتجريد وقال في حديث : “ شتمني ابن آدم من اشتكى إلى غير مشتكي فقد حال عن الطريق وعرج عن مناهج التحقيق ولولا اقتدار العبد على دفع الأذى ما شكا الحق إليه ذا فالخلق مشتكي الحق والحق مشتكي الخلق ومن شكا إلى جنسه فما شكا إلا إلى نفسه . وقال من ذل لله فقد أشبه الفروع ومن تكبر فقد أشبه الأصول فالرجوع إلى الفروع

الرجل فيقول : يا مهدي أعطني وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن يمسي الرجل جاهلا وجبانا وبخيلا فيصبح عالما شجاعا كريما ، يمشي النضر بين يديه يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ ، له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على نوائب الحق يفعل ما يقول ويقول ما يفعل ويعلم ما يشهد يصلحه الله في ليلة يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألفا من المسلمين من ولد إسحاق يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا يبيد الظلم وأهله يقيم الدين وينفخ الروح في الإسلام ، يعز الله به الإسلام بعد ذله ويحييه بعد موته يضع الجزية ويدعو إلى الله بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو عليه الدين في نفسه حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا لحكم به فلا يبقى في زمانه إلا الدين الخالص عن الرأي يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنهم أن الله تعالى ما بقي يحدث بعد أئمتهم مجتهد . وأطال في ذكر وقائعه معهم ثم قال : واعلم أن المهدي إذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله تعالى له ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس في صلاة العصر فيتنحى له الإمام عن مكانه فيتقدم فيصلي بالناس يأمر الناس بسنة محمد صلى الله عليه وسلم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله المهدي إليه طاهرا مطهرا وفي زمانه يقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه في البيداء فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته وقد جاءكم زمانه وأظلكم أوانه وقد ظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرن الصحابة ثم الذي يليه ثم الذي يلي الثاني ثم جاء بينهما فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسفكت دماء فاختفى إلى أن يجيء الوقت الموعود فشهداؤه خير الشهداء وأمناؤه أفضل الأمناء قال الشيخ محيي الدين : وقد استوزر الله تعالى له طائفة خبأهم الله له في مكنون غيبه أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وما هو أمر الله عليه في عباده وهم على أقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم من الأعاجم ليس فيهم عربي لكن لا يتكلمون إلا بالعربية لهم

....

أولى من الوصول إلى الأصول . وقال : إذا أراد الحق تعالى بعبده أن يقطع أمله أشهده أجله وإذا بدل الله سيئات عبده حسنات يود أنه لو كان أتى بقراب الأرض خطايا أو حمل ذنوب جميع البرايا لما يعاينه من حسن التحويل وجميع صور التبديل ففاز هذا في الدنيا باتباع الهوى وفي الآخرة بجنة المأوى وعلى هذا جزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء بعض المحسنين فيبدو للمذنبين من الخير ما لم يكونوا يحتسبون وأكثر الناس في الدنيا بهذا لا يشعرون فحسنوا يا إخوتي ظنكم بربكم تفوزوا بقربكم .

أو قال : الأخذ بالعزائم نعت الرجل الجازم أولو العزم من الرسل هم الذين لقوا الشدائد في تمهيد السبل ما جمح إلى الرخص إلا من يقع في الغصص

حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء ، واعلم أن المهدي لا يفعل شيئا قط برأيه وإنما يشاور هؤلاء الوزراء فإنهم هم العارفون بما هناك وأما هو عليه السلام في نفسه فهو صاحب سيف حق وسياسة ومن شأن هؤلاء والوزراء أن أحدهم لا ينهزم قط من قتال إنما يثبت حتى ينصر أو ينصرف من غير هزيمة ألا تراهم يفتحون مدينة الروم بالتكبير فيكبرون التكبيرة الأولى فيسقط ثلثها ويكبرون الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور ويكبرون الثالثة فيسقط الثالث فيفتحونها من غير سيف وهذا هو عين الصدق الذي هو والنصر أخوان . قال الشيخ :وهؤلاء الوزراء دون العشرة وفوق الخمسة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم شك في مدة إقامته خليفة من خمس إلى تسع للشك الذي وقع في وزرائه فلكل وزير معه إقامة سنة فإن كانوا خمسة عاش خمسة وإن كانوا سبعة عاش سبعة وإن كانوا تسعة عاش تسعة أعوام ولكل عام منها أهوال مخصوصة وعلم يختص به ذلك الوزير فما هم أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة قال الشيخ : ويقتلون كلهم إلا واحدا منهم في مرج عكا في المأدبة الإلهية التي جعلها الله تعالى مائدة للسباع والطيور والهوام . قال الشيخ وذلك الواحد الذي يبقى لا أدري هل هو ممن استثنى الله في قوله :وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ[الزمر : 68] أو هو يموت في تلك النفخة . قال الشيخ محيي الدين : وإنما شككت في مدة إقامة المهدي إماما في الدنيا ولم أقطع في ذلك بشيء لأني ما طلبت من الله تحقيق ذلك أدبا معه تعالى أن أسأله في شيء من ذات نفسي قال ولما سلكت معه هذا الأدب قيض الله تعالى واحدا من أهل الله عز وجل فدخل علي وذكر لي عدد هؤلاء الوزراء ابتداء وقال لي صم تسعة فقلت له إن كانوا تسعة فإن بقاء المهدي لا بد يكون تسع سنين فإني عليم بما يحتاج إليه وزيره فإن كان واحدا اجتمع في ذلك الواحد جميع ما تحتاج إليه وزراؤهم وإن كانوا أكثر من واحد فما يكون أكثر من تسعة فإنه إليها انتهى الشك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله خمسا أو سبعا أو تسعا يعني في إقامة المهدي تشجيعا لخواص أصحابه ليطلبوا العلم ولا يقنعوا بالتقليد فإنه قال : ما يعلمهم إلا قليل فافهم . قال وجميع ما يحتاج إليه وزراء المهدي في قيامهم تسعة أمور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهي نفوذ البصر ومعرفة الخطاب الإلهي عند الإلقاء وعلم الترجمة عن الله وتعيين المراتب لولاة الأمر والرحمة في الغضب وما يحتاج إليه الملك من الأرزاق المحسوسة وغيرها

....

من سلك هنا ما توعر تيسر له في آخرته ما تعسر فما أثقل ظهرك سوى وزرك فهنا تحط الأثقال أثقال الأعمال والأقوال ، فاحذر من الابتداع في حال الاتباع وقال : التخلق بالأسماء الإلهية على الإطلاق من أصعب الأخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق ، فإياك أن يظهر مثل هذا عنك قبل أن تشهد مشهد من قال : أعوذ بك منك فمن استعاذ وإلى من لاذا نظر .

(وقال) : موافقة الأمثال من شأن الرجال ومن ألزم نفسه بحال فهو شديد المحال فإن الرباط ملازمة والملازمة في الإلهيات مقاومة . وقال : جنة النعيم لأصحاب العلوم وجنة

وعلم تداخل الأمور وبعضها على بعض والمبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس والوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون في مدته خاصة . فهذه تسعة أمور لا بد أن تكون في وزراء المهدي من واحد فأكثر وأطال الشيخ في شرح هذه الأمور بنحو عشرة أوراق ثم قال : واعلم أن ظهور المهدي عليه السلام من أشراط قرب الساعة كذلك خروج الدجال فيخرج من خراسان من أرض الشرق موضع الفتن يتبعه الأتراك واليهود ويخرج إليه من أصبهان وحدها سبعون ألفا مطيلسين وهو رجل كهل أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كافر . قال الشيخ محيي الدين : فلا أدري هل المراد بهذا الهجاء كفر من الأفعال الماضية أو أراد به كفر من الأسماء إلا أن الألف حذفت كما حذفها العرب في خط المصحف في مواضع مثل ألف الرحمن بين الميم والنون .

(فإن قلت) : فما صورة ما يحكم به المهدي إذا خرج هل يحكم بالنصوص أو بالاجتهاد أو بهما ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين : أنه يحكم بما ألقى إليه ملك الإلهام من الشريعة وذلك أنه يلهمه الشرع المحمدي فيحكم به كما أشار إليه حديث المهدي : أنه يقفو أثري لا يخطئ فعرفنا صلى الله عليه وسلم أنه متبع لا مبتدع وأنه معصوم في حكمه إذ لا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه لا يخطئ وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ فإنه لايَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى(4) [النجم : 3 - 4] وقد أخبر عن المهدي أنه لا يخطئ وجعله ملحقا بالأنبياء في ذلك الحكم . قال الشيخ : فعلم أنه يحرم على المهدي القياس مع وجود النصوص التي منحه الله إياها على لسان ملك الإلهام بل حرم بعض المحققين على جميع أهل الله القياس لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهودا لهم فإذا شكوا في صحة حديث أو حكم رجعوا إليه في ذلك فأخبرهم بالأمر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج إلى تقليد أحد من الأئمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالىقُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي[يوسف :
[108وأطال في ذلك ثم قال فللإمام المهدي أيضا الاطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق تعالى أن يحدثه من الشؤون قبل وقوعها في الوجود ليستعد لذلك قبل وقوعها فإن كان ذلك

....

الفردوس لأصحاب الفهوم وجنة المأوى لأهل التقوى وجنة عدن للقائمين بالوزن وجنة الخلد للمقيمين على الود وجنة المقامة لأهل الكرامة . وقال : الاعتدال وبال لا يكون مع الاعتدال إلا دوام الحال انظر في وجود الخلق تجده عن إرادة الحق والإرادة انحراف بلا خلاف فأين الاعتدال والأصل ميال فما ثم إلا ميل عن ميل لطلب النيل لو كان ثم اعتدال ما هوى إنسان ولا مال التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وهذا لا يصح في العين لو كان ثم اعتدال لكان في الوقفة ولم يكن يميل من الميزان كفة من قال بالاستواء أو الزوال . قال :
بالانحراف والاعتدالوَلَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ[الأنعام : 13] وما ثم ساكن في الأغيار لا في

مما فيه منفعة لرعية شكر الله عز وجل وسكت عنه وإن كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله تعالى فيهم وشفع وتضرع إليه فصرف عنهم الله ذلك البلاء بفضله ورحمته وأجاب دعاءه وسؤاله .
(فإن قلت) : فإذا عمى الله تعالى عليه حكما في نازلة ماذا يفعل ؟
(فالجواب) : إذا عمى الله تعالى عليه حكما في نازلة ولم يقع بها تعريف ولا كشف ألحقها في الحكم بالمباحات فيعلم بعد التعريف أن ذلك حكم الشرع فيها فإنه معصوم من الرأي والقياس في الدين ممن ليس بنبي حكم على الله في دينه بما لم يعلم فإنه طرد علة وما يدري العبد لعل الله لا يريد طرد ذلك العلة ولو أنه كان أرادها لأبانها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأبان بطردها وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أنه لم يبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على أحد من الأئمة بعده أن يقفو أثره لا يخطئ إلا المهدي خاصة فقد شهد له بعصمته في خلافته وأحكامه كما شهد الدليل العقلي بعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له في عباده .
(فإن قلت) : فإذا نزل عيسى عليه السلام فمتى يموت ؟ وكيف يموت ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب التاسع الستين وثلاثمائة أنه يموت إذا قتل الدجال وذلك أنه يموت هو وأصحابه في نفس واحد فيأتيهم ريح طيبة تأخذهم من تحت آباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذي قد جهده السهر وأتاه في السحر العسيلة سميت بذلك لحلاوتها فيجدون للموت لذة لا يقدر قدرها ثم يبقى بعدهم رعاع كغثاء السبل أشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة انتهى . وأما طلوع الشمس من مغربها فقد ورد في “ الصحيح “ مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون حينلا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ[الأنعام [158 : وطلوع الشمس من مغربها جائز في العقل لا استحالة فيه فإن الله قادر على ذلك والجهات بالنسبة إلى قدرته متساوية وفي ذلك رد على نمرود لما قال له إبراهيم عليه السلام :فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ[البقرة : 258] الآية . قال الشيخ أبو طاهر القزويني : وأصحاب الهيئة والمنجمون يحيلون

....

البصائر ولا في الأبصار لا تراه جعله عبرة لأولي الأبصار فانظر واعتبر . وقال الحق في الاعتدال : فمن جار أو عدل فقد مال ، لكن إن مال لك فقد أفضل وإن مال عليك فقد أبخس 7 .
وقال : إنما اشترك الزوجان في الالتحام لأنه نظام التوالد فإن لم وإلا فالأولى التباعد إذ التباعد فيه التنزيه ، والانتظام فيه التشبيه ، وإنما حمدناه فيمن تولد عنه به وقربناه من قال إنه وحد فقد ألحد إذ الأحدية لله لا تكون بتوحيد أحدوَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ(4) [الإخلاص : 4] عجبا في تنزيهه عن الصاحبة والولد حتى لا يكون معه أحد وعنه وجد ما وجد من العالم من ذي روح ، وجسم وجسد ، ثم إن ولادة البراهين الصحاح عن نكاح عقول ،

طلوعها من المغرب فيقال لهم أليس الله تعالى قد أجرى العادة بأن كل دوارة ودورها من رحى ودولاب إذا انتهى ردوها ترجع منعكسة ثم تقف فبم تنكرون أن الله تعالى يعكس دوران الشمس عند انتهاء أدوارها قال تعالى :وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها[يس : 38] والمستقر مصدر بمعنى الاستقرار واللام بمعنى إلى كما قال الله تعالى :بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها] (5)الزلزلة : 5] أي إليها قال : وعند وقوف الشمس في وسط السماء تشقق السماء وتنكدر النجوم ويقولون في المثل السائر الدولاب إذا تعطل تكسر وهنا تظهر الشمس والقمر في وسط السماء كالفرارتين وفي رواية أخرى كالثورين الأسودين فإذا طلعا إلى وسط السماء رجعا نازلين إلى المغرب لا أنهما يغربان في المشرق كما توهمه بعضهم وفي الحديث أنهما يطلعان من المغرب مكورتين كالفرارتين فلا ضوء للشمس ولا نور للقمر وما بين طلوع الشمس من مغربها إلى نفخ الصور أقل من أن يركب الرجل المهر بعد النتاج .

(فإن قيل) : قد ورد في الحديث أنهما يطلعان ذلك اليوم من المشرق إلى نفخ الصور ؟

(فالجواب) : لا اعتبار بذلك الطلوع إذ هو طلوع اضطراب للوقوف والانتهاء لا طلوع دؤب لهما بحساب وكذلك يكون حال كل دوارة إذا انتهى دورها تنعكس مرة وترجع أخرى ثم تقف هكذا سنة الله في الخلقوَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا[فاطر : 43] وتقدم في مبحث الإيمان أن الشمس إذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة فمن كان مؤمنا لا يدخل قلبه بعد ذلك كفر ومن كان كافرا لا يدخل قلبه بعد ذلك إيمان فراجعه .

(فإن قيل) : فما الدليل على نزول عيسى عليه السلام من القرآن ؟

(فالجواب) : الدليل على نزوله قوله تعالى :وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ[النساء : 159] أي حين ينزل ويجتمعون عليه وأنكرت المعتزلة والفلاسفة واليهود والنصارى عروجه بجسده إلى السماء وقال تعالى في عيسى عليه السلاموَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ[الزخرف : 61] قرىء لعلم بفتح اللام والعين والضمير في أنه راجع إلى عيسى عليه السلام لقوله تعالى : به قبل موتهمَرْيَمَ مَثَلًا]الزخرف : 57] ومعناه أن نزوله علامة القيامة وفي الحديث في صفة الدجال فبينما هم في الصلاة إذ بعث الله المسيح ابن مريم فنزل عند المنارة البيضاء

....

وشرائع ما فيه جناح ، وأما ما تولد عن نكاح الشبه في العقول والأشباح فهو سفاح وهذا الباب مقفل وقد رميت إليك بالمفتاح . وقال : لما دعا الله تعالى الأرواح من هياكلها بمشاكلها حنت إلى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوعاء فكان لها الانفساخ بالسراح من هذه الأشباح ثم إذا وقعت الإعادة عادت إلى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع . وقال اسوداد الوجوه من الحق المكروه وكالغيبة والنميمة وإفشاء السر فهو مذموم وإن كان صدقا فلذلك قال الله تعالى :لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ[الأحزاب : 8] أي هل أذن لهم في إفشائه أم لا فما كل صدق حق واعلم أنه لو كان نسبتنا إليه حقا ما ذم أحد خلقا ولو ذمه لكفر ولو كان ما استتر

شرقي دمشق بين يديه مهرذدبتان واضعا كفه على أجنحة ملكين والمهرذدبتان بالذال المعجمة والمهملة معا حلتان مصبوغتان بالورس فقد ثبت نزوله عليه السلام بالكتاب والسنة وزعمت النصارى أن ناسوته صلب ولا هوته رفع والحق أنه رفع بجسده إلى السماء والإيمان بذلك واجب قال تعالى :بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ[النساء : 158] قال أبو طاهر القزويني : واعلم أن كيفية رفعه ونزوله وكيفية مكثه في السماء إلى أن ينزل من غير طعام ولا شراب مما يتقاصر عن دركه العقل ولا سبيل لنا إلا أن نؤمن بذلك تسليما لسعة قدرة الله تعالى وأطال في ذكر شبه الفلاسفة وغيرهم في إنكار الرفع .

(فإن قيل) : فما الجواب عن استغنائه عن الطعام والشراب مدة رفعه ؟ فإن الله تعالى قال :وَما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ[الأنبياء : 8] .

(فالجواب) : أن الطعام إنما جعل قوتا لمن يعيش في الأرض لأنه مسلط عليه الهواء الحار والبارد فينحل بدنه فإذا انحل عوضه الله تعالى بالغذاء إجراء لعادته في هذه الخطة الغبراء وأما من رفعه الله إلى السماء فإنه يلطفه بقدرته ويغنيه عن الطعام والشراب كما أغنى الملائكة عنهما فيكون حينئذ طعامه التسبيح وشرابه التهليل كما قاله صلى الله عليه وسلم “ إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني “ وفي الحديث مرفوعا أن بين يدي الدجال ثلاث سنين ، سنة تمسك السماء قطرها والأرض ثلث نباتها وفي السنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها وفي السنة الثالثة تمسك السماء قطرها كله فقالت له أسماء بنت زيد : يا رسول الله إنا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ فقال يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس . قال الشيخ أبو طاهر : وقد شاهدنا رجلا اسمه خليفة الخراط كان مقيما بأبهر من بلاد المشرق مكث لا يطعم طعاما منذ ثلاث وعشرين سنة وكان يعبد الله ليلا ونهارا من غير ضعف فإذا علمت ذلك فلا يبعد أن يكون قوت عيسى عليه السلام التسبيح والتهليل والله أعلم

....

فهو تعالى المعروف بأنه غير معروف والحق الذي يقال : ما قبح وذم فمنا ، وما حسن وحمد فمما خرج عنا . وقال العارف مسود الوجه في الدنيا والآخرة ، لكن اسوداد السيادة لما كان عليه من العبادة فإن وجه الشيء كونه وذاته وعينه وقال في قوله :وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً[طه:114] الإنسان مجبول على الطمع فلا يقال فيه يوما إنه قنع فإن قنع فقد جهل وأساء الأدب ومن هنا كان العارف لا يزهد قط في الطلب وما أراد منك بذلك إلا دوام الافتقار في الليل والنهارفَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8) [الشرح : 7 - 8] .

ولا يتقبل الحق من العباد إلا بما به عليهم جاد فمنه بدأ الجود وإليه يعود فيا من يطلب القديم أنت عديم فقل لربك إنما نحن بك ولك خلقتنا لنعبدك وفي عبادتنا نشهدك ثم على قدر ما سألناك من الشهادة تنقصنا من العبادة .

(وقال) : لا يؤثر الحرص في القدر إلا إذا كان من القدر وكم من حريص لم يحصل على طائل لعدم الأمر من القائل من قصرت همته في طلب المزيد فليس من كمل العبيد لا تستكثر

بجميع ذلك . وأما خروج الدابة التي يقال لها الجساسة فقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والخمسين وثلاثمائة في قوله تعالى :أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ[النمل : 82] ما نصه : اعلم أن هذه الدابة تخرج من أجناد وهي دابة كثيرة الشعر لا يعرف قبلها من دبرها فتنفخ في وجوه الناس شرقا وغربا برا وبحرا جنوبا وشمالا فيرتقم بنفخها في جبين كل شخص ما هو عليه في علم الله تعالى من إيمان وكفر فيقول من سمته مؤمنا لمن سمته كافرا يا كافر أعطني كذا وكذا يغضب من ذلك الاسم لعلمه بأنه مكتوب في جبينه كتابة لا يمكنه إزالتها فيقول الكافر للمؤمن نعم أو لا في قضاء ما طلب منه فليس كلامها المنسوب إليها في العموم سوى ما وسمت به الوجوه بنفخها وإن كان لها كلام مع أنه يجالسها في سائر أصحاب اللسان فهي تكلمه بلسانه عربيا كان أو عجميا على اختلاف اللغات . وقد ورد حديثها في “ صحيح مسلم “ في حديث الدجال حيث دلت تميما الداري عليه وقالت له إنه إلى حديثك بالأشواق .وقال الشيخ : وهي الآن في جزيرة من البحر الذي يلي جهة الشمال وهي الجزيرة التي فيها الدجال قال وإنما سمى الله تعالى رقمها في وجوه الناس كلاما لأنه أفاد ما أفاده الكلام ألا ترى العاقل من أهل النظر إذا أراد أن يوصل إليك ما في نفسه لم يقتصر في ذلك التوصيل على العبارة بنظم حروف ولا بد فإن غرضه منك إنما هو إعلامك بالأمر الذي في نفسه فوقتا بالعبارة اللفظية المسماة في العرف قولا وكلاما ووقتا بالإشارة بيد أو رأس أو بما كان ووقتا بكتابة ورقوم ووقتا بما يريد الحق إفهامك به فيوجد فيك أثرا تعرف منه ما في نفسه ويسمى هذا كلاما فصح أنّ رقم الدابة يطلق عليه كلام والله أعلم . وأطال في ذلك في الباب السابع والخمسين وثلاثمائة بذكر فوائد عظيمة فراجعها .
وأما رفع القرآن فروى البيهقي في “ الشعب “ عن ابن مسعود قال :
اقرءوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع ، قالوا هذه المصاحف ترفع ، فكيف بما في صدور الناس ؟ قال يغزى عليهم ليلا فيرفع في صدورهم فيصبحون فيقولون لكنا كنا نعلم شيئا ثم يعقون في الشعر . قال القرطبي : وهذا إنما يكون بعد موت عيسى عليه السلام

....

ما وهبك فإنه لو وهبك كل ما دخل في الوجود لكان قليلا بالنظر إلى ما دخل في خزائن الجود فإياك والزهد في المواهب فإنه سوء أدب مع الواهب فإنه ما وهبك إلا ما خلق لك . وقال : لما علم الأكابر أن الأمور كلها في يديه اعتمدوا منه عليه فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ولو ارتفعت الحاجات ، وزالت الفاقات لبطلت الحكمة ، وتراكمت الظلمة ولاحت الأسرار وزال كل شيء عنده بمقدار فذهب الاعتبار وهذا لا يرتفع فلا بد من الاعتماد في العباد لأن العبودية تطلب بذاتها الربوبية حقيقة وخليقة .
وقال : ما حجب الرجال إلا وجود الأمثال ولهذا نفى الحق المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو خيلته فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة إلى قيام الساعة .
وقال : كيف يصح المزيد بالتحميد والتمجيد والله تعالى قد أعطى كل شيء خلقه ووفاه حقه فعين الشكر هو عين النعم والناس في غفلة معرضون وأكثرهم لا يشكرون.

وبعد هدم الحبشة الكعبة . وأما خروج يأجوج ومأجوج فهو ثابت بالنصوص القطعية وهو سد عظيم يصل إليه السواح وأخبرني الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله أن لسيدي إبراهيم المتبولي كل سنة سماطا يمده فوق هذا السد فيحضره جميع الأولياء والصحابة الأحياء والأموات . قال قد حضرت معهم مرات فقلت له وهل يسع السد هؤلاء الناس كلهم فقال نعم طوله سبعون ميلا وعرضه خمسون ميلا انتهى ، وأحوال مقدمات الساعة صنف الناس فيها كتبا كثيرة وإنما يخصنا في العقائد الإشارة بذكر طرف منها لأجل الإيمان بها لا غير والله أعلم .
(خاتمة) : ذكر الشيخ في الباب التاسع والخمسين من " الفتوحات " في معنى حديث الدجال يوم كجمعة ويوم كشهر ويوم كسنة وسائر أيامه كأيامكم . معنى يوم كجمعة أن الغيوم تكثر في ذلك الزمان فلا ترى الشمس إلا بعد سبعة أيام فتطلع الشمس وتغرب ولا يعلم ذلك إلا أرباب الكشف وكذلك القول في الشهر والسنة وليس المراد أن اليوم الواحد مقدار سنة مثلا لأنه لو امتد لم يكن يلزمنا فيه إلا خمس صلوات فقط في كل يوم وليلة فلما تواترت الغيوم وتوالت تساوي في رأي العين وجود الليل والنهار فظن الناس أن الشمس لم تغرب في نفس الأمر وهو من الأشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فإذا حال الغيم المتراكم بيننا وبين السماء كانت الحركات التي عملها أهل الهيئة باقية كما هي لم تختل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقدروا لها : أي الصلوات فلما قرر الشارع أوقات الصلاة بالتقدير عرفنا أن حركات الأفلاك على حالها لم يختل نظامها .
قال ولو أن ذلك اليوم الذي كسنة يوم واحد ممتد لوجب علينا أن لا نصل الظهر حتى تزول الشمس وما لم تزل الشمس لا نصلي الظهر ولو مكثنا أكثر من سنة فتحصل من هذا أن المعنى اقدروا لها من يوم واحد مثلا أي في رأي العين لا في نفس الأمر فإنه في نفس الأمر مضى اليوم ولم يشهد به أحد وإن اليوم الذي كسنة تطلع فيه الشمس وتغرب ثلاثمائة وستين يوما وكذلك القول في الشعر والجمعة تمكث الشمس فيه لا ترى شهرا أو سبعة أيام.

....

)وقال) : الدنيا متاع قليل وكل من فيها أبناء سبيل فما من جيل ولا قبيل إلا وهو مملوك للقطمير ، والنقير ، والفتيل . فأكثر الناس تائه ، ولهذا قنعوا بالتافه ليس في الكثرة زيادة إلا في عالم الشهادة وأما في عالم الغيب فما في التساوي ريب من رضي بالقليل عاش في ظل ظليل وكل ما في الوجود قليل ومن لم يأته غرضه طال في الدنيا مرضه قال تعالى :رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ[البينة : 8] فالرضا منا ومنه
وقال : لا يرضى بالقليل إلا من لا يعرف دبيرا من قبيل اعتناء الحق بالنقير يدل على أنه كبير لا يخفى على ذوي عينين أن لله عناية بكل ما في الكونين وإخراج الشيء من العدم إلى الوجود برهان على أنه في منازل السعود من طلب من الحق الوفاء فقد ناط به تعالى الجفاء وليس برب جاف بلا خلاف وإذا كان الكل منه فما معنىرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ [البينة : 8] كل ما في العالم لديه وحاضر بين يديه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول وما كل فريضة تقتضي العول كما لا ينكح الأمة إلا من لم يجد الطول.

(قلت) : وهذا الذي ذكره الشيخ محيي الدين خلاف ما يدل عليه ظاهر قوله في الحديث : فاقدروا له ، فليتأمل فإن غالب الأفهام على أن اليوم الواحد يطول المدة التي ذكرها في الحديث من جمعة أو شهر أو سنة والله أعلم بحقيقة الحال .

المبحث السادس والستون : في وجوب اعتقاد أن الله تعالى يعيدنا كما بدأنا أول مرة وبيان كيفية تهيئة الأجساد لقبول الأرواح وبيان صورة الصور وإحياء من في القبور وبيان شبه المنكرين للبعث

ولنبدأ بعبارة “ شرح جمع الجوامع “ و “ حاشيته “ ثم نذكر نقول المحققين من الصوفية فنقول وبالله التوفيق : اعلم أن عود الجسم بعد الإعدام بجميع أجزائه الأصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت قال تعالى :وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ[الروم : 27] وقال تعالى :كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ[الأعراف : 29] وقال تعالى :بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ[العاديات : 9] مع ما قد ورد في الكتاب والسنة من العبارات التي لا تقبل التأويل حتى إن ذلك صار معلوما من الدين بالضرورة وانعقد الإجماع على كفر من أنكر البعث جوازا أو وقوعا ، وقد أنكرت الفلاسفة إعادة الأجسام وقالوا : إنما تعاد الأرواح بمعنى أنها بعد موت البدن تعاد إلى ما كانت عليه ملذذة بالكمال أو متألمة بالنقصان قال الكمال في “ حاشيته “ ومرادهم بقولهم أن الجسم يعاد بجميع أجزائه الأصلية أي الباقية من أول العمر إلى آخره لا أن الأجزاء مطلقا تعاد وذلك ليندفع بذلك الشبهة المشهورة هي ما إذا أكل إنسان إنسانا بحيث صار المأكول جزءا من الآكل فإذا أعاد الله تعالى ذينك الإنسانين بعينهما فتلك الأجزاء التي كانت للمأكول ثم صارت للآكل إما أن تعاد في كل واحد منهما وهو محال لاستحالة أن يكون جزء واحد بعينه في آن واحد في شخصين متباينين أو يعاد أحدهما وحده فلا يكون الآخر معادا بعينه والمقرر خلافه ووجه الاندفاع أن المعاد هو الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره دون الأجزاء الفضلية الأصلية التي كانت للمأكول هي فضلة في الأكل فإنا نعلم أن الإنسان باق مدة عمره وأجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه وإذا كانت فضلة لم يجب إعادتها في الأكل بل في المأكول انتهى

....

(وقال) : ما حال بينك وبين حقك إلا عجلتك بنطقك ، فإن الرزق مقسوم ، ولا ينقص ، ولا يزيد بسؤال أحد من العبيد مع أن طلب المزيد مركوز في الجبلة في كل نحلة وملة ، وما جعل القضاء يتأخر إلا القضاء المقدر لو كانت العلة في الأزل لكان المعلول لم يزل فلا معلول ولا علة وقد تظهر الشبه في صورة الأدلة البراهين لا تحظى فإنها قوية السلطان وإنما الخطأ راجع إلى المبرهن وإذا كان الدليل لا يعرف إلا بالدليل فما إلى علمه من سبيل من علمت به معلوما وما جهلته فما علمته لأنك أعلمته به فانتبه.

والله أعلم ، وعبارة الشيخ محيي الدين : اعلم أن من أنكر البعث والإعادة في الأجسام كفر وصورة الإعادة أن الله تعالى ينزل من السماء مطرا يشبه مني الرجال تمخض منه الأرض فينشيء الله تعالى منه الخلق النشأة الآخرة قائمة على عجب الذنب الذي بقي من نشأة الدنيا وهو أصلها الذي لا يقبل البلاء كما مر في مبحث الأرواح ثم إذا أنشأها الله تعالى النشأة الآخرة وسواها وعدلها استعدت لقبول الأرواح كاستعداد شجر بالنارية التي فيها لقبول الاشتعال وكانت الصور البرزخية كالسرج المشتعلة بالأرواح التي فيها فإذا نفخ إسرافيل في الصور الذي هو الحضرة البرزخية التي ينتقل إليها بعد الموت مرت تلك النفخة على جميع تلك الصور البرزخية التي احتوى عليها الصور فأطفأتها كلها فيقول الله عز وجللِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ[غافر : 16] فلا يجيبه أحد فإذا نفخ الثانية اشتعلت تلك الصور المستعدة للاشتغال بأرواحها فإذا هم قيام ينظرون فكل صورة تقوم حية ناطقة بما ينطقها الله عز وجل به فمنهم من ينطق بالحمد لله ومنهم من ينطق بقوله سبحان من أحيانا بعد ما أماتنا إليه النشور ومنهم من ينطق بقولهمَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا[يس : 52] وهكذا ينطق كل إنسان بما كان عليه عند موته ، واعلم أن كل واحد ينسى حاله الذي كان عليه في البرزخ ويتخيل أن كل ما كان فيه منام كما يتخيله المستيقظ من منامه وقال في باب الأسرار في قوله تعالىوَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ[الروم : 27] المراد بالخلق هو الفعل الصادر منه تعالى لا المخلوق فإن عين المخلوق ما زالت من الوجود .
وإن اختلفت عليها الأطوار في الدنيا والبرزخ والجنة والنار فإن عين المخلوق واحدة من حيث جوهرها فلم تنعدم حتى يقال إنها توجد وإنما هو انتقال في علم الله تعالى من وجود إلى وجود ، ولذلك كان نعيم القبر وعذابه حقا وإيضاح ذلك أن نشأة الآخرة ابتداء لا إعادة حقيقة ، إذ لو كانت إعادة حقيقة لعاد حكمها معها من التكليف فكل جوهر لا ينعدم من حين خلقه الله تعالى وإنما هي أطوار تتوارد عليه وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن الحق تعالى لما دعا الأرواح من هياكلها حنت إلى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوعاء فكان لها الانفساخ بالسراح من هذه الأشباح ثم إنه إذا وقعت الإعادة عادت إلى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع ، انتهى فليتأمل ، وقال في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة : إن لم تكن الإعادة على صورة الابتداء فما هي إعادة انتهى . وقال في الباب السبعين من الفتوحات في قوله تعالى كَما

....

(وقال) : الموت للمؤمن تحفة ، والنعش له محفة لأنه ينقله من الدنيا إلى محل لا فتنة فيه ولا بلوى فليس بخاسر ، ولا مغبون من كان أمله المنون فاز فيه اللقاء الإلهي ، والبقاء الكوني .
قال : الحصاد في القبر والبيدر في الحشر والاختزان في الدار الحيوان ذبح الموت ، وإن كان حسرة ففيه بشرى بانقطاع الكرة أين الرد في الحافرة من قوله : وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ [الواقعة : 61] ذبح الموت علامة للخلود في النحوس ، والسعود وفي ذبحه ثبوت عزله وانتقاض غزله .
وقال : إن لله تعالى رجالا يساقون إلى الجنة بالسلاسل لعناية سبقت وكلمة حقت وصدقت فدخلوا الجنة بلا تعب ولا نصب ولا جدال ولا شغب . وقال : من أعجب ما في

بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [الأعراف : 29] اعلم أن الحق تعالى قد بدأنا على غير مثال سبق وكذلك يكون إنشاؤه لنا في الآخرة على غير مثال سبق فمن علم ذلك لم يستبعد وقوع المحالات من حيث العقل وإلا فليس ذلك بمحال من حيث القدرة الإلهية . انتهى فليحرر وسيأتي أيضا عن الغزالي في جواب السؤال الثاني من شبه المنكرين للبعث فراجعه . وقال في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة قوله تعالىإِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ[العاديات : 9] .
اعلم أنه إذا بعثر ما في القبور وأخرجت الأرض أثقالها لم يبق في بطنها سوى عينها فأخرج ما كان فيها إخراجا لا نباتا وذلك ليفرق بين نشأة الدنيا الظاهرة وبين نشأة الآخرة فإن الدنيا أنبتنا فيها من الأرض نباتا كما ينبت النبات شيئا بعد شيء على التدريج وقبول الزيادة في الجرم طولا وعرضا وأما نشأة الآخرة فهي إخراج من الأرض على الصورة التي يشاء الحق تعالى أن يخرجنا عليها قال تعالى وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ [الواقعة : 61] فإذا أخرجت الأرض أثقالها وحدثت بأنه لم يبق فيها مما اختزنته شيء جيء بالعالم إلى الظلمة التي دون المحشر فألقي الخلائق فيها حتى لا ينظر بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل في السماء والأرض حين يقع فتمد الأرض أولا مد الأديم وتبسط فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وهي الساهرة إذ لا نوم فيها لكونها بعد الدنيا ولا نوم لأحد بعدها انتهى .
وقال في الباب الثالث وثلاثمائة : اعلم أن الناس قد اختلفوا في صفة الإعادة بناء على اختلافهم في الموت ، هل هو طلاق رجعي أو بائن وفرّعوا على ذلك ما إذا ماتت امرأة هل يغسلها زوجها ؟ فقال بعضهم : حكمها بعد موتها كالأجنبية قطعا فليس له أن يكشف عليها وقال قوم حرمة الزوجية باقية أن يغسلها أو حاله معها كحاله حال حياتها فإن كان رجعيا فإن الأرواح ترد إلى أعيان هذه الأجسام من حيث جواهرها في البعث وإن كان بائنا فقد ترد إليها ويختلف التأليف وقد ينشأ لها أجسام أخر لأهل النعيم أصفى وأحسن ولأهل العذاب بالعكس ،
قال : والحق أنها ترد إلى أعيان هذه الأجسام التي كانت مكلفة حتى تنعم أو تعذب وحتى تشهد على صاحبها حين تستشهد انتهى . وقال في الباب الستين ومائتين اعلم أن الجوارح إذا استشهدت يوم القيامة على النفس المدبرة هي والجلود لا تشهد بوقوع معصية ولا طاعة لأنه لا خبر لها بما تنويه النفس في الأعمال ولا تدري هل ذلك العمل مشروع أو غير مشروع وإنما تشهد بما عملته والله تعالى يعلم حكمه في ذلك العمل ولهذا قال تعالى

....

البلاء من الفتن قوله تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ [محمد : 31] وهو العالم بما يكون منهم فافهم . وإذا فهمت فاكتم وإن سئلت فقل : الله أعلم العالم في أوقات يتجاهل وعن الجاهل يتغافل والله ليس بغافل وهو معكم في جميع المحافل فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين .
(وقال) : إذا ربط تعالى مشيئته بلو فهو لو شاء الله كذا وما يشاء ولو نشاء لصح المشاء ولو حرف امتناع لامتناع فكيف يستطاع ما لا يستطاع إذا تنوع الواحد فليس بواحد ولا بد من أمر زائد وليس العجب عند العليم إلا تنوع إرادة القديم . وقال : دليل العقول قد يخالف ما

وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (24) [النور : 24] ولم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة أو معصية فإن مرتبة الجوارح لا تقتضي ذلك إنما تقتضي أن الفرج مثلا يقول أنا دخلت في فرج فلانة ويقول الفم أنا شربت خمرا ولا علم لها بكون ذلك حراما أم لا . وستأتي عبارة الشيخ أبي طاهر في بيان شبهة المنكرين للبعث إن شاء الله تعالى . وقال الشيخ محيي الدين في علوم الباب التاسع والستين وثلاثمائة : اعلم أن العمل حق للجارحة والنيّة حق للروح ولا خبر للجارحة بما نوته النفس من ذلك فإذا شهدت الجلود من هذه النشأة والأسماع والأبصار والأيدي والأرجل وجميع الجوارح لا تشهد إلا بما جرى منها لا علم لها بكون صاحبها تعدى حدود الله أم لا .

قال الشيخ : وليس في العلوم أصعب تصورا من هذه المسألة فإن الأرواح طاهرة بحكم الأصل والأجسام وقواها كذلك طاهرة بما فطرت عليه من تسبيح خالقها وتوحيده ثم باجتماع الجسم والروح حدث اسم الإنسان وتعلق به التكليف وظهرت منه الطاعات والمخالفات فالأرواح لاحظ لها في الشقاء لطهارتها والنفوس الحيوانية تجري بحكم طبعها في الأشياء ليس عليها بمجردها تكليف والجوارح كلها ناطقة مسبحة بحمده فمن المخالف والعاصي المتوجه عليه الذم والعقوبة فإن كان قد حدث بالمجموع للجمعية القائمة بالإنسان أمر آخر كما حدث له اسم الإنسان فما هو ذلك الحادث الذي حدث وما هو حقيقته انتهى . وقد أجاب بعضهم بأن الله تعالى ما كلف إلا البالغ العاقل ولا يكون مكلفا إلا من جمع بين الروح والجسم ومتى فارقت الروح الجسم أو عكسه انتفى التكليف فانتفى المدح والذم والعقوبة فليتأمل . وأما بيان تهيئة الأجساد لقبول الأرواح فقال الإمام أبو طاهر في كتابه “ سراج العقول “ : اعلم أن المنكرين للمعاد ورد الأرواح إلى الأجساد زعموا أن تعلق الأرواح اللطيفة بالتراب الجلسي الغليظ الجافي مستبعد مستحيل للتنافر بينهما طبعا وإن قدر ذلك فلا يتصور إلا بعد أن ينقلب التراب نطفه ثم علقة ثم مضغة ثم ينتهي إلى التسوية وهيهات وقالوا لنا : إنكم تدعون أن الرفات والتراب يحيا بالروح وذلك رجع بعيد فنقول لهم اعتبروا بالنشأة الأولى فإن القدرة الأزلية لم تقصر عما كانت عليه في الخلق الأول من التراب إذ قال له كن فكان ثم إن هؤلاء إنما يقيسون الأحياء في الآخرة على ما عهدوه في الدنيا من إجراء الله العادة في خلق الجنين ولو لم

....

صح عندها من المعقول إياك واتباع المتشابه أيها الواله فما يتبعه إلا الزائغ وما يترك تأويله إلا العاقل البالغ فإن جاءه من ربه في ذلك الشفا فهو المعبر عنه المصطفى . وقال : لو راقب الناس مولاهم في دنياهم لأمنوه في أخراهم ، ومن ارتفع في هذه الدار سقط وهنا وقع الغلط .

وقال : ذبح النفوس أعظم في الألم من الذبح المحسوس ، ومخالفة الآراء أعظم في الشدة من مقابلة الأعداء ومجانبة الأعراض غاية الأمراض ومن فاز بمخالفة نفسه سكن حضرة قدسه .

وقال : السيد خادم فهو في طاعة عبده قائم السيد أحق باسم الخادم من الغير لأن بيده جميع الخير يحكم في عبده لعبده فهو يحكم عبده لو حكم لنفسه لبقي في قدسه لا تكن من الملوك لأن الملك مملوك من صحت سيادته صح تعبه وكبر والله نصبه هم لازم وغم دائم فإنه لو ترك

يفعل به حتى تتساحق أجزاء الأرض والجبال فتصير كالرمال كما قال وَكانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا [المزمل : 14] ثم لا يزال ينسحق بعضها بالبعض من الجبال والأرض تحت هذه القوارع والوقائع حتى يصير جميع أجزائها هباء كما قال تعالى وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا (5) فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا (6) [الواقعة : 5 - 6] فلعله تعالى يصير ذرات الأرض في هذه الدكادك والأهوال صفوا من الكدورات ويزيل عنها جميع الشوائب والخبث حتى تبدي جواهرها التي هي متهيئة لقبول الأرواح هي معنى قوله إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ (10) [العاديات : 9 - 10] فتبقى بعد ذلك في غاية الصفاء والرقة والنعومة والدقة كالهواء وما سواها من أجزاء الأرض الغربية يتلاشى وينعدم ألا ترى إلى قوله تعالى وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً (20) [النبأ : 2] ولا شك أن جرم الجبال أشد من جرم الأرض فإذا صارت الجبال سرابا فما حال التراب والسراب هيئة كالخيال يتلاشى في الحال حتى إذا جاءه الشخص لم يجده شيئا للطافته وهذا إشارة إلى إعدام الله جميع أجزاء الأرض سوى ذرات بني آدم وإليه الإشارة بقوله تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ [إبراهيم : 48]

وما أشبه تلك الذرات بذرات الذهب في المعدن حين تمطر عليها الأمطار وتغسلها من تراب المعدن حتى تصير تبرق وفي الحديث « ينزل الله تعالى أمطارا متوالية كمني الرجال فينبتون من الأرض كما ينبت البقل وفي رواية كما تنبت الحبة في حميل السيل أما ترونها تخرج صفراء ملتوية » وقد شبه الله تعالى في القرآن إحياء الموتى بإحياء الأرض بعد موتها في مواضع كقوله تعالى وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى [فصلت : 39] وأطال الشيخ أبو طاهر في ذلك ثم قال : فهذه التغييرات والتبديلات لذرات الأموات بمنزلة تغاير التراب في أيام تخمير طينة آدم وتغاير النطف في تخليق الأجنة في الأرحام فإذا جرت على الأرض لا يبقى للتراب جساوة ولا قساوة تنافي الأرواح في لطافتها بل تصير من تقاربها منها في لطفها وصفائها حانة إلى أرواحها حنين الإبل إلى مراحها بل كحنين الإلف إذ فارقه إلفه دليل على أن الله تعالى إذا أراد أمرا لم يحتج إلى

....

خدمة عبده انعزل ، وكان ممن عصى المرتبة فزل كلكم راع ومسؤول عن رعيته . وقال : إذا مزجت فقلل ، ولا تعلل ، ومازح العجوز وذا النغير ولا تقل إلا الخير كما قال الشارع : “ يا أبا عمير ما فعل النغير “ وقال : “ العجوز لا تدخل الجنة “ لرده تعالى عليها شبابها وإن لم يكن المزح هكذا فهو أذى والإذاية من الكريم محال ، ولولا صلابة الدين ما كان من المازحين لأنه يذهب بالهيبة ، والوقار عند المطموسين الأبصار ألا تنظر إلى رب العباد في قصة هناد حين أخرجه واستدرجه إلى أن قال له : أتهزأ بي وأنت رب العالمين فاضحكه هذا القول كان المقصود من الله به ولهذا ما أهلكه بل أعطاه وخوله وملكه ، فسرت هذه الحقيقة في كل طريقة

يفعل به حتى تتساحق أجزاء الأرض والجبال فتصير كالرمال كما قال وَكانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا [المزمل : 14] ثم لا يزال ينسحق بعضها بالبعض من الجبال والأرض تحت هذه القوارع والوقائع حتى يصير جميع أجزائها هباء كما قال تعالى وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا (5) فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا (6) [الواقعة : 5 - 6] فلعله تعالى يصير ذرات الأرض في هذه الدكادك والأهوال صفوا من الكدورات ويزيل عنها جميع الشوائب والخبث حتى تبدي جواهرها التي هي متهيئة لقبول الأرواح هي معنى قوله إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ (10) [العاديات : 9 - 10] فتبقى بعد ذلك في غاية الصفاء والرقة والنعومة والدقة كالهواء وما سواها من أجزاء الأرض الغربية يتلاشى وينعدم ألا ترى إلى قوله تعالى وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً (20) [النبأ : 2] ولا شك أن جرم الجبال أشد من جرم الأرض فإذا صارت الجبال سرابا فما حال التراب والسراب هيئة كالخيال يتلاشى في الحال حتى إذا جاءه الشخص لم يجده شيئا للطافته وهذا إشارة إلى إعدام الله جميع أجزاء الأرض سوى ذرات بني آدم وإليه الإشارة بقوله تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ [إبراهيم : 48] وما أشبه تلك الذرات بذرات الذهب في المعدن حين تمطر عليها الأمطار وتغسلها من تراب المعدن حتى تصير تبرق وفي الحديث « ينزل الله تعالى أمطارا متوالية كمني الرجال فينبتون من الأرض كما ينبت البقل وفي رواية كما تنبت الحبة في حميل السيل أما ترونها تخرج صفراء ملتوية » وقد شبه الله تعالى في القرآن إحياء الموتى بإحياء الأرض بعد موتها في مواضع كقوله تعالى وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى [فصلت : 39] وأطال الشيخ أبو طاهر في ذلك ثم قال : فهذه التغييرات والتبديلات لذرات الأموات بمنزلة تغاير التراب في أيام تخمير طينة آدم وتغاير النطف في تخليق الأجنة في الأرحام فإذا جرت على الأرض لا يبقى للتراب جساوة ولا قساوة تنافي الأرواح في لطافتها بل تصير من تقاربها منها في لطفها وصفائها حانة إلى أرواحها حنين الإبل إلى مراحها بل كحنين الإلف إذ فارقه إلفه دليل على أن الله تعالى إذا أراد أمرا لم يحتج إلى

....

ولو لم يصح بها النعيم ما اتصف بها النبي الكريم .
(وقال) : لا تفرط في الرخاوة تكن غشاوة وهي مذمومة كالقساوة مع أن الرخاوة في الدين من الدين ولهذا امتن الله تعالى على نبيه بجعله من أهل اللين في قوله :فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ[آل عمران [159 : ولهذا فضلهم ولو كان فظا في فعله وقوله " لانفضوا من حوله " وإذا كانوا مع العفو واللين لا يقبلون ، فكيف مع الشدة والفظاظة لا ينفرون . الأفعى يتقى ضيرها مع أنه يرجى خيرها إذ هي من حملة عقاقير الترياق الذي يرد النفس إذا بلغت التراق ومع ذلك فما قام خيرها بشرها فاعتبروا يا أولي الأبصار وقال : ومن استحيا أمات ، وأحيا من لا يكون إلا ما يريد لا يستحي من العبيد وإن استحيا في حال ما فلطلب الاسم المسمى لولا التكليف ما ظهر فضل العفيف وإذا كانت القوة مخصوصة باللطيف فكيف يحجبه الكثيف.

آلات ووسائط وأصول وروابط وإنما يقول له كن فيكون وقد رأى الله تعالى موسى بن عمران في قصة البقرة وإحيائها مثل هذه الجملة حتى رآها عيانا قال تعالى فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى [البقرة : 73] فصار الحشر والنشر له معاينة بما اختص به من ذلك العلم عنده انتهى ، وأما بيان صورة الصور وإحياء من في القبور فاعلم رحمك الله أنه قد ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وأصغى سمعه وحنى جبهته وشخص ببصره إلى ذي العرش ينتظر متى يؤمر بنفخ فينفخ فيه ؟ قالوا يا رسول الله : وما تأمرنا ؟

قال قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . وفي الحديث مرفوعا أيضا : « الصور قرن ينفخ فيه » وفي حديث آخر « أنه ذو ثقب » بعدد كل إنسان ثقبة فيها روحه وينفخ إسرافيل في الصور مرتين الأولى نفخة الصعق والثانية نفخة الإحياء تسمى إحداهما الراجفة الأخرى الرادفة وبينهما أربعون عاما على الأصح وقيل أربعون يوما وقد يسمى الصور أيضا الناقور قال تعالى فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) [المدثر : 8] وفي الحديث أنه يقول فيها أيتها الأعضاء المتهشمة والعظام البالية والأجسام المتفرقة والجلود المتمزقة والأوصال المتقطعة والشعور المتطايرة قوموا إلى العرض على الله تعالى فتخرج حينئذ أرواحهم من ثقب الصور ولها دوي كدوي النحل ورب العزة يقول وعزتي جلال لأعيدنكم كما خلقتكم أول مرة قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فهذه الأحاديث وما شاكلها دلت بمجموعها على أن الصور شيء على هيئة القرن والتدوير إذ قد جاء في الخبر دائرة رأس الصور كعرض السماوات والأرض وإسرافيل تحت العرش والصور في فمه نافذ بجميع أطباق السماوات إلى تخوم الأرضين وفيه ثقوب بعدد أرواح الخلق في كل ثقب روح محتبسة فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعق كل من في السماوات ومن في الأرض من كل ذي روح لشدة الفزع إلا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وقيل الحور العين وقيل موسى عليه السلام لأنه صعق في الدنيا مرة فجوزي بها ثم من بين النفختين يأمر الله تعالى عزرائيل أن يقبض روح جبريل وميكائيل وإسرافيل ثم يقول الله له : مت فيموت فحينئذ يعم الهمود والخمود أربعين سنة فلا يبقى في الكون حي إلا الحي الذي لا يموت ثم يحيي الله تعالى إسرافيل فينفخ النفخة الثانية كما قال تعالى ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ [الزمر : 68] فأشعرت هذه الآية والأحاديث بأن الصور هيئة حبس الله تعالى فيها أرواح الموتى وهو

....

وقال :الرفيق رقيق ، وصحبة الرفيق الأعلى أولى ، وقد اختار هذا الرفيق من أبان الطريق فإنه خير فاختار ورحل عنا ومار وذلك ليلحق بالمتقدم السابق ، ويلتحق به المتأخر اللاحق ولعلمه أنه لا بد من الاجتماع اختيار الخروج من الضيق إلى الاتساع ألا ترى يونس لما نادى ربه نجّاه من الغم وكان في بطن الحوت فقذفه على ساحل اليم وأثبت عليه اليقطين لنعومته ، ونفرة الذباب عن حومته ، فهذا الغزل الدقيق من إشفاق الرقيق . وقال : الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث الذكر القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ذكر القرآن أمان وبه يجب الإيمان أنه كلام الرحمن مع تقطع حروفه في اللسان ونظمها فيما

البرزخ الأكبر رأسه إلى عليين وأسفله إلى سجين وما ورد في الأحاديث من مواضع الأرواح مثل قوله صلى الله عليه وسلم : إن أرواح الأنبياء في جنات عدن تصعد مرة وتنحدر أخرى وتكون في اللحد مؤنسة لأجسادهم ساجدة لله تعالى وأرواح السعداء في الفردوس وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر في قناديل معلقة تحت العرش وأرواح أطفال المسلمين في حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وأرواح ولدان المشركين في الجنات وليس لها مأوى يخدمون أهل الجنة وأرواح المسلمين الذين لهم تبعات معلقة في الهواء لا تصل إلى الجنة ولا إلى السماء حتى يرضى الخصماء وأرواح الفساق المصرين تعذب في القبر مع الجسد وأرواح المنافقين في بئر برهوت وأرواح الكفار في سجين تعرض على النار غدوا وعشيا قال العلماء وشعب الصور تلاقي هذه الأرواح كلها في أماكنها من العرش إلى السماوات إلى الأرض لعظمها فالأرواح في الصور في هذه المواضع التي ورد الحديث بها وهي في المعنى محبوسة في الصور فإنه يضبطها إلى يوم القيامة وهذا من علوم الأولياء وهم يشاهدون ذلك عيانا في عصرنا هذا ومثاله أن يقال فلان بالمشرق وفلان بالمغرب وفلان ببغداد وفلان بمكة وفلان بالمدينة وفلان بأصبهان وفلان بمصر إلى غير ذلك من البلدان ، وكلهم في ضوء النهار يضمهم شعاع الشمس فعلى هذا المعنى لا تناقض في الأحاديث فكل من تأمل ذلك علم أن للأموات برزخين برزخ في القبور إلى يوم يبعثون وبرزخ في الصور فبرزخ القبور محتبس أجسادهم وبرزخ الصور محتبس أرواحهم وهو قوله تعالى وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون : 100]
ولفظ البرزخ معرب لأن أصله برزه وهو المكان المرتفع وسمي به القبر لارتفاعه عن الأرض ولذلك سمي به الصور لارتفاعه إلى العرش قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله وإنما سمي الصور صورا لميله وانحنائه والصور في اللغة الميل وكذلك القرن يكون مميلا فكأن الصور بانحنائه تطوق بالعالم كله ، وقال أبو عبيدة : الصور جمع صورة كالكور جمع كورة وهو معنى لطيف وذلك أن إسرافيل لما كان موكلا بحفظ كل روح بصورتها فكان صورة مكمن الصور للأرواح على ما هي عليها في الدنيا كما ذكروا أن لها صورة الإنسان . قال الشيخ ومعنى النفخ هو أن الأرواح لطائف كالرياح وإنما تدخل في تجاويف الأجسام بالنفخ كما دخلتها أولا قال الله تعالى فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [الحجر : 29]
أي نفخ جبريل روحه فيه بأذني قالت الدهرية : النفخ شيء واحد فكيف

....

رقمه باليراع البيان فحدثت الألواح والأقلام ، وما حدث الكلام وحكمت على العقول الأوهام بما عجزت عن إدراكه الأحلام . وقال : الذكر القديم هو ذكر الحق وإن نطق به الخلق كما أن الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وإن كان هو كلام الخلق إذا كان الحق تعالى لسان العبد فالذكر قديم ومزاجه بالعبد من تسنيم إن الله تعالى قال على لسان عبده : سمع الله لمن حمده فافهم .
(وقال) : لولا الحواس ما ثبت القياس ولا شك أن الأمور كلها معلولة ، والكيفية من الله

يميت مرة ويحيي أخرى قلنا لهم أن النفخة الأولى نفخة قهر فهي تطم الأجساد وتصخ الآذان بقرعها وهي الطامة الكبرى والصاخة العظمى والقارعة لهذه الأجساد بهدتها وتفارقها الأرواح بشدتها ، وأما النفخة الثانية فنفخة رحمة وعطف وإصلاح فالأولى بها يميت الخلق وبالأخرى يحييهم مثاله النفخة القوية فإنها تطفئ النار العظيمة والنفخة اللطيفة تحييها قال الشاعر :
منك صلاحي وفسادي معا * كالنفخ مطفي النار والمذكى
فإذا عرفت يا أخي صفة الصور والأرواح المحتسبة فيه ، وعرفت أن ذرات الأجساد المصفاة من الأوساخ والكدروات الأرضية إنما كان تصفيتهم بما لطفها الله به من قوارع الأرض وحوادثها كما قيل : * إن الحوادث صقيل الأحرار * وأنها صارت إذ ذاك أرض فضة وحبرة لقيت متهيئة لقبول أرواحها كالأرض الطيبة المهيئة لقبول الزرع فيها وكانت كل ذرة منها ناظرة إلى روحها الخاصة بها وكذلك روحها ناظرة إليها سعيدة كانت أم شقية وعرفانها ذلك فطرة وإلهام من الله تبارك وتعالى كما قال في مثل ذلك قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ [البقرة : 60]
فإذا تمت الأربعون من النفخة الأولى ولم يبق في الدار ديار ألقى الله الروح إلى إسرافيل أولا فيحييه كما مر
وذلك قوله تعالى رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (15) يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ (16) [غافر : 15 - 16] ثم يأمره أن ينفخ ثانية
وذلك قوله تعالى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ (68) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَوُضِعَ الْكِتابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (69) [الزمر : 68 - 69]
وقوله تعالى يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً (18) [النبأ : 18] وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) [يس : 51] أي يخرجون من الأرض متخلصين عما ليس من ذراتهم من غرائب أجزاء الأرض قال أهل اللغة : والنسل العسل إذا ذاب وفارق الشمع ، قال الشيخ أبو طاهر فيحتمل أن يكون انجذاب كل ذرة إلى روحها وتمايزها من سائر أجزاء الأرض كانجذاب كل ذرة من برادة الحديد ممتازة من ذرات سائر الأجساد إلى حجر المغناطيس ألا تراها كيف تلتصق به خالصة من غيرها وكيف وهي في علم الله تعالى كل روح مع جسده حاضران مجتمعان وإن كانا في الصورة عندنا متفرقين قال الله تعالى قَدْ عَلِمْنا ما

....

مجهولة انفرد بعلم العلل فأصله الأبد من الأزل حلت المثلات بأهل التفكر في المحدثات لأنه لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول في قضايا العقول ، والحق لا يدرك بالدليل فليس إلى معرفته سبيل وقد دعانا إلى معرفته وما دعانا إلا لصفته فلا بد من صفة تتعلق بها المعرفة وما تم في العقل إلا صفة تنزيه والنقل ضم معها صفة التشبيه فعلى ما هو المعول الآخر أو الأول .
وقال الفتى : لا يقول قط متى بل يبادر الوقت خوف المقت لا فتى إلا عليّ لأنه الوصي ، والولي الفتى من كان على قدم حذيفة في علم السر . وقال ما فتى من زعم أنه فتى ، الفتى هو الكليم ، ولكن أين رتبة كلام الحق له من اتباعه الخضر طلبا للتعليم ؟ الفتى من لا يزال طالبا

تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنا كِتابٌ حَفِيظٌ (4) [ق : 4] وقال : بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ (4) [القيامة : 4] وقال قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ [يس : 79]
قال الشيخ أبو طاهر : وإنما بسطنا الكلام في هذه لكثرة ما يعتري النفوس التي غفلت عن ذكر ربها حتى طال عليها الأمد فقست قلوبها وجهلت أمور معادها حتى كأنها حوسبت وفرغت نسأل الله أن يحسن ظننا به عند الممات إنه كريم جواد آمين . انتهت عبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتابه « سراج العقول » .
وأما عبارة الشيخ محيي الدين في « الفتوحات » فهي قريبة من عبارة الشيخ أبي طاهر فإنه ذكر في الباب الثالث والستين ما نصه : اعلم أن الصور والناقور اللذين ذكرهما الله تعالى في القرآن هما واحد وهو الحضرة البرزخية التي تنتقل إليها بعد الموت وتشهد نفوسنا فيها قال : والصور جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور وينقر في الناقور وهو بعينه وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور ما هو قال : « قرن من نور ألقمه إسرافيل » فأخبره أن شكله شكل القرن فوصفه بالسعة والضيق فإن القرن واسع ضيق فهو في غاية الوسع لا شيء في الأكوان أوسع منه وذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شيء على ما ليس بشيء ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : اعبد الله كأنك تراه ، وقوله : إن الله في قبلة أحدكم فلا يبصق تجاه وجهه » فأمر العبد أن يتخيل ربه في قبلته مواجها له ليراقبه ويستحي منه ويلزم الأدب معه في صلاته مع أنه تعالى لا يقبل من حيث ذاته الجهة أبدا ومن لم يتخيل هذا التخيل في صلاته فقد أساء الأدب فلو لا علم الشارع صلى الله عليه وسلم أن عند العبد حقيقة الخيال لها لهذا الحكم ما قال له اعبد الله كأنك تراه أي تبصره قال الشيخ : ومعلوم أن الدليل العقلي يمنع من كأن فإنه خيل بدليلة التشبيه وأما البصر فما أدرك شيئا سوى الجدار فعلمنا أن الشارع ما أراد انحصار الحق تعالى في جهة القبلة إنما العبد هو الذي يحصره لكونه ذا جهة ومعلوم أن الحق تعالى لا يحويه الجهات فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصوير ولهذا كان الخيال أوسع الحضرات ، قال الشيخ : ولا يخفى أن سعة القرن إنما هي في الطرف الأعلى لا الأسفل خلاف ما يتخيله أهل النظر فإنهم جعلوا أضيق ما فيه المركز وأعلاه الفلك الأعلى الذي لا فلك فوقه وأن الصور يحوي صور العالم كلها فجعلوا الواسع هو

....

ومن الجهل هاربا . وقال : الغيور سريع النفور فيخطىء أكثر مما يصيب والحق أغير منه فكيف لا تأخذ عنه فرق تعالى بين النكاح والسفاح حتى تتميز الأرواح والزنا لا بد في الوجود منه وقد قال لصاحبه : استتر منه وصنه ، هذا مع أنه يعلم به ويراد وقدره وأمضاه ثم مع ذلك نهاه فهو وإن استتر عن أبناء جنسه فما تستر عمن هو أقرب إليه من نفسه .
وقال : الأمر بين قرنين و ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ [الأحزاب : 4]
لكن جعل لكل قلب وجهين لأنه تعالى خلق مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ [هود : 40] فبنى الجمع على الشفع وما ثم إلا وتر به الحق وهذه أسرار ما عليها غبار وإن عميت عنها الأبصار وإليها الإشارة بنعم عقبى الدار وأنت الدار وعليك

الأعلى كما هو في الحيوان وليس الأمر كما زعموا بل لما كان الخيال كما ذكرنا يصور الحق فما دونه من العالم حتى العدم كان أعلاه الضيق وأسفله الواسع هكذا خلقه الله وشهدناه من طريق كشفنا فأول ما خلق الله منه الضيق وآخر ما خلق الله منه ما اتسع وهو الذي يلي رأس الحيوان ، ولا شك أن حضرة التكوين والأفعال أوسع الحضرات قال : ولهذا لا يكون العارف اتساع في العلم إلا بقدر ما يعلمه من العالم ثم إنه أراد أن ينتقل إلى العلم بأحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة إلى الضيق قليلا قليلا وعلومه تنقص فإذا تم عمله ولم يبق له معلوم إلا الحق تعالى وحده كان ذلك أضيق ما في القرن فضيقه هو الأعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الأول الذي يظهر منه في رأس الحيوان إذا أثبته الله تعالى فلا يزال يصعد على صورته من الضيق وأسفله يتسع وهو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الأول ألا ترى الحق تعالى أول ما خلق القلم المعبر عنه بالعقل فما خلق الله إلا واحدا ثم أنشأ الخلق في ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشؤه من الواحد ، قال : ولا يخفى أيضا أن الله تعالى إذا قبض الأرواح من هذه الأجساد أودعها صورا جسدية في مجموع هذا القرن النوري فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن وبنورها يدرك فهو إدراك حقيقي وقال : ومن الصور هنالك ما هي مقيدة ومنها ما هي مطلقة كأرواح الأنبياء كلهم وأرواح الشهداء ومنها ما يكون له نظر إلى عالم الدنيا من هذه الدار ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال قال وأما نحو قوم فرعون فهم يعرضون على النار في ذلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها فإنهم محبوسون في ذلك القرن وفي تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذي كان لهم في البرزخ بالعرض على النار فإنه عذاب محسوس في الخيال بالحس فافهم ، فإنه محل غلط فيه من لا كشف عنده فإن الحس لا يغلط أبدا وإنما يغلط الحاكم عليه كصاحب المرة الصفراء يدرك العسل مرا فعلم أن كل من في البرزخ محبوس في صور أعماله مرهون بكسبه إلى يوم يبعث من تلك الصورة في النشأة الأخرى انتهى . وأما بيان شبه المنكرين للبعث فقال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فاعلم رحمك الله أن الفلاسفة أنكروا البعث للأجساد وتعلقوا بشبه ضلوا فيها وأضلوا كثيرا من الناس ومعظم شبههم سؤالان الأول قولهم إن الإنسان ليس إنسانا بمادته بل بصورته وإنما تكون

....

المدار .وقال : القرآن أحق بالتعظيم من السلطان لأن القرآن لا يجور والسلطان قد يجور ، فلا يحجبك عما قلناه إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن فإن ذلك إنما هو من حيث أن السلطان ناطق ، والقرآن صامت فاعلم الفرقان تفهم القرآن .

وقال : الإخبار يعرب عن الإسرار والإخبار كما يشهد للمؤمن بالإيمان كذلك يشهد عليه بالبهتان والدليل على ذلك خبر الهدهد فيما أخبر به سليمان :قالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ (27)[النمل : 27]

فإن شهد له العيان أو الضرورة من الجنان وقع الإيمان وإلا لحق بالبهتان لو كان مطلق الإيمان يعطي السعادة لكان المؤمن بالباطل في أكبر عبادة ومن آمن بالباطل أنه باطل فحاله غير عاطل.

الأفعال الإنسانية صادرة عنه لوجود صورته فإذا بطلت صورته عن مادته وعادت المادة إلى أصولها من العناصر فقد بطل الإنسان بعينه ثم إذا خلفت في تلك المادة بعينها صورة إنسان جديد حدث منها إنسان آخر لا ذلك الإنسان الأول فإن الموجود في الثاني من ذلك الأول مو مادته لا صورته فلا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا لثواب أو عقاب بمادته بل بصورته وبأنه إنسان من تراب فيكون الإنسان المثاب والمعاقب ليس هو الإنسان المحسن المسئ بل إنسان آخر مشارك في مادته وربما استشهد الفلاسفة على ذلك
بقوله تعالى نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ (61) [الواقعة : 60 ، 61] وقوله تعالى بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ [يس : 81]
وقالوا ومثل الشيء لا يكون عين ذلك الشيء هذا ما أورده ابن سينا في كتابه في « الميعاد » وقد أجاب عن ذلك الشيخ أبو طاهر رحمه الله بقوله أما قولهم ليس الإنسان إنسانا بمادته بل بصورته يريدون بالمادة جوهريته المركبة من الأخلاط ويسمونه الهيولي ويريدون الصورة معانيه المودعة فيه وهذه منهم دعوى لا برهان عليها بل الإنسان عند أهل البصائر هذا المجموع من الجسد والروح بما فيه من المعاني فإذا بطلت صورة جسده بالموت وزالت عنه المعاني بقبض روحه لا يسمى إنسانا فإذا جمعت هذه الأشياء إليه بالإعادة ثانيا كان هو ذلك الإنسان بعينه ، ألا ترى أن الجسد الفارغ من الروح والمعاني يسمى شبحا وجثة ولا يسمى إنسانا وكذلك الروح المجرد لا يسمى إنسانا وكذلك المعاني المختصة به من العلم والقدر والإرادة والسمع والبصر لا يسمى إنسانا بمجموعها ولا بتفاريقها على الانفراد لا عقلا ولا عرفا فعلى هذا قولهم الإنسان إنسان بصورته فقط كلام باطل بل الإنسان بجسده وروحه ومعانيه المختصة به إنسان : ألا ترى أنه يضاف بعضه إلى بعض في الخطاب فيقال له نفسك روحك جسدك قلبك علمك قدرتك وكذلك يضاف إليه جميع أعضائه فيقال رأسك يدك رجلك إلى آخرها فلو لا أن الإنسان مجموعها وإلا فمن كان المخاطب بكاف الخطاب من جميعها وقد أضيف الجميع إليه فعلى هذا الأصل يكون

....

وقال : قسم الشارع سبله إلى ثلاثة أقسام : إسلام ، وإيمان ، وإحسان ، فبدأ بالإسلام وقرن به عمل الأجسام من تلفظ شهادتين وصلاة وزكاة وحج وصيام وثنى بالإيمان وهو ما يشهد به الجنان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره حلوه ومره والبعث الآخر إلى الدار الحيوان وثلث بالإحسان وهو إنزال المعنى منزلة المحسوس في العيان وليس إلا عالم الخيال . وقال : التروك وإن كانت عدما فهي نعوت فالزم السكوت الأمر بالشيء نهي عن ضده فهو ترك وهذا شرك لا يترك الأغيار إلا الأغيار ولو ترك الحق تعالى الخلق من كان يحفظه ويقوم به ويلحظه ، فمن كمال التخلق بأسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق لو تركت الأغيار لتركت التكاليف التي جاءت بها الأخبار ولو أنك تركت التكاليف لكنت معاندا عاصيا أو جاحدا .
وقال : نصرة القوي محال فكيف الحال في قوله : إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ [محمد : 7]

تبديل الصفات بالموت والإعادة إليه غير مخرج له عن أن يكون ذلك الإنسان الأول بل هو هو بعينه إن كان محمودا فمحمود وإن كان مذموما فمذموم واستحق الثواب والعقاب لأنه هو الأول ، وأما قولهم إن مثل الشيء لا يكون حقيقة ذلك الشيء تمسكا بقوله تعالى نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ (61) [الواقعة : 60 - 61] فمعناه على أن نبدلكم والمثل قد يزاد في الكلام تأكيدا كقوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] والعرب تقول مثل الأمير لا يقول هذا ، يعنون الأمير لا يقول هذا ، وقد صرح بذلك أبو الطيب في شعره :

مثلك يثني الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه

ولم أقل مثلك أعني به * سواك يا فردا بلا مشبه

وهذا المعنى شائع في العربية لا يخفى على من شم رائحتها والله أعلم .

(السؤال الثاني) : وهو الضيلم الذي يضل فيه كثير من الناس وهو الذي نقلناه أوائل المبحث عن الجلال المحلي وعن الكمال في « حاشيته » على سبيل الاختصار وبسط ذلك هو أنهم قالوا : المعاد من الإنسان ما هو إن قلتم أجزاؤه الحاضرة عند الموت فيجب أن يبعث المجذوع والمقطوع على صورتهما تلك وهذا لم يرد به شرع وإن أعيد إليه جميع أجزائه التي كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب أن يكون جزءا واحدا بعينه يدا ورأسا وقلبا وكبدا لأن الأجزاء العضوية المركبة من الدم وسائر الأخلاط سيالة تنتقل من عضو إلى عضو عند الاغتذاء وكذلك إذا أكل الإنسان إنسانا فصار الاغتذاء واحد فكيف يتعلق روحان بإنسان واحد وكذلك إذا قطعت يد كافر فأسلم فكيف تكون يده في النار وهو في الجنة أقطع وعلى عكسه لو قطعت يد مسلم فكفر . وأيضا فإن الغالب على ظاهر الأرض أجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع فيها زروع كثيرة وغرس فيها أشجار وكروم واغتذى منها الناس وانعقد في أبدانهم ذلك لحما ودما فكيف يكون مادة واحدة وأصلا واحد حاصلة لصور أناسي كثيرة هذه شبهتهم الهائلة المتضمنة لهذا السؤال المنسوب إلى ابن سينا وقد حكي الغزالي هذا السؤال وكأنه قد سلم المسألة وصرح في فتاويه وغيرها بأنه لا يجب أن يكون المعاد بعينه هو الجسد الأول بل أي جسد كان جائز وأهمل هذا السؤال جماعات كثيرة .

وإن لم تنصروه يخذلكم وإذا خذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فنصرته من جملة ما أخذ عليكم في عهده فيا أهل العهود أوفوا بالعقود ما أمركم الله بنصره إلا وأعطاكم الاشتراك في أمره فمن قال : لا قدرة لي ويعني الاقتدار فقد رد الأخبار وكان ممن نكث وألحق تكليف الحق بالعبث .

(وقال) : أصدق الأخبار ما كان بالحال من أثنى على نفسه بالكرم توقف السامع فيه حتى يتكرم فإذا كان العطاء ارتفع الغطاء . وقال : إن الله عند لسان كل قائل وما تكلم إلا اللسان

(والجواب) : كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله وقال : إنه معتقد السلف والخلف أن المعاد هو هذا الجسم بعينه وبيانه أن تعلم يا أخي أن الذرة التي قبضها عزرائيل عليه السلام من الأرض في كل إنسان باقية لا تتبدل البتة وهي الجزء القائم منه الذي أخذ عليه الميثاق ويتوجه عليه في القبر سؤال الملكين ويتولى جوابهما برد الروح إليه والحياة له وسائر أجزائه سبب صمت وهو الذي يتعلق به الروح عند النفخ في الصور على ما دلت عليه الأخبار ثم ينضم إليه سائر الأجزاء حيث كانت بقدرة الله تعالى حتى يقوم الشخص تاما كما كان في الدنيا هذا شيء لا يخالفه عقل ولا شرع وأما قولهم المعاد من الإنسان ما هو ؟ هل هو أجزاؤه عند الموت أم الأجزاء التي فارقته .

(فالجواب) : المعاد إنما يكون أكمل أجزاء جميع حالاته في أيام حياته كما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله يحشر الناس عراة غرلا يعني قلفا والأغرل الأقلف الذي لم يختن ثم إنه يجوز أن يزاد في أجساد أهل النعيم لتتوفر عليهم اللذات ويزاد في أجساد أهل الجحيم تغليظا للعقوبات وفي الحديث أهل الجنة مرد جرد مكحولون أبناء ثلاثين على خلق آدم عليه السلام طولهم سبعون ذراعا في عرض سبعة أذرع وقد جاء في صفة أهل النار إن سن أحدهم مثل جبل أحد . وهذا كله جائز في العقل وورد به الشرع وأما قولهم إن كانت أجزاؤه الحاضرة عند الموت هي المعادة يجب أن يبعث المجزوع والمقطوع يده على صورتهما وهذا لم يرضه شرع .

(فالجواب) : أنه قد ذكرنا في الجواب قبله أن المعاد أكمل حالة كان عليها في عمره أجزاؤه لقوله تعالى قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ [يس : 79]
فكل جزء أنشأه الله أول مرة فيه أيام عمره يعيده إليه بخلاف المبدلات بعد الهزال والانحلال فإنها بالإضافة إلى ما تحللت به وفنيت كانت منشأة ثاني مرة فلو أعيدت هي أيضا في الآخرة لقال تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وثاني مرة وعلى هذا صح أن المعادات في الآخرة هي النشأة في الدنيا أول مرة وهي أكمل الأجزاء المبدعة التي خص بها كل شخص هذا الذي دل عليه مضمون الآية وأما قولهم

....

والقائل في الشاهد هو الإنسان في الإيمان الرحمن لقوله : “ كنت سمعه الذي يسمع به ، ولسانه الذي يتكلم به “ . الحديث فمن كذب العيان كان قوي الإيمان ومن تردد في الإيمان تردد في العيان فلا إيمان عنده ولا عيان ومن صدق العيان وسلم الإيمان كان في أمان اللسان ترجمان الجنان وما وسع الرب إلا القلب وأنت ترجمان الحق إلى الخلق فأين الكذب عند هذه المشاهدة وما ثم ناطق إلا الحق الصمد والواحد . وقال : الروح واسطة وهو بين الرسول البشري والحق رابطة يوحى به إليه إذا نزل بالوحي عليه وقد أمر بالأدب معه حتى يجمعه لأنه ما عجل به حتى كشفه وما نطق به حتى عرفه فقيل له : اكتم السر حتى لا يعلمه الملك بما لك.

إن أعيد إليه جميع أجزائه التي كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب أن يكون جزء ذلك بعينه يدا ورأسا وكبدا وذلك لأن الأجزاء العضوية المركبة من الأخلاط سيالة تنتقل من عضو إلى عضو عند الاغتذاء .
(فالجواب) : قد ذكرنا فيما تقدم ما هو المعاد وما ذكروه من سيلان الأخلاط من عضو إلى عضو عند الاغتذاء لا يلزم أن يصير القلب كبدا ولا الرأس يدا لأن الذرة التي هي الأصل وأخذ الميثاق علها كانت هيئة الإنسان مقدرة فيها بجميع أشكال أعضائه في علم الله تعالى وإنما سماها ذرة تشبيها بالذرة التي هي النملة الصغيرة وهي مع صغرها لها أعضاء مخصوصة محسوسة فلا يستحيل أن يكون لتلك الذرة أعضاء مقدرة ثم إذا خلقها الله تعالى إنسانا تنبسط تلك الأعضاء على قدر الجثة وتنضم إليه الأجزاء السيالة من الأخلاط فتتشكل على هيئة الشكل المقدر في الذرة الأولى ، فعلى هذا المنتقل من عضو إلى عضو هو تلك الأجزاء السيالة الغذائية دون أجزاء الذرة الأولى التي شكل الإنسان فيها مقدر في علم الله بجميع أعضائه وهي بعينها قائمة منبسطة في جميع البدن إذ هو حافظ لشكلها وصورها ولا تبلى قط لقوله تعالى وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) [الشعراء : 219]
والأجزاء الغذائية تارة تنضم إليها وتارة تفارقها فعلى هذا المعنى الرأس رأس واليد يد والقلب قلب والكبد كبد باعتبار أجزائها الأصلية التي هي على غاية اللطافة والأجزاء الغذائية التي هي الدم وغيره تجري من عضو إلى عضو وتستحيل وتلك الأصلية باقية على حالها ومما يقرب من مثالها المحسوس هو راية الثعبان المخيط من الحرير يدخل الريح من جوفها وينتقل من عضو إلى عضو فتنتفخ الراية على هيئة الثعبان ثم يخرج منها وهي تبقى على ما كانت وقريب منه أيضا الإسفنجة وهي شيء كالغيم هش متخلخل لطيف خفيف إذا طرح في الماء يشرب الماء بتجاويفه فيربو ويعظم ويتثاقل ثم إذا جفف عاد إلى الأصل فعلم من هذين المثالين أن أجزاء الذرة في كل شخص باقية على هيئتها بالنص الوارد في قوله وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219)
[الشعراء : 219] والأجزاء الملتحقة بها تستحيل وتزيد وتنقص ، وأصل تلك الأجزاء الأصلية في الخلقة هو العجب هو أصل الذنب وسمي به للتعجب من بقائه عند بلي سائر الجسد كما ورد وعليه يتركب الجسد عند الأحياء في الحشر .

....

(وقال) : إذا كان الرسول حسن الصورة فذلك إشارة إلى جمال المرسل إليه وقد حصل إدراك البغية بنزول جبريل في صورة دحية أين صورة مالك من صورة رضوان أين النار من الجنان .
وقال : النفث في الروع من وحي القدس وهو عين الإلهام لكن ما هو مثل وحي الكلام ولا وحي الإشارة والعبارة وما ثم إلا ملهم وهو الخاطر الخاطر من السحاب الماطر ويسمى الخاطر الأول لأن النفث لا يكون له مكث فحلوله انتقاله وورده زواله .
وقال : من احتج عليك بما سبق فقد حاجك بالحق ومع هذا فهي حجة لا تنفع صاحبها ولا نعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقيل بها وإن عدل الشرع من مذهبها فإنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولكن أكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسألة لا يكون جهارا ولا يكلم بها إلا إشعارا

(وأما قولهم) : إذا أكل الإنسان إنسانا فصارا بالاغتذاء واحدا فكيف تتعلق روحان بجسد واحد ؟
(فالجواب) : أن الذرة الأصيلة للآكل والمأكول باقيتان كما كانت والدليل عليه إجراء الله العادة كما أخبر في قوله وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) فعلى هذا الروحان يتعلقان بذرتي الآكل والمأكول ثم سائر الأجزاء تلتحق بها أينما كانت فإنها وإن استحالت في رأي العين وتفرقت فهي في علم الله تعالى موجودة حاضرة سواء امتزجت بالأرض أم بالهواء كما قال تعالى : قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ [ق : 4] الآية والقدر الذي نقص منه يرده إليه كما رده في الدنيا عند الهزال ومحل الحياة فيها فيصير الشخصان متكاملين كما كانا في الدنيا .
(وأما قولهم) : إذا قطعت يد كافر فأسلم كيف تكون يده في النار وهو في الجنة أقطع وكذلك القول في عكسه ؟
(فالجواب) : أما اليد المقطوعة فحكمها تابع للجملة في الإيمان والكفر اعتبارا بالذريات فإنهن كأبعاض الآباء حكما قال تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [الطور : 22] وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني » فعلى هذا يد الكافر ما دامت متصلة به حكمها الكفر فإن قطعت وآمن الكافر صار حكمها حيث كانت حكم الإيمان اتباعا للجملة وكذا الثواب والعقاب عليها يقعان تبعا لإيمان الجملة وكفرها وهذا ظاهر لا استحالة فيه .
(وأما قولهم) : غذاء الإنسان مستحيل من تراب أجساد الموتى القديمة إذا صارت أجسادهم الرميمة ترابا والتراب زرعا والزرع غذاء .
(فالجواب) : إن ذلك غير مسلم وإن سلم فلا نسلم استحالة الذرة الأصلية التي هي عليها مدار البدن كله كما بيناه من قبل فإن سائر الأجزاء تابع لتلك الذرة وهي في علم الله تعالى مجتمعة وإن تفرقت في رأي العين وتأتيه وإن استحالت والدليل عل أن المعاد من الإنسان هي الأجزاء التي كانت في الدنيا بعينها قوله تعالى : يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (24) [النور : 24] فلو كانت غيرها كما ذكروا كانت شهادتهم زورا .

....

مع أنه لو جهر بها كانت علما ونقحت فهما وأورثت في الفؤاد كلما دونه نجز القمم لما يؤدي إليه من دروس الطريق الأمم الذي عليه جميع الأمم وإن كان كل دابة مأخوذا بناصيتها . وقال :
إنما ذهب بعض أهل الكلام إلى انعدام العرض لنفسه لا الأجسام ليكون الخالق خلافا على الدوام ، والعالم مفتقر إليه ومعول في وجوده عليه ، وأما أهل الحسبان فقالوا بتجدد جميع الأعيان في كل زمان وما خصوا عينا من عين ولا كونا من كون ، وأما من يعلم أن المتحيز هو كل ما قام من الأعراض فهو جامع بين المذاهب والأغراض .
(وقال) : الطلب من الأدب لأنه تعالى ما أوجدك إلا لتسأل فإنك الفقير الأول فاسأل من

(فإن قيل) : يد الكافر إذا قطعت وآمن هو لوردت لكانت تشهد عليه بالكفر وهو مؤمن ؟
(فالجواب) : إن شهادة الأعضاء في القيامة بالمعاصي والطاعات لا بالكفر والإيمان لقوله تعالى في الآية بِما كانُوا يَكْسِبُونَ [يس : 65] إذ الإيمان يتعلق بالقلب لا بالأعضاء الظاهرة فلم يقل بما كانوا يعتقدون وهذا جواب الشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله وتقدم كلام الشيخ محيي الدين فيه أوائل المبحث .
قال الشيخ أبو طاهر : والعجب كل العجب من إنكار الفلاسفة الحشر والنشر وهل الحشر إلا إعادة أجزائه في الآخرة على مثال ما كان الله تعالى يعيدها في الدنيا حالا بعد حال أليس الشيخ الكبير في الدنيا هو الذي كان كهلا وقبل الكهولة كان شابا وقبل الشبيبة كان صبيا وطفلا وقبله جنينا وهو في هذه الأطوار إنسان واحد بعينه بلا شك ولا اعتبار بتلك الأجزاء المتبدلة هناك كما لا اعتبار بها ههنا بل تكون الأجزاء قليلة كانت أو كثيرة تابعة للذرة التي خلق منها أولا وأيضا فلا يبعد عن قدرة الله تعالى أن ترد جميع الأجزاء التي تعاورت على تلك الذرة أيام عمره ولكنه سيلطفها ويلززها فلا يكون الشخص متجاوزا عن الحد والقدرة متسعة الإمكان كائن ولكن الظاهر ما بيناه هذا غاية الكلام في هذه المسألة .
(فإن قيل) : فما الحكمة في أن الله تعالى يقبض أرواح العباد ثم يردها إليهم يوم المعاد وقد خلقهم لأبد الآباد فهلا استدام حياتهم أبدا من غير موت ؟
(فالجواب) : لو أنه فعل ذلك كان خارجا عن الحكمة وهو تعالى أحكم الحاكمين ولكنه أماتهم في دار الفناء ليبقيهم بقاء الأبد في دار البقاء من وجوه منها أن رقعة هذه الخطة الغبراء التي هي الربع المسكون من الأرض بالنسبة إلى أجساد بني آدم جميعا صغيرة لا سيما القدر المعمور منها فكانت لا تسعهم ولا تفي زروعها وأثمارها بأقواتهم التي هي سبب معاشهم وفي الحديث : « إن الله تعالى لما استخرج الذر من صلب آدم امتلأ وجه الأرض منهم فقالت الملائكة الهنا قد امتلأت الأرض منهم وهم ذرات فكيف تسعهم إذا تممت خلقهم فقال تعالى إني كلما آتي بقوم أميت آخرين » ومنها أن القبور برزخ الأجسام والصور برزخ الأرواح كما مر ولله تعالى في البرزخين إنشاآت خفية لأجسادهم وأرواحهم يصيرها بها قابلة للبقاء الأبدي ولا يعلم كيفية ذلك إلا الله تعالى كما قال تعالى وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ [الواقعة : 61] ومنها أنه

....

كريم ولا تبخل فإنه ذو فضل عميم ومن اتبع هواه لم يبلغ مناه . وقال : معنى قول العارفين من وحد فقد ألحد أي مال إلى الحق لأن الملحد هو المائل في لغة كل قائل . وقال : إلا الإلحاد لا بد منه ، ولا محيص لمخلوق عنه ألا ترى أصحاب الأعراف لما تساوت كفتا ميزانهم كيف وقفوا بين الجنة والنار فلا هم مع الأشرار ولا مع المصطفين الأخيار فلو لا ما تفضل الحق عليهم من السجود إليه ما برحوا عليه فلما سجدوا انفكوا من أسر السور والتحقوا بدار السرور .
وقال : الحال المرتحل من يكرر تلاوة ما أنزل فانتهاؤه عين ابتداؤه ولكن من تكرر عنده المعنى في تلاوته فما تلاه حق تلاوته وكان ذلك دليلا على جهالته ومن زادته تلاوته في كل مرة علما

تعالى فرق بين الأرواح والأجساد ليعرف الخلق بالقطيعة قدر الوصال فإن الوصل إذا استدام خفي وعند الفراق يكون التحنن والاشتياق وبهما يعرف قدر الوصال . قال الشيخ : أبو طاهر : وسمعت بعض الصالحين بهمذان يقول نظرت من ربوة إلى بعض المقابر فرأيتها مد البصر فخطر بقلبي ما هذه الأطلال والأحجار فهتف بي هاتف يقول :

قشو بيض طار عنها فراخها * وهل ترجع الأطيار يوما إلى البيض

فسمعت على أثره قائلا يقول :

بل يجعل الله القشور هوادجا * من الذر بيضا لا كرامة للقبض

فترجع عنها الطائرات أوامنا * من الصيد لا يبرحن من أرج الروض

قال : وبالجملة فمحصول علم البدء والإعادة أن يعلم أن الأرض التي خلق منها آدم قد قدر الله تعالى لكل ذرة منها من ذرات ذريته روحا مختصة بها وهو قوله تعالى : خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) [عبس : 19 - 20] قيل معناه فقدر له روحا ثم لما أخرجها من صلب آدم قرن كل ذرة بروحها وأخذ الميثاق عليها ثم ردهم إلى ظهره ورد أرواحهم إلى خزانة الغيب ثم أخرج تلك الذرات كلها من ظهر آدم ممتزجة بأمشاج النطفة إلى رحم حواء ثم من أصلاب بنيه قرنا بعد قرن إلى الأرحام ثم إنه ينشئها بالأغذية كما يشاء وينقلها في أطوارها كما شرحناه فيما مر ثم يخرجها من الأرحام إلى قضاء الدنيا ثم بعد انقضاء آجالهم يقبض أرواحهم ويردهم إلى بطون الأرض ثم إنه يرد إليهم في القبور أرواحهم عند سؤال الملكين فكانت تلك الذرة الفاهمة من الجملة تفهم الخطاب وترد الجواب وسائر الأجزاء أموات ومن هنا غلطت المعتزلة فأنكروا السؤال وربما يتحرك جميع الجسد ويتكلم تبعا لتلك الذرة الأصلية لقوتها وذلك يكون للأنبياء وللأولياء كما جاء في الأخبار ثم إن الإنسان ما دام في البرزخ فبين هذه الأرواح وتلك الذرات المقبورة تواصل معنوي وتزاور إلهامي وإن صارت هي في الصورة رفاتا فالأخبار وردت بأن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار هكذا يكون الأمر إلى حين دنو ميعاد المعاد في النشأة الأخرى بعد الطامة الكبرى فينقيها بالزلازل والرجفات والرياح المؤتفكات ويعجنها بالأمطار الشبيهة بمني الرجال كما جاء في الأخبار فتهيأت حينئذ لقبول

....

وأفادته حكما فهو التالي لمن هو في وجوده له تالي .

(وقال) : من استدان من غير حاجة مهمة فهو ناقص الهمة وإنما كان من عرف نفسه عرف ربه لأن علم قلبه وسع ربه لا تعلم الذات إلا مقيدة وإن أطلقت هكذا عرفت الأشباه وحققت فالإطلاق تقييد في حق العادات والعبيد ، فإن الخلق مع الأنفاس في خلع ولباس ولا يشعر بذلك إلا القليل من الناس الذات مجهولة فما هي علة ولا معلولة ولا للدليل مدلولة فإن وجه الدليل يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط ، ولا تختلط . وقال : الأحباب أرباب ، والمحبوب خلف الباب ، وإنما كان المحب صاحب بلوى لأنه رب دعوى ولذلك اختبر

أرواحها وكانت أرواحها حانة إليها حنين الغريب إلى وطنه فإذا نفخ في الصور النفخة الأخرى طارت الأرواح من مكانها إلى أجسادها التي فارقتها بالنفخ أسرع من طيران الحمامة إلى الفرخ وهو قوله تعالى : كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [الأعراف : 29] قال وتسميتهم في هذه المنازل ذرية آدم يدل على أنهم كانوا جميعا من تلك الذرات والصحيح أن الذرية فعلية من الذر كالسرية من السر وهو النكاح وهذا القدر كاف في مبحث البعث والنشور والله تعالى أعلم .

المبحث السابع والستون : في بيان أن الحشر بعد الموت حق وكذلك تبديل الأرض غير الأرض والسماوات

فأما الحشر فهو جمع الخلق للعرض على الله والحساب بين يديه وهو عام في سائر الخلق من خاص وعام فيحشر جميع المتقين من رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنين إلى حضرة الاسم الرحمن قال تعالى : يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً (85) [مريم : 85] وأما المجرمون فيحشرون على اختلاف طبقاتهم إلى حضرة الاسم الجبار والمنتقم قال الشيخ محيي الدين : والحكمة في ذلك أن المتقي كان جليسه في دار الدنيا أسماء الجلال والهيبة والخوف ولذلك اتقى الله تعالى وخاف عقابه فيحشر يوم القيامة إلى الاسم الذي يعطي الرحمة والإنس واللطف والأمان مما كان يخاف منه ويتقي ولا يجمع الله على عبد خوفين وقد سمع أبو يزيد البسطامي قارئا يقرأ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً (85) [مريم : 85]

إفصاح صيحة طار الدم من أنفه وقال يا عجبا كيف يحشر إليه من هو جليسه . قال الشيخ محيي الدين في الباب الخمسين وثلاثمائة : وإنما صاح أبو يزيد لأنه كان جليسه الأسماء من حيثما هي دالة على الذات ولم يكن مع الاسم من حيثما يطلبه حقيقة من غير دلالة على الذات فلذلك أنكر ما لم يعطه مشهده فهو شبيه الإنكار وليس بإنكار كما قال الخليل في طلبه علم الكيفية في أحياء الموتى فإن الخليل لم يكن ينكر إحياء الموتى وإنما كان يعلم أن للإحياء طرقا كثيرة وهو مجبول على طلب العلم فطلب أن يعرف بأي طريق يحيي الله الموتى فافهم . فلو أن أبا يزيد كان يعلم أن المتقي لم يكن جليسا للاسم الرحمن في أيام التكليف وإنما كان جليس الاسم الجبار ما تعجب من ذلك

....

بخلاف المحبوب . وقال : في قوله : اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم أين هذا من قوله : " أنا سيد ولد آدم " فداخل الخليل كان لآدم السجود ، ولمحمد المقام المحمود فيا ليت شعري هل تقوم الحلة مقام كون رسالة محمد تعم كل ملة محمد صاحب الوسيلة في جنته ما نالها إلا بدعاء أمته أين أمته منه في الفضيلة ومع هذا بدعائهم كانت له الوسيلة المدعو له أرفع بيقين من الداعي فلتكن لقولنا : كما صليت على إبراهيم الحافظ الواعي .

(وقال) : الشوق يزول باللقاء والاشتياق يزيد بالالتقاء لا يعرف الاشتياق إلا العشاق من

فيحشر المتقي إلى الرحمن ليزول عنه الخوف الذي كان عليه في دار التكليف من مجالسته الاسم الجبار والمنتقم فإن الرحمن لا يخاف منه ولا يتقي إنما هو محل الطمع والدلال والأنس لكن الأولياء رضي الله عنهم صادقون لا يتعدون ذوقهم في كل حال بخلاف العامة من أهل الله فإنهم ربما يتكلمون بأحوال غيرهم انتهى .

(فإن قلت) : فهل يحشر الناس مرة من ابتداء أمرهم إلى انتهائه ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين ومائتين أن صور الحشر لا تنحصر ولكن نذكر منها طرفا فأول حشر كان لهم في الدنيا فهو حشرهم في الصورة التي أخذ عليهم الميثاق فيها . الثاني حشرهم من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسمية الدنيوية . الثالث حشرهم في الصورة التي تنتقل الروح إليها بعد الموت . الرابع حشرهم في الصورة التي يسألون فيها في قبورهم وهي الصورة التي انتقلوا إليها بعد الموت إلى الجسد الموصوف بالموت ولكنه يؤخذ بأبصار الخلائق وأسماعهم إلا من شاء الله عن حياة الميت وما هو فيه عينا وسماعا .

الخامس حشرهم من الصورة التي سألوا فيها إلى الصورة التي يمكنون فيها في البرزخ فيكون أحدهم فيها كالنائم إلى نفخة البعث ، فيبعث من تلك الصورة ويحشر إلى الصورة التي كان فارقها في دار الدنيا إن كان بقي عليه سؤال لأجل جسده الموصوف بالتكليف فإن لم يكن عليه سؤال حشر في الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار فإن الناس إذا دخلوا الجنة أو النار حشروا في صورة لا نهاية لها قال : وأهل النار كلهم مسؤولون بخلاف أهل الجنة فإن منهم لا يسأل إذا دخل أهل الجنة الكبرى واستقروا فيها ثم دعوا إلى الرؤية حشروا في صور لا تصلح إلا للرؤية فإذا عادوا حشروا في صور تصلح للجنة . واعلم أن في كل صورة ينسى الإنسان الصورة التي كان عليها ويرجع أمره إلى حكم الصورة التي انتقل إليها وحشر فيها ثم إنه إذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور فأي صورة أعجبته دخل فيها أو ذهب بها داره والصورة في السوق ما برحت ولا تزال أهل الجنة ينتقلون من صورة إلى صورة أحسن مما قبلها وأهل النار بالعكس أبد الآبدين ودهر الداهرين نسأل الله الموت على الإيمان آمين .

(فإن قيل) : فما حكمة حشر الدواب والوحوش ؟

....

سكن باللقاء قلقه فما هو عاشق عند أرباب الحقائق . وقال : من قام بالخدمة عند طرح الحرمة والحشمة ، فقد خاب وما نجح وخسر وما ربح الخادم في مقام الإذلال فما له وللدلال وما له وللسؤال إن لم يكن الخادم كالميت بين يدي الغاسل لم يحظ من مخدومه بطائل إذا دخل الخادم على مخدومه واعترض ففي قلبه مرض : فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ [البقرة : 10] وهم لا يشعرون فبالحرمة تنال الرغائب في جميع المذاهب .

وقال : إذا كانت حركة المتواجد نفسية فليست بقدسية وعلامتها الإشارة بالأكمام ، والمشي إلى خلف وإلى قدام ، والتمايل من جانب إلى جانب ، والتفريق بين راجع وذاهب ، وقد أجمع الشيوخ

فيحشر المتقي إلى الرحمن ليزول عنه الخوف الذي كان عليه في دار التكليف من مجالسته الاسم الجبار والمنتقم فإن الرحمن لا يخاف منه ولا يتقي إنما هو محل الطمع والدلال والأنس لكن الأولياء رضي الله عنهم صادقون لا يتعدون ذوقهم في كل حال بخلاف العامة من أهل الله فإنهم ربما يتكلمون بأحوال غيرهم انتهى .
(فإن قلت) : فهل يحشر الناس مرة من ابتداء أمرهم إلى انتهائه ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين ومائتين أن صور الحشر لا تنحصر ولكن نذكر منها طرفا فأول حشر كان لهم في الدنيا فهو حشرهم في الصورة التي أخذ عليهم الميثاق فيها . الثاني حشرهم من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسمية الدنيوية . الثالث حشرهم في الصورة التي تنتقل الروح إليها بعد الموت . الرابع حشرهم في الصورة التي يسألون فيها في قبورهم وهي الصورة التي انتقلوا إليها بعد الموت إلى الجسد الموصوف بالموت ولكنه يؤخذ بأبصار الخلائق وأسماعهم إلا من شاء الله عن حياة الميت وما هو فيه عينا وسماعا .
الخامس حشرهم من الصورة التي سألوا فيها إلى الصورة التي يمكنون فيها في البرزخ فيكون أحدهم فيها كالنائم إلى نفخة البعث ، فيبعث من تلك الصورة ويحشر إلى الصورة التي كان فارقها في دار الدنيا إن كان بقي عليه سؤال لأجل جسده الموصوف بالتكليف فإن لم يكن عليه سؤال حشر في الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار فإن الناس إذا دخلوا الجنة أو النار حشروا في صورة لا نهاية لها قال : وأهل النار كلهم مسؤولون بخلاف أهل الجنة فإن منهم لا يسأل إذا دخل أهل الجنة الكبرى واستقروا فيها ثم دعوا إلى الرؤية حشروا في صور لا تصلح إلا للرؤية فإذا عادوا حشروا في صور تصلح للجنة . واعلم أن في كل صورة ينسى الإنسان الصورة التي كان عليها ويرجع أمره إلى حكم الصورة التي انتقل إليها وحشر فيها ثم إنه إذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور فأي صورة أعجبته دخل فيها أو ذهب بها داره والصورة في السوق ما برحت ولا تزال أهل الجنة ينتقلون من صورة إلى صورة أحسن مما قبلها وأهل النار بالعكس أبد الآبدين ودهر الداهرين نسأل الله الموت على الإيمان آمين .
(فإن قيل) : فما حكمة حشر الدواب والوحوش ؟

....

على أن مثل هذا محروم مطرود السماع لا يتقيد بالنغمات المعهودة في العرف إذ في ذلك الجهل الصرف فإن الكون كله سماع عند صاحب الاستماع ، والإيقاع أوزان والله تعالى وضع الميزان فالوجود كله موزون فلا تكن المحروم المغبون ما أشبه الليلة بالبارحة عند صاحب السماع بالقلب والجارحة . وقال : كل كرامة لا تتصل بالقيامة فليس هي كرامة فاحذر من الاستدراج في المزاج القرآن كله . قال الله وما فيه قط تكلم الله فلو جاء فيه تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد ألا ترى قوله :وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً]النساء : 164] كيف سلك به نهجا قويما فأثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فإذا أثر القول فما هو لذاته فافهم.

موجودا في الأرض فالسماء على حالها فإذا نزل الإنسان الكامل إلى البرزخ هوت السماء لأنه هو عمدها الذي يمسكها الله تعالى به حتى لا تقع على الأرض وهو قوله تعالى : وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ (16) [الحاقة : 16] أي ساقطة إلى الأرض والسماء جسم شفاف صلب فإذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فصارت دخانا أحمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور إلا أن سماحتها لا تزول في النار بل تنتثر فتكون على غير النظام التي كانت عليه في الدنيا حال سترها وأطال في ذلك .

(فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى : وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) [الانشقاق : 3] ما صورة مدها ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة أن المراد بمدها إنما هو امتداد الجبال وتصييرها أرضا فإنه في يوم القيامة تصير الجبال كلها دكا من تجلي الحق تعالى إذا كانت كالعهن المنفوش فما كان عاليا منها في الجو إذا انبسط زاد في وسع الأرض ولهذا جاء في الخبر إن الله تعالى يمد الأرض يوم القيامة مد الأديم » فشبه مدها بمد الأديم لأن الإنسان إذ مد الأديم طال من غير أن يزاد فيه شيء لم يكن في عينه وإنما كان فيه تقبض ونتوء فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتوء الذي كان فيه فزاد في سعة الأرض ورفع التخفض منها حتى بسطه فزاد منها ما كان من طول من سطحها إلى القاع منها كما يكون في الجلد نتوء فلذلك لا ترى في الأرض عوجا لا أمتا فيأخذ البصر من المبصر جميع ما في الموقف بلا حجاب لعدم الارتفاع والانخفاض فيرى كل من الخلق بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله تعالى بالفصل والقضاء بين عباده وأطال في ذلك .

(فإن قلت) : فكم مدة يوم القيامة ؟

(فالجواب) : مدته من خروج الناس من قبورهم إلى أن ينزلوا منازلهم من الجنة أو النار ذكره الشيخ في الباب العشرين وثلاثمائة وقال في الباب الثامن والأربعين وثلاثمائة : اعلم أن يوم هذه الأمة متصل بيوم الآخرة ليس بين اليومين إلا ليل البرزخ خاصة وفي فجر هذه الليلة يكون نفخة البعث وفي طلوع شمس يومه يكون إتيان الحق جل وعلا كما يليق بجلاله للفصل

....

وفرق بين القول والكلام تكن من أهل الجلال والإكرام ، كما تفرق بين الوحي والإلهام في اليقظة والمنام . وقال : لو تكرر شيء في الوجود لضاق النطاق ولم يصح الاسم الواحد بالاتفاق وبطل كون الممكنات لا تتناهى ولم يثبت ما كان به بنياها من قال بالرجعة بعد ما طلق فما طلق وكان صاحب شبهة وما تحقق الطرق الرجعي رحمة بالجاهل الغبي لو قلنا في الرجال برجعة الطلاق لما وقع عليه الاتفاق فإنه نكاح جديد فمذهب أهل الأشرار أن لا تكرار مع ثبوت العادة والإيمان بالإعادة.

والقضاء وفي قدر ركعتي الإشراق ينقضي الحكم فتعمر الداران بأهلها وذلك يكون في يوم السبت فيكون نهاره أبديا لأهل الجنة ويكون ليله أبديا لأهل النار وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن النيل والفرات يخرجان من أصل سدرة المنتهى فيمشيان إلى الجنة ثم يخرجان إلى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر والفرات من أرض الروم وهما في غاية الحلاوة وإنما أثر فيهما مزاج الأرض فتغير طعمهما عما كانا عليه في الجنة فإذا كانت القيامة عادا إلى الجنة وكذلك يعود سيحون وجيحون والله تعالى أعلم .

المبحث الثامن والستون : في بيان أن الحوض والصراط والميزان حق

قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف : وإنما ذكر أهل الكلام أن الحوض والصراط والميزان حق بيانا لاعتقاد أهل الزيغ وهو مشهور عن أكثر المعتزلة فإنهم قالوا إن العبور على الصراط مع كونه أدق من الشعرة وأحد من السيف ممتنع عادة ، وقال لهم أهل السنة لا امتناع فإن الذي أقدر الطير على السير في الهواء قادر على أن يمشي الإنسان على الصراط قال وقد أجرى أهل السنة الحديث على ظاهره وأوله بعضهم بأن كونه أدق من الشعرة إنما هو ضرب مثل للأمر الخفي الغامض والمعنى أن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والنهوض لها والمعاصي وكثرة الوقوع فيها قلته ودقة كل واحد من القسمين لا يعلم حده إلا الله قال وأول بعضهم أيضا كونه أحد من السيف بسرعة إنفاذ الملائكة أمر الله بإجازة الناس عليه قال : وإنما قلنا هذا التأويل ليوافق الحديث الآخر في قيام الناس والملائكة على جنبي الصراط كون الكلاليب والحسك فيه وإعطاء المار عليه قدر موضع قدميه ونحو ذلك انتهى . ولنبسط الكلام على ذلك بعض البسط فنقول : اعلم أن الحوض والصراط ثابتان بالنصوص قالوا ويتشكلان بشاكلة الأعمال والعلوم إذ الشريعة علم وعمل فالحوض علومها والصراط أعمالها فعلى مقدار الشرب من علم الشريعة يكون الشرب من الحوض على مقدار اتباع الشريعة في الأفعال والأقوال والعقائد يكون المشي على الصراط هناك فمن زاغ عن الشريعة هنا زلت به قدمه هناك ونقص شربه من الحوض فالمشي حقيقة على الصراط إنما هو هنا لا هناك فإن الصراط المنصوب المشروع هنا معنىّ هو الذي ينصب هناك حسا وما ثم طريق إلى الجنة إلا عليه قال الشيخ رضي الله عنه :

....

وقال :ما من آية في القرآن إلا وهي أكبر من أختها وإن تولدت عنها وقامت لها مقام بنتها فقد يكون الولد أعظم في القدر من الوالد ولكن في الشاهد لا في الغائب إلا في موضع واحد وهو ما تولد عندك من العلم بربك عن معرفتك بنفسك وإن كان ليس من جنسك فذلك العلم لهذا العلم كالولد وهذا الولد أعظم من هذا الولد عند كل أحد وما سوى هذا في الغائب فليس بصائب فلا تقس الغائب على الشاهد فإنه مذهب فاسد فرحم الله أبا حنيفة ووقاه كل خيفة حيث لم يحكم على الغائب . وقال : حكم وحي النائم المحفوظ حكم اليقظان بالدليل والبرهان ، وهو بمنزلة الصاحب في الاستماع عند أهل الاتباع لكن لا ينبغي له أن يتخذ ذلك

تعالى : وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها [مريم : 71] قال الشيخ محيي الدين : والحوض في عطفة من الصراط وضرب له مثلا على الهامش وهذه صورته .
قال : واعلم أن نور كل إنسان على الصراط لا يتعدى نفسه إلى غيره فلا يمشي أحد في نور أحد ويتسع الصراط ويدق بحسب انتشار النور وضيقه فعرض صراط كل إنسان بقدر انتشار نوره ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين وهو واحد في نفسه قال وإنما قال تعالى : يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ [الحديد : 12] دون شمائلهم لأن المؤمن السعيد كلتا يديه يمين فلا شمال له انتهى . وقال في الباب الثامن وثلاثمائة : اعلم أن الصراط الذي تسلك عليه ويثبت الله تعالى أقدامك عليه حتى يوصلك إلى الجنة صراط الهدى الذي أنشأته لنفسك في دار الدنيا من الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فهو في هذه الدار بحكم المعنى لا يشاهد له صورة حسية فيمد لك يوم القيامة جسرا محسوسا على ظهر جهنم أوله في الموقف وآخره في المرج الذي على باب الجنة فتعرف أول ما تشاهده أنه صنعتك وبناؤك بجوارحك وتعلم أنه قد كان في الدنيا ممدودا على متن جهنم طبيعتك في طولك وعرضك وعمقك ذو ثلاث شعب إذ كان ظل حقيقتك وهو ظل غير ظليل لا يغنيها من اللهب بل هو الذي يقودها إلى لهب الجهالة ويضرم فيها نارها انتهى . وقال في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة : اعلم أنه إذا وضع الصراط يكون من الأرض علوا على استقامة إلى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه إلى المرج الذي هو خارج سور الجنة التي يدخلها الناس أولا وتسمى جنة النعيم والمأدبة تكون في المرج وهي در مكة بيضاء نقية يأكل منها جميع أهل المأدبة ويقوم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع وأغصان الجنة على السور انتهى . وقال في الباب الرابع والستين : إذا مر الخلائق إلى الصراط ينتهون إليه وقد ضربت عليه جسور على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف

....

شرعا يتعبده وإن كان بحمده وهذه فائدة سرجها متوقدة من شجرة مباركة من تشاجر الأسماء ويكفيك هذا الإيماء .
وقال : « السفر قطعة من العذاب » لما يتضمنه من فراق الأحباب .
وقال : إنما كان المسافر فردا شيطانا لبعده عن الجماعة والاثنان شيطانان لعدم الناصر وتوقع ما تقوم به الشفاعة ، والثلاثة ركب محفوظ وهو بعين الله ملحوظ فهم أهل الأمان غالبا في السفر لما عليهم من الخفر التثليث من أجل المحدث والمحدث والحديث ما كفر القائل بالثلاثة وإنما كفر بقوله :
ثالِثُ ثَلاثَةٍ [المائدة : 73] فلو قال : ثالث اثنين لأصاب الحق وزال المين .
« ما ظنك باثنين الله ثالثهما » يريد أن الله تعالى حافظهما يعني : في الغار في زمان هجرة الدار .
وقال : البقاء لا

وقد غابت الجسور في جهنم مقدار أربعين ألف عام ولهب جهنم بجانبها يلتهب وعليها حسك وكلاليب وخطاطيف وهي سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام ، ألف عام صعودا وألف عام استواء وألف عام هبوطا وذلك قول الله عز وجل إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ (14) [الفجر : 14] يعني على تلك الجسور وغيرها قال والملائكة يرصدون الخلق على هذه الجسور فيسأل العبد عن الإيمان الكامل باللّه تعالى فإن جاء به مؤمنا مخلصا موقنا لا شك فيه ولا زيغ جاز إلى الجسر الثاني فيسأل عن كمال الصلاة فإن جاءتها تامة جاز إلى الجسر الثالث فيسأل على الزكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الجسر الرابع فيسأل عن الصيام فإن جاء به تاما جاز إلى الجسر الخامس فيسأل عن الحج فإن جاء به تاما جاز إلى الجسر السادس فيسأل عن الطهر من الحدث فإن جاء به تاما جاز إلى الجسر السابع فيسأل عن المظالم فإن كان لم يظلم أحدا جاز إلى الجنة وإن كان قصر في واحدة من هذه الخصال حبس على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضي الله بما يشاء . وقال أيضا في الباب الرابع والستين ما نصه : اعلم أن الكلاليب والخطاطيف والحسك التي على جنبي الصراط إنما هي صور أعمال بني آدم فتمسكهم أعمالهم تلك على الصراط فلا ينهضون إلى الجنة ولا يقعون في النار حتى تدركهم الشفاعة والعناية الربانية وإنما هي أعمالكم ترد عليكم انتهى . وكان الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله يقول : الصراط صراطان أحدهما في الدنيا وهو الإسلام فهو علمي ولكن ينقلب في الآخرة جسرا حسيا وهو المعني بقوله تعالى اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) [الفاتحة : 6] وهو في الحقيقة جسر ممدود على متن الكفر والشرك والبدع والأهواء قال تعالى :
وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ [الأنعام : 153] الآية وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ يوما وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (1) [الصافات : 1] فلما بلغ قوله : فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ (23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (24) [الصافات : 23 - 24]
بكى حتى تحادرت الدموع على لحيته فقال بعض الوفد إنك تبكي خوفا ممن بعثك قال إي وربي إنه بعثني على طريق كحد السيف إن زغت هلكت » وهذا الصراط كالخيط الطويل الممتد بين العبد وبين الله في عين الاستقامة في الرتبة الوسطى بين التشبيه والتعطيل والجبر والقدر وبين السخاء والبخل وبين الشجاعة والجبن كالتواضع بين الكبر والحساسة وكالعفة بين الشهوة والخمود ولهذه الخصال وأمثالها طرفان مذمومان والمحمود

....

يصح على شأن واحد لما في المحدثات من طلب الزائد إذ الأمر شؤون فلا يزال يقول للأشياء : كن فتكون الوجود له كله نصب وتعب ولهذا قال : فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ [الشرح : 7] فما فرغ إلا اشتغل ، ولا قضى منه عمل إلا استعمل وقد كان في العمل صاحب راحة لأنه استراحة إذا كان الرحمن كل يوم في شأن فما ظنك بالأكوان فما قال : بأن العدم شر إلا من جهل الأمر فليس الشر إلا العدم الذي ما فيه عين ولا يجوز على المتصف بدر كون وليس هذه إلا المحال الذي هو شر محض على كل حال وبخلاف العدم الذي يتضمن الأعيان . وقال : الشطح فتح فمن شطح بحق فما شطح وهذا من أعظم الملح إلا أنه يلتبس على السامع فلا يعرف الجامع

الوسط فالمواظبة على هذا الوسط هي المعبر عنها بالدقة والحسد وإليها الإشار بقوله تعالى :فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ [هود : 112] وأما الصراط الثاني فهو الأخروي الحسي وهو في الحقيقة صورة الصراط الأول وهو من طريق المسلمين إلى الجنة ثم لا يخفى أن كل من اعتاد المرور في الدنيا على صراط الإسلام هان عليه المرور على صراط الآخرة ومن لم يتعود ذلك في الدنيا صعب عليه وزلت قدمه وطال ندمه وهل هذا الصراط إلا مثال محسوس لذلك الصراط المعنوي وبالجملة فسرعة مرور الناس على صراط الآخرة وبطؤهم يكون على حسب سرعة مبادرتهم إلى مرضاة الله تعالى وبطئهم عنها قال : وما جاء من الكلاليب والخطاطيف فهو عبارة عن علائق الدنيا المتعلقات بالقلب فكما تجذب صاحبها إلى الدنيا كذلك تجذبه إلى الهاوية كما أن شوك السعدان والحسك يكون بمقدار ذنوب كل إنسان وخطاياه فكما كانت تؤذيه في دينه بالعكوف عليها فكذلك تؤذيه يوم القيامة بالمرور عليها وأما ما جاء في الحبو والزحف على الصراط إنما هو إشارة إلى تثاقل ظهور الناس بالمظالم والتبعات وأما الزالون والزالات فهم الناكبون في الدنيا عن الصراط المستقيم والدين القويم نسأل الله اللطف بنا أجمعين . وأما الميزان فأثبته جمهور أهل السنة وأنكرته المعتزلة قال الغزالي والقرطبي : ولا يكون الميزان في حق كل أحد لحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا يرفع لهم ميزان وإن كان المعنى من غير أن يكون دخولهم في حسابهم قالوا والمراد بالميزان هو الميزان الكلي الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق فترتفع رفعة واحدة فترفع موازين جميع الخلائق كلها رفعة واحدة وكل أحد يشهد ميزانه قد رفع وأعماله مودعة في كفته إلى أن ينقضي حكم المحاسبات والموازنات .

قال الشيخ محيي الدين : ويكون ميزان كل شخص بشاكلة ما كان الشخص عليه في دار الدنيا فإن الله تعالى قد خلق جسد الإنسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لأي جانب مال ،

قال تعالى :وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ(9) [الرحمن : 9] يعني بالميل إلى المعاصي والوقوع فيها قال وقد قرن الله السعادة بالكفة اليمين والشقاوة بالكفة اليسار فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك ، ثم لا يخفى أن موازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها ممثلة لا محسوسة عكس الدنيا فهي كتمثل لأعمال سواء فإنها في الدنيا أعراض وفي الآخرة

....

من غير الجامع ولهذا الالتباس جعله نقصا بعض الناس من باب سد الذريعة لما فيه من نطق المخلوق بألفاظ شنيعة لا تجيزها الشريعة ، فمن تقوى في فتح الفتح لم يظهر عليه شيء من الشطح ألا ترى ما قال صاحب القوة والتمكين في إنفاذ الأمر : “ أنا سيد ولد آدم ولا فخر “ فانظر إلى أدبه في تحليه كيف تأدب مع أبيه وما ذكر غير إخوته . وقال : ما أصعق الكليم إلا الذي دك الجبل العظيم وما أفاق الكليم من صعقته إلا لما بقي عليه من أداء نبوته ولا يلزم من كون خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس أن يكون أقوى من الناس فسلم تسلم واعرف الأمر واكتم . وقال : من كان جميع أمرك بيده فأنت لديه ما برحت منه حتى تسأل عنه ، لم يرد

تكون أشخاصا كما قال صلى الله عليه وسلم في الموت أنه يؤتى به في صورة كبش فما قال يؤتى به كبشا لأن الحقائق لا تتبدل ثم إنه إذا وضعت الموازين لوزن الأعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم الظاهرة لا الباطنة إذ الأعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبدا لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى كل شيء بمثله انتهى . وعبارة الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في عقيدته : اعلم أنه إذا وقعت الشفاعة العظمى لمحمد صلى الله عليه وسلم وضع الرب سبحانه وتعالى كتابه المتضمن علم جميع مخلوقاته الجامع لتفاصيل كتب جميع الخلائق فإذا وضع جملة كلية وضعت سائر الكتب التفضيلية وضعة واحدة فيجد كل إنسان كتابه في وجود دائرته قد وضع دفعة واحدة وكل أحد لا يرى وضع الكتاب والحساب إلا له وكذلك الميزان الكلي الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق يرفع رفعة واحدة فترفع سائر موازين الخلائق كلها دفعة واحدة كل واحد يشهد ميزانه قد رفع وأعماله مودعة في كفته إلى أن ينقضي حكم الموازنات والمحاسبات فإن نظرت إلى الميزان الكلي قلت إنه واحد وإن نظرت إلى تفاصيل ذلك قلت إنه كثير قالوا : وكل ميزان له لسان وكفتان يعرف بها مقادير الأعمال بأن توزن صحفها . قال الشيخ محيي الدين وآخر ما يوضع في الميزان قول العبد الحمد لله ولذلك ورد والحمد لله تملأ الميزان .

(فإن قلت) : فلم لم تكن لا إله إلا الله تملأ الميزان كالحمد لله ؟

(فالجواب) : إنما لم تكن لا إله إلا الله تملأ الميزان كالحمد لله لأن كل عمل من أعمال الخير لا بد له من عمل آخر من ضده يقابله ليجعل هذا الخبر في موازنته ولا يقابل لا إله إلا الله إلا الشرك إذ هو ضده ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان أبدا بخلاف التوحيد مع معاصي أهل الإسلام ، وإيضاح ذلك أن العبد إن كان يقول لا إله إلا الله معتقدا فما أشرك وإن أشرك فما اعتقد لا إله إلا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا إله إلا الله الميزان لعدم ما يقابلها ويعادلها في الكفة الأخرى . قال الشيخ محيي الدين : وأما صاحب السجلات التسعة وتسعين فإنما دخلت لا إله إلا الله ميزانه لأنه كان يقول لا إله إلا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط وإنما عمل معها سيئات فتوضع لا إله إلا الله في مقابلة التسعة وتسعين سجلا من

....

خبر بالصفات لما فيها من الآفات بخلاف الأسماء ، ألا ترى من جعله موصوفا كيف يقول إن لم يكن كذلك كان مؤوفا ولفظ المؤوف شنيع عند أهل التشريع وما علم من جعله موصوفا أن الذات إذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف ، ومن لم يكن كماله لذاته افتقر كماله إلى صفاته والحق بإجماع كل واحد ليس بأمر زائد .

وقال : لولا الأغيار ما كانت الأسرار والسر ما كان بينك وبينه وأخفى من السر ما ستر عنك عينه . وقال : ما أعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه بالقريب البعيد قريب ممن بعيد عمن ؟ هو أقرب مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ[ق : 16]إلى جميع العبيد . وقال : الاتصال ليس من مقامات

السيئات فترجح كفة لا إله إلا الله على الجميع وتطيش السجلات فلا يثقل مع اسم الله تعالى شيء انتهى . قال الشيخ في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة من « الفتوحات » في معنى قوله تعالى : فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ (9) [الأعراف : 8 - 9]

اعلم أن ميزان يوم القيامة تظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لأنهم إنما يحشرون وينشرون في الأجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها إلى مائة ألف فما فوق ذلك وقد فعل هذا السعيد حسنا في ظاهره وأراد حسنا في باطنه ، وأما الذي خفت موازينه فهو الشقي وذلك لأنه فعل شيئا والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة إلى ثقل ميزان السعيد ولم يعتبر الحق تعالى في الوزن إلا كفة الخير دون كفة الشر فهي الثقيلة في حق السعيد الخفيفة في حق الشقي مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فعلم أن الكفة الثقيلة للسعيد هي بعينها الخفيفة للشقي لقلة ما فيها من الخير أو عدمه بالكلية مثل صاحب السجلات أو الذي يخرجه الله تعالى من النار وما عمل خيرا قط سوى التوحيد من أهل الفترات فإن هذا ليس في كفة اليمنى شيء له وإنما عنده التوحيد لله فقط الحاصل من العلم الضروري الذي ليس له فيه تعمل . قال الشيخ :

ولو أن الله تعالى اعتبر في الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بيانا في ذلك فإن إحدى الكفتين إذا ثقلت خفت الأخرى بلا شك خيرا كان أو شرا هذا حكم وزن الأعمال وأما إذا وقع الوزن بالعبد نفسه بأن يكون هو في إحدى الكفتين وعمله في الكفة الأخرى كما أشار إليه حديث : يؤتى بالرجل السمين العظيم يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة . فذلك وزن آخر غير هذا فمن ثقل ميزانه نزل عمله إلى أسفل وذلك لأن الأعمال في دار الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار ولذلك كره الشارع العمل الشاق لأمته وقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فلهذا كانت كفة عمل هذا الذي ذكرناه تنزل تطلب النار وترتفع الكفة التي هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لأن الجنة لها العلو كما أن الشقي تثقل كفة الميزان التي هو فيها وتخف كفة عمله فيهوي في النار وهو قوله تعالى : فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ (9) [القارعة : 9] فعلم أن كفة ميزان العمل هي المعتبرة في هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل في السعيد لرفعة صاحبها وهي الموصوفة بالخفة في حق الشقي لثقل صاحبها وهو قوله تعالى :

....

الرجال كيف يتصل به أجنبي لا يقول بهذا إلا غبي ففي الكتاب المنزل المثلية وإنما الأعمال بالنية . وقال : ما كان بالحلول فهو معلول وهو مرض لا دواء لدائه ولا طبيب يسعى في شفائه من فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله : “ كنت سمعه الذي يسمع به “ فأثبتك بإعادة الضمير إليك ليدل عليك وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد وأما القائلون بالحلول فهم أهل الجهل والفضول فإنهم أثبتوا حالا ومحلا وعينوا حراما وحلا فمن فصل فنعم ما فعل ومن وصل فقد شهد على نفسه بأنه فصل والشيء الواحد لا تصل نفسه إلا إذا تجزأ والواحد لا يصح فيه انقسام إلا بأمر زائد على ذاته وما ثم إلا مصنوعاته.

وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ [الأنعام : 31] وليست إلا ما تعطيهم أوزارهم من الثقل الذي يهوون به في نار جهنم . وحاصل ذلك أن وزن الأعمال ببعضها يعتبر فيه كفة الحسنات وأن وزن الأعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل انتهى . وقال في الباب الأحد وثلاثمائة في قوله تعالى وَالسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزانَ (7) [الرحمن : 7] إنما وضع الله تعالى الميزان ليوزن به الثقلان وقوله : أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ (8) [الرحمن : 8] أي بالإفراط والتفريط من أجل الخسران وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ [الرحمن : 9] أي مثل اعتدال نشأة الإنسان إذ الإنسان لسان الميزان وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ [الرحمن : 9] أي لا تفرطوا بترجيح إحدى الكفتين إلا بالفضل ثم لا يخفى أن الميزان الذي يوزن به الأعمال على شكل القبان ولهذا وصفه بالخفة والثقل ليجمع بين الميزان العددي وهو قوله تعالى : بِحُسْبانٍ [الرحمن : 5] وبين ما يوزن بالرجال وذلك لا يكون إلا في القبان ، فلذلك لم يعين الكفتين بل قال فأما من ثقلت موازينه في حق السعداء وأما من خفت موازينه في حق الأشقياء ولو كان المراد به ميزان الكفتين لقال : وأما من ثقلت كفة حسناته فهو كذا وأما من خفت كفة سيئاته فهو كذا فعلم أنه لولا ميزان الثقل هو عين ميزان الخفة وأنه كالقبان لكان ذا كفتين ولو كان ذا كفتين لوصف كفة السيئات بالثقل أيضا إذا رجحت على الحسنات فلما لم يصفها إلا بالخفة فقط عرفنا أن هذا الميزان على شكل القبان انتهى . وقال في الباب التاسع والتسعين من « الفتوحات » : مما يقرب لعقلك كون الحق تعالى يأتي يوم القيامة بأعمال بني آدم صورا قائمة مع كونه أعراضا كون الحق تعالى قادرا على إيجاد المحال وكون الإنسان يشهد من نفسه قدرة خياله على إيجاد المحال فيرى العبد ربه عز وجل في المنام في صورة مع أن ذلك محال في جهة الحق تعالى فقد جعل الخيال لمن لا تعلم له صورة صورة ورد المحال ممكنا فإذا كان الخيال رتبته هذا مع أنه مخلوق فكيف بالخالق ، فقد بان لك صحة وضع الأعمال في الميزان مع كونها أعراضا وذلك لإقامة القسط وكذلك مما يقرب لعقلك وزن الأعمال تصور الموت مع كونه نسبة في صورة كبش أملح أي في غاية الوضوح إذ الأملح الأبيض وذلك ليعرف جميع الناس فهذا محال مقدور فأين حكم العقل وفساد تأويله وأطال في ذلك . وعبارة الشيخ أبو طاهر القزويني في الباب الثلاثين من كتابه « سراج العقول » : اعلم أنه لما كانت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء وكان الله تعالى هو الملك

....

(قلت) : فكذب والله من افترى على الشيخ رحمه الله بأنه يقول بالحلول والاتحاد فتأمل والله أعلم .
وقال : لو انقطع الأصل لانقطع النسل للتواصل سبب التناسل سواء كان من نكاح أو من سفاح .
وقال : إن نظرت بغير عينه بعظيم بينه وبينه هو فضله ووصله على هذا وقع الاصطلاح عند الشراح فهو من أسماء الأضداد كالقرء في الطهر والحيض المعتاد . وقال : ليس من الملة القول بالعلة إذا لحق عند أهل الملة لا يصح أن يكون لنا علة لأنه تعالى قد كان ولا أنا فلماذا

“ 600 “

العدل الذي لا يظلم الناس شيئا ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يجازي كل امرئ بما كسب ، نصب تعالى ميزانا في القيامة عدلا يوزن به سيئات عبيده وحسناتهم إظهارا لعدله قال تعالى :
وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها [الأنبياء : 47] أي وإن كان وزن حبة خردل ومن دخلت للتبيين كقوله تعالى :
ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ [هود : 61] وقيل إنها للتبعيض ومعناه إن كان وزن حبة خردل كأنه قسم الخردلة ثمانية وأربعين جزءا مثلا هي حباتها كما أن الدرهم ثمان وأربعون حبة والمعنى وإن كان وزن جزء من ثمانية وأربعين جزءا من خردلة واحدة وفي الحديث مرفوعا : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا الأعمال قبل أن توزنوا » يعني أن توزن أعمالكم كقوله تعالى وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ [المطففين : 3] أي كالوا لهم أو وزنوا لهم ومعنى وزنوا الأعمال تعرفوا مقاديرها بالمقايسة إلى أوقاتكم .
وعن ابن عباس قال : توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان كل كفة كأطباق الدنيا كفة من نور وكفة من ظلمة . قال حذيفة رضي الله عنه : وصاحب الميزان يومئذ هو جبريل عليه السلام فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان وهو الحق فتثقل كفة الحسنات على سيئاته فتثقل إلى الجنة ويعرف بذلك وهو المفلح في قوله :
فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المؤمنون : 102] وأما الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة فيوضع في ميزانه وهو الباطل فيخف وزنه في النار فيقال له الحق بعملك وفي الحديث مرفوعا : « إن لله تعالى ملكا موكلا بالميزان فيجاء بابن آدم حتى يوقف بين كفتي الميزان فيوزن عمله فإن ثقل

....

العنا ؟ من كان علة لم يفارق معلوله كما لا يفارق الدليل مدلوله ولو فارقه ما كان دليلا ولا كان الآخر عليلا ، وما قال بالعلة إلا من جهل ما تعطيه الأدلة القول بالعلة معلول بواضح الدليل وليس إلى مخالفته سبيل فإن أحكام الحق في عباده لا تعلل وهو المقصود المؤمل . وقال : ما أظهر الشتاء والقيظ إلا تنفس جهنم من الغيظ ، فغيظها علينا في العاجل دليل على الآجل أكل بعضها بعضا فأقرضها الله فينا قرضا فنرجو أن يكون ما يصيب المؤمن هنا من حرورها وزمهريرها يحول في القيامة بينه وبين سعيرها وقد جازت من اقترضها في الدنيا بالخمود عنه في الأخرى فتقول : جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي . فالأدباء الأعلام يعتقدون القضاء ويحاسبون نفوسهم على ما مضى .
وقال : لا يلزم من الإيمان بالوقفية للحق تعالى الجهة ولا إلزام الشبه الجهة ما وردت والفوقية قد ثبتت فانظر ما ترى وكن مع أهل السنة من الورى .
وقال : التلوين دليل على التمكين نزل في سورة الرحمن كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [الرحمن : 29] إنما كان الثلث الآخر من الليل فيه البركة لأن فيه الحركة فلا يصغى لقول من قال : كل يوم تتلون غير هذا بك أحسن وقال : جميع ما في الوجود أفعاله مع أنه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش .
وقال : « إن الله لا يمل حتى تملوا فارتحلوا أو حلوا » قيد نفسه تعالى في عقدكم فقال : وَأَوْفُوا

الميزان نادى الملك بأرفع صوته ألا إن فلانا سعد عادة لا يشقى بعدها أبدا » وفي الحديث : « ثلاثة مواطن تشغل المرء عن والده وولده عند الصراط حتى ينظر أينجو أم يزل وعند تطاير الكتب في الأيمان والشمائل وعند الميزان حتى ينظر أيثقل أم يخف » فهذه وأمثالها من الآيات والأخبار تدل على صحة الوزن بالميزان وإنما يتلجلج في صدور المنكرين له كيفية وزن الأعمال لكونها أعراضا عرضت فنيت والثقل والخفة معنيان أيضا ولا يقوم المعنى بالمعنى والأعمال صفات أصحابها وقد خبط الناس في هذه المسألة خبط عشواء وخلاصة المسألة أن يعرف الإنسان أن المقصود بوزن الأشياء إنما هو ظهور مقاديرها وقد جعل لذلك آلات مختلفة كالميزان والقبّان لمعرفة أثقال الأحمال والأسطرلاب لمعرفة مقادير حركات الشمس والكواكب فكذلك ها هنا المقصود بوزن الأعمال في القيامة هو ظهور مقاديرها لتقابل بأمثالها من الجزاء ثوابا كان أم عقابا ونحن نرى في الدنيا آلات وضعت لعرفان مقادير المعاني في الأشياء كالعروض جعل ميزانا يعرف به صحيح الشعر من منزحفه ومنكسره وكالنحو يعرف به فصيح الكلام من ملحونه ، وكالحجر الذي يرفعه الأقوياء من الأحداث ليعرفوا به مقادير قواهم التي خلقها الله تعالى في أعضائهم وليست هي بمنفصلة عنهم كذلك لا يبعد أن يجعل الله تعالى الميزان القسط ليوم القيامة آلة محسوسة صالحة لوزن الأعمال التي هي أعراض فيعرف بها مقادير الحسنات والسيئات لأصحابها فيجازون بمقاديرها من غير عدوان كما قال تعالى ولا تظلمون فتيلا فقد علمت أن ذلك جائز في العقل وورد به بالشرع فوجب الإيمان به ومن عجز عن تعقل ذلك ومعرفة كيفيته فليكل علم ذلك إلى الله عز وجل كنظرائه والله تعالى أعلم . فعلم أنه ينبغي لكل من خاف من يوم الحساب أن يكثر من الأعمال الصالحة ولا يمل وذلك ليعطي

....

بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ [البقرة : 40] تنبيها لكم على الأدب وخروجا لكم عن الريب ، وقال : من نظر في ظله علم أن حكمه في الحركة والسكون من أصله فتحرك بحركته لا بتحريكه فإياك والابتداع .

وقال : من قام بالحق صدق في كل ما نطق من قام السيف وإن عدل صاحب حيف وإذا كان الأصل معلول فصاحبه مخذول لأنه أصل فاسد يحرم العبد الفوائد .

وقال : الطريق ساقة وقادة إما إلى شقاوة أو سعادة فاعرف الطريف وتخير الرفيق تنج من عذاب الحريق .

(وقال) : لا تكثر الوارد إلا على باب الأجواد فإن البخيل بابه مغلق والجواد جواده مطلق إذا فنى الكريم عن شهود جوده في حال جوده فهو الدليل على صحة وجده ووجوده ، فإنه ما أعطى للخلق إلا ما كان لهم في خزائن الحق ومع هذا فله الأجر في استعماله في هذا الأمر ومن تكرم وجاد وتخيل أن له فضلا على العباد فما جاد إذ المنة إذا فاعلم ذا وقال : لا يتعدى قط حكيم ما رتبه العليم فما حكم به الولي في الخلق يمضيه الحق وإن رده الحاكم الجائر فلا يلتفت إلى رده فإنه من صدق وعده وهو لا يخلف الميعاد فلا بد من رد أهل الإلحاد .

وقال : قد كان الحق ولا شيء معه فهو السابق وهو الذي يصلي علينا فهو اللاحق ، تارة يتجلى في اسمه الأول وتارة في اسمه الآخر . وقال : من كان سهل القياد خيف عليه الفساد ولكنه أمن من

منها أخصامه يوم القيامة فإن الظالم إذا لم يكن معه شيء يعطيه لأخصامه طرح على ظهره من سيئات خصمه ثم قذف به في النار فوالله ما خلقنا إلا لأمر عظيم ونحن غافلون عن ذلك كالبهائم السارحة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وسمعت سيدي عليا بالخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لأحد أن يستكثر قط أعماله في عينه فإن أعمال أمثالنا ولو صارت كالجبال فربما لا يتحصل منها في الميزان الأخروي مثقال ذرة لعدم الإخلاص لله فيها نسأل الله اللطف بنافي الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين آمين آمين .

(خاتمة) : في بيان عجز العقول عن إدراك الكثير مما غاب عنها من أمور الآخرة من حين تبدل الأرض غير الأرض والسماوات إلى استقرار الخلق في الجنة والنار وبعد ذلك مما قصه الله تعالى علينا إلى ما لا نهاية وليس مع الخلق الآن إلا الإيمان بذلك على علم الله فيه اللهم إلا أن يؤيد الله عز وجل بعض خواصه بنور الكشف . قال الشيخ أبو طاهر القزويني رضي الله عنه : واعلم رحمك الله أن تصور العقل لأحوال القيامة وما غاب منها عسر جدا ولكن ينبغي للعاقل أن يعلم أن الله تعالى جعل آدم وذريته خلائف في الأرض وعمرها بهم قال تعالى وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ [الأنعام : 165] وقال تعالى هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا [هود : 61] ثم إنه سبحانه وتعالى لما رشحهم للخلافة آتاهم من كل آلة يدبرون بها معاشهم وقد خلقهم الله تعالى في الدنيا للآخرة فأعطاهم الله تعالى العقل والنطق فضيلة لهم فكان العقل والنطق لهم آلتين يتوصلون بهما إلى تدبير معاشهم في الدنيا وتهيئة أسباب معادهم حسب ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فكما أن العقول عاجزة عن معرفة الله عز وجل حق المعرفة لكونه تعالى غيب عنها فكذلك ما غاب عنها من أحوال الآخرة وما يتقدمها من سؤال

....

العناد ما يسعد المنقاد إلا بحكم الاتفاق فليس مطلق الانقياد من مكارم الأخلاق فمن حكم العلم سلم وغنم . وقال : من كانت همته عالية لم يظهر لهمته تأثير في هذه الدار الفانية فإنها تفنى بفنائها وترحل عن فنائها . وقال : المشكور قد يمكر به فإن من أوصل حقا إلى مستحقه فقد أدى إليه واجب حقه فعلام وقع الشكر ولا بدل ولا فضل ، وقد قرن الله الزيادة بالشكر لما علم فيها من المكر .

وقال : عطاء الله كله بدل وإن كان منعا ومن آثر على نفسه من المؤمنين فهو الخاسر وإن نجا ، فإن المؤمن قد باع نفسه من الله والمبيع لمن اشتراه وحق الله ، لكن الدعوى أوقعت العبد في البلوى أبدا بنفسك مقدما لها على أبناء جنسك . وقال : من رأى الكون عينا مستقلة فهو صاحب علة ما قال بالعلل إلا القائل بأن العالم لم يزل وأتى للعالم بالقدم وما له في الوجود الوجوبي قدم لو ثبت للعالم العدم لاستحال عليه العدم والعدم ممكن بل واقع عند العالم الجامع لكن أكثر العبيد في لبس من خلق جديد فما عرف تجدد الأعيان إلا أهل الحسبان وأثبت ذلك الأشعري في العرض وتخيل الفيلسوف فيه أنه صاحب مرض لجعله بسواد الزنجي

الملكين في القبر وجوابهما وكيفية البعث والحشر والنشر والصراط والميزان وقراءة الكتب وكيفية الحوض والشفاعة وأوصاف الجنة والنار بحقائقها ورؤية الله عز وجل في غير جهة وسماع كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف وغير ذلك من تفاصيل لذات الثواب والآلام التي تستغرق فيها النفوس لا سيما لذة النظر إلى وجه الله الكريم وألم الفزع الأكبر نعوذ بالله منه ، فإن العقل بمجرده لا يستقل بدركه إذ العقل إنما هو آلة للعبد يدرك بها تفاصيل الأوامر والنهي في دار التكليف ويعرف بها مصالح المعاش ومفاسده وكان بعض العارفين يقول : الألسنة عن ذلك وعن حقائق الذات المقدس والأمور الأخروية محتبسة والعقول عن درك معانيها محتبسة ولم يخبرنا الشارع صلى الله عليه وسلم عن الله وعن أمور الآخرة إلّا على طريق الإجمال والإرسال بما يقرب معناه من الأفهام فكان غاية النطق أنه أخبرنا بها على الجملة إيجابا للإيمان بها وغاية العقل البحث عن تجويز ذلك أو استحالته فإذا أخبرنا بها الصادق مجملة واستجازها العقل مرسلة وجب الإيمان بها صدقا والاعتقاد لها حقا ثم إنه يجب علينا كف الفكر عن البحث عن كيفياتها وردعه عن أن يتشوف للطمع في درك حقائقها فإن الفكر عن ذلك مصدور ، كما أن البصر عن سماع الصوت مردود اللهم إلا أن يكاشف بعض الأولياء من أحوال الآخرة بشيء في حال غيبته عن الخلق وشهوده للحق فإنه في ذلك الوقت يكون مسلوب النطق مغلوب العقل لأنه حينئذ يشاهد أمورا لا تتسع لها ظروف الحروف ولا تنتهي إليها العقول كما قال الشاعر :

وإن قميصا خيط من نسج تسعة * وعشرين حرفا عن معانيه قاصر

قال الشيخ أبو طاهر : ومن تأمل هذا المعنى انكشف له كثير من الغوامض التي درج

....

وصفرة الذهب .

وقال : الوقت سيف ومنه الخوف . كل الخوف زمانك حالك وفي إقامتك ارتحالك ، فسيرك يا هذا كسير سفينة بقوم جلوس والقلوع تطير وقال : ولو كتم العبد سرا لما قيل له : لقد جئت شيئا إمرا ولا نكرا ولو ترك السر مخزونا ما كان الكليم مغلوبا إن هي إلا فتنتك من شدة الشوق عن ذوق .

وقال : العذاب الحاضر تعلق الخاطر من يئس استراح وخرج من القيد ، وراح الأنس لا يكون إلا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمثل ضد والضدية بعد الأنس بالأنس لا يكون إلا المفتون والكتاب المكنون لا يمسه إلا المطهرون .

قال : إنما حرمت الخمرة في هذه الدار لأنها تبدي الأسرار وترفع الأستار فحرمت في الدنيا لقوة سلطانها وهي لذة للشاربين حيث كانت ، لكنها في الدنيا محرمة وفي الآخرة مكرمة وهي ألذ أنهار الجنان ولها مقام الإحسان .

وقال : لا يقطع العبد على ربه بأمر لأنه يفعل ما يريد وما عصى إلا بعلمه وما خولف إلا بحكمه ، وكذلك حكم من أطاعه إلى قيام الساعة .

وقال : ليس لأهل الجنان عقل يعرف إنما هو شهوة وهوى يتصرف العقل في أهل النار مقيله وبه يكثر حزن الساكن بها وعويله العقل من صفات الخلق ولهذا لم يتصف به الحق العقل

عليها المتقدمون مكلفين عقولهم ما ليس في وسعها طمعا في أن ينال ما لا ينال فكان عاقبتهم الحيرة والضلال ، وأن من هذا القبيل قراءة أهل العرصات الكتب المكتوبة بخط الملائكة الكرام ولا شك أنها بخلاف كتابة أهل الدنيا ولهذا يقال للكتابة التي لا تقرأ كأنها خط الملائكة ومن ذلك أيضا ما يخلق الله تعالى من إدراك لذات كثيرة من نعيم الجنة مطعومها ومشروبها ومشمومها وملبوسها ومنكوحها عن حالة لا توجد في الدنيا كما وردت به الأخبار الصحيحة في ثواب الأعمال وتلك الإدراكات بذاتها لا تضاهي شيئا من الإدراكات التي تدرك بها اللذات الدنيوية فإنها وإن كانت تشاكلها في الجنسية والتسمية فإن لها اختصاصات عجيبة تكل العقول عن دركها ، وقول ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا بأسمائه أصل كبير في هذا الباب . قال الشيخ أبو طاهر : فلعدم تلك الإدراكات في الدنيا لا نجد في أنفسنا لذة النظر إلى وجه الله الكريم ولا غير ذلك من اللذات الموعودة في الجنة كما لا يجد الصبي في صباه لذة الجاه لأنه لم يخلق له إدراك ذلك قال : والدليل على هذه الجملة قوله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة جل وعلا أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه ثم قرأ قوله تعالى فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ [السجدة : 17] وهذه خطة ضلت فيها الفلاسفة فأنكروا أمور الآخرة وإذ قد صح لك أن العقل لا يطلع على كنه حقائق الأشياء الغيبية ولا يبلغ منتهى أسرارها علمت أن غايته أن يقيس ما لا يراه على ما يراه بأدنى شبه يكون بينهما ، وقد جاءت الشرائع بأشياء يعجز العقل عن معرفة عللها وكيفياتها ولكن إذا حكم العقل بإجازتها وجب علينا الإيمان بها كالحشر والنشر في الآخرة كالوجه والقدم في صفات الله تعالى وكذلك القول في معرفة مقادير الشرائع والعبادات وقد درج

....

آلة التكليف ، فإذا زال التكليف تأثر العقل . وقال : الحق نزوله سرى إلى السماء التي تلي الورى فيسامرهم بالسؤال والنوال ويسامرونه بالأذكار والاستغفار . ويقول : ويقولون ويسمع ويسمعون هذا معنى النزول عند أرباب العقول المخلوق ضعيف ولولا المصالح ما نزل التكليف فخذ منه ما استطعت ولا يلزمك العمل بكل ما جمعت فإن الله ما كلف نفسا إلا ما أتاها وجعل لها بعد العسر يسرا حين تولاها وشرع في أحكامه المباح وجعله سببا للنفوس إلى السراح والاسترواح ما قال في الدين يرفع الحرج إلا من على منهج الشارع درج الله يسر فما يمازحه عسر ، ومن شدد على هذه الأمة بعث يوم القيامة في ظلمة . وقال : ما العجب إلا من قوله :
وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ [هود : 123] كيف قيل : يرجع إليه وهو ما برح لديه ولم تزل في يديه ستور مسدلة وأبواب مقفلة وعبارات موهمة وهي شبهات من أكثر الجهات .
وقال : إذا لمح القلب شهود الحق فهو حينئذ ضيف نازل يتعين على المؤمن القيام بحقه والكرامة تكون على قدر القلب لا النازل عليه وفي العموم عل النازل لا المنزل عليه ، فلا يحجبنك أنزلوا الناس منازلهم لأننا لو عاملنا الحق بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه مواصلة .
وقال : حقيق على الخلق أن لا يعبدوا إلا ما اعتقدوه من الحق وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ

السلف الصالح والتابعون لهم على التصديق بها جزما ومنعوا أصحابهم عن البحث عن حقائقها وردوها إلى علم سر القدر المنهي عن الخوض فيه وقالوا اقرءوها كما جاءت بلا كيف ولم يجد التشبيه إلى عقائدهم سبيلا لقوتها وصلابتها وذلك لغضاضة الإسلام وقرب العهد من أزمانه صلى الله عليه وسلم التي هي زمان الوحي ومشاهدة التنزيل ومهبط جبريل فلما أن درج القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم خير القرون انبعثت الأهواء من كل صقع وباض الشيطان بكل قطر ونفث في عقد القلوب وجال في الخواطر بخطراته فتزلزلت لذلك العقائد واضطربت الآراء وكثرت مقالات أهل الأهواء كالقرامطة والزنادقة والرافضة خذلهم الله تعالى إذ ألفوا الكتب في الضلالات وبثوها في الأمصار ودعوا إليها الأغبياء من الناس فشاعت البدع وفشا البهتان وانحلت عقد العقائد وذلك لبعد الناس عن زمان البعثة كما مر
قال تعالى في حق قوم فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ [الحديد : 16]
ولهذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : طوبى لمن مات في ناناة الإسلام يعني في أوله ثم لا يخفى عليك يا أخي أن المعتقدين اليوم وإن صحت عقائدهم وراجت نقودهم فكثيرا ما يتخالج في ضمائرهم خواطر الشكوك من كثرة ما يقرع مسامعهم من شبه أهل الأباطيل ولا يجدون أحدا من الأئمة المحققين يبين لهم مصادر الأمور ومواردها وربما يموت أحدهم على رجز بين ضلوعه من تجسيم وتشبيه وتعطيل وأمور منكرة ولا يجسر أن يسأل أحدا عنها ولا يجد أحدا يشفي الغليل بجوابه فلا يزال يخفي عقيدته عن نفسه فكيف عن غيره فهذا الذي دعا المحققين من المتكلمين إلى إيراد أمثلة كثيرة في مضايق المشكلات وكشف ما أمكنهم من المعضلات وتكرير العبادات في جميع مباحث الكلام هذه الخاتمة يحتاج إليها من يطالع مثل هذا الكتاب فأمعن يا أخي النظر فيها يسهل عليك فهم

....

[البقرة : 40] فالكل من عندكم دليل الله أكبر إلى تحوله يوم القيامة في الصور . وقال : لا تسكن إلا السهل إن أردت أن تكون من الأهل ، لا تدخل بين الله وبين عباده ولا تسع عنده في خراب بلاده ، هم على كل حال عباده وقلوبهم بلاده ما وسعه سواها وما حوته ولا حواها ولكنها نكت تسمع وعلوم مفرقة تجمع وقل كما قال العبد الصالح : إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ [المائدة : 118] الآية .
وقال : ذهب بعض الأماثل أن العالم بجملته أبدا نازل يطلب بنزوله من أوجده والحق تعالى لا ينتهي إليه فكان ينبغي من أول حركة أن يعتمد عليه لأنه جل وعز أن تقطع دونه المفازات الحال يحيل العلم به فأين تذهبون يقول العارف لأبي يزيد : الذي تطلبه تركته ببسطام فدل على هذا المقام . وقال : كلما خبثت السريرة عميت البصيرة ويرفع الالتباس بتفاضل الناس .
وقال : ما من شخص إلا ويخاطبه الحق من قلبه ويحدثه من لبه وهو لا يعرفه إنما يقول خطر لي كذا وكذا ولا يدري ذلك من أين لجهله بالعين ، فما فاز أهل الله إلا بشهوده لا بوجوده مع أن شهود الحق لا ينضبط وهو مع العالم مرتبط ارتباطا عبد بسيد ومملوك بمالك ومقهور بقاهر .
وقال : الجنين في كبد إلى أن يولد هو في ظلمة غمه ما دام في بطن أمه ، ولما علم أنه

كثير من آيات الصفات وتعقل أشياء كثيرة من محالات العقول .
المبحث التاسع والستون : في بيان أن تطاير الصحف والعرض على الله تعالى يوم القيامة حق لورود النصوص به لكن لا يخفى أن الناس يتفاوتون في ذلك فأما تطاير الصحف فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله ومنهم من يأخذ كتابه من وراء ظهره ، فأما الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم فهم المؤمنون على اختلاف طبقاتهم وأما الذين يعطون كتبهم بشمائلهم فهم المنافقون لا المشركون كما قال الشيخ محيي الدين قال : لأن المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (14) [الإسراء : 14] لأنه كان يعلم ما انطوت عليه نفسه من الكفر خلاف ما كان يظهر للناس ولذلك عقب الله تعالى الذي يأخذ كتابه بشماله بقوله : إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) [الحاقة : 33] فسلب عنه الإيمان دون الإسلام لأنه كان منقادا للإسلام في ظاهره ليحفظ دمه وأهله وماله وهو في باطنه إما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الإيمان فإنه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد إلا الله . وأما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فإذا كان يوم القيامة قيل لأحدهم خذ كتابك من وراء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا بترك العمل به فهم كتابهم المنزل عليهم لا كتاب الأعمال كما توهمه بعضهم فإن هذا حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أي تيقن أنه لن يرجع وهذا هو الذي يقول الله تعالى له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره أظننت أنك ملاقي الحديث ؛ قال : وليس أولئك إلا الأئمة المضلين الذين ضلوا وأضلوا فافهم . قال الشيخ محيي الدين : ثم لا يخفى أن هذه الكتب التي كتبتها الحفظة في الدنيا خاصة بأعمال المكلفين

....

في أمر مريج أراد الخروج والعروج فأخرجه على الفطرة التي كان عليها أول مرة ، فالشقي هو الشقي في بطن أمه لما هو عليه من غمه والسعيد سعيد في بطن أمه لما خصه به من علمه فلقد رأيت من شمت أمه وهو في بطنها حين عطست وحمدت فهذا واحد خصه الله بعلمه وهو في بطن أمه فلا يحجبنك قوله تعالى : وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً [النحل : 78] فإن ذلك مثل من رد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا فلا يلزم من العالم حضوره دائما مع علمه وهكذا حال الجنين إذا خرج من بطن أمه .
وقال : العجب كل العجب من رؤية الحق في القدم أعيانا لها حالها العدم ، ثم إذا أبرزهم إلى وجودهم تميزوا في الأعيان بحدودهم انظر وحقق ما أنبهك عليه واستر ، أوجد الله في عالم الدنيا الكشف والرؤيا فيرى الأمور التي لا وجود لها في عينها قبل كونها ويرى الساعة في مجلاها والحق يحكم فيها بين

وأقوالهم وليس فيها شيء من عقائدهم إلا ما شهدوا به على أنفسهم من تلفظهم به فإن الملائكة لا تكتب من أقوالهم إلا ما تلفظوا به انتهى . وقال الإمام الغزالي رحمه الله في قوله تعالى وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ (10) كِراماً كاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ (12) [الانفطار : 10 - 12] اعلم أن الملكين يوكلان بالشخص إذا قارب البلوغ قال تعالى إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ (17) [ق : 17] وقال تعالى بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ [الزخرف : 80] ثم إذا اتصف العبد بالعقل كان أحد الملكين يهديه والآخر يغويه ورتبة الهادي أعلى من رتبة اللغوي وهما من الملائكة السفرة الكرام البررة الذين هم أعوان الملك الأعظم الذي هو صاحب القلم عند أكثر المحققين قال :

ثم إن الملكين يكتبان الحسنات والسيئات كتابة لا تشبه كتابة أهل الدنيا لأنهما إنما يكتبان في صحف مطهرة مطوية في سر القلب لا يطلع على ذلك أحد من أهل الدنيا إذ الملكان وكتابتهما وصحفهما وجميع ما يتعلق بهما من عالم الملكوت وذلك لا تدركه أبصارنا في عالمنا هذا ثم إن تلك الصحف المطوية تنشر مرتين مرة عند النزع لقوله فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ [ق : 22] ومرة في القيامة على رؤوس الأشهاد قال تعالى وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً [الإسراء : 13] وذلك عند وضع الميزان القسط فيرى الكتب هناك طائرة من الهواء وهو قوله طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ [الإسراء : 13] طائره في عنقه على أحد التفاسير ثم إذا قرأ كل أحد كتابه يجد حروف كتابه نيرة أو مظلمة بحسب أعماله الحسنة أو القبيحة فصاحب الحسنات يجد كتابه خطوطا بيضاء وصاحب السيئات يجد كتابه خطوطا سوداء . قال الشيخ أبو طاهر القزويني : وأصحاب الكتب يومئذ إذا عرضت عليهم كتبهم مضطرون إلى قراءتها من غير تعليم من أحد بل بإلهام من الله تعالى . فنسألك اللهم أن تؤتينا كتابنا بأيماننا وتدخلنا جنتك بأيماننا ولا تفضحنا يا أرحم

....

عباده حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت فتوجد بعد ذلك في مرآها كما رآها فإن تفطنت فقد رميت بك على الطريق وهذا منهج التحقيق . وقال : في قوله : يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ [الأحزاب : 1] : اعلم أن من علم الخبير تأديب الصغير بالكبير أدب الأمة بتأديب رسولها لتبلغ باستعمال ذلك الأدب إلى تحصيل مأمولها ، فخاطب الرسول والمراد من أرسل إليه فابحث عليه . وقال : قال تعالى : ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا [الروم : 41] فأخبر تعالى أن ذلك جزاء ما هو ابتداء فما ابتليت البرية وهي برية هذه مسألة صعبة المرتقى لا تنال إلا باللقاء اختلفت فيها طائفتان كبيرتان فمنعت واحدة ما أجازت الأخرى والرسل بما اختلفوا فيه تترى وما تحقق أحد منهم ما جاءت به الرسل ولا سلك فيه سواء السبيل بل كان واحد ينصر ما قام في غرضه وهو عين فرضه إلا الطبقة العليا فإنهم علموا الأمور في الدنيا فلم يروا أمرا في الدنيا مؤلما إلا وهو جزاء ما هو ابتداء بقول الطبيب إذا تألم المريض ما قصدت إلا نفعه بما أمرته به من الأدوية المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب إذا مرض ولم يدر من أي باب دخل عليه المرض : آلمك هذا إنما هو جزاء لما آلمت به المرضى فخذ جزاء ما فعلته . وقال : أصدق القول ما جاء في الكتب

الراحمين .وأما العرض على الله يوم القيامة فهو مثل عرض العساكر على الملك فيوقف العبد بين يدي الله عز وجل كما يليق بجلاله ويقع السؤال بحسب ما يريد الله عز وجل بذلك العبد فيا له من موقف يتساقط فيه لحم الوجوه من شدة الخجل والحياء من الله عز وجل وفي الحديث : " من نوقش الحساب عذب " . قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلاثمائة : والمراد بالمناقشة هو السؤال عن علل الأعمال فيعرض تعالى على العبد عمله قال وهذا السؤال عام في حق كل الخلق حتى الرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعاليَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ[المائدة : 109] الآية قال ولكن فرق عظيم بين سؤاله للأنبياء وسؤاله لغيرهم فإن سؤاله للرسل يكون على تكرير النعم على طريق المباسطة وأما سؤاله لغيرهم فيكون في أمور قبيحة نسأل الله اللطف وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل هو وأصحابه رطبا وبسرا وشربوا بعده الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة " مع أن هذا كان عقب الجوع كما يدل عليه سياق الحديث فقد شارك هؤلاء الأنبياء في سؤال تقرير النعم في هذه القصة وفارقوهم في سؤال التوبيخ والتقريع .

(فإن قيل) : فما سبب شهادة الأعضاء على صاحبها ولم لم يكن يشهد على نفسه بلسانه ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السبعين من " الفتوحات " أن سبب شهادة الأعضاء قبح تلك الذنوب فيستحي العبد بين يدي الله عز وجل أن ينطق بها أو بنكرها أصلا وهو تعالى أسرع الحاسبين فلا ينتظر زوال الاستحياء فلذلك تستشهد أعضاؤه ثم يقبل الله شهادتها لعدالتها الأصلية من أصل الفطرة والأصل العدالة والجرح طارىء وينقدح من هذا سؤال وهو إذا كانت

....

المنزلة والصحف المطهرة ومع تنزيهها الذي لا يبلغه تنزيه نزلت إلى التشبيه الذي لا يماثله تشبيه فنزلت آياته بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو أمر ثالث ليس مثلهما أو مشترك ، وعلى كل حال فالمسألة فيها إشكال لأن العبارات لحننا والقرآن كلام الله لا كلامنا فما التنزل والمعاني لا تتنزل إن كانت العبارات فما هو القول الإلهي وإن كان القول فما هو اللفظ الكياني وهو اللفظ بلا ريب فأين الشهادة والغيب إن كان دليلا فكيف هو أقوم قيلا ، وما ثم قيل إلا من هذا القبيل ، وهو معلوم عند علماء الرسوم فتحقق ولا تنطق .

وقال : لما أقام الشارع العصمة مقام الحرس لم يحتج صلى الله عليه وسلم إلى العسس وطالما كان يقول : من يحرسنا الليلة مع علمه بأن المقدر كائن والحارس ليس بمانع ما قدر ولا صائن لكن المعبود طلب بذل المجهود وهو يفعل ما يشاء وهذا مما يشاء وما يشاء إلا ما علم وما علم إلا ما هو ثم فلله الحجة البالغة فافهم .

وقال : كيف للخلق أن يردوا دعوة الحق لولا أن صنعته ردت عليه وبضاعته ردت إليه ما أشبه ذلك بالصدى إذا قهر بدا يتخيل المصوت أنه غيره وما ثم إلا أمره الحق واحد والاعتقادات تنوعه وتفرقه وتجمعه وهو في نفسه لا يتبدل وهو في عينه لا يتحول كما أنه

الأعضاء كلها تشهد وهي عدول مزكاة وما ثم إلا أعضاء فمن المعذب ؟ انظر يحتاج ذلك إلى جواب ولعل تعذيب الأعضاء إنما هو لتلذذها بفعل ما نهيت عنه في دار الدنيا وكان بعضهم يقول في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب أن المراد أنه لم يكن في حسابهم إن الله تعالى يدخلهم الجنة لسوء ما تعاطوه وقال : ليس المراد أن الحق تعالى لا يحاسبهم على أعمالهم انتهى فليتأمل .

وقال في الباب الثامن وتسعين ومائة من " الفتوحات " : إذا أخبر الحق تعالى عباده بما فعلوه من الجرائم يوم القيامة فيما بينه وبينهم كقوله يا عبدي فعلت كذا وكذا في وقت كذا وكذا لا يكون ذلك منه على وجه التوبيخ وإنما يكون ذلك من باب إعلامه بسعة رحمته تعالى وهذا خاص بالموحدين فافهم . وقال في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة : اعلم أن كل مسلم استحيى من الله تعالى في الدار الدنيا ومن لقائه يوم القيامة فلا بد أن يؤنسه الحق تعالى يوم القيامة ويزيل خجله وأصل الاستحياء يكون من المخالفة أو التقصير في خدمة الله تعالى وما ثم غير هذين الطريقين قال : وصورة تأنيس الحق تعالى لعبده المؤمن أن يقول له عبدي ما كان الذي وقع منك في دار الدنيا إلا بقضائي وقدري لأنك موضع جريان أحكامي فيأنس العبد بهذا القول أشد الأنس ولو أن العبد قال هذا القول لله تعالى ابتداء لأساء الأدب مع الله تعالى ولم يسمع منه وبهذا بعينه يؤنسه الحق تعالى فهو من جانب الحق تعلق في غاية الحسن ومن جانب العبد في غاية القبح فليس له أن يقول يا رب كيف تقدر علي المعاصي ثم تؤاخذني وأما الحق تعالى فإذا قال للعبد أنت موضع جريان أحكامي فهو في غاية الفضل والإحسان لأن فيه إقامة العذر للعبد وتأنيسه ومباسطته وإزالة خجله ورفع وجله . قال الشيخ محيي الدين : ولما ورد على هذا التعريف الإلهي في واقعة من

....

يحصره الأين ويحده الانقلاب من عين إلى عين فلا يحاز فيه إلا النبيه ولا يتفطن إلى هذا التنبيه إلا من آمن بما ورد من التنزيه والتشبيه وأما من نزه فقط أو شبه فقط فهو صاحب غلط لأن التشبيه تنزل للعقول وتمهيد للقبول . وقال : السيد يستخدم العبد بمقاله والعبد يستخدم سيده بحاله ولسان الحال أفصح من لسان المقال ، إذ الأحكام التي تتضمنها الأحوال إنما تعرف بقرائن الأحوال والاصطلاح قد لا يكون له في كل باب مفتاح .

وقال : مقاومة الأقدار للحق والمصابرة فيها فيها رائحة النزاع للأقدار فالسعيد من العبيد من كان مع الله كما يريد فإن أراد منه النزاع نازع لكن هو نزاع بحكم الشرع لا بحكم الطبع لولا الفرج الإلهي ما تاب التائب ولولا التبشبش الرباني ما اتصف آتي المسجد بالذاهب .

وقال : لما أراد الحق تعالى المناجاة في مسجد الجماعات أمر بإعلان الأذان لأصحاب الآذان ، فمن أجاب الداعي فهو صاحب السمع الواعي وما للأحدية في النداء أثر ولا في شجرتها ثمر فالله أكبر مفاصلة ولا إله إلا الله مفاصلة والشهادة بالرسالة مفاصلة عن مواصلة الحيعلتين مقابلة والنداء مؤذن بالبعد والأذان لنا دليل على عدم عموم الرشد فإن رعاة الأوقات عارفون بالميقات ، فالأذان لا يكون إلا لمن هو مشغول بالأكوان مأثم إلا مشتغل لأنه بالأصالة منفعل

الوقائع الشريفة لم يسعني وجودي من الفرح حيث أطلعني على مثل ذلك انتهى . وقال في آخر الباب الثامن والثمانين وثلاثمائة : إنما كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب أي معين علمه عندنا لأن الصبر يعم جميع الأعمال إذ هو حبس النفس على فعل الأعمال المكروهة فلهذا لم يأخذه المقدار بخلاف بقية الأعمال تأخذها انتهى .
(خاتمة) : قال في الباب التسعين من « الفتوحات » في قوله تعالى وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً [الحديد : 18] اعلم أنه لا ينبغي للعبد أن يقرض الله عز وجل لأجل مضاعفة الأجر يوم القيامة وإنما ينبغي له أن يقرض ربه عز وجل امتثالا لأمره تعالى حيث أمره بالإحسان إلى عباده وهذا هو معنى وصف القرض بالحسن . وإيضاح ذلك أن الحق تعالى لا يعاملنا إلا بما شرعه لنا ألا تراه تعالى قد سأل نبيه أن يسأله يوم القيامة أن يحكم بالحق أي الذي بعثه به لعباده إذ الألف واللام في الحق للعهد أي : رب احكم بالحق المعهود الذي بعثتني به وعلى هذا تجري أحوال الخلائق يوم القيامة فمن أراد أن يرى حكم الله تعالى إلى يوم القيامة فلينظر إلى حكم الشرائع في الدنيا من غير زيادة ولا نقصان فكن يا أخي على بصيرة من شرعك فإنه عين الحق الذي إليه مالك يوم الدين انتهى . وقال في الباب الأحد وخمسين وخمسمائة في قوله تعالى فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ [التوبة : 105] اعلم أن الحق تعالى إذا حكم يوم القيامة في الأمور بنفسه يكون حكمه على أنواع بحسب المواطن فموطن يحكم فيه سبحانه وتعالى بنفسه بعلمه هو دون رسوله والمؤمنين على حسب ما يراه في العمل وموطن يحكم فيه تعالى بما يراه رسوله صلى الله عليه وسلم في العمل على اختلاف الطبقات وموطن يحكم فيه بما يراه المؤمنون يعني الأئمة

....

وإن كان الفاعل منفعلا للمنفعل فهو فضل منه ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [غافر : 60] .
وقال : على قدر دعوى الإيمان يكون الامتحان فالمؤمن ليس في أمان إلا في أكدار الحيوان .
(وقال) : الإيثار ليس هو من صفة علماء الأسرار لأن ما هو لك لا تقدر على دفعه وما هو لغيرك فلا تقدر على منعه فأين الإيثار ؟ فالأمر أمانة فأدها وإلا سلب عنك اسمها . وقال : ليس العجب ممن ساء سبيلا إنما العجب ممن اتخذ مستخلفه وكيلا ولولا ورد بذلك الأمر الرباني لرده الأدب الكياني ما أجهل أكثر الناس بمواطن الأدب وهو الذي أداهم إلى العطب وقد يكون ترك الأدب أدبا كما يكون ترك السبب سببا ، ومن قال : برفع الأسباب فلا بد له من الابتلاء فاعتبروا يا أولي الألباب . وقال : لا تبلغ الأعاجم مع امتلائها في سمائها مبلغ الأعراب دليلنا الخيل العراب الأعجام إبهام والأعراب إبانة الكلام اختص الإعجاز بالقرآن وإن كانت جميع الكتب كلام الرحمن . وقال : المنزلة الرفيعة في التزام الشريعة فلا تشرع من عند نفسك قط حكما وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً [طه : 114] .
وقال : المشاورة وإن نبهت على ضعف الرأي فهي من الرأي لا يطلع على مراتب العقول إلا أصحاب المشاورة فإنها أجمع للفهم والفكر .
وقال : لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم أصل فإن ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهناك

المجتهدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين وموطن يحكم فيه بالمجموع ، هذا وجه جمع الرسول والمؤمنين معه تعالى في الحكم بما يرونه مع أن كل ما يراه عباده تعالى فهو حكمه وتقديره بالأصالة وقد قال بعض المحققين : إذا كان الحق تعالى هو الحاكم الحقيقي في جميع أحكام الدنيا فكيف يصح وصف بعض أحكام القضاة بالبطلان انظر انتهى . قلت إنما يصح لنا وصف بعض الأحكام بالبطلان عملا منا بالشريعة التي تعبدنا الله تعالى بالعمل بها في هذه الدار دون الحقيقة فإن الحق تعالى لم يأمرنا بالحكم بها في هذه الدار لخفاء وجه مطابقتها للشريعة لا مخالفتها لها في نفس الأمر كما قاله المحققون والله أعلم .

المبحث السبعون : في بيان أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أول شافع يوم القيامة وأول مشفع وأولاه فلا أحد يتقدم عليه

قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع ، زاد في رواية ولا فخر ، قال العلماء : وإنما خص يوم القيامة بالسيادة لأنه يوم ظهورها لكل أحد كقوله تعالى لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ [غافر : 16] بخلاف شرفه في الدنيا وسيادته فإنها لا تخلو من منازع . قال الشيخ محيي الدين : وإنما أخبرنا صلى الله عليه وسلم بأنه أول شافع وأول مشفع شفقة علينا لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب إلى نبي بعد نبي في ذلك اليوم العظيم وكل منهم يقول نفسي نفسي فأراد إعلامنا بمقامه يوم القيامة لنصبر في مكاننا مستريحين حتى تأتي نوبته صلى الله عليه وسلم ويقول أنا لها أنا لها فكل من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسيه لا بد من تعبه وذهابه إلى نبي بعد نبي بخلاف من

....

يستوي البصير والأعمى .

(وقال) : باب التشريع قد ضاع مفتاحه وقيد سراحه ، فصباحه لا ينبلج وبابه لا ينفرج وإن خوطب به الكامل فهو تعريف بما ثبت وأعلام بما عنه سكت عليك بالصفوف الأول فمنها تشاهد الأزل وإياك أن تتأخر فتؤخر وأنت ذو ورا مما ترى . وقال : إذا خاطبك الحق بلسان لا تعرفه فقف وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً [طه : 114] ولا تمش فيه بالفكر وعليك بالعمل بالقرآن تطلع على الفرقان والقرآن المطلق يعطي ما لا يعطي القرآن المقيد وقيد الله قرآنه بالعظمة والمجد والكرم .

وقال : لا تعجب ممن وصف الجواد بالعطاء ولكن أعجب ممن وصفه بالإمساك ، وأعجب منه من وصف الحق بما لا يليق به مع أنه ما أطلق الألسنة عليه بذلك إلا هو .

وقال : إياك وخضراء الدمن وهي الجارية الحسناء في منبت السوء فإن الله تعالى يقول : يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً [الأنعام : 112]

وهو ما يزينه الشيطان من الأعمال فإن كان لها وجه إلى الحق فالمعدن خبيث جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام فقال له : قل لا إله إلا الله فهذه كلمة طيبة من معدن خبيث فقال : أقولها لا لقولك فما قال : لا إله إلا الله التي أمر بها إبليس

بلغه ذلك ودام معه إلى يوم القيامة فصلى الله عليه وسلم ما أكثر شفقته على الأمة ، وإنما قال في آخر الحديث لا فخر أي لا أفتخر بكوني سيد ولد آدم من الأنبياء فمن دونهم وإنما قصدت بذلك راحتكم من التعب يوم القيامة بحكم الوعد السابق لي من الله عز وجل أن أكون أول شافع وأول مشفع فما زكى صلى الله عليه وسلم نفسه إلا لغرض صحيح وكذلك تزكية جميع الأئمة لأنفسهم لا يكون إلا لغرض صحيح فإنهم منزهون من رؤية فخر نفوسهم على أحد من الخلق بل كان بعض العارفين يقول لا يبلغ أحد مقام الكمال حتى يرى نفسه أنها ليست بأهل أن تنالها رحمة الله عز وجل . قال الجلال السيوطي وغيره : وله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات : أولها وأعظمها شفاعته صلى الله عليه وسلم في تعجيل حساب الخلائق وإراحتهم من طول ذلك الموقف وهي مختصه به صلى الله عليه وسلم .
ثانيها في إدخال قوم الجنة بغير حساب قال النووي : وهي مختصة به وتردد في ذلك الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والشيخ تقي الدين السبكي وقالا لم يرد في ذلك شيء وكان الشيخ محيي الدين يقول في معنى إن قوما يدخلون الجنة بغير حساب : أن المراد أنه لم يكن في حسابهم وفكرهم أن الله يدخلهم الجنة أبدا لشهودهم قبيح زلاتهم وقد مر ذلك عن غيره أيضا ، ثالثها فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها وتردد النووي في كون هذه مختصة به قال السبكي لأنه لم يرد في ذلك نص لا بنفيه ولا بإثباته . رابعها في إخراج من أدخل النار من الموحدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وتخلو طبقتهم وينبت فيها الجرجير كما ورد وهذه الشفاعة يشاركه صلى الله عليه وسلم فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون وقد حكى القاضي عياض في ذلك تفصيلا فقال : إن كانت هذه الشفاعة لإخراج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فهي خاصة به ليست لأحد من الأنبياء ولا الملائكة ولا المؤمنين وإن كانت لغير من ذكر فقد يشاركه في ذلك غيره . خامسها في زيادة

....

فهذه جارية حسناء في منبت سوء . وقال : ما عصى آدم إلا بالأخذ بالتأويل ولا عصى إبليس إلا بالأخذ بالظاهر فما كل قياس يصيب ولا كل ظاهر يخطئ فإن قست تعديت الحدود وإن وقفت مع الظاهر فإنك علم كثير فقس مع الظاهر في التكليف وقس ما عداه تحصل على فائدة عظمى وتخفف عن هذه الأمة فإن ذلك مقصود نبيها صلى الله عليه وسلم .
وقال : لو أخذوا بالظاهر في كتابهم ما نبذوه وراء ظهورهم فما أضر بهم إلا التأويل فاحذروا من غائلته ، فإن المكلف مخاطب بألسنة فصاح ولكن العيب والسقم من الفهم .
وقال : إذا أيه الله بك في : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الحجرات : 12]
فكن أنت ذلك المؤيه به فإن أخبرك فافهم . واعتبر وإن أمرك أو نهاك فامتثل وما ثم قسم رابع إنما هو خبر أو أمر أو نهي . وقال :
أنزله تعالى في خطابه إياك منزلة الأم من الشفقة إن لم يمكنك الترقي إلى أعلى من أمك فإنه أشفق عليك منها بيقين وتلق منه بالقبول ما يورده عليك فإنه ما خاطبك إلا لينفعك .
(وقال) : لا تجعل زمامك إلا بيد ربك اختيارا لا اضطرارا ، فإن ناصيتك بيده شئت أم أبيت وذلك لأن ثمرة الاختيار أرجح من ثمرة الاضطرار . وقال : عليك بنسب التقوى فمن اتقى الله فقد صح نسبه . وإياك والنسب الطيب فإنه غير معتبر كما أشار إليه علي بن أبي طالب

الدرجات في الجنة لأهلها وجوز الإمام النووي رحمه الله اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم . سادسها في جماعة من صلحاء أمته لا يتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات كما ذكره القزويني في العروة الوثقى . سابعها فيمن خلد من الكفار في النار أن يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة جمعا بين هذا وقوله تعالى لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ [الزخرف : 75]
كما ورد ذلك في « الصحيحين » في حق أبي طالب وكما ذكره ابن دحية في حق أبي لهب من أنه يخفف عنه العذاب في كل يوم اثنين لسروره بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعتاقه ثويبة حين بشرته به . قال الجلال السيوطي : ولا يرد علينا شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعضهم أن يخفف عنه عذاب القبر لأن هذه شفاعته في المؤمنين وفي البرزخ كلامنا إنما هو في شفاعاته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين ولغيرهم على وجه التخفيف فقط كما مر . ثامنها في أطفال المشركين أن لا يعذبوا وهذه الثلاث الأخيرة ذكرها بعضهم وأضاف إليها من دفن بالمدينة رواه الترمذي وصححه قال الشيخ محيي الدين في الباب الأحد والسبعين وثلاثمائة : واعلم أن الشفاعة الأولى من محمد صلى الله عليه وسلم تكون في فتح باب الشفاعة للناس فيشفع في كل شافع أن يشفع فإذا شفع الشافعون قبل الحق تعالى من شفاعتهم ما شاء ورد منها ما شاء قال : ويبسط الله تعالى الرحمة ذلك اليوم في قلوب الشفعاء فمن رد الله تعالى شفاعته من الشافعين في ذلك اليوم لا يردها انتقاصا له ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وإنما أراد تعالى بذلك إظهار المنة الإلهية على بعض عبيده فيتولى الله تعالى سعادتهم ويرفع الشقاء عنهم بإخراجهم من النار إلى الجنان بشفاعة الاسم أرحم الراحمين عند الاسم المنتقم والجبار فهي أي شفاعة الحق مراتب أسماء إلهية لا شفاعة محققة لأن الله تعالى يقول : سبقت رحمتي غضبي شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين فدل بالمفهوم أنه

....

القيرواني بقوله :
الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم آدم والأم حواء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
إلى آخر ما قال .
وقال : خشية الناس وهيبتهم منك على قدر خشيتك لله بظهر الغيب سواء . فإياك أن تطلب من الناس أن يهابوك مع وقوعك في الرذائل بينك وبينه وأنت أعرف بنفسك . وقال : لا تجعل لبيتك الذي هو قلبك سقفا فيحول بينك وبين السماء فتحرم الرؤية ولا يصل إليك من غيث السماء شيء . والغيث رحمة من الله رحم بها عباده ولا تسكن من البيوت إلا أضعفها جدارا وذلك لأن الخراب يسرع إليها فتبقى في حفظ الله لا في حفظ البيت . وقال : مجالسة الرسل بالاتباع ومجالسة الحق بالإصغاء إلى ما يقول فكن سامعا لا متكلما . (قلت) : وقد منّ الله علي في هذا المقام بلذة لا يقدر قدرها حين أكون سامعا وأما إذا كنت أنا التالي فلا أجد تلك اللذة وما ثم عندي الآن نعيم قط في دار الدنيا ألذ عندي من سماع القرآن فالحمد لله على

لم يشفع فيتولى بنفسه إخراج من شاء من عصاة الموحدين من النار إلى الجنة ويملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه كما يملأ الجنة برضاه ورحمته . وقال في الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة ما نصه : اعلم أن لكل من أرحم الراحمين والملائكة والنبيين والمؤمنين جماعة مخصوصة يشفع فيهم فشفاعة أرحم الراحمين خاصة بمن لم يعمل خيرا قط غير توحيدهم الله عز وجل فقط قال : وهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة أنه لا إله إلا هو وشفاعة الملائكة خاصة بمن كان على مكارم الأخلاق من العصاة قال وتكون شفاعة الملائكة على الترتيب الذي جعله الله لهم وآخرهم شفاعة التسعة عشر التي على جهنم وأما شفاعة النبيين فتكون في المؤمنين خاصة والمؤمنون قسمان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبيون فإن الأنبياء جاءوا بالخبر إلى الاسم والخبر هو متعلق الإيمان والقسم الثاني مؤمن مقلد لما أعطاه أبواه وأهل الدار التي نشأ فيها فالشافع في هذا المؤمنون الذين هم فوقه في الدرجة بعد أن خلص هؤلاء الشافعون بأنفسهم ونجوا بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم إن الشفعاء كلهم لا يشفعون إلا إذا انتهت مدة المؤاخذة لعصاة الموحدين انتهى . وقال في الباب السابع والسبعين وثلاثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم سحقا سحقا في حق قوم ارتدوا على أدبارهم بعده صلى الله عليه وسلم إنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك طلبا لموافقة الحق تعالى في غضبه عليهم إذ العالم بالأمر لا يزيد على حكم ما يقضي به الوقت فلهذا قال صلى الله عليه وسلم مع شفقته ورحمته سحقا سحقا ثم إنه صلى الله عليه وسلم بعد زوال ذلك الحال يتلطف في المسألة ويشفع فيمن كادت تهوي به الريح في مكان سحيق فهي شفاعة فيمن ارتد عن فعل شيء من فروض الإسلام لا فيمن ارتد عن أصل الدين انتهى . وقال في الباب الثالث والسبعين إنما كان صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود في الشفاعة يوم القيامة بين يدي الله عز وجل لأنه أوتي

....

كل حال . وقال : كل ما سوى الله معلول والمعلول ممراض ضرورة فملازمته الطبيب فرض لازم .

وقال : كل عمل عملته من أعمال أهل النار فاختمه بالتوحيد يأخذ بيدك يوم القيامة لأن التوحيد يرجح على كل عمل ولو بعد وقوع العقوبات . وقال : احذر أن تقول كما قال العاشق أنا من أهوى ومن أهوى أنا ، فإنك أنت أنت وهو هو ، وانظر هل قدر من قال ذلك أن يجعل العين واحدة ؟ لا والله ما قدر لأنه جهل والجهل لا يستطاع . ولا بد لكل عارف من غطاء ينكشف فلا تغالط نفسك . وقال : إذا سمعت القرآن فاسمع بسمع نفسك لا بسمع الحق في مقام المحبة لك فإن الحق لا يأمر نفسه ولا ينهاها وهذا من مزلات الأقدام لمن صار الحق سمعه من المحبوبين ، وقال : لا سجود إلا عن قيام ولا قيام للكون فإن القومية لله وحده .

قال : وما عرفنا نقصان مقام سهل بن عبد الله إلا من قوله بسجود قلبه وما أخبر أنه رآه ساجدا كما هو الأمر عليه وإنما أخبر أنه يسجد ولا سجود إلا عن شهود قيام قبل ذلك كما مر . وقال : إنما كان كل حزب بما لديهم فرحون بمالهم ولو علموا ما لهم لحزن من ينبغي له أن يحزن.

جوامع الكلم فيحمده في ذلك المقام الأولون والآخرون ويرجع إلى مقامه ذلك جميع مقامات الخلائق وكما كانت بعثته صلى الله عليه وسلم عامة وشريعته جامعة لجميع الشرائع كانت شفاعته كذلك عامة فكما لا يخرج عن شريعته عمل يصح أن يشرع ، كذا لا يصح أن يخرج عن شفاعته أحد وأطال في ذلك ثم قال في الجواب الثامن والسبعين من الباب السابق إنما سجد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بين يدي الله عز وجل من غير أن يتقدمه إذن من الله عز وجل في ذلك السجود لأن السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالتكون في عين جسم محمد صلى الله عليه وسلم إذ هو طريق إلى فتح باب الشفاعة التي ليست لأحد غيره فلذلك يتقدم محمد صلى الله عليه وسلم بين يدي الرب جل وعلا كما يليق بجلاله في ذلك اليوم الأعظم ويسجد من غير أمر ورد عليه بالسجود فيقال له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع صلى الله عليه وسلم .

(خاتمة) : ذكر الشيخ في الباب الحادي والسبعين في أسرار الصوم : ثم اعلم أن فتوة أولياء الله تعالى إذا أذن لهم في الشفاعة أن يبدءوا بالشفاعة فيمن آذاهم في دار الدنيا ورماهم بالكفر والزندقة والرياء والنقائص وذلك ليزيلوا عنه الخجل حين يرى مقام أولياء الله تعالى في الآخرة عند الله تعالى من التقريب وإجابة السؤال وقد كان في دار الدنيا يجهل ذلك وهناك تطمئن نفوس المنكرين ويزول منها الخوف الذي حصل لهم من أولياء الله تعالى في ذلك اليوم العظيم قال : وإنما لم يبدأ الأولياء بالشفاعة فيمن أحسن إليهم واعتقدهم في دار الدنيا لأن المحسن مطمئن بما قدم من الإحسان فعين إحسانه يكفيه ويكون شفيعا له عند الله عز وجل هل جزاء الإحسان إلا الإحسان انتهى.

....

)وقال) : كلام الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة ، لأن له الإحاطة وحدوثه وروده علينا كما يقال : حدث عندنا اليوم ضيف ولو كان عمره ألف سنة .

وقال : لا يضاف الحدوث إلى كلام الله إلا إذا كتبه الحادث أو تلاه ، ولا يضاف القدم إلى كلام الحادث إلا إذا تكلم به الله عند من أسمعه كلامه كموسى عليه السلام ومن شاء الله من عباده في الدنيا والآخرة .

وقال :في حديث " أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق ؟ " إلى آخره : أن كان العماء كالعرش فالسؤال باق من السائل وإذا قصد بالخلق كل ما سوى الله فما هو العماء قال :

وهي مسألة في غاية الخفاء ، وقال : باستوائه تعالى على العرش صح نزوله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا ومع هذا فهو مع عباده أينما كانوا . وقال لآدم : على النساء درجة ولمريم على عيسى درجة لا على الرجال فالدرجة لم تزل باقية فما ثم مساواة .

وقال : الدنيا والآخرة أختان وقد نهى الله تعالى عن الجمع بين الأختين وجوز الجمع بين الضرتين ، وما هما ضرتان حقيقة ولكن لما كان في الإحسان إلى أحد الأختين بالنكاح إضرار بالأخرى لذلك قيل فيهما ضرتان فافهم . وقال : من علامة العلم المكتسب دخوله في ميزان العقول وعلامة العلم الموهوب أن لا يقبله ميزان إلا في النادر وترده العقول من حيث أفكارها .

وقال : خزائن الله تعالى صدور

(وكان) : سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : لا يكمل الفقير حتى يسأل الله العفو والصفح في دار الدنيا عن كل من سبه أو ذمه أو أنكر عليه ليوافي القيامة مغفورا له ولا يحصل له خجل ولا خوف ممن سبّهم أو أنكر عليهم من أهل الله عز وجل ولهذا المقام حلاوة يجدها العبد وانشراح عكس من ينتقم من آذاه أو أنكر عليه والله تعالى أعلم .

المبحث الحادي والسبعون : في بيان أن الجنة والنار حق وأنهما مخلوقتان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام

كما تقدم بسطه في المبحث الثاني من الكتاب في حدوث العالم وذكرنا هناك أن خلق الجنة والنار متأخر عن خلق الدنيا بتسعة آلاف سنة ولذلك سميت الجنة بالآخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا المدة المذكورة على ما تقدم فيه فهما مخلوقتان مهيأتان لأصحابهما بهما قبل خلقهم ثم إن أعمال كل مكلف تأتي على حسب ما سبق له في دار الجنة أو النار وزعم أكثر المعتزلة أنهما يخلقان يوم الجزاء ودلينا عليهم النصوص الصريحة الصحيحة الدالة على أنهما مخلوقتان قبل يوم الجزاء نحو قوله تعالى أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران : 133] أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ [آل عمران : 131] وقصة آدم وحواء وإسكانهما الجنة وإخراجهما منها بالزلة ونحو ذلك كحديث يفتح للمؤمن في قبره كوة فينظر منها إلى الجنة ويدخل عليه من روحها ونعيمها ويفتح للكافر كوة إلى النار فيدخل عليه من حرها وسمومها ، وكحديث : « لما خلق الله تعالى جنة عدن بيده ودلي فيها ثمارها وشق فيها أنهارها قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون » رواهما البخاري

....

المقربين وأبواب تلك الخزائن ألسنتهم فإذا نطقوا أغنوا السامعين إن كانت أعين أفهامهم غير مطموسة . وقال في الكلام بعد الموت : هل هو بحرف أو صوت ؟ : اعلم أن الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التي ترى نفسك فيها فإن اقتضت الحرف والصوت كان الكلام كذلك وإن اقتضت الصوت بلا حرف كان وإن اقتضت الإشارة أو النظرة أو ما كان فهو ذاك وإن اقتضت الذات أن تكون عين الكلام كان ، فإن جميع ذلك تقتضيه حضرة البرزخ قال : وإن رأيت نفسك في صورة إنسان حزت جميع المراتب في الكلام فإنه المقام الجامع لأحكام الصور . وقال : إنما جعل الله لنا النوم في هذه الدار لنألف حالنا في البرزخ بعد الموت فإن حال الميت كحال النائم لا أن علاقة تدبيره الهيكل باقية في النوم والموت لا علاقة له في التدبير . وقال : إذا رأيت من يتبرأ من نفسه فلا تطمع في صحبته فإنه منك أشد تبرأ . وقال : إذا كنا نجهل ما سبق لنا في علم الله فلا ثقة لنا بحال فيا لها من مصيبة . قال : إياك والتأويل فيما أنت به مؤمن فإنك ما تظفر بطائل ومتعلق الإيمان إنما هو ما أنزل الله لا ما أوله عقلك آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ [البقرة : 285] الآية . وقال : إذا قرآت مِثْلَ ما أُوتِيَ

وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم : “ رأيت الجنة والنار “ في عدة أحاديث وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله يقول : الجنة والنار مخلوقتان لكنهما لا يكمل بناؤهما إلا بانتهاء الدنيا وانقضاء زمن التكليف فهما بمثابة سور الدار الذي بناه الملك ثم بعد ذلك يشق الجدران ويبني حتى ينتهي البناء لأنهما إنما يبنيان من أعمال المكلفين من خير أو شر فمن نظر إلى السور من خارج قال إنهما فرغ من بنائهما ومن دخل السور وجدهما ناقصتين من البناء بقدر ما بقي من أعمال المكلفين في هذه الدار ويدل لذلك حديث : “ إن الجنة عذبة الماء طيبة التربة وإنها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله “ الحديث فإن القيعان هي التي لا بناء فيها ولا شجر وفي الحديث أيضا : من صلى كل يوم اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة ومن قال سبحان الله مثلا غرس له شجرة في الجنة انتهى ، وقال المخريطي : ليست الجنة التي أخرج منها آدم هي الجنة الكبرى المدخرة في علم الله تعالى فإن تلك لا يصح فيها معصية لآدم ولا إباية لإبليس لكونها حضرة الله تعالى الخاصة التي لا حجاب فيها ومعلوم أن المعصية لا تقع حتى يحجب صاحبها وإنما هي جنة البرزخ التي هي فوق جبل الياقوت فالجنة الكبرى لا يدخلها الناس إلا بعد انتهاء الحساب والمرور على الصراط قال : وجنة البرزخ هي التي ترى في الدار الدنيا وكذلك نار البرزخ فإنه صلى الله عليه وسلم لما قال رأيت الجنة والنار في مقامي هذا ذكر أنه رأى عمرو بن لحي الذي سيب السوائب وذكر أنه رأى المرأة التي حبست الهرة حتى ماتت جوعا ومعلوم أن هؤلاء لم يدخلوا النار الكبرى إلى الآن وإنما هم محبوسون في البرزخ هكذا قال فليتأمل ويحرر . وقد حبب لي أن أبسط الكلام على هاتين الدارين بعض البسط لأنهما محل محط رحال الأولين والآخرين فأقول وبالله التوفيق : قال الشيخ محيي الدين في الباب السادس والعشرين ومائة:

....

رُسُلُ اللَّهِ [الأنعام : 124] فإن انقطع نفسك على الجلالة كان وإلا فاقصد ذلك ثم ابتدىء اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ [اونعام : 124] . وقال : احذر أن تفي بعهدك ليفي الحق تعالى لك بعهده بل أوف أنت بعهدك ودع الحق يفعل ما يريد فإن من وفى بعهده ليفي الحق له بعهده لم يزده على ميزانه شيئا فاعمل على وفائك بعهدك من غير مزيد . وقال : إذا ناجيت ربك فلا تناجه إلا بكلامه واحذر أن تخترع من عند نفسك كلاما فتناجيه به فلا يسمعه منك ولا تسمع له إجابة فتحفظ من ذلك فإنه مزلة قدم .
(قلت) : فلا يليق وضع الأحزاب التي يقرؤها المريدون إلا من الكمل الذين يأخذون عن الحق أو الرسول صلى الله عليه وسلم من الوجه الخاص ، كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه :
أخذت حزب البحر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا بعد حرف والله أعلم . وقال : الزم ذكر الاسم المركب وهو الرحمن الرحيم فإنه ببعلبك ورامهرمز .
(وقال) : خطاب الله بضمير المواجهة تحديد بضمير الغائب تحديد ولا بد منهما . وقال : ما أخبرنا الحق تعالى أنه ينزل إلى سماء الدنيا إلا ليفتح لنا باب التواضع بالنزول إلى ما هو دوننا في زعمنا . وقال : انظر بعقلك في سجود الملائكة لآدم ما صرفت وجوهها إلى التحت

“618 “

اعلم أن الدنيا أكمل نشأة من الآخرة ، لأن الدنيا دار تمييز واختلاط وتكليف والآخرة دار تمييز فقط ولا يكون فيها تشريع قط كما في الدنيا إلا في موطن واحد وذلك حين يدعى أهل الأعراف إلى السجود فيسجدون فترجح بتلك السجدة ميزانهم وأطال في ذلك .
ثم قال : واعلم أن الله تعالى قد أمرنا بالإحسان إلى أمهاتنا وعدم عقوقهن فما قام بذلك الأدب إلا قليل من الناس ومعلوم أن الدنيا هي أمنا التي ولدتنا فإذا قال الواحد منا لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه عز وجل كما ورد في الحديث ، ومن لعن أمه فهو عاق لها بلا شك وليتأمل الشخص شدة أدبها وحنوها على أولادها في قولها لعن الله أعصانا لربه فما قدرت أن تلعن من لعنها بحكم التعيين ولا على أن تسميه باسمه وهذا من حنو الوالدة وشفقتها على ولدها وفي الحديث : “ الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر “ فوصفها بأنها من شدة حنوها على أولادها تذكرهم بالشر وتهرب بهم منها وتزين لهم الخير وتسوقهم إليه فهي تسافر بهم وتحملهم من موطن الشر إلى موطن الخير كل ذلك لشدة مراقبتها إلى ما أنزل الله تعالى فيها من الأوامر الإلهية المسماة شرائع فيجب أن يقوم بها أبناؤها ليسعدوا فواعجبا منا كيف لم نتبع أخلاق أمنا ولا وقفنا عند حدود ربنا كما وقفت أمنا فينبغي لكل عبد أن يراقب حال أمه فإن الطفل لا يفتح عينه إلا على أمه ولا يبصر إلا هي ولذلك كان يحبها ويميل إليها طبعا ومن أخلاق الدنيا أنه لا يهون عليها نسبة أحد من أبنائها إلى الآخرة لأنها ما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم ومن عقوقنا لها أننا ننسب الشرور والأنكاد إليها والحال أنها أحوالنا ما هي أحوالها والشر إنما هو فعل المكلف لا فعلها هي ومن أشد ما عليها هي أيضا

....

إلا وهي مشاهدة للحق تعالى فيه مشاهدة عين . وقال : لو وقفت النفوس مع ما عرفته من الحق لعرفت الأمر على ما هو عليه ، لكنها أبدا تطلب أمرا غاب عنها فكان طلبها عين حجابها فلذلك قال تعالى : وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ [الزمر : 67]
لشغلها بطلب الباطن الذي غاب عنها والله ما بطن عنها إلا ما ليس لها قدم في معرفته ، فما خاطبنا تعالى بأنه الأول والآخر والظاهر والباطن إلا ليعلمنا أن الذي نطلبه في الباطن هو الظاهر فلا نتعب نفوسنا في التفكر فيه .
وقال : إذا أخبرك الحق تعالى في أمور فانظر إلى ما قدم منها في الذكر فاعمل به فإنه ما قدمه حتى تهمهم به فكأنه نبهك على الأخذ به ابدءوا بما بدأ الله به لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب : 21]
وقال : عطايا الحق كلها نعم وإن أعطانا المنع وخصها العامة بما وافق الغرض وذلك مرض ثبت بالشرع المطهر حكم الحاكم بالشاهد واليمين وقد تكون اليمين فاجرة والشهادة زورا فلا علم مع ثبوت الحكم مع أن الحاكم مصيب للحكم فهو صاحب علم لأن الله ما حكم إلا بما علم ، وقد شرع للحاكم أن يحكم بما غلب على ظنه فهو عنده غلبة ظن وعند الله علم فافهم . وقال : الخلافة حكم زائد على الرسالة فإن الرسالة تبليغ والخلافة حكم يقهر .
وقال : إذا ابتلاك الحق تعالى بضر فاسأله في رفعه عنك ولا تقاوم قهره بالصبر تغلب وما سماك

نسبة أولادها كل ما يفعلونه من الخير إلى الآخرة مع أنهم ما عملوا ذلك إلا في الدنيا وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن للدنيا أجر المصيبة التي في أولادها ومن أولادها انتهى . ولنبدأ بالكلام على النار أعاذنا الله منها فنقول : اعلم يا أخي أن جهنم من أعظم المخلوقات وهي سجن الله تعالى في الآخرة يسجن فيها المعطلة والمشركين والكافرين والمنافقين أبد الآبدين ودهر الداهرين ، قال تعالى : وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً [الإسراء : 8] وأما أهل الكبائر من المؤمنين فيسجنون ما شاء الله ثم يخرجون وسميت جهنم لبعد قعرها ، يقال بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر وهي مشتملة على حرور وزمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته وبين أعلاها وأسفلها خمس وسبعمائة من السنين ولا يخفى أن حرورها إنما هو هواء محرق لا جمرة لها سوى بني آدم والأحجار المتخذة آلهة من دون الله قال تعالى : وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ [البقرة : 24]
وقال تعالى : إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ [الأنبياء : 98]
وقال تعالى : فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالْغاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95) [الشعراء : 94 - 95]
فأثبت أن الجن لهبها . قال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والستين من « الفتوحات » : اعلم أن الله تعالى يحدث في جهنم آلات على حسب حدوث أعمال الجن والإنس الذين يدخلونها قال : وقد أوجدها الله تعالى بطالع الثور ولذلك كان خلقها في الصورة على صورة الجاموس . قال : هكذا رأيتها في كشفي ونزلت فيها خمس دركات وأريت الجن يصطنعون فيها المقامع قال وكذلك

....

صابرا إلا من حيث حبسك الشكوى عن الخلق لا عن الحق فافهم . وما قص الله عليك قول أيوب : مَسَّنِيَ الضُّرُّ [الأنبياء : 83] إلا لتهتدي بهداه وإذا كان يقال لسيد البشر : فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ [الأنعام : 90] فما ظنك بغيره وقال : لا تقل قط إن الحق تعالى وصف نفسه بما هو لنا مما لا يجوز عليه كالنزول والإتيان والضحك ونحو ذلك ، هذا سوء أدب وتكذيب للحق فيما وصف به نفسه دونك بل هو تعالى صاحب تلك الصفة من غير تكييف فالكل صفات الحق وإن اتصف بها الخلق بحكم الاستعارة إذ الممنوع إنما هو نسبتها إلى الحق على حد نسبتها إلى العبد . وقال : لا يلزم من الفوق إثبات الجهة كذلك لا يلزم من الاستواء إثبات المكان كما مر .
وقال : في حديث « إن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت » أي يراه بعد موته لا في حال موته كما توهمه بعضهم فما نفى الشارع إلا رؤية الله في الحياة الدنيا لا غير . وقال : إنما قال تعالى : فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ [النحل : 98] ولم يقل إذا قرأت الفرقان فاستعذ لأن القرآن جمع فهو يدعو إبليس إلى الحضور بخلاف الفرقان فإنه يطرده . وقال : من استفهمك فقد أقر لك بأنك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من في قلبه ريب فيمتاز من يعلم ربه ممن لا يعلمه نظيره يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا * [الصف : 2] فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن . وقال : في حديث : « والله أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش » أي جعلها حراما محرما كما حرم مكة وغيرها فمن وقع فيها فقد أثم من جهة انتهاك حرمتها قال : وقد تخيل الناس أن

رآها أبو الحكم بن برجان من طريق كشفه وقد تمثلت لبعضهم صورة حية فتخيل أن تلك الصورة هي التي خلقها الله تعالى عليها وليس كذلك ، قال الشيخ محيي الدين : ولما خلقها الله تعالى كان زحل في الثور وكان الشمس والقمر في القوس وكان سائر الدراري في الجدى فكان فيها الأجل ذلك الحر والبرد وإنما كان فيها الجوع لأن الله تعالى خلقها من تجلي قوله في “ صحيح مسلم “ : “ جعت فلم تطعمني ومرضت فلم تعدني وظمئت فلم تسقني “ فمن ذلك خلقت جهنم أعاذنا الله منها ، قال الشيخ : ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين وجميع ما يخلق الله فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب ولا يكون ذلك فيها إلا عند دخول الخلق فيها من الجن والإنس متى دخلوها وأما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله متنعمون ملتذون يسبحون الله لا يفترون وأطال في ذلك ، قال : ومن أعجب ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان قاعدا يوما في المسجد مع أصحابه فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : “ أتعرفون ما هذه الهدة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ،
قال : حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها “ فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه إلا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فعلم كبراء الصحابة أن ذلك الحجر هو ذلك المنافق وأنه من حين ولد يهوي في نار جهنم بأعماله في علم الله وإن لم يكن مكلفا إلا بعد البلوغ فلما بلغ عمره سبعين مات فحصل في قعرها قال تعالىإِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ[النساء : 145] فكان سماعهم لتلك الهدة التي أسمعهم الله إياها إنما هو ليعتبروا فانظروا ما أعجب كلام النبوة

....

ذلك إهانة بالفواحش وليس كذلك وإنما هو تعظيم لها من حيث أنها شعائر الله وحرماته وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ [الحج : 30] فتحريم الوقوع في المحرمات مثل تحريم التفكر في ذات الله فإن تحريم التفكر دليل على التعظيم انتهى فليتأمل في معناه .
(وقال) : في قول علي رضي الله تعالى عنه : ما من آية إلا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع : اعلم أن الظاهر من الآية ما أعطاك صورته والباطن منها ما أعطاك ما تمسك عليه الصورة والحد منها ما يميزها من غيرها والمطلع منها ما أعطاك الوصول إليه وأهل الكشف يميزون بين هذه المراتب . وقال : من ليس كمثله شيء ما هو ذو حياة ولا موت والحياة فإن من خلق الموت والحياة لا ينعت بهما فقد كان ولا هما فهو الحي ما هو ذو حياة . قال : وكذلك له تعالى الأسماء ما له الصفات فتسمى الصفات أسماء لورودها في الكتاب والسنة . قال تعالى : وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى [الأعراف : 180] .
وقال تعالى : سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) [الصافات : 180] فتنزه عن الصفة لا عن الاسم . وقال : الملائكة حجبة بين الله ورسله والرسل حجبة بين الملك والرعايا فبعد بذلك والله إسنادنا والمقصود من الرواية علو الإسناد وكلما قل رجاله علا وقد عرفنا الشارع بذلك فقال : أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ [يوسف : 108] فزال

وما ألطف تعريفه وما أحسن إشارته وما أعذب كلامه صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين : ولقد سألت الله تعالى أن يطلعني على جهنم وأهلها فأطلعني على ذلك فعرفتها وعرفت مكانها ولولا أنه صلى الله عليه وسلم قال في علم الله لما سأل عنها تعينت مكانها ولكن الأدب يمنعنا أن نتعدى مقام الأدب معه صلى الله عليه وسلم قال : ورأيت أهلها يتخاصمون مع أئمة الضلال الذين أضلوهم ومع أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ورأيت صورة خصامهم صورة خصام أرباب المذاهب الشرعية مع أهل المذاهب الزائغة في طلب أدحاض حجج بعضهم بعضا فأنا كلما أرى خصام أرباب المذاهب عندنا مع أهل الزيغ أتذكر خصام أهل النار ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف عند حدود الشريعة والتأدب عند قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة كلام الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين وعدم رفع الصوت عند قراءة كلامهم . قال ولما اطلعني الله عليها رأيت من دركات النار من حيث كونها دارا ما شاء الله أن يطلعني ورأيت فيها موضعا يسمّى المظلمة نزلت فيه ما شاء الله أن أنزل فعلمت من ذلك الوقت كل عمل يتطوّر نارا أو كل عمل يتطور نعيما وعلمت أن عذاب أهل جهنم ما هو من جهنم حقيقة وإنما هو من أعمال الداخلين وأنشدت في ذلك :النار منك وبالأعمال توقدها * كما تؤججها في الحال تطفيها
فأنت بالطبع منها هارب أبدا * وأنت في كل حال منك تنشيهاإلى آخر ما قال انتهى ، قلت هكذا قال الشيخ رحمه الله ولكن قال علماء الشريعة من قال دخلت الجنة كفر وقياسه أن يكون الحكم كذلك في دخول النار فليتأمل ويحرر ، ولعل قوله

....

جبريل أنا ومن اتبعني فزال الرسول ومنه قال أبو يزيد : حدثني قلبي عن ربي فعنه أخذ هذا قوله : يا أيها المنكر . وقال : الأحكام تختلف باختلاف الأسماء فإن قلت في سمكة إنها خنزير البحر حرمت هذا حكم الاسم وقال : كرم الكرم هو أن يتكرم العبد على الصفح والعفو بالوجود فيعفو ويصفح لأن العفو والصفح كرم واستعمالهما كرم الكرم وكذلك يقال في إساءة الإساءة فإن المسئ من أتى بما يسوء وإن كان جزاء إلا أن هذا الاسم مقصور حكمه على الخلق فلا يجوز على الحق تعالى أدبا أدبنا به الحق . وقال : الإسلام والإيمان مقدمتا الإحسان ، مع أن الإيمان له التقدم والإسلام تال وإلا لم يقبل . وقال : أيضا الإيمان تصديق فلا يكون إلا عن مشاهدة الخبر في التخيل فلا بد من الإحسان والإسلام انقياد والانقياد لا يكون إلا لمن انقاد طوعا وليس ذلك إلا لمن أحسّ بأن الحق آخذ بناصيته فإن لم يحس فما انقاد إلا كرها ، والإحسان أن ترى أنه يراك على المشاهدة . وقال : ما أجهل من قال : إن الله لا يخلق بالآلة وهو يقرأ :وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى[الأنفال : 17] فكيف بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب وقد تقدم قولنا : إن السيف آلة لك وأنت والسيف آلة له . وقال :
الأولى أن يقال : الخلق يكون عند وجود الآلة حقيقة لا بالآلة والله أعلم ، وقال : التسبيح

نزلت أي اطلعت كشفا كما يفسره ما تقدم والله أعلم ، فعلم أن جهنم إنما هي دار سكنى لأهلها وسجن لهم والله تعالى يخلق فيهم أنواع العذاب متى شاء فعذابهم من الله وهم محل له . قال الشيخ محيي الدين : ولجهنم سبعة أبواب مفتحة ليس فيها باب مغلق إلا الباب الثامن الذي هو باب الحجاب عن رؤية الله عز وجل فلا يفتح لأهل النار أبدا قال وجميع الكواكب التي في جهنم مظلمة الأجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما في جهنم دائما فشمس جهنم شارقة لا مشرقة والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار .
(فإن قلت) : فما حد جهنم ؟
(فالجواب) : إن حدها بعد الفراغ من الحساب من مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين وذلك كله يزيد في جهنم اتساعا عما هي الآن عليه حيث لا مخلوق فيها وكل مكان لم يذكر الشارع أنه يعود إلى الجنة فإنه يعود كله نارا قال تعالى :وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ(6) [التكوير : 6] أي أججت نارا من سجرت التنور إذا أوقدته ، قال ومن هنا كره ابن عمر وغيره الوضوء بماء البحر مع قولهم بجواز الطهارة منه وكان بعضهم يقول التيمم أحب إلي من البحر .
قال الشيخ محيي الدين : وأهل الكشف كلهم يرون بحر الملح الآن يتأجج نارا .
(فإن قلت) : فمن أشد الخلق كلهم عذابا في النار ؟
(فالجواب) : أشدهم عذابا إبليس لأنه هو الذي سن الشرك وكل معصية .
(فإن قلت) : إن إبليس مخلوق من النار فكيف جعل الله تعالى عذابه بما خلق منه ؟

....

تجريح لأن المنزه لا ينزه إلا على سبيل الحكاية ونظير ذلك عدم العدم فإنه وجود فليس في الحق تقص حقيقة ينزه عنه وإيضاح ذلك أن التقديس الذاتي يطلب التبري من تنزيه المتنزهين فإنهم ما نزهوا حتى تخيلوا وتوهموا وما ثم متخيل ولا متوهم يتعلق به أو يجوز أن يتعلق به فينزه عنه بل هو القدوس لذاته وأطال في ذلك .
وقال : من قتله أعداء الله ما مات بل جمع له بين الحياتين فإن الله تعالى اعتنى بيحيى صغيرا وسلط عليه الجبار فقتله كبيرا وما حماه منه ولا يضره ذلك لأن الصغير إنما اعتنى به رحمة به لضعفه فإذا كبر وكل إلى نفسه فإن بقي في كبره بحكم صغره من الضعف صحبته الرحمة وإن ادعى القوة المجعولة ونسي ضعفه الذي كان له في صغره أضاعه الله في كبره برد الضعف إليه ، وتأمل الصغير كيف يقبل ويضم إلى الصدر مع استقذار بدنه وثيابه ويشتهي والده حياته والكبير يستقذر ولا يقبل ويتمنى أهله موته . وقال : في قوله تعالى : إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا [الكهف : 30]
والتمني من العمل فمن تمنى أنه لو كان له مال تصدّق به أعطاه الله ثواب من أنفق ذلك المال من غير كد ولا نصب .
وقال : لولا عرف طيب أنفاس الأحبة ما فاح المسك لمستنشق أما عرف مقدار طيب والأنفاس وما تعطيه من المعارف الإلهية إلا البهائم ألا تراها تشم بعضها بعضا عند اللقاء ولا تمر بشيء إلا وتميل برؤيتها إليه تشمه وقال : إذا رأيتم العارف يثبت عند واردات الحق ولا يصعق ولا يفنى

(فالجواب) : إن الله تعالى على كل شيء قدير ألا ترى النفس يكون به حياة الجسم الحساس فإذا منع بالشنق أو الخنق انعكس راجعا إلى القلب فأحرقه من ساعته فهلك من حينه فبالنفس كان حياته وبه كانت وفاته .
(فإن قلت) : فقد ورد أنه يعذب بالزمهرير المناقض لنشأته فهل يعذب بذلك من خارجه أم من داخله .
(فالجواب) : لا يأتيه الزمهرير إلا من ذاته لأنه أحد أركانها فيغلب جزء الزمهرير بقية الأركان فيعذب بذلك كما يغلب بعض الأخلاط على الإنسان في دار الدنيا فيتألم بها فيأمره الطبيب بالفصد فلو لا أنه فصد لربما مات ، وبالجملة فكل من دخل النار عذب بكل ركن من أركانه حتى الماء والهواء .
(فإن قلت) : فكم عدد دركات النار ؟
(فالجواب) : عددها مائة درك لأنها في مقابلة درج الجنة ولكل درك منها قوم مخصوصون ولهم من الغضب الإلهي الحال بهم آلام مخصوصة .
(فإن قلت) : فكم أقسام أهل النار الذين هم أهلها ؟
(فالجواب) : هم أربعة أقسام كما قاله الشيخ في الباب الثاني والستين من “ الفتوحات “ وترجع الأربعة أقسام إلى المجرمين خاصة قال تعالىوَامْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ(59) [يس : 59]أي المستحقون لأن يكونوا أهلا لسكنى جهنم لا يخرجون منها إلى الجنة أبدا ، القسم

....

ولا يندك جبل هيكله فاعلموا أنه محبوب ولكن له علامة وهو أنه إذا كان حاله لا يراه خلق إلا صعق إلا أن يكون مثله فما ثبت لتجلي الحق تعالى وأما من يغشى عليه في حاله ويتغير عن هيئته التي كان عليها أو يصعق أو يصيح أو يضطرب أو يفنى فاعلموا أنه غير محبوب وما عنده من الحق شمسه .
(قلت) : المراد بالواردات الأحوال الباطنة لا المحسوسة لقوله تعالى :وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً [الأعراف : 143] مع أنه محبوب بإجماع فافهم . وقال : في قوله تعالى :وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرافَ النَّهارِ[طه : 130] اعلم أن المراد بأطراف النهار الصباح والمساء فالمساء ابتداء الليل والصباح انتهاء الليل والنهار هو ما بين الابتداء والانتهاء كما أن الليل كذلك ما بين الانتهاء والابتداء وقد أمرنا الحق تعالى بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار وما تعرض لذكر النهار في هذا الحكم لأنه قال :إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا(7) [المزمل : 7]
أي فراغا فالنهار لك والليل وأطراف النهار لي ، ومن كان مشتغلا باللّه في الليل وأطراف النهار كان الله له في النهار لأنه استعداد للتفرغ للحق في الليل والأطراف . وقال : الشريعة لب العقل والحقيقة لب الشريعة فهي كالدهن في اللب الذي يحفظه القشر فاللب الذي يحفظ الدهن والقشر يحفظ اللب كذلك

الأول المتكبرون عن أمر الله كفرعون والنمروذ وأبي لهب وأضرابهم ، الثاني المشركون وهم الذين يجعلون مع الله إلها آخر ، الثالث المعطلون وهم الذين نفوا الآلهة جملة فلم يثبتوا للعالم إلها ولا من العالم ، الرابع المنافقون وهم الذين أظهروا الإسلام من أهل هذه الأقسام الثلاثة للقهر الذي حكم عليهم فخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم وهم في أنفسهم على ما هم عليه من اعتقاد ما عليه هذه الطوائف الثلاث ، فهؤلاء الأربعة هم الذين لا يخرجون من النار من جن وإنس انتهى .

(قلت) : فكذب والله وافترى من نسب إلى الشيخ محيي الدين أنه يقول بقبول إيمان فرعون ولو أنه كان يقول به ما صرح هنا بأنه من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين فإمّا أنه مدسوس عليه كما مرت الإشارة إلى ذلك في الخطبة ، وإما أنه كان تبع فيه القاضي أبا بكر الباقلاني فإنه قائل بقبول إيمان فرعون لأن الله تعالى حكى عنه أنه قال لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ولم يحك عنه ما يناقضه بعد ذلك ، وقد انعقد إجماع الأئمة كلهم على عدم قبول إيمانه فإياك أن تنقل عن الشيخ محيي الدين أنه يقول بقبول إيمان فرعون وتخرق الإجماع لا سيما “ الفتوحات “ من أواخر مؤلفاته لأنه فرغ منها قبل موته بنحو خمس سنين والله تعالى أعلم .

(فإن قلت) : فهل في النار دركات اختصاص نظير ما في الجنة من درجات الاختصاص التي ليست هي في مقابلة عمل ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثاني والستين من “ الفتوحات “ ليس في النار

....

العقل يحفظ الشريعة والشريعة تحفظ الحقيقة ومن ادعى شرعا بغير عقل لم تصح دعواه كما أن من ادعى حقيقة بغير شرع لا يقبل وقال : جمال صورتك في الآخرة يكون على قدر خواطرك المحمودة في الشريعة هنا وقبح صورتك في الآخرة يكون على قدر قبح خواطرك المذمومة فاجهد في نفسك قبل أن لا ينفعك الندم . وقال : مرتبتك عند الله في التعظيم على قدر تعظيمه في قلبك وحيائك منه فإن اعتنيت به اعتنى بك وإن استحييت منه استحيا منك وإن لم تبال به لم يبال بك فميزانك بيدك ، فإن شئت أرجح وإن شئت أخسر لا تلم إلا نفسك . وقال : العلم يقتضي العمل فمن قال : إن العلم يوجد بغير عمل فدعواه باطلة ومنزع ذلك دقيق جدا من أجل مخالفة المتعدين حدود الله من المؤمنين ، فربما يقال : لو كانوا عالمين ما خالفوا ، وهم عالمون بلا شك بأن الله تعالى حد لهم حدودا معينة حرم الله عليهم تعديها فعلمهم بذلك عمل بالعلم ضرورة وما هم عالمون بمؤاخذة الله تعالى من عصاه على التعيين ، فما عصى إلا من ليس بعالم بالمؤاخذة فعلم أنه ما خالف عالم علمه قط بل هو تحت تسخير علمه فتأمل فإنه دقيق .

وقال : الأمر الإلهي لا يخالف الإرادة الإلهية أبدا لأنها داخلة في حده وحقيقته وإنما جاء الالتباس في تسميتهم صيغة الأمر أمرا وليست بأمر لمن تأمل ، فإن الصيغة مرادة بلا شك وهذه

دركات اختصاص إلهي ولا عذاب اختصاص كالجنة لأن الله تعالى ما عرفنا أنه يختص بنقمته من يشاء كما أخبرنا أنه يختص برحمته من يشاء فلا يعذب أهل النار فيها إلا بأعمالهم التي عملوها فقط بخلاف أهل الجنة فإنهم ينعمون فيها بأعمالهم وبغير أعمالهم في جنات الاختصاص ، إذ الجنات ثلاثة : جنة أعمال وجنة اختصاص وجنة ميراث كما سيأتي بيانها في الكلام على الجنة إن شاء الله تعالى فكان من كرم الله تعالى وفضله أنه ما أنزل أهل النار إلا على أعمالهم خاصة وأما قوله تعالى :زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ[النحل] 88 :فذلك لطائفة مخصوصة وهم الأئمة المضلون المشار إليهم يقول الله تعالى :وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ]العنكبوت : 13] فإنهم هم الذين أضلوا العباد وأدخلوا عليهم الشبه المضلة فحادوا بها عن سواء السبيل فما أنزلوا من النار إلا منازل استحقاق إذ الإضلال معدود من جملة أعمالهم بخلاف أهل الجنة فإنهم ينزلون فيها منازل استحقاق بأعمالهم كما في الكفار ويزيدون عليهم منازل وراثة ومنازل اختصاص .

(فإن قلت) : فمن أين جاء تقسيم أهل النار إلى أربعة أقسام ؟

(فالجواب) : لأن الله تعالى ذكر عن إبليس أنه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار إلا بواسطته فهو يأتي المشرك من بين يديه ويأتي المتكبر من عن يمينه ويأتي المنافق من عن شماله ويأتي المعطل من خلفه .

(فإن قلت) : فما الحكمة في الإتيان من هذه الجهات المخصوصة ؟

(فالجواب) : الحكمة فيه ظاهرة أما المشرك فإنما جاءه من بين يديه لأن المشرك رأى بين

....

الصيغ هي التي وردت على ألسنة المبلغين وعصيت فما عصى أحد قط أمر الله إلا بهذا الاعتبار .

(قال) : بهذا علمنا أن النهي لآدم عن قرب الشجرة إنما كان بصيغة لغة الملك الذي أوحى إليه به فما وقع لعصيان إلا لصيغة المترجم عن أمر الله بلغة نفسه لا لحقيقة أمر الله فتأمل ذلك فإنه دقيق . وقال : أخسر الأخسرين شاهد يشهد على نفسه كما أن أسعد السعداء من شهد لنفسه فهو في الطرفين مقدم على مرتبة من شهد عليه غيره وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فأشقوا نفوسهم بشهادتهم ولو أنهم علموا الأمر على ما هو عليه لذبوا عن نفوسهم وشهدوا عليها بالفعل لا بالحكم الذي هو المعصية فإن الجوارح لا تعرف إذا شهدت إلا الفعل خاصة وأما الحكم فلا ، فلو شهدوا بالفعل فقط لكان أقل فضيحة وأستر ممن شهد على نفسه بصريح المخالفة والكفر فافهم . وقال : في حديث “ إن أصحاب الجنة محبوسون “ إنما حبسوا عن الجنة لخروجهم بالمال عن أصلهم الذي هو الفقر مع أن العبد كلما أنفق أخلف الله عليه أضعاف ما أنفق فزاده حجابا ولو أنهم وقفوا مع صفة فقرهم ولم يطلبوا الغذاء بمضاعفة الحق

عينيه جهة غيبته فأثبت وجود الله ولم يقدر على إنكاره فجعله إبليس يشرك بالله في ألوهيته شيئا يراه ويشاهده ، وأما المتكبر فإنما جاءه من جهة اليمين لأن اليمين محل القوة فلذلك تكبر للقوة التي اختص بها من نفسه ، وأما المنافق فإنما جاءه من جهة شماله التي هي الجانب الأضعف لأن المنافق أضعف الطوائف كما أن الشمال في العادة أضعف من اليمين ولذلك كان في الدرك الأسفل من النار وكان يعطى كتابه بشماله ، وأما المعطل فإنما جاءه من خلفه لأن الخلف ما هو محل نظر فقال له ما ثم شيء فهذا وجه حكمة تخصيص إتيان إبليس من هذه الجهات . قال الشيخ : ولهذه الطوائف الأربعة من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم وهي منازل عذابهم لأنك إذا ضربت الأربعة أقسام التي هي المراتب في السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا بها ألف الله تعالى الكلمات وبها أظهر الكفر والإيمان في العالم فترجم بها كل شخص عما أضمره في نفسه من إيمان أو كفر أو كذب أو صدق لتقوم حجة الله تعالى على عباده بما تلفظوا به .

(فإن قلت) : فما أسماء أبواب جهنم وما الطوائف الذين يدخلون منها ؟

(فالجواب) : أما أسماؤها فباب الجحيم وباب سقر وباب السعير وباب الحطمة وباب لظى وباب الحامية وباب الهاوية سميت هذه الأبواب صفات ما وراءها مما أعدت له وأما تعين الطوائف الداخلين من كل باب فهي مبينة في القرآن قال الله تعالى في أهل الجحيم : الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) [المطففين : 11] وقال في أهل سقر : ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قالُوا لَمْ نَكُ

....

لهم ما أنفقوه ما كان الحق تعالى يعطيهم إلا ما فيه قوامهم لا غير . وقال : لما انتقل العلم من الكون إليه بظاهر قوله : حَتَّى نَعْلَمَ [محمد : 31] سكت العارف على ما قيل وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسربه العالم بالله ولكنه تكتم فقال : مثل قول الظاهري الله أعلم فالإلهي علم والمحدث سلم فاحمد الله الذي علمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن العلم المستفاد للعليم يعم الحديث على هذا والقديم وإن عاندت فافهم قوله : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ [محمد :

31] وبما حكم على نفسه فاحكم كنظائره من آيات الصفات ، وإن سئلت عن كيف ذلك فقل الله أعلم . وقال : الذي يظهر لي أن الحق تعالى إنما قال مثل ذلك امتحانا لعباده ليتبين لهم مقامهم والإيمان هل يغلب إيمانهم على عقلهم فيؤمنوا بذلك من غير توقف أم يغلب حكم عقلهم على إيمانهم فيخسروا والله أعلم . وقال : للدنيا حكم ليس لأختها والأم لا تنكح على بنتها ومن اتبع المتشابه فقد ضل وزاغ وما على الرسول إلا البلاغ والله أعلم .

[الباب الموفي ستون وخمسمائة في وصية حكمية ينتفع بها المريد السالك والواصل ومن وقف عليها إن شاء الله تعالى]

وقال في الباب الموفي ستين وخمسمائة وهو آخر الأبواب : اعلم أن يد الله التي هي القوة مع الجماعة وما غلبت قط جماعة إلا عند افتراقهم وكذلك جماعة القائمين بالدين لا

مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ (45) [المدثر : 42 - 45] وقال في أهل السعير وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ وَأَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ [الملك : 5] وقال في أهل الحطمة : وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1) الَّذِي جَمَعَ مالًا وَعَدَّدَهُ (2) [الهمزة : 1 - 2] إلى آخر النسق وقال في أهل لظى : تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (17) وَجَمَعَ فَأَوْعى (18) [المعارج : 17 - 18] وقال في أهل جهنم : وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ [الملك : 6] وقال في أهل الهاوية : وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ (9) [القارعة : 8 - 9] وقد نظم هذه الأبواب على الترتيب سيدي الشيخ عبد العزيز الدريني رحمه الله فقال :

جهنم ولظى والحطم بينهما * ثم السعير وكل الهون في سقر
وبعد ذاك جحيم ثم هاوية * تهوي بهم أبدا سحقا لمنحدر

(فإن قلت) : فأين تكون جهنم إذا أتى الحق تعالى يوم القيامة في ظلل من الغمام كما يليق بجلاله ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين من « الفتوحات » إن جهنم تكون على المجنبة اليسرى لأن إتيانه تعالى انكشاف حجاب ، كما يقال أتى الملك وخرج على عسكره فشاهدوه وقد سمى الله تعالى نفسه ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم الذي يجتمع فيه الخلائق أجمعون فيا له من يوم ثم إن الملائكة الذين نزلوا من السماوات تصطف سبع صفوف محيطة بالخلائق أجمعين فإذا أبصر الناس جهنم ولها فوران وتغيظ يفرون بأجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الأكبر لأنه ما ثم جمع أكبر منه قط ، ولا يسلم من ذلك الفزع

....

يغلبون قط في أمر قاموا فيه وكل من عارضهم خذل فإذا تفرقوا غلبوا وكذلك جماعة أعضاء الإنسان إذا اجتمعت لا يغلبها قط شيطان فإذا تفرقت غلبت . وقال : إذا أشعرت قلبك ذكر الله دائما في كل حال فلا بد أن يستنير قلبك بنور الذكر فيرزقك ذلك النور الكشف وإذا جاءك الكشف جاء الحياء يصحبه دليلنا على ذلك استحياؤك من جارك وممن ترى له حقا وأطال في ذلك وقال في حديث « من هم بحسنة فلم يعملها فأنا أكتبها له حسنة 7 ما لم يعملها » ما هنا ظرفية فكل زمان يمر على العبد وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فإن الله يكتب له حسنة بلغت تلك الأزمنة من العدد ما بلغت فله بكل زمان حدث نفسه بعمل تلك الحسنة حسنة قال :

وكذلك القول إذا حدث نفسه بعمل سيئة فإن ما فيها ظرفية كما قلنا : في الحسنة سواء من أنه يكتب عليه سيئة ما دام يحدث نفسه بعملها بالغا ذلك الزمان ما بلغ ثم إن العبد إذا عمل الحسنة التي حدث بها نفسه أو السيئة التي حدث بها نفسه فإن الله يكتب الحسنة بعشر والسيئة بواحدة عملا بالعدل في الثانية والفضل في الأولى . وقال : أعلى المشاهد في السماع من الحق بالقلب أن تحضر بقلبك مع روح محمد صلى الله عليه وسلم فتسمع ما يخاطب به الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن خطابه لنبيه ليس كخطابه إياك وحدك لأن حضرة الربوبية ربما يسمع العبد فيها ما لا يقال فتكون

إلا الطائفة الذين قال تعالى فيهم لا يحزنهم الفزع الأكبر فهؤلاء هم الآمنون على أنفسهم غير أن النبيين منهم يفزعون على أممهم خوفا عليهم للشفقة التي جبلهم الله تعالى وكذلك كل داع إلى الله تعالى من كمل ورثتهم فيقولون كلهم في ذلك اليوم اللهم سلم سلم قال : وينصب الله تعالى للآمنين منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون عليها آمنين مستبشرين وذلك قبل مجيء الرب جل وعلا كما يليق بجلاله فإذا فرّ الناس خوفا من جهنم يجدون ملائكة السماوات صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة ودعت الملل إلى المحشر وتناديهم أنبياؤهم ارجعوا ارجعوا فينادي بعضهم بعضا وذلك قوله تعالى : أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ [غافر : 32 - 33] ثم يقع النداء من قبل الحق جل وعلا . قال الشيخ محيي الدين رحمه الله : فلا أدري أذلك من نداء الحق تعالى بنفسه أو هو نداء عن أمره يقول في ذلك النداء يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أولى بالكرم ثم ينادي أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليلون ثم ينادي ثانيا أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ثم ينادي ثالثا أين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فإذا أمر بهذه الطوائف الثلاث إلى الجنة خرج عنق من النار له عينان ولسان بليغ فصيح فإذا أشرف على الخلائق الذين في الموقف قال : يا أهل الموقف إني وكلت اليوم منكم بثلاث كما قال في النداء الأول بالنسبة إلى أهل الجنة كما مر . قال الشيخ : وهذا كله قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق واشتد الخوف حتى تصدعت القلوب لهول ذلك المطلع ، قال ثم إذا أشرف ذلك العنق من النار على الناس قال إني وكلت بكل جبار عنيد فيلتقط الجبابرة من بين الصفوف فإذا لم يترك منهم أحدا نادى ثانيا إني وكلت بكل من آذى الله ورسوله فيلتقطهم كذلك ثم إنه ينادي ثالثا إني

....

في ذلك تبعا لنبيك فإن قال فقل ، وإن كتم فاكتم ، وما من حضرة يكون فيها شخص أكبر من نبي أو ولي إلا وكلمة الحضرة مصروفة إليه وقال : أكابر الرجال أغناهم العيان عن الإيمان لقوتهم على تحمل الأمانة ولو ضعفوا لحجبوا بالإيمان عن العيان ومن هنا كفّر الناس من أفشى أسرار الحضرة ونعم ما فعلوا .
(وقال) : من كمل في مقام العرفان شاهد الاسم الذي بيده الختم الإلهي الذي يختم به على قلوب أصحاب النبوات والرسالات والولاية أن يدخلها كون بعد أن شهدت جمال الحق إلا على وجه الخدمة والأمر ثم يخرج ذلك الكون بسرعة من القلب ، ثم إن ما وقع بعد ذلك الختم من تعلق الخاطر بحب جارية مثلا فإنما ذلك بحكم الطبع لا بمنزلة السر الرباني المختوم عليه الذي هو بيت . قال : وأما أسرار العامة فقد ختم عليها والظلمة والعمى فيها فلا تخلص لمحبة الله فهي تخبط خبط عشواء . وقال : عليك بالبحث عن منازع الاعتقادات لتعرف مواطن تنكرات الحق إذا تجلى بخلاف معتقدك في الآخرة فإن كل من لا معرفة له بمراتب التنكرات والتجليات يخشى عليه من الفضيحة فيرجع يقر بما كان ينكره أولا وهذه الحقيقة هي التي تمد المنافقين في نفاقهم والمرائين في ريائهم ومن جرى مجراهم.

وكلت بكل من ذهب يخلق كخلق الله عز وجل فيلتقط أهل التصاوير كلهم وهم الذين يصورون الصور في الكنائس لتعبد من دون الله عز وجل كما قال تعبدون ما تنحتون فإنهم كانوا ينحتون لهم الأشجار والأحجار ليعبدوها من دون الله عز وجل فهؤلاء هم المراد بالمصورين في الحديث فيلتقطهم من بين الصفوف فإذا أخذهم الله تعالى عن آخرهم وبقي الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصد أولئك من عبادتها فيسألون عنها لينفخوا فيها أرواحا تحيا بها وليسوا بنافخين كما في البخاري انتهت .

(قلت) : ولا يخفى حرمة التصوير للحيوانات وإن لم تعبد والله أعلم . وقد ذكرنا حديث مواقف القيامة الخمسين موقفا كل موقف منها ألف عام في أواخر كتابنا " المنهج المبين " فراجعه تر ما تشيب منه الرؤوس وتذوب منه الأكباد مما نحن في غفلة عنه الآن فنسأل الله الموت على الإسلام آمين .

(فإن قلت) : إن طعام أهل الجنة في مأدبتهم التي في المرج زيادة كبد الحوت فما طعام أهل النار قبل دخول النار ؟

(فالجواب) : ما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين : إن طعامهم في مأدبتهم المذكورة طحال الثور الذي هو بيت الأوساخ المجتمعة من سائر البدن وهو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد فيعطي ذلك الطحال لأهل النار فيأكلونه ، ومعلوم أن الثور حيوان ترابي طبعه البرد واليبس وجهنم على صورة الجاموس كما مر فيناسب الطحال المذكور أهل النار أشد مناسبة فيما في الطحال من الدمية لا يموت أهل النار وبما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد المؤلم لا

....

(وقال) : في قوله تعالى :وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ]آل عمران : 54 [المراد بمكر الله هو مكر الله تعالى بهم فمكرهم هو العائد عليهم فللمكر مسالك يخرج عليها فافهم . وقال في قوله صلى الله عليه وسلم : " أصدق بيت قالته العرب ألا كل شيء ما خلا الله باطل " : اعلم أن الموجودات كلها وإن وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام إذا غابت على صاحبه يرى أن ما سوى الله باطل من حيث أنه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم . قال : وهذا من بعض الوجوه التي يمتاز الحق تعالى به من كونه موجودا عن وجود خلقه مع أنه على الحقيقة ليس بينه وبين خلقه اشتراك بوجه من الوجوه .

وقال : لما كان الإنسان نسخة جامعة للموجودات كلها كان فيه من كل موجود حقيقة بتلك الحقيقة ينظر إلى ذلك الموجود وبها تقع المناسبة فمتى ما أوقفك الحق تعالى على عالم من العوالم أو موجود من الموجودات فقل لذلك الموجود بلسان تلك الحقيقة أنا معك بكليتي ليس أنا غيرك وأنا معك بالذات فإذا سمع ذلك اصطفاك وأعطاك جميع ما في قوته من الخواص والأسرار وهذا لا يتحقق به إلا من ذاق تجلي معية الحق مع كل شيء .

وقال : ما استكبر مخلوق على آخر إلا لحجابه عن معية الحق تعالى مع ذلك المخلوق الآخر ولو شهدها لذل وخضع . وقال : كل من قيده الظرف فهو

يحيون ولا ينعمون إنما يورثهم الأكل منه سقما ومرضا بخلاف مأدبة أهل الجنة فإنها زيادة كبد الحوت وهو حيوان بحري مائي من عنصر الحياة المناسبة للجنة والكبد بيت الدم وهو بيت الحياة والحياة حارة رطبة وبخار ذلك الدم هو النفس المعبر عنه بالروح الحيواني الذي به حياة البدن فهو بشارة لأهل الجنة ببقاء الحياة عليهم في النعيم المقيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء انتهى .
(فإن قلت) : فما سبب إماتة الله تعالى لعصاة الموحدين في جهنم دون الكفار ؟
(فالجواب) : سببه إكرام الله تعالى للجوارح التي كانت تسبح بحمده وتطيعه وإنما وقعت في المخالفات من حيث إنها كالمجبورة تحت قهر النفس المدبرة للسوء فلوقوعها في المعاصي عذبت ولتوحيدها لله تعالى أخرجت لأن النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا ثم إن جوارح العصاة إذا ماتت فلا تحس بعد ذلك بألم حتى تخرج بالشفاعة فضلا من الله تعالى عليها بخلاف الكفار لا تموت لهم جوارح أبدا ليذوقوا العذاب وذلك لأن معصيتهم بالكفر مستصحبة لا تفارقهم ولو أنهم كانوا بقوا أبد الآبدين لكانوا كفارا فلذلك خلدوا في النار من حيث نيتهم . وأما عصاة الموحدين فلهم زاجر من أنفسهم إذا عصوا ويعقبهم الندم .
<u>وإيضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الموفي ثلاثمائة من " الفتوحات "</u> : إن جسد الإنسان كله من حيث طبيعته طائع لله خائف من عذابه وما من جارحة يرسلها العبد في معصية إلا وهي تناديه لا تفعل ولا ترسلني فيما حرمه الله عليك فإني شاهدة عليك وتتبرأ إلى الله تعالى من ذلك الفعل وكل قوة وجارحة في العبد بهذه المثابة تنادي أخواتها لا تفعلوا معصية انتهى.

....

محصور في قيد الأين محبوس في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا من عنده فما له من نور من ذاته . وقال : إذا عوين الحق تعالى فلا يعاين إلا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعز من أن يشهد على وجه الإحاطة ، وقال : احذر أن تدعي الوصلة وجمع الشمل فإني أخاف عليك أن يكون جمعك بك لا به فتكون في عين الفصل والفراق فلا تغالط نفسك . قال : وعلامة صحّة الوصلة بمشاهدة الحق أنك إذا عكست مرآة قلبك إلى الكون عرفت جميع ما في ضمائر الخلق ويصدقك الناس على ذلك الكشف .
وقال : من كان يأخذ معرفته للحق من الحروف فهو جاهل به فإن الحروف التي أخذ عنها معرفته تحجبه ، قال : وهذا من الذين يعبدون الله على حرف وليس له رائحة من نفحات الجود بل أخذه من الحرف فهو من الكون إلى الكون يتردد بداية ونهاية . وإن لهذا أجر الاجتهاد والدرس ، فالأجر كون أيضا فما خرج هذا من رق الكون ووثاق الحرف . وقال : من كان من أهل الكمال فهو محجوب عن غيب الأكوان حتى أنه لا يعرف ما في جيبه ولا يفرق بين المحسوسات مع كونها بين يديه جهلا بها لا غفلة عنها ولا نسيانا وذلك لما حققه الحق به من حقائق الوصال . قال سيد هذا المقام " أنتم أعرف بمصالح دنياكم " وقال : إياكم أن تعترضوا

(فإن قلت) : إن الله تعالى قد جعل الكي بالنار في هذه الدار وقاية ودفعا لألم أشد من النار فهل يكون إحراق الموحدين في النار كذلك دفعا لما هو أشد من الحرق ؟
(فالجواب) : نعم إحراق الموحدين في النار دفعا لما هو أشد منه وهو غضب الله السرمدي فما سكن الغضب الإلهي إلا بحرقهم بالنار نظير ما يضرب الإنسان غلامه أو عبده ثم يرضى عنه وهذا من رحمة الله تعالى بالموحدين ومن هنا قال بعضهم : مت مسلما ولا تبالي بخلاف المشركين فإن عذابهم لا ينقطع فكانت النار لأصحاب الكبائر من الموحدين الذين ماتوا على غير توبة مقبولة كالكي بالنار في الدنيا ولذلك ورد أنهم يخرجون من النار قد امتحشوا فيلقون في نهر على باب الجنة نظير ما يخرج صاحب الكي بالنار إلى العافية ذكره الشيخ في الباب الثامن والثمانين من « الفتوحات » وقال : هذا كله على جعل النار وقاية كالحدود الدنيوية فإن الله تعالى جعلها وقاية من عذاب الآخرة ولهذا سميت كفارات والكفر الستر فهو يستر العاصي عن عذاب الآخرة ولهذا قلنا في قوله تعالى : إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً [المائدة : 32] إلى آخره أن المراد بهم الكفار لا الموحدون لأن الله تعالى لما عاقبهم في الدنيا بالقتل والصلب وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف لم يجعل تلك العقوبات كفارة مثل ما جعلها في الحدود في حق الموحدين بل قال ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ [المائدة : 33] وهذا لا يكون إلا للكفار إذ العذاب العظيم هو الذي يعم الظاهر والباطن بخلاف أهل الكبائر من الموحدين كما مر فإن الله تعالى يميتهم في النار إماتة حتى يعودوا حمما شبه الفحم فإذا لم يحسوا بالعذاب في موتهم ليس لهم حظ

....

على المجتهدين وتجعلوهم محجوبين على الإطلاق فإن لهم القدم الراسخ في الغيوب وإن كانوا يحكمون بالظنون فظنونهم علوم وما بينهم وبين أهل الكشف إلا اختلاف الطريق لكن أهل الكشف يدعون إلى الله على بصيرة لصدقهم في الاتباع بوقوفهم على حد ما ورد وأهل الاجتهاد يحكمون اليوم بحكم ثم يرجعون عنه غدا فليسوا على بصيرة إذ البصيرة لا يرتفع حكمها إلا بورود أمر جديد من الشارع . وقال : من الأولياء من يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر ومنهم من يطلع على الأقدار قبل نزولها إلى الأرض فإن القضاء يدور في الجو من مقر فلك القمر إلى الأرض ثلاث سنين وحينئذ ينزل ، وهذا المقام يسميه القوم فهم الفهم .
وقال : الكامل لا يقول : اللّهم لا تفضح سرائرنا لاستواء سريرته وعلانيته وإنما يقول ذلك من لم يبلغ مقام الكمال . قال : ولقد بلغني عن الشيخ أبي الربيع المالقي الكفيف الأندلسي أنه سمع تلميذه أبا عبد الله القرشي المبتلى يقول : اللّهم لا تفضح لنا سرائرنا فقال له الشيخ : يا محمد ، ولأي شيء تظهر للحق ما لا تظهر للخلق هلّا استوى سرك وعلانيتك مع الله فتنبه القرشي واعترف واستعمل ما دله عليه الشيخ وأنصف فرضي الله عنهما من شيخ وتلميذ.

في العذاب العظيم لأنهم محروقون بالنار مثل الجمرات ثم إن النار تفعل بواسطة الجمرات التي ظهرت فيها أمرا آخر فيه منفعة كما تنفع النار تحت القدر في إنضاج ما فيه ولولا إنضاجه ما ساغ أكله ، إذا فهمت ذلك علمت حكمة تأثير النار التي هي تحت أرض الجنة وأنها إنما جعلت لتؤثر في فواكه الجنة النضج والإصلاح فإن مقعر أرض الجنة هو سقف النار والشمس والقمر والنجوم كلها في النار فتفعل في الأشياء هنالك علوا ما كانت تفعله هنا سفلا ألا ترى أن أرض الجنة كلها مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النار وأشجار الجنة كلها مغروسة في تلك التربة المسكية كما يقتضي ثبات هذه الدار الدنيا جعل الزبل تحته لما فيه من الحرارة الطبيعية لأنه معفن والحرارة تعطي التعفين في الأجسام القابلة للتعفين انتهى .

(فإن قلت) : فهل لأهل النار أن يتبوءوا من النار حيث شاءوا كأهل الجنة أم هم محبوسون في أماكنهم لا يبرحون ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثالث وأربعين وثلاثمائة : إن أهل النار لا يتبوءون وإنما هم محبوسون في أماكنهم لا يبرحون وإيضاح ذلك أنهم لو كان لهم التبوؤ حيث شاءوا ما استقروا حتى تنضج جلودهم فكان من رحمة الله تعالى الخفية بهم من حيث لا يشعرون عدم تبوئهم فإن العذاب المستصحب أهون من العذاب المجد فلو كانوا ينتقلون من مكان إلى مكان لكانوا يذوقون في كل مكان ينتقلون إليه عذابا جديدا إلى حصول الإنضاج وذلك أشد العذاب .

(فإن قلت) : فما الدليل على عدم تبوأ أهل النار من القرآن ؟

(فالجواب) : الدليل على ذلك قوله تعالى :وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً[الإسراء : 8] أي

....

وقال :إذا جمعك الحق به فرقك عنك فكنت صاحب تأثير في الوجود ، وإذا جمعك بك فرقك عنه فقمت في مقام العبودية فهذا مقام الخلافة فاختر أي الجمعين شئت . قال : ولا يخفى أن جمعك بك أعلى من جمعك به ، لأن جمعك بك يكون الحق مشهودك ، وفي جمعك به غيبتك عنك باشتغالك به عن مقام عبوديتك فافهم . وقال : احذر من لذة الأحوال فإنها سموم قاتلة وحجب مانعة ، فإنها أي الأحوال تسيدك على أبناء الجنس فيستعبدهم لك قهر الحال فتسلط عليهم بنعوت الربوبية وأين أنت في ذلك الوقت مما خلقت له فعليك بالعلم فإنه أشرف مقام لأنه لا يزيدك إلا معرفة بنقائصك ، قال : والأحوال كالبروق فكما لا تفوتك فكذلك لا تفوتها أنت فإنها نتائج الأوراد وكل من طلب ما لا بد له منه فهو جاهل وما اتّخذ الله من ولي جاهل . وقال : العارف لا يأمن مكر الله طرفة عين وقد يكون ممن صار يسمع نداء الحق فيرجع من ذلك المقام ويحجب عن سماع الحق بشهود الكون فيتولّد عنده صمم عن سماع نداء الحق فإذا نودي من الكون سمع فضل وأضل نعوذ بالله من ذلك .

(وقال) : إياك أن تدعي معرفة ذات خالقك فإنك في المرتبة الثانية من الوجود وإن فنيت ،

سجنا لأن المحصور ممنوع من التصرف فرحم الله الكفار من حيث لا يشعرون بعدم التبوؤ في النار كما مكر بهم في دار الدنيا من حيث لا يشعرون ونظير ذلك المضروب في بيت الوالي مثلا يحس بالألم أولا فإذا تحضرت أعضاؤه غاب عن الإحساس بالألم فهذا الجزاء اليسير من عدم الإحساس هو من الرحمة التي سبقت الغضب في أهل النار في بعض الأوقات .
(فإن قلت) : فهل تتزاور أهل النار كما تتزاور أهل الجنة ؟
(فالجواب) : نعم يتزاورون لكن لا يتزاور إلا أهل كل طبقة مع بعضها فقط فيتزاور المجرورون مثلا لبعضهم بعضا والمقرورون لبعضهم بعضا فلا يزور مقرور مجرورا ولا عكسه وأطال في عذاب أهل التنويه والتثليث في الباب الثالث وأربعين وثلاثمائة .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البيهقي “ أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب وإن عذابها في الدنيا الزلازل والفتن والبلايا والمحن “ الحديث بمعناه وفي رواية أخرى “ عذاب أمتي في دنياها “ وإذا كانوا كذلك فأين العصابة الذين يدخلون النار من الموحدين .
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والأربعين وثلاثمائة : إن المراد بقوله ليس عليها في الآخرة عذاب أي مسرمد بدليل الأحاديث الصحيحة الواردة في دخول طائفة من هذه الأمة النار من الموحدين ولكن من رحمة الله تعالى بهم إماتتهم في النار كما مر آنفا حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم وذلك لأن النفوس المتألمة هي الموحدة المؤمنة والإيمان والتوحيد

....

فما عرف الواحد تعالى إلا هو فجل معنى التوحيد عن الذوق وما لنا منه سوى التجريد وهو المعبر عنه عند القوم بالتوحيد . وقال : لو كان الحق تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له الكمال فهو تعالى خالق العلل .
وقال : اجتمعت روحي بالحلاج فقلت له : لم تركت بيتك يخرب فتبسم ، وقال : لما استطالت عليه أيدي الأكوان حين أخليته وخلفت هارون في قومي استضعفوه لغيبتي فأجمعوا على تخريبه فلما هدموا من قواعده ما هدموا وكنت قد فنيت رددت إليه بعد الفناء فأشرفت عليه وقد خلت به المثلات فأنفته نفسي وقلت : لا أعمر بيتا تحكمت فيه يد الأكوان فانقبضت عن دخوله فقيل : مات الحلاج والحلاج ما مات ولكن البيت خرب والساكن ارتحل . وقال : ولما غاصت رجل جمل ابن عطاء ،
قال ابن عطاء : جلّ الله ، فقال الجمل : جل الله عن إجلالك هذا فإنه كما يطلبه الرأس من فوق كذلك تطلبه الرجل من أسفل .
وفي الحديث : “ لو دليتم بحبل لهبط على الله “ قال : فكان الجمل أعرف بالله من ابن عطاء وكان من مشايخه .
وقال : التوحيد الذي يستحقه الحق لا يعرفه إلا الحق فإذا وجدناه فإنما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فإن توحيد الاستحقاق لا يكون معه علم ولا هم ، ولا اختيار ولا شيء والعاقل لا يدخل دارا لا يعرفها فربما كان فيها مهاوي ومهالك فيهلك لا يعرف الدار

يمنعان قيام الآلام والعذاب إلى غير نهاية فما حرقوا وصاروا حمما إلا وهم أموات والميت لا يحس بما يفعل به ولو تصور علمه بالحرق لم يحس به إذ ليس كل ما يعلمه العبد يحس به فلذلك كان لا بد من رفع العذاب عن الموحدين وأنهم إن دخلوا النار فإنما ذلك تحقيق للكلمة الإلهية فلا يبقى في النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ولو مرة واحدة في عمره ومات على ذلك انتهى .

(فإن قلت) : فما معنى قوله تعالى في أهل النار حين ذاقوا العذابوَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ [الأنعام : 28] مع أنهم قالوا في محل يصدق به الكذوبرَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ [فاطر : 37] ؟

(فالجواب) : إنما قالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بلسان الحالة التي هي حالّة بهم لظنهم أنها تدوم معهم إذا رجعوا إلى الدنيا وهي لا تدوم فإنهم إذا رجعوا إلى الدنيا رجعوا بحكم القبضتين وهو عملهم بعمل الأشقياء لا يمكنهم أن يعملوا بعمل السعداء وإيضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة : إن الله تعالى خلق الإنسان على مزاج يقبل النسيان والغفلة ويقبل أيضا ضد ذلك على حسب ما يقام فيه فهو تعالى يعلم من نشأة هؤلاء الذين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه أنهم لا يرجعون إلى الدنيا إلا بتلك النشأة فينسون ما ذاقوه من عذاب النار وما قالوايا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الأنعام : 27]
إلا بلسان النشأة التي هم فيها لتخليهم أن ذلك العلم والذوق الذي حصل عندهم في النار يبقى عليهم ولو أنه بقي معهم لما كانوا يعودون لما نهوا عنه إذا ردوا إلى الدنيا ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم “ يؤتى في القيامة بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال له : هل رأيت نعيما قط فيقول

....

إلا بانيها وقد مناك الحق تعالى دارا له لتعمرها به ما أنت بنيتهاأَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ (58) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (59) [الواقعة : 58 - 59] فقف عند باب دارك حتى يأخذ الحق بيدك ويمسك فيك . وقال : كم ماش على الأرض والأرض تلعنه وكم ساجد عليها وهي لا تقبله ، وكم داع لا يتعدى دعاؤه لسانه ولا خاطره محله وكم من ولي حبيب في البيع والكنائس وكم من عدو بغيض في الصلوات والمساجد حقت الكلمة ووقفت الحكمة ونفذ الأمر ، فلا زيادة ولا نقصان ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، انقطعت الرقاب وسقط في الأيدي وتلاشت الأعمال وطاحت المعارف وقصمت الظهور بقوارع الدهور وأهلك الكون السلخ والخلع يسلخ من هذا ويخلع على هذا . وقال : أكثر من قول : لا إله إلا الله فإنها كلمة الإسلام وهي أفضل الذكر لما تحتوي عليه من زيادة العلم لجمعها بين النفي والإثبات .

(وقال) : إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولاية العامة ، فهم أولياء للّه وإن أخطأوا أو جاءوا بقراب الأرض خطيئة لا يشركون باللّه شيئا فإن الله يتلقاهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وكل من لم يطلعك الله على عداوته للّه فلا تتخذه عدوا ، وأقل

لا والله " ومعلوم أنه رأى في الدنيا نعيما ولكن حجة شاهد الحال عن هذا النعيم فنسيه وكذلك ورد في صاحب البؤس إذا غمس في الجنة غمسة فيقال له : هل رأيت يوما بؤسا قط فيقول لا والله ما رأيت بؤسا قط وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن جميع المؤمنين يعلمون بإنفاذ الوعيد في حق طائفة منهم لكن غير معينة لأنها لو تعينت العقوبة لواحد منهم في دار الدنيا وأنه هو الذي ينفذ فيه الوعيد لما أقدم على سببها أبدا انتهى .
(فإن قلت) : فمن أكثر عصاة الموحدين مكثا في النار ؟
(فالجواب) : قد ذكر الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلاثمائة ما نصه : الله تعالى لم يطلعني على مدة أكثر العصاة مكثا في جهنم قال وإنما استروحنا من قوله تعالى :فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ[المعارج : 4] أن آخرهم مكثا من يمكث فيها هذا القدر قال وما نحن من كمال الخمسين ألفا على يقين فهذه هي مدة إقامة الحدود على الموحدين من أهل الكبائر قال : وكل ذلك في يوم القيامة وليس السرمدي إلا لأهل النار الذين هم أهلها فإذا انقضى يوم القيامة لم يبق أحد من عصاة الموحدين في النار أبدا فرحم الله عبدا أطلعه الله على مدة إقامة العصاة في النار على التحديد فألحقه بهذا الكتاب فإني إنما علمت ذلك مجملا من غير تفصيل .
(فإن قلت) : فما معنى قوله تعالى :وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ[الفجر : 23] لم لم تأت بنفسها لأهلها عند الميقات ؟

....

أحوالك إذا جهلته أن تهمل أمره فإذا تحققت أنه عدو لله وليس إلا المشرك فتبرأ فلا تعاد عباد الله بالإمكان ولا بما ظهر على اللسان وإنما تعاديهم بالعلم وأنى لك به وأطال في ذلك . ثم قال :
وعليك بالشفقة والرحمة لجميع خلق الله من حيوان ونبات وجماد ، ولا تقل هؤلاء ما عندهم خبر بما نفعله معهم ، نعم معهم الخبر ، وأنت الذي ما عندك خبر ، وقال : احذر أن تحتقر شيئا من عملك فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجده وما كلفك بفعل أمر إلا وله بذلك الأمر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك أعظم في الرتبة عنده من حيث كونك محلا لما كلفك به من الفعل وسببا لوجوده فلولاك ما ظهر للعمل صورة عليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فإن قولك معدود من جملة أعمالك وفي الحديث " :إن الله عند لسان كل قائل " فما نهاك الله أن تتلفظ به فلا تتلفظ به وإن لم تعتقده فإن الله سائلك عنه وعليك بمراعاة الحق فيما أعطاك وفيما منعك فإنه ما منعك إلا لتصبر فيحبك فإنه يحب الصابرين ، وما أعطاك إلا لتشكر فيحبك فإنه يحب الشاكرين . وقال في حديث : " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم " إنما قال : " ولجاء بقوم وما اكتفى بإذهابهم لئلا تتعطل الأحكام الإلهية " فإنه تعالى ما قضى على عباده بالوقوع في الذنوب إلا ليستغفروه فيغفر لهم .
(وقال) : الاتباع في ترك تسنين ما سكت عنه الشارع صلى الله عليه وسلم أولى من التسنين وأكثر أجرا

(فالجواب) : إنما لم يصفها الحق تعالى بالمجيء من ذاتها مع علمها بما هي عليه من أسباب الانتقام من العباد لما جبلها الله تعالى عليه من العلم برحمة الله التي وسعت كل شيء فمنعتها الرحمة الكامنة فيها من المبادرة للإتيان فإنها ما وقعت عينها إلا على مسبح لله تعالى بحمده مطيع لإرادته فلذلك جيء بها ليعلم الذي لا يدخلها ما أنعم الله تعالى عليه مما لم يكن يعلمه وليعلمه أيضا من يدخلها بأنه بالاستحقاق يدخلها فتجذبه بالخاصة إليها جذب المغناطيس للحديد وهو قوله عليه الصلاة والسلام " أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحم الفراش " انتهى .

(فإن قلت) : فهل لأهل النار حظ من النعيم في وقت من الأوقات ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب العشرين من " الفتوحات " نعم لأهل النار حظ من النعيم ، ولكن صورة نعيمهم عدم توهمهم وقوع العذاب بهم كما أن حظهم من شدة العذاب توقعه لأنه لا أمان لهم . بطريق الأخبار عن الله تعالى فلا يفتر عنهم العذاب فلم يزالوا في غشية من العذاب بعد غشية وإفاقة بعد إفاقة ففي حال الغشية يعذبون بالعذاب المتخيل وفي حال الإفاقة يعذبون بالعذاب المحسوس وقد يطول زمن الغشية نحو عشرة آلاف سنة وقد يطول زمن الإفاقة فيعذبون خمسة عشر ألف سنة وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين . فعلم أن أشد العذاب على أهل النار ما يقع في نفوسهم من التوهمات فإنهم لا يتوهمون قط عذابا أشد مما هم فيه ألا تكون في نفوسهم لوقته .

(فإن قلت) : فهل عند أهل النار الذين هم أهلها نوم ؟

....

وإن كان ذلك بدعة حسنة فإن من سن فقد كلف الأمة ما يشق عليها ولو كان ذلك محمودا لكان صلى الله عليه وسلم أولى به فاجعل بالك لما ذكرته لك فعلم أن كل من لم يكلف الأمة بأكثر مما ورد فهو حكيم الزمان فإنه لا أعلى مما وضعه الكامل المكمل . وقال : قم في الأسباب من غير اعتماد عليها فإن الله ما نهاك عن القيام في الأسباب وإنما نهاك عن الركون إليها والاعتماد عليها كما أشار إليه قوله تعالى :وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ(106) [يوسف : 106] يعني هذا الشرك الخفي الذي هو الاعتماد على الأسباب فإن رأيت نفسك يا أخي تسكن إلى الاعتماد على الأسباب فاتّهم إيمانك وإن رأيت نفسك يتساوى عندها فقد السبب المعين وحالة وجود السبب ، فاعلم أنك مؤمن حقا وهناك يرزقك الله من حيث لا تحتسب فمن ادّعى كمال التوكل ورزق من حيث يحتسب فما هو ذلك الرجل . قال : ومن الرزق الذي لا يحتسبه العبد أن يأكل مما في خزائنه وتحت تصريفه وهو غير معتمد عليه ولأنه ليس في حسابه أن الله يرزقه ولا بد من الذي هو حاصل عنده فما رزق هذا إلا من حيث لا يحتسب ، وقال : وهذا أمر دقيق لا يشعر به إلا أهل الله عز وجل فاعلم ذلك .

(وقال) : احذر أن تريد في الأرض علوا أو فسادا أو الزم الذل والانكسار والخمول ، فإن

" 335 "
عبد الوهاب الشعراني
(فالجواب) : ليس عندهم نوم وإنما النوم خاص بعصاة هذه الأمة من الموحدين فقط وذلك هو القدر الذي يتنعمون به في النار ويستريحون به في بعض الأوقات ثم إن عصاة الموحدين إذا ناموا يكون نعيمهم في منامهم الرؤيا الحسنة فيرى نفسه مثلا أنه خرج من النار ودخل الجنة وصار في فرح وسرور وأكل وشرب وجماع بين أهله وإخوانه ثم إذا استيقظ لا يرى شيئا كما يقع لأهل الدنيا إذا ناموا وبعض أهل النار من الموحدين قد يرى في منامه أيضا ما يسوءه فيعذب في منامه أيضا فيرى أنه في بؤس وضر وعقوبة وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية .
(فإن قلت) : قد بلغنا أن إبليس يكون في الطبقة الوسطى من النار التي هي الرابعة فهل ذلك تخفيف لعذابه .
(فالجواب) : ليس ذلك تخفيفا للعذاب وإنما ذلك للإحاطة والشمول ، فهو ملء النار فلا يعذب أحد فيها إلا وإبليس مشارك في عذابه لأنه كان سببا في تعذيبه وفي الحديث " من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة " فبهذا الاعتبار كان ملء النار بحقيقته فكونه لا يدخل أحد النار إلا بواسطته هو سر مستقره في النار في الطبقة الرابعة فليس ذلك تخفيفا عنه بالنسبة للدركات السفلية كما مر .
(فإن قلت) : فهل تكون أقسام أهل النار الأربعة السابقة أول المبحث أيضا في الجن كما هي في الإنس ؟
(فالجواب) : ليس في الجن مشرك ولا منافق ولا معطل وإنما هم كفار فقط ويؤيد ذلك

....

أعلى الله تعالى كلمتك فما أعلاها إلا الحق وذلك بأن يرزقك الرفعة في قلوب الخلق وإيضاح ما قلناه أن الله تعالى ما أنشأك إلا من الأرض فلا ينبغي لك أن تعلو على أمك واحذر أن تتزهد وتتعبد وتتكرم وفي نفسك استحلاء ذلك لكونه يرفعك على أقرانك فإن ذلك من إرادة العلو في الأرض . وقال : إنما رغب الشارع أمته في ترك الجدال والمراء وإن كان محقا خوفا أن يسمع ذلك من لا فهم له فيعمل بذلك المذهب الباطل مثلا حين ترك صاحبه ظاهر الحجة والمغالبة على خصمه ، ثم إن النفس ربما تخدع صاحبها وتقول له : إنما تجادل لنصرة الحق أو لتنقيح الذهن لنصرة الأقوال الواهية التي قام بها إمام مذهبه وما علم هذا أن الله عند لسان كل قائل بل المجادل في عين حضرة الحق وإن لم يشعر وإذا كنا نهينا عن رفع أصواتنا بحضرة الأكابر فكيف بحضرة الحق تعالى فافهم .
(وقال) : لما رأى أهل الله أن العبد لا يقدر أن يأتي بخلق كريم يوافق مزاج كل الناس أشغلوا نفوسهم بما يرضي الله عز وجل فقط ، فالمؤمن يرضيه ما يرضى به الله ، والمنافق لا يبالي إذا سخط علينا في ذلك لأنه عدو الله . وقال : عليك بمشاركة جميع أصحاب الهموم

قوله تعالى :كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ[الحشر : 16] فألحق الله تعالى الشيطان بالكفار ولم يلحقه بالمشركين وإن كان هو الذي يوسوس للخلق بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر ضمنا وليس كل كافر مشركا لأن من قال إن الله تعالى هو المسيح ابن مريم كافر وليس بمشرك .
(فإن قلت) : فهل قول إبليسإِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ[الحشر : 16] توحيد ؟ فإن كان توحيدا فلم لم يسعد به ؟
(فالجواب) : هو توحيد ولكن كتوحيد المنافق بلسانه فقط دون قلبه فكان الحكم عليه بالكفر والشرك والنفاق والتعطيل في هذه الدار كحكمنا على أهل هذه الصفات في الآخرة سواء ، وقد انعقد إجماع الملل كلها على كفره وأنه لا يصح أن يسلم قط حقيقة لأنه لو تصور إسلامه حقيقة لم تجد الكفار والعصاة من يوسوس لهم بالوقوع في الكفر والمعاصي ولا بد لكل عاص من واسطته فهو أول من سن الشرك والكفر وسائر المعاصي .
ثم بتقدير أن قولهإِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ[الحشر [16 : توحيد فما نحن على يقين من استدامة ذلك إلى الممات لأن الله تعالى أخبر عنه أنه يخطب لأهل النار في النار ، وقد سئل الشيخ محيي الدين عن قول إبليسإِنِّي أَخافُ اللَّهَهل هو توحيد ؟ فقال ليس ذلك بتوحيد لأن إبليس أشقى الأشقياء وهو أول شقي من الجن فهو ولو وحد بلسانه فليس ذلك بتوحيد شرعي يقبل منه ، انتهى ، ذكره في الباب التاسع من الفتوحات وذكر في الباب الرابع والستين أن النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها بأي وجه كان توحيده وإبليس مخلد في النار بالإجماع وفي

....

والرزايا في أنفسهم وأموالهم وأولادهم وإخوانهم إن أردت أن تثبت لك أخوة الإيمان فإن الله قد واخى بين المؤمنين كما واخى بين أعضاء الإنسان الواحد ، واحذر من الاكتراث بما يصيبك من الرزايا في هذه الدار فإن الله ما ابتلاك بها إلا تمحيصا لذنوبك حتى تلقاه طاهرا مطهرا من الذنوب فاشكر الله على ذلك . وقال : عليك بتلاوة القرآن ولو ثلاثة أحزاب كل يوم ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم وبعض المتصوفة زاعمين أنهم قد اشتغلوا بما هو أهم من ذلك وهو كذب وزور فإن القرآن مادة كل علم في الدنيا فلا تكن ممن يهجر تلاوته بل اتله إن استطعت آناء الليل وأطراف النهار واستنبط منه ما شئت من العلوم ، كما كان عليه الأئمة المجتهدون وانظر في تلاوتك يا أخي إلى كل صفة مدح الله بها عباده فافعلها أو اعزم على فعلها وكل صفة ذم الله تعالى عباده على فعلها فاتركها أو اعزم على تركها فإن الله ما ذكر ذلك ونزّله في كتابه إلا لتعمل به فإذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به كما حفظته تلاوة فأنت الرجل الكامل . وقال :
حياة الذاكر لله عز وجل متصلة دائمة لا تنقطع بالموت فهو حي وإن مات كانت حياته أحيا وأتم من حياة الشهيد في سبيل الله إلا أن يكون الشهيد من الذاكرين الله كثيرا فإن له حينئذ حياتان حياة الشهادة وحياة الذكر ، فالذاكر لله حي وإن مات وتارك الذكر ميت وإن كان في

" صحيح مسلم " " من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة " فلم يقل وهو مؤمن ولا قال من مات وهو يقول بل أفرد العلم فلا يبقى بعد الشفاعات في النار أحد ممن عمل عملا مشروعا من حيثما هو مشروع بلسان نبي ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك في الصغر فيخرجون كلهم بشفاعة أرحم الراحمين .
(فإن قلت) : فلم خص الله تعالى الجباه والجنوب والظهور بالحرق لمن كنز الذهب والفضة ولم ينفقها في سبيل الله ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السبعين : إنما خص الله تعالى الكي بهذه الأعضاء الثلاثة لأن صاحب المال إذا رأى السائل مقبلا إليه انقبضت أسارير جبهته لعلمه بأنه يسأله من ماله فتكوى جبهته بما منعه ، ثم إن الغني يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كأنه ما عنده منه خبر فيكوى بها جنبه فإذا عرف من السائل أنه يطلب منه ولا بد أعطاه ظهره وانصرف فيكوى بها ظهره هذا حكم مانعي زكاة الفضة والذهب في النار انتهى .
(فإن قلت) : فلم كانت أبواب جهنم سبعة ؟
(فالجواب) : لأنها على عدد أعضاء التكليف الظاهر سواء وباب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع الله عليه وما ذكر سبحانه وتعالى من أبواب النار إلا السبعة التي يدخل منها الناس الجنان وأما الباب المغلق الذي لا يدخل منه أحد فهو في السور باطنه فيه الرحمة لإقرار العبد بوجود الله ربا واعترافه بعبوديته له وظاهره من قبله العذاب بالنار التي تطلع على الأفئدة.

....

الدنيا حيا بحياته الحيوانية . وفي الحديث " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت " فيخرج من ذلك أن حياة الذاكرين من حياة الشهيد إذا لم يكن من الذاكرين . وفي الحديث : " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضرب رقابكم وتضربوا رقابهم " ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : " ذكر الله " فذكر ضرب الرقاب وهو الشهادة . وقال : عليك بعلم الشريعة فإن الشريعة هي سفينتك التي إذا انحرفت هلكت وهلك جميع من فيها وأنت مسؤول عن إقامة حدود الله في رعيتك الخارجة عنك والداخلة فيك ولا تعرف إقامة الحدود عليها إلا بمعرفة شرع ربك .
(وقال) : اخلف إيعادك ولا وعدك وسم إخلاف إيعادك تجاوزا حتى لا تسمى أنك مخلف ما أوعدت به ، ولو كان شرا فإن الأحكام تتبع الأسماء كما سئل مالك رحمه الله عن خنزير البحر فقال : هو حرام فقيل له : إنه سمك من حيوان البحر فقال : أنتم سميتموه خنزيرا ما قلتم : ما تقول في سمك البحر ؟ قال : وهذا الذي قررناه كان سبب وقوع المعتزلة فيما وقعوا فيه من القول بإنفاذ الوعيد . قالوا : لاستحالة الكذب على الله في خبره وما علمت المعتزلة أن مثل ذلك لا يسمى كذبا في العرف الذي نزل به الشرع فحجبهم دليلهم العقلي عن علم الوضع

(فإن قلت) : فلم كانت النار تحرق جوارح المكلفين الظاهرة فقط دون الباطنة ؟
(فالجواب) : إنما لم تحرق الأعضاء الباطنة لأن إيمان عصاة الموحدين يمنع من تخلص النار إلى قلوبهم ، فانظر يا أخي عناية التوحيد والإيمان بأهله فإن الجوارح إذا أحرقت غابت فلا تحس بعد ذلك بألم فصاحب هذا العذاب كالنائم سواء حتى تأتيه الشفاعة فإذا بعثه الله من تلك النومة وجد إيمانه على باب النار ينتظره فإذا غمس في نهر الحياة الذي على باب الجنة دخل الجنة فلا يبقى في النار من علم أن الله إله واحد جملة واحدة .
(فإن قلت) : إن النار جاءت في القرآن مطلقة ومقيدة يعني مضافة فهل في ذلك خصوصية ؟
(فالجواب) : نعم لذلك خصوصية وهي أن نار جهنم لها نضج الجلود وحرق الأجسام لأنها نتائج أعمال حسية ظاهرة فيجمع لمن هذه صفته بين العذابين كما فعل بأهل الجزية من تعذيبهم بإخراج أموالهم من يدهم قهرا وصغارا وفي ذلك عذاب نفوسهم أيضا ، وأما نار الله فهي مجسدة لأنها نتائج أعمال معنوية باطنة وهو قوله تعالىنارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ(7) [الهمزة : 6 - 7] ومعلوم أن الأفئدة هي باطن الإنسان فهي تظهر في فؤاد الإنسان وعن هذه النار الباطنة ظهرت النار الظاهرة والعبد منشىء النار في الحالين فما عذبه سوى ما أنشأه بأعماله وأطال الشيخ في ذلك في الباب التاسع والستين وثلاثمائة فراجعه .
(فإن قلت) : فما حكم أرض الموقف إذا لم يبق فيها أحد ؟ هل تصير من الجنة أو من النار ؟

....

الحكمي وهذا من قصور العقول وفوقها وفي كل موطن مع أدلتها ولا ينبغي لها ذلك بل الذي كان ينبغي لها النظر إلى المقاصد الشرعية في الخطاب ومن خاطب وبأي لسان خاطب وبأي عرف أوقع المعاملة في تلك الأمة المخصوصة . قال : بعض الأعراب في مكارم أخلاقه : وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي ، لكن لا ينبغي أن يقال في حق الحق تعالى : إنه مخلف بل يقال : إنه غفور متجاوز عن عبده والله أعلم بالصواب .
(ولنختم الكتاب بجملة صالحة في الكلام على يوم القيامة وما يقع فيه وعلى الجنة والنار أعاذنا الله تعالى منها بفضله وكرمه آمين ملخصا من أبواب “ الفتوحات المكية “ مشيدا بكلام بعض مشايخنا) : اعلم أن الله تعالى إذا أمر إسرافيل أن ينفخ في الصور بعثر ما في القبور ثم حشر الخلق من الناس والوحوش بعد أن أخرجت الأرض أثقالها ولم يبق في بطنها سوى عينها جيء بالعالم كله إلى الظلمة التي دون الحشر فألقوا فيها حتى لا يرى بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل في السماء والأرض حين تقع فتمد الأرض مد الأديم وتبسط حتى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، وسميت ساهرة لأنه لا نوم فيها إذ لا نوم لأحد بعد زوال الدنيا ثم وضع الصراط من الأرض علوا على استقامة إلى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه إلى

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة : إن أرض الموقف إذا خلت ولم يبق فيها أحد تعود كلها في جهنم وإن كان فيها زمهرير وذلك لأن حد جهنم من مقعر فلك الكواكب إلى أسفل سافلين كما مر فهي تهوي على السماوات والأرض على صورة ما كانتا عليه إذ كانتا رتقا فرجعت إلى صفتها من الرتق والكواكب كلها فيها طالعة وغاربة على أهل النار بالحرور والزمهرير فبالحرور عل المحرورين والزمهرير على المقرورين .
(فإن قلت) : إذا كانت الكواكب كلها طالعة وغاربة في النار فأين نورها وجهنم سوداء مظلمة ؟
(فالجواب) : أن نور الكواكب موجود ولكن أهل النار لا يشهدون نورها لا حال شروقها ولا حال غروبها لما في دخان جهنم من الكدورة وكانوا في الدنيا عميا عن إدراك الحق الذي جاءت به الشرائع كذلك صاروا عميا في النار عن إدراك الأنوار فليل أهل النار لا صباح له ، كما أن نهار أهل الجنة لا ليل له ولا يزال أهل الجنة وأهل النار على ما وصفنا أبد الآبدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لأنه لا يوم بعده قال : وهو يوم السبت .
(فإن قلت) : قد بلغنا أن منازل أهل النار ودركاتها وخوخاتها على عدد منازل الجنة ودرجاتها وخوخاتها فهل ذلك صحيح ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين : نعم لا تزيد على منازل الجنة ودرجاتها ولا تنقص لكن ليس في النار نار ميراث ولا نار اختصاص كما مر أوائل المبحث وإنما ذلك خاص بالجنة فنار جهنم نار أعمال لا غير ولقد بسطنا الكلام على النار في رسالة الكلام على الدارين

....

المرج الذي هو خارج سور الجنة . قال : وأول جنة يدخلها الناس جنة النعيم وأما المأدبة فتكون في المرج وهي در مكة بيضاء نقية فيأكل منها أهل المأدبة ثم يقوم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع أشجار الجنة على السور وتوضع الموازين في أرض المحشر لكل مكلف ميزان تخصه ويضرب سور الأعراف بين الجنة والنار ، وقد جعله الله مكانا لمن اعتدلت كفتا ميزانه فلم ترجح إحداهما على الأخرى ، واعلم أن معنى قولنا : أن لكل مكلف ميزانا تخصه أن كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه في دار الدنيا وهو واحد في نفسه لا موازين متعددة هكذا أطلعنا الله عليه في واقعة من الوقائع وقد خلق الله تعالى جسد الإنسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لأي جانب مال ، قال تعالى :وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ(9) [الرحمن : 9] يعني بالميل إلى المعاصي والوقوع فيها وقد قرن الله تعالى الساعدة بالكفة اليمين والشقاء بالكفة اليسار ، فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك ، قال : وموازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها ممثلة عكس الدنيا فهي كتمثل لأعمال سواء ثم إذا وضعت الموازين لوزن الأعمال

فراجعها والله أعلم .
(فإن قلت) : فهل يتوالد أهل النار كما هو شأن أهل الجنة ؟
(فالجواب) : لا توالد في النار والله أعلم .
(خاتمة) : ذكر الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة من " الفتوحات " ما نصه : اعلم أنه إذ ذبح الموت بعد مجيئه في صورة كبش ونادى المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ارتفع الإمكان من قلوب أهل الجنة وأيسوا من الخروج منها وكذلك يرتفع من قلوب أهل النار فيا لها من حسرة ما أعظمها قال : وتغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده أبدا لكن لا يخفى أن عين غلق أبواب النار هو عين فتح باب الجنة لأنها على شكل الباب الذي إذا فتحته سددت به موضعا آخر فعين غلقه لمنزل هو عين فتحه منزلا آخر وتقدم أن الباب الثامن الذي لا يفتح في النار هو باب الحجاب عن رؤية ربهم عز وجل فلا يفتح أبدا .
قال الشيخ محيي الدين : واعلم أنه إذا أغلقت أبواب جهنم فارت وغلت وصارت أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وصار الخلق فيها كقطع اللحم في القدر الذي على نار شديدة وأطال في صفة عذاب أهل النار انتهى .
(فإن قلت) : فكذب والله وافترى من أشاع عن الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله أنه كان يقول : إن أهل النار الذين هم أهلها يخرجون منها بعد مدة تعذيبهم وكذلك كذب من دس في كتاب " الفصوص " و " الفتوحات المكية " أن الشيخ قائل بأن أهل النار يتلذذون بالنار

....

جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم لكن الظاهرة فقط دون الباطنة لأن الأعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبدا لكن يقام فيها العدل وهي الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل بمثله قال : وآخر ما يوضع في الميزان الحمد لله ولهذا ورد " والحمد لله تملأ الميزان " قال : وإنما لم تكن لا إله إلا الله تملأ الميزان كالحمد لله لأن كل عمل من أعمال الخير يقابله عمل آخر من جنسه ليجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل لا إله إلا الله إلا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان واحد من الخلق أبدا ، بخلاف غير الشرك من سائر المعاصي فإن الإنسان إن كان يقول : لا إله إلا الله معتقدا لها فما أشرك وإن أشرك فما اعتقد لا إله إلا الله ، فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا إله إلا الله الميزان لعدم ما يعادلها في الكفة الأخرى .
(قال) : وأما صاحب السجلات فإنما دخلت لا إله إلا الله ميزانه لأنه كان يقول : لا إله إلا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط إنما عمل معها سيئات فتوضع لا إله إلا الله في مقابلة التسعة وتسعين سجلا من السيئات فترجح كفة لا إله إلا الله بالجميع وتطيش السجلات فلم ينقل مع اسم الله شيء فإذا فرغ الناس من الموازين وقفت الحفظة بأيديهم الكتب التي

وأنهم لو أخرجوا منها لاستغاثوا وطلبوا الرجوع إليها كما رأيت ذلك في هذين الكتابين وقد حذفت ذلك من " الفتوحات " حال اختصاري لها حتى ورد على الشيخ شمس الدين الشريف المدني فأخبرني بأنهم دسوا على الشيخ في كتبه كثيرا من العقائد الزائغة التي نقلت عن غير الشيخ كما مرت الإشارة إليه في الخطبة فإن الشيخ من كمل العارفين بإجماع أهل الطريق وكان جليس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدوام فكيف يتكلم بما يهدم شيئا من أركان شريعته ويساوي بين دينه وبين جميع الأديان الباطلة ويجعل أهل الدارين سواء هذا لا يعتقده في الشيخ إلا من عزل عنه عقله ، فإياك يا أخي أن تصدق من يضيف شيئا من العقائد الزائغة إلى الشيخ واحم سمعك وبصرك وقلبك وقد نصحتك والسلام ، وقد رأيت في عقائد الشيخ الوسطى ما نصه ونعتقد أن أهل الجنة وأهل النار مخلدون في داريهما لا يخرج أحد منهم من داره أبد الآبدين ودهر الداهرين قال :ومرادنا بأهل النار الذين هم أهلها من الكفار والمشركين والمنافقين والمعطلين لا عصاة الموحدين فإنهم يخرجون من النار بالنصوص ، قال لأن النار كما لا تقبل بطبعها خلود موحد فيها كذلك لا تقبل بطبعها خروج أهلها منها أبدا لأنها خلقت من الغضب السرمدي قال : وهذا اعتقاد الجماعة إلى قيام الساعة انتهى .

وفي " لواقح الأنوار " التي جمعها محمد بن سويدكين من مجالس الشيخ وتقريراته : اعلم يا أخي أن جميع ما وجدته من قولنا بخروج أهل النار منها في سائر كتبنا وتقريراتنا فمرادنا بهم عصاة الموحدين انتهى ،

وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ الكامل عبد الكريم الجيلي في شرحه لباب الأسرار من " الفتوحات " فقال إياك والغلط فتفهم من كلام الشيخ أنه يريد بخروج أهل النار غير الموحدين من الكفار فإن ذلك خطأ انتهى ، وقد رجع بحمد الله تعالى على يدي جماعات كثيرة من صوفية الزمان الذين لا غوص

....

كتبوها في الدنيا من أعمال المكلفين وأقوالهم ليس فيها شيء من اعتقادات قلوبهم إلا ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفظوا به من ذلك ، فعلقوها في أعناقهم بأيديهم فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذه بشماله ومنهم من يأخذه من وراء ظهره وهم الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وليس أولئك إلا الأئمة المضلين الضلال الذين ضلوا وأضلوا قال : واعلم أن الذي يعطى كتابه بيمينه هو المؤمن وأما الذي يعطى كتابه بشماله فهو المنافق لأن المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق : اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (14) [الإسراء : 14]

وقد عقب الله عز وجل الذي يأخذ كتابه بشماله بقوله :إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) [الحاقة : 33] فسلب عنه الإيمان دون الإسلام ، لأنه كان منقادا للإسلام في ظاهره ليحفظ أهله ودمه وماله وهو في باطنه إما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الإيمان فإنه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد . قال : وأما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم فإذا كان يوم القيامة قيل للواحد منهم : خذ كتابك من وراء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا فهو كتابهم المنزل إليهم لا كتاب الأعمال فإنه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أي:

لهم في الشريعة في اعتقاد خروج أهل النار الذين هم أهلها تقليدا لما أشيع عن الشيخ محيي الدين وتابوا إلى الله تعالى بعد أن كانوا يتساورون فيما بينهم فالحمد لله رب العالمين .
(وأما الكلام على الجنة وأهلها) : فنذكر لك يا أخي منه نبذة صالحة إن شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق : قال الإمام أبو طاهر القزويني في كتابه “ سراج العقول “ في الباب الخامس والثلاثين منه : اعلم أن الجنة أوسع من السماوات والأرض وذلك قوله تعالى : وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ [آل عمران : 133] ذكر المفسرون في معنى عرضها وجوها وفسروها بالعرض الذي هو ضد الطول ثم أشكل عليهم أن الجنة عرضها الذي هو مثل عرض السماوات والأرض كيف تسعها السماء وزادوا في بيان ذلك بما يزيد إشكالا ولا يحل إشكالا والذي أراه أن معنى عرضها إظهارها لأهلها بسماواتها وأرضها كما عرضت هذه الدنيا بسماواتها وأرضها على أهلها وأنه من عرضت المتاع للبيع ومثاله : وَعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً [الكهف : 100] فكما عرض الله جهنم للكافرين فكذلك عرض الجنة للمؤمنين وهذا أمر ظاهر لا إشكال فيه وروى الحاكم وصححه “ أن أعرابيا قال يا رسول الله أرأيت قوله تعالى : جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ [آل عمران : 133] فأين النار ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت الليل إذا جاء فأين يكون النهار ؟ قال : الله أعلم ، فقال كذلك الله يفعل ما يشاء .
(فإن قيل) : فما معنى قوله : عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ [آل عمران : 133] جعل السماوات والأرض عرضها ؟
(فالجواب) : هذا جائز في اللغة كما قال الشاعر ووجه نوره البدر التمام . أي كنور البدر

....

تيقن أن لن يرجع ، وهذا هو الذي يقول الله عز وجل له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره : أظننت أنك ملاقي الحديث ثم جيء بالحوض يتدفق ماؤه عليه من الأواني على عدد الشاربين منه لا تزيد ولا تنقص يرمى فيه أنبوبان أنبوب ذهب وأنبوب فضة وهو لزيق بالسور ، ومن السور ينبعث الأنبوبان فيشرب منه المؤمنون ، واعلم أن الحوض والصراط يتلونان لشاكلة العلم والعمل وهما حقيقتا الشريعة وعلومها فالحوض علومها والصراط أفعالها فعلى مقدار الإحاطة بعلم الشريعة يكون الشرب من الحوض ، وعلى مقدار اتباع الشريعة يكون المشي والاستقامة على الصراط فكل من ضيق على نفسه بالورع عن كل ما كرهه الله اتسع عليه الصراط وكل من ترك الورع هنا ضاق عليه الصراط هناك بقدر ما فر ، فالصراط حقيقة إنما هو هنا لا هناك لأنه لا يمشي العبد هناك إلا على الصراط الذي أنشأه بأعماله في دار الدنيا من الأعمال الصالحة أو غيرها فهو في دار الدنيا باطن لا يشهد له صورة حسية يمد للعبد يوم القيامة جسرا ممدودا على جسر جهنم محسوسا أوله في الموقف وآخره على باب الجنة كما مر يعرف كل عبد إذا شاهده أنه بناؤه بجوارحه وصنعته بيده .
(قال) : ولا يمشي كل إنسان على الصراط إلا في نور نفسه فقط لأن الصراط لا نور له

فيكون المعنى هنا كعرض السماء والأرض تصديقه ما في سورة الحديد من قوله : وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ [الحديد : 21] .
(فإن قيل) : فما وجه من منع حمل العرض على العرض الذي هو ضد الطول ؟
(فالجواب) : وجهه أنه جعل حكم ذلك حكم من نظر منا إلى هذه السماء أليس يرى قدر وسعها بعينه ومعلوم أن محل الإدراك من العين هو تلك اللعبة الصغيرة التي هي مقدار عدسة فعلى هذا يكون نسبة عرض الجنة إلى عرض السماوات نسبة هذا الربع مثلا من السماء إلى لعبة عينك وأن الذي قدر على بناء الجمال والفيلة العظام على قوائمهن الصغار وقدر على بناء طلل الإنسان على قدميه الصغيرين لا يعجز عن بناء الجنة بسمتها على السماء التي تصغر في جنبها إذ السماء كالعمود تحت سقف بيت واسع .
قال الشيخ أبو طاهر القزويني : واعلم أن سماوات الجنة عدد درجها هي مائة وأعلاها هو ما دلت عليه الأخبار وهو ساق العرش ففي الحديث مرفوعا “ الجنة مائة درجة ما بين كل درجة والأخرى ما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها “ ومنها تنفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة وأما أرضها فتنتهي إلى سدرة المنتهى قوله عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وسدرة المنتهى فوق السماوات السبع على ما جاء في الأحاديث وفي بعض الروايات عن ابن عباس : أن الجنة في جوف الكرسي هذا ما بلغنا من سماء الجنة وأرضها والله أعلم ، قال ولا يكون في الجنة شمس ولا قمر كما قال تعالى : لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً [الإنسان : 13]
قيل معناه ولا قمرا وقيل حرا ولا بردا وإنما يكون بدل الشمس والقمر أنوار طالعة من سرادقات العرش وهي الأنوار التي يكسى بعضها شمسنا هذه

....

في نفسه ولا يمشي أحد عليه في نور أحد نسأل الله اللطف ، ثم يؤتى بمنابر من نور مختلفة في الإضاءة واللون فتنتصب في تلك الأرض ويؤتى بالأنبياء يقومون فيقعون عليها قد غشيتهم الأنوار لا يعرفهم أحد في رحمة إلى الأبد عليهم من الخلع الإلهية ما تقر به أعينهم ويأتي كل إنسان معه قرينه من الشياطين والملائكة وتنشر الألوية ذلك اليوم للسعداء والأشقياء بأيدي أئمتهم الذين كانوا يدعونهم إلى الحق أو الباطل وتجتمع كل أمة إلى رسولها من آمن منهم ومن كفر ، وتحشر الأفراد والأنبياء بمعزل من الناس بخلاف الرسل فإنهم أصحاب العساكر فلهم مقام يخصهم ، وقد عين الله عز وجل في هذه الأرض بين يدي عرض الفصل والقضاء مرتبة عظمى امتدت من الوسيلة التي في الجنة تسمى المقام المحمود وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، ويأتي ملائكة كل سماء على حدة متميزة عن غيرها فتكون سبع صفوف أهل كل سماء صف والروح قائم مقدم الجماعة وهو الملك الذي نزل بالشرائع على الرسل ، ثم يؤتى بالكتب المنزلة والصحف المكرمة وخلف كل كتاب من نزل من أجلهم فيمتازون عن أصحاب الفترات وعمن تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله وإنما دخل فيه وترك ناموسه لكونه من عند الله وكان ناموسه عن نظر فكري من عاقل مهدي ، ثم يأتي الله عز وجل على عرشه وملائكته الثمانية تحمله

كل ليلة فتطلع مضيئة علينا وفي الحديث عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أين تذهب الشمس إذا غربت قال تذهب حتى تسجد لله تعالى تحت العرش فتستأذن فيكسى عليها سبعون حلة من نور العرش ويؤذن لها . الحديث فعلمنا بهذا الحديث وغيره أن للجنة سماوات وأرضا باقيات خالدات أبد الآبدين لا تفنى ولا تبيد ومن توقف فيما قلناه فإنما هو لعكوفه على المألوفات في هذه الدار كما لو قيل لمن ليس في بلادهم زيت إنا رأينا في بلاد شيئا يوضع في شيء اسم أحدهما زيت والآخر فتيلة قطن فينور على الناس طول ليلتهم فإنه يستبعد ذلك أشد البعد ولا يصدقه إلا إن رآه ولكن من رزقه الله قوة الإيمان لا يتوقف فيما أخبر الله ورسوله أبدا . قال الشيخ أبو طاهر والآية التي أشكلت على الأئمة الماضين دالة على هذا المعنى

وهي قوله وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108) [هود : 108] يريد أن السعداء يكونون في الجنة خالدين دوام خلود سماوات الجنة وأرضها إلا ما شاء ربك زيادة على المكث الدائم من النعم السنية والألطاف الخفية مما أعده الله فيها كما في حديث « في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال وأعلى نعيمها الرضا والنظر إلى وجهه الكريم فمثل هذه هي العطايا الجسام المستثناة من نعمة الخلود وتصديق هذا التفسير قوله تعالى في آخر الآية عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ أي غير مقطوع

وأما قوله في صفة أهل النار خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (107) [هود : 107]

فهي دالة أيضا على أن للكفار أرضا وسماوات إذ السماء في اللغة هو كل ما علاك وأظلك والأرض كل ما تحت قدمك فأرض النار الدرك الأسفل وسمواتها أطباق دركاتها طبقا فوق طبق إلى أن ينتهي إلى الصخرة التي فوقها نظير العرش فوق الجنة كما مر والله أعلم

....

فيضعونه في تلك الأرض والجنة عن يمين العرش والنار من الجانب الأخر ، وقد عمت الهيبة الإلهية قلوب أهل الموقف من إنسان وملك وجان ووحش فلا يتكلمون إلا همسا بإشارة عين وخفي صوت ثم ترفع الحجب بين الله وبين عباده وهو كشف الساق ويأمرهم داعي الحق بالسجود المعهود فلا يبقى أحد سجد لله خالصا إلا سجد ولا سجد رياء اتقاء الآخر على قفاه وبهذه السجدة ترجح ميزان أهل الأعراف لأنها سجدة تكليف فيسعدون ويدخلون الجنة ويشرع الحق تعالى في الفصل والحكم بين عباده فيما كان بينهم ، وأمّا ما كان بينهم وبين الله فإن الكرم الإلهي قد أسقطه فلا يؤاخذ الله من عباده بذلك ذلك الوقت .

فهنيئا لمن لم يشهد مخاصمة بينه وبين أحد من الخلق ولم يقع له ذنب إلا بينه وبين الله ولن يقع له ذنب مطلقا ويختلف ذلك باختلاف المشاهد في التوحيد ثم تقع الشفاعة الأولى من محمد صلى الله عليه وسلم في كل شافع أن يشفع فيشفع الشافعون ، ويقبل الله تعالى من شفاعتهم ما شاء ويرد من شفاعتهم ما شاء وقد بسط الله الرحمة في قلوب الشفعاء في ذلك اليوم ومن رد الله شفاعته من الشافعين فليس انتقاصا ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وإنما ذلك إظهارا للمنة الإلهية على عباده فيتولى الله سعادتهم ورفع الشقاوة عنهم .

واعلم أن الشافعين في ذلك اليوم واحد وثلاثة فالواحد أرحم الراحمين والثلاثة

بحقيقة الحال . فعلم أيضا أن أرض النار وسماواتها باقيات خالدات ومعنى إلا ما شاء ربك يعني إلا ما شاء الله بعد خلودهم فيها من أنواع الآلام والعقوبات المتلونة الزائدة لهم على عقوبة الحبس الدائم . قال الشيخ أبو طاهر : وهذا الذي استنبطته من نظري في معنى هاتين الآيتين رأيته بعد ذلك منقولا في تفسير الحسين بن الفضل وكان ذلك مثل وقع الحافر على الحافر وهو أصح ما قيل في الآيتين فإن فيهما نيفا وعشرين قولا كلها ضعيف . قال : ومثال تفسيرنا هذا مثال ملك استخلص بعض رعيته لنفسه وأسكنه معه في داره وكان يفيض عليه من مباره وخيره وحبس بعض رعيته في سجنه وصار يأمر كل يوم مع ذلك بأنواع العقوبات لهم ثم صار الملك يخبر الناس عن حال الفريقين ويقول أما فلان ففي رعايتي وجواري يتبوأ معي في داري ما عشت إلا ما شئت له زيادة على جواري وإحساني وخلعي عليه وأما فلان في سجني ما عشت إلا ما شئت له من أنواع المثلات والآلام بصنوف العقوبات زيادة له على الحبس الدائم قال وهو كلام سديد فتأمله فإنه نفيس .

(فإن قيل) : كيف يتصور الخلود الدائم والنعيم الأبدي وكذلك العذاب السرمدي في العقل ؟

(فالجواب) : يتصور ذلك في العقل يتجدد حالات بعد حالات على الدوام وأما عدم تناهي ذلك فيما لا يزال فيدركه العقل المجرد ويتقاعس عنه الوهم والخيال فلا يكاد يخيل ذلك لعجزه عن التصوير مع كونه يدرك ذلك بالدليل ، وقد قرب الإمام الغزالي رحمه الله ذلك بقوله : من عجز عن تخيل العدد الغير المتناهي فليقدر أن الله تعالى خلق مثل هذه الدنيا ألف

....

هم الملائكة والنبييون والمؤمنون . يقول الله تعالى في ذلك اليوم : شفعت الملائكة والنبييون والمؤمنون وبقي أرحم الراحمين فلكل شافع طائفة تخص حضرته فأرحم الراحمين يشفع في الذين لم يعملوا خيرا قط غير توحيدهم لله فقط فهم كصاحب السجلات .

(قال) : وهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة أنه لا إله إلا هو ، وأما الملائكة فتشفع فيمن كان على مكارم الأخلاق شفاعتهم تكون على الترتيب وآخرهم شفاعة التسعة عشر فإن الملائكة إذا شفعت لن تشفع هذه التسعة عشر ، بل تتأخر إلى أن تنقضي مدة المؤاخذات كلها ويتصفون بالرحمة وذلك عندما يرون أن غضب الله قد ارتفع عن عصاة الموحدين ، وأما النبييون فيشفعون في المؤمنين خاصة ، والمؤمنون طائفتان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبييون فإن الأنبياء جاءوا بالخير إلى أممهم وذلك هو متعلق بالإيمان ومؤمن مقلد بما أعطاه أبواه أو أهل الدار التي نشأ فيها فالشافع في هذا المؤمنون الذين فوقه في الدرجة بعد أن خلصوا بشفاعة رسول الله فيهم يعني في الشافعين . قال : وصورة شفاعة أرحم الراحمين أن تشفع أسماء الحنان والرحمة واللطف عند الاسم الشديد العقاب والمنتقم والجبار فهي مراتب أسماء الإلهية لا شفاعة محققة فيتولى الحق تعالى بنفسه إخراج من شاء من النار إلى الجنة

ألف مدينة وملأها كلها من الحب ثم خلق طيرا يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة فإنه تنفذ تلك الحباب من المدائن كلها ويبقى الأبد كما كان وقد ورد في الحديث نحو ذلك .
(فإن قيل) : فهل اللذات الأخروية حسية أم عقلية أم خيالية ؟ فإن هذا سؤال ضل فيه كثير من الناس .
(فالجواب) : عن ذلك هو أن تعلم يا أخي أن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا والآخرة خير وأبقى فلا يجوز أن تتقاصر لذاتها عن لذات النفس في الدنيا ولذات الدنيا من ثلاثة أوجه حسي خيالي عقلي فيمكن أن يخلق الله تعالى لأهل الجنة إدراكات أخر زائدة على هذه المدارك يدركون بها ما أخفى لهم من قرة أعين فضلا من الله ونعمة .
(فإن قيل) : فما هي اللذة الحسية أي التي تدرك بالحس ؟ والخيالية أي التي تدرك بالخيال ؟ والعقلية أي التي تدرك بالعقل ؟
(فالجواب) : أما الحسية فهي كلذة الطعام والشراب بالذوق وكلذة النكاح وسائر الملموسات باللمس وكلذة الألوان والصور الحسان بالعين وكلذة المشمومات بالشم وكلذة الأصوات والألحان بالسمع فمن تلذذ بالحواس الخمس فهو الذي كمل عيشه قال وأما اللذة الخيالية وهي مطلوبة في الدنيا أيضا فإن الرجل ربما يتخيل أشياء يتمناها فيلتذ بها بل ربما رأى الشيء الذي يهواه في المنام فيلتذ به وقال بعضهم : لا تكون اللذة الخيالية في الجنة أبدا لأن الجنة دار صدق واللذة الخيالية من قضايا الوهم الكاذب فهي أكاذيب وغرور والدار الآخرة دار

....

ويملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه والجنة برضاه تعالى ورحمته ، وقد اختلف الناس في الجنة والنار هل خلقتا الآن أم لا والخلاف مشهور وأقام كل طائفة الدليل على قوله بما رآه حجة عنده وأطال الشيخ محيي الدين رحمه الله الكلام على ذلك في الباب الحادي والستين من « الفتوحات » ثم قال : وأما عندنا وعند أصحابنا من أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين ، فأما قولنا غير مخلوقتين فكرجل أراد أن يبني دارا فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال : قد بنى دارا فإذا دخلها أحد لم ير إلا سورا دائرا على فضاء وساحة ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها وتفاوت مراتبهم ودرجاتهم أو دركاتهم من قصور وغرف وسراديب ومهالك ومخازن وما ينبغي أن يكون فيها مما يريده الساكن من الآلات التي تستعمل فيها وأطال في ذلك .
ثم قال : فقوله تعالى : أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران : 133] ، إشارة إلى تعيين أماكن كل إنسان في الجنة أو النار كما يعلم المهندس جدران البناء بالجص قبل بناء الأساسات ثم يشرع بعد ذلك في بناء السور ثم الدهاليز ثم أشجار الفواكه ثم القصور أو الدركات .
قال : فإن كانت الدار هي الجنة بنى سورها من التوحيد ، وإن كانت الدار هي النار بنى سورها من الشرك أو الكفر أو النفاق أو التكبر ونحو ذلك على حسب دركات سكانها في طبقاتها فلا ينتهي بناء جنة كل إنسان إلا بآخر أعماله في دار الدنيا فإذا انتهى البناء فما بقي إلا

الحقائق ولذلك سميت الحاقة قال تعالى : الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) [الحاقة : 1 - 2] قال المفسرون سميت الحاقة لأن فيها حواق الأمور وليس فيها أباطيل ولا أكاذيب بدليل قوله تعالى لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا كِذَّاباً (35) [النبأ : 35]
وإذا كانت اللذة الخيالية بالتمني والأمنية في الجنة من حيث إن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين فذلك يدل على أن اللذة الخيالية فيها معدومة ، قال وهذا القول عندي صحيح إذ اللذات الخيالية أماني والأماني أكاذيب وأباطيل فلا يكون ذلك في الآخرة فإن كل ما يشتهيه أهل الجنة يجدونه في الحال عيانا نقدا فلا يكون لهم أمنية ، التذاذهم يكون بالموجود المشاهد لا بالمفقود المتمني المتخيل فافهم ذلك فإنه من غرائب أمور الآخرة وأما اللذة العقلية فلا خلاف في أنها لذة الأشياء وأقواها وأسرها للنفس وأشهاها وأبسطها للروح وأحلاها اعتبر ذلك بلذة الفهم والعلم فإنك إذا أدركت مسألة كانت تشكل عليك رأيتك تجد في قلبك وفي نفسك لذة لا يعادلها شيء من لذات الدنيا كما قال الإمام أبو حنيفة لو يعلم الملوك ما نحن فيه من لذة العلم لحاربونا عليه بالسيوف وناهيك بلذة الأمر والولاية والأمر والنهي والابتهاج بالأشياء الموافقة للطبع والغرض ولذة الوجدان كما وقع لبعض الأعراب أنه ضاع له بعير فكان يقول إلا من يبشرني بوجدانه وهو له فقالوا له : فما حظك إذن من ذلك فقال لذة الوجدان ومثل ذلك لذة الولد ولذة محادثة الإخوان الصادقين قال الإمام الشافعي رضي الله عنه لولا محادثة الإخوان والتهجد عند السحر ما أحببت البقاء في هذه الدار ، وقس على ذلك سائر اللذات العقلية وإن كان فيها تفاوت ولها مراتب فهي لذات غير منكرة في الدنيا فيجب إثباتها في الآخرة لقوله تعالى : وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا [الإسراء : 21]
وقوله تعالى وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ [فصلت : 31]

....

السكنى فيقال له : اخرج إلى دارك فقد كمل بناؤها ، فإذا طلعت روحه حبس في البرزخ حتى يتكامل عدد السكان وتنتهي مددهم فينادي المنادي : اخرجوا جميعا إلى مساكنكم ، فمعنى أعدت على هذا التقرير أي أعدت لهم قبل دخولهم لها لا قبل خلقهم وإيجادهم ما عدا السور المتقدم
ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم “ : من فعل كذا بنى الله له بيتا في الجنة “ فعلق وجود ذلك البيت على فعل ذلك الأمر فدل على أنه لم يكن مبنيا قبل ذلك
وكذلك يؤيده أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : “ إن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وإنها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر “ ونحو ذلك .
(قال) : وأما ما ورد في الصحيح “ أن الله عز وجل خلق جنة عدن بيده وشق فيها أنهارها وأدلى فيها ثمارها “ فهو صحيح لأن حضرة الحق لا ماضي فيها ولا آتي ولا صباح ولا مساء فهو كقوله تعالى :أَتى أَمْرُ اللَّهِ [النحل : 1] فله تعالى أن يخبر عن حضرته المذكورة بما شاء لأنها لا تتقيد بزمان كالخلق في مصطلحهم في الألفاظ والله أعلم .
(قلت) : ويحتمل أن الله تعالى خلق الجنان على ما شاء من الأوصاف التي تسمى بها جنانا من أشجار وأنهار وأتراب 7 ثم أبقى فيها أماكن خالية قابلة لما يبنى فيها ويغرس من تناهي أفعال المكلفين غير ما ينعم الله

إلى غير ذلك من الآيات والأخبار قال : وعلى هذا الأصل تكون الآلام الحاصلة في الحس والعقل في جهنم لأهلها ثابتة نعوذ بالله تعالى منها قال تعالى : وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (72) [الإسراء : 72] ولا يخفى شدة العمى على من ابتلى به في الدنيا فقد بان لك يا أخي صحة اللذات الحسية والعقلية جميعا وكذلك الآلام مثلها في الآخرة وقد سبق بسط القول في صحة إعادة الأجسام بأرواحها وأجسامها على ما هي عليه فإذا ثبت عند الإنسان على ما هو عليه اليوم في العقل جوازا وفي الشرع وجوبا وجود اللذة والألم صحتا له في الآخرة أيضا من غير شك ولا ريب .

(فإن قيل) : فإذا أكل أهل الجنة وشربوا فأين يذهب ثقل الطعام والشراب ؟

(فالجواب) : قد ثبت في الحديث « أن الطعام يكون جشاء والشراب يكون رشحا كرشح المسك » وهو حديث حسن كما قاله القزويني . قال ولقد جربنا أن من غذى باللبن والعسل لا يحتاج إلى استفراغ . قال الشيخ أبو طاهر ولولا خوف التطويل لأنهينا الكلام في بيان استحالة طعامهم وشرابهم إلى الرشح والعرق وقد شاهدنا امرأة تسمى عائشة من ناحية النور ولم تحتج إلى المستراح منذ ثلاثين سنة وتواردت الأخبار أيضا بأن تركمانا أقاموا عند الملك مسعود سنين ولم يدخلوا الكنيف قط مع أنهم كانوا يأكلون أكلا فإذا كان هذا موجودا في الدنيا مشاهدا مع طعامها الكثيف الثقيل وشرابها الوبيل وهوائها العفن ومائها الأجن فكيف ينكر أحد ما أخبر به الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أطعمة الجنة وفواكهها مما يتخيرون

....

قال الشيخ : واعلم أن خواص المؤمنين ليس لهم بناء من أعمالهم إلا في الجنة ، وأما غير الخواص فيبنون بأعمالهم في الجنة تارة وفي النار أخرى على حسب طاعاتهم ومعاصيهم .

<u>وقال الشيخ في الباب التاسع والثمانين ومائتين ما نصه :</u> روينا عن الشيخ أبي مدين إمام الجماعة رضي الله عنه أنه كان يقول : يدخل السعداء الجنة بفضل الله والأشقياء النار بعدل الله وكل منهم ينزل في داره بالأعمال ويخلد فيها بالنيات التي مات مصرّا عليها بمعنى أنه لو مات وهو مؤمن عازم على ارتكاب ذنب سنة مثلا خلد في النار قدر سنة أو وهو عازم على عدم التوبة منه إلى أن يموت خلد في النار قدر عمره وكل ذلك إن شاء الله تعالى ثم إن شاء غير ذلك فعفوه أوسع والله تعالى أعلم ، غير أن الذي وصل إلى علمنا أطول الناس مكثا في جهنم من عصاة الموحدين من يمكث نحو خمسين ألف سنة ولعله كان يفرض أنه لو عاش إلى القدر المذكور لبقي على معصيته 7 إلا أن يعتقد أن أحدا يريد منهم على ذلك أبدا لا بنص .

قال : وهو كشف صحيح وكلام حر عليه حشمة انتهى .

قال : الشيخ محيي الدين رحمه الله : وأصناف أهل الجنة أربع :

الأول : الأنبياء والرسل . والثاني : أتباعهم بشرط أن يكونوا على بصيرة وبينة من ربهم

“ 651 “
عبد الوهاب الشعراني
ومما يشتهون من شرابهم العسل المصفى والماء الغير آسن واللبن الذي لم يتغير طعمه والشراب الذي لا يتصدع عنه شاربه ولا ينزف . وإيضاح ذلك أن أطعمة الجنة وفواكهها وأشربتها لطيفة رقيقة خالصة صافية لا يعتروها الاستحالات ولا يكون لها إتفال منكرات ولا روائح مكروهات .
قال الشيخ أبو طاهر : واعلم أن الله تعالى ما وصف الجنة بالأشياء الحاضرة عندنا كالعسل والزنجبيل والمسك والكافور والسندس والحرير والذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والنخل والرمان والخيرات الحسان وغير ذلك إلا لتهتدي بذلك القلوب وتستأنس به النفوس أما تصور ذلك في العقل فمستحيل لأن التصور إدراك الوهم خيال ما أدركه الحس والذي لم يدركه الحس يعجز الوهم عن تصوره ولو كان للخلق طريق إلى معرفة ذلك لما قال تعالىفَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ[السجدة : 17] ولا قال صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل “ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر “ . قال ابن عباس ومقاتل بن سليمان ليس شيء مما يكون في الجنة من ثمرة وشراب وحلى وحلل يشبه ما في الدنيا بشيء سوى أن الله تعالى وصف ما عنده بما عندنا فسمى لنا الذهب والحرير والثياب والفواكه ولا نعلم نحن حقائق ذلك الذي عنده انتهى .
(فإن قيل) : فإذا سماها لنا بما عندنا وهي على خلاف ذلك حقيقة فهو خلف وتعالى الله عن ذلك !
(فالجواب) : إن تسميتها بما عندنا لا بد أن يكون ذلك بأدنى مناسبة ليقع في أفهامنا تعقله وأصل ذلك قوله تعالىمَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ[النور : 35] وأين المشكاة من نوره

....

وهم الأولياء والعلماء والعاملون . الثالث : المؤمنون أي المصدقون بالأنبياء وبما جاءوا به من الشرائع . الرابع : العلماء بتوحيد الله من أنه لا إله إلا هو بالأدلة العقلية . قال : ومقام كل صنف متميز عن الآخر هناك بالنزول وإن كان نازلا في الدرجة بالعلو إن كان عاليا ولا حسد بين الأدنى والأعلى هناك بخلاف الدنيا . قال : وإذا وقع التجلي الإلهي للرؤية ويكونون جلوسا على مراتبهم فالأنبياء على المنابر والأولياء على الأسرة والعلماء بالله على الكراسي ، والمؤمنون المقلدون في توحيدهم على مراتب وذلك الجلوس كله يكون في جنة عدن على الكثيب الأبيض .
قال : وأما من كان موحدا من طريق النظر في الأدلة فيكون جالسا على الأرض وإنما نزل على هذا عن الرتبة التي للمقلد في التوحيد لأنه يطرقه الشبه من تعارض الأدلة والمقالات في الله وصفاته فمن كان تقليده جزما هو أوثق إيمانا ممن يؤخذ توحيده من النظر في دلالة يؤولها .
قال : كان ضيافة أهل الجنة زيادة كبد الحوت إذا دخلوها بشرى لأهل الجنة ببقاء الحياة لهم فيها لأن الحوت حيوان بحري مائي من عنصر الحياة المناسب للجنة بخلاف ضيافة أهل النار تكون بطحال الثور الذي هو بيت الغم ومجمع أوساخ البدن . قال : وخلق الله تعالى الجنة بطالع الأسد الذي هو الأقليد لأنه برج ثابت ، فللجنة الدوام وللأسد القهر ولذلك يقول

تعالى وإذا كان فيه أدنى مناسبة فلا خلاف ولا كذب وقد قال العلماء بالله تعالى : كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شيء في الآخرة عيانه أعظم من سمعه والله تعالى أعلم .
(فإن قيل) : فما اللذة والرغبة في الطلح المنضود والسدر المخضود .
(فالجواب) : قد أخبر الله تعالى أن في الجنة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين على العموم وشهوات نفوس الخلق مختلفة ولعل نفوس بعض أهلها تشتهي لذلك كما تشتهي السمك القديد وتستطيب أكله في دنياها لا سيما أهل البوادي من الأعراب وكيف وطلح الجنة وسدرها إنما يشبه ما في الدنيا في الاسم فقط كما مر فلعل الله تعالى يخص ذلك بلذة في الموطن تفوق اللذات . قال الشيخ أبو طاهر : ونفى المكروه عن النفوس دليل على ما ذكرناه ألا تراه تعالى يقوله فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ [الواقعة : 28] فنفى الشوك ونفى احتمال الأذية في قطعها وفي ذلك دلالة على وجود نفي مكروهات النفوس هناك عكس الدنيا وفي بعض التفاسير أن الطلح في القرآن هو الموز .
(فإن قيل) : فهل في الجنة نكاح ؟
(فالجواب) : نعم ثبتت به الأحاديث الصحيحة وسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : نعم دحما دحما أي كثيرا وإنما أراد به استغراقهم بذلك في لذة عظيمة ينالونها بخلاف لذة الوقاع في الدنيا فقد قيل إنها وهمية لا حقيقة لها .
(فإن قيل) : هل يولد لأحد في الجنة ؟

....

أهلها للشيء كن فلا يتخلف عن التكوين وليس في البروج من له السطوة مثل الأسد . قال :
وأما الجنة المعنوية التي هي كالروح للجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح والسرور والابتهاج فأجسام أهل الجنة تتلذذ بالأمور الجسمانية وأرواحهم تتلذذ بالأمور المعنويات كالروائح والنغمات الطيبة والصور الحسان وغير ذلك . قال : لو كانت الأجسام تتلذذ بالمعاني لكان كل حيوان من البهائم يتلذذ برؤية كل وجه جميل وليس الأمر كذلك فما كل نعيم أهل الجنة إلا بتلذذهم بها حسا ومعنى لأنها دار الحيوان بل نقول : هي أشد تنعما بأهلها الداخلين فيها كما ورد أنها تقول : " يا رب ائتني بأهلي فقد كثر حليي وعبقريي " . الحديث .
قال : الناس في الشوق على أقسام فعصاة المؤمنين يشتاقون إلى الجنة وهي لا تشتاق إليهم وأرباب الأحوال من الأولياء تشتاق إليهم الجنة وهم لا يشتاقون إليها لسكرهم بحلالهم والمكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي الجنة المحسوسة لا تشتاق إليهم الجنة ولا يشتاقون إليها
وقد بسط الشيخ الكلام على أحوال الجنة في الباب الخامس والستين من " الفتوحات " .
قال : ومن أعظم النعيم لأهل الجنة تنعمهم بالتمني فما يتوهم أحد منهم نعيما فوق نعيمه ويتمناه إلا حصل ووجد نفسه فيه بحسب ما توهمه ، إن توهمه معنى كان معنى وإن توهمه حسا كان محسوسا فهو تمن محقق لوجود ما يتمناه ،
قال : وما جاءهم هذا النعيم المقيم والجزاء على مدة طاعاتهم في دار الدنيا

(فالجواب) : نعم روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ الحديث “ إن المؤمن إذا اشتهى الولد كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي “ وفي رواية “ ولكنه لا يشتهي “ قال الشيخ أبو طاهر : وأصل هذه المسائل وأشباهها نكتة واحدة وهي أن تعلم يا أخي أن شهوات النفوس في الدنيا تابعة لمشتهيات ومشتهيات أهل الجنة تابعة لشهواتهم فيها قال تعالىوَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ[فصلت : 31] ولم يقل أنفسكم تشتهي كل ما فيها فاعرف قدر هذه النكتة فإنها غريبة انتهى كلام الشيخ أبي طاهر رحمه الله . وأما كلام الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى فقال إن قيل كم أقسام أهل الجنة .

(فالجواب) : هي أربعة أقسام الرسل والأولياء والمؤمنون والعلماء بالله تعالى من طريق الأدلة العقلية .

(فإن قيل) : فهل تتميز بعض هذه الأقسام عن بعض ؟ وبماذا يكون تميزهم ؟

(فالجواب) : نعم يتميزون وذلك عند رؤية الحق جل وعلا في جنة عدن في الكثيب الأبيض ، وتميز كل قسم يكون بما هو جالس عليه فالرسل والأنبياء يكونون على منابر والأولياء على أسرة والعلماء بالله من طريق البرهان والنظر العقلي يكونون على كراسي والمؤمنون المقلدون في توحيدهم يكونون على مراتب دون الأسرة انتهى .

(فإن قيل) : فما المراد بحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ؟ هل المراد لم يكن ذلك في حسابهم وظنهم أم المراد أنهم لا يحاسبون كغيرهم ؟

إلا من حيث نيتهم الصالحة التي كانوا نووها في دار الدنيا وهو أن أحدهم كان يتمنى أن لو قسم الله تعالى له جميع الطاعات حتى فعلها وداوم عليها مدى الدهر ، فلما قصرت به العناية في دار التكليف أعطاه الله تعالى نظير هذا التمني في الجنة فيكون له فيها ما تمناه فلحق بأصحاب تلك الأعمال في الدرجات الأخروية مع راحته في دار الدنيا من التعب كما ورد « أنه من نام على نية أنه يقوم من الليل فأخذ الله بروحه إلى الصباح كتب له قيام ليلة » الحديث بمعناه . قال : ولنا جنة برزخية أشار إليها القرآن العظيم في قوله تعالى : مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى [محمد : 15] .

قال : وإنما كانت برزخية لأنها لا هي محسوسة لقوله تعالى : مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ [الطور : 20] ولا روحانية كقوله تعالى : فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55) [القمر : 55] فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس .

قال : وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأنا إليه من النعيم الروحاني .

فقال يوما للحواريين حين أوصاهم وفرغ من وصيته : فإذا فعلتم ما أمرتكم به كنتم غدا معي في ملكوت السماء عند ربي وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه ، وأنتم هناك متلذذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب .

قال : وإنما صرح المسيح بذلك ولم يرمزه لأن خطابه كان مع قوم قد

(فالجواب) : المراد به كما مر في مبحث الحساب أن دخول الجنة لم يكن في حسابهم ولا في ظنهم ولا تخيلوه قط فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وليس المراد به الحساب بين يدي الله عز وجل ذكره الشيخ في الباب الثامن والأربعين وثلاثمائة وقال في الباب السبعين من " الفتوحات " في معنى حديث البخاري " من كان من أهل الصلاة دعي يعني يوم القيامة من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما على هذا الذي يدخل من تلك الأبواب كلها من بأس فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله فقال نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر " معنى الحديث أن دعاء الله تعالى الناس إلى الدخول دعاء واحد فمنهم من يدخل من باب واحد ومنهم من يدخل من بابين ومنهم من يدخل من ثلاثة وأعمهم دخولا من دخل من الأبواب الثمانية في آن واحد ، وإيضاح ذلك أن أعضاء التكليف ثمانية لكل عضو منها باب فإياك يا أخي أن تنكر ذلك في الثواب الأخروي في الآن الواحد وأنت تشهد ذلك في العمل من فعل وترك كغاض بصره في حال استماعه وعظة في حال تلاوة في حال صيام تصدق في حال ورع في حال تحصين فرج كل ذلك بنية التقرب إلى الله تعالى قال وهذه المسألة من جملة مسائل ذي النون المشهورة التي تحيلها العقول وهو أن الواحد يكون بجسمه الواحد في أماكن مختلفة في الآن الواحد فأهل الكشف يعرفون هذه المسائل وأهل العقل ينكرونها فمن تحقق بمعرفة ما قلناه لم يتوقف في دخول الواحد الجنة من أبوابها الثمانية في آن واحد إذ النشأة الأخروية تعطي هذه الأمور كما أن نشأة الدنيا تعطي جميع شعب الإيمان في الإنسان في الزمان الواحد من غير استحالة انتهى.

....

هذبتهم التوراة وكتب الأنبياء وكانوا متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه اتفق مبعثه في قوم أميين أهل براري غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور ، بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلا عن نعيم ملوك الجنة فلذلك جاء أكثر أوصاف الجنان في كتابهم جثمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم . قال : ولما كانت أنهار الجنة أربعة أنهار لا غير علمنا قطعا أن التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور ماء ولبن وخمر وعسل ، فأنهار الماء لأصحاب العلوم التي تدخلها الآراء وأما أنهار اللبن الحليب الذي لم يتغير طعمه لعقده أو مخضه أو تربيته فهي لأصحاب العلم بأسرار الشرع من الأئمة المجتهدين وأما أنهار الخمر فهي للأمناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه السلام وأما أنهار العسل المصفى فهي لأهل العلم بطريق الوحي والإيمان وصفاء الإلهام ، وأطال الشيخ في ذلك في الباب التاسع والأربعين ومائة .

(قال) : واعلم أن أهل الجنة يعطون في الجنة التكوين ، فكل ما خطر له تكوينه كونه أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة خلاقين دائما بإرادة الله تعالى ذلك لارتفاع الافتقار والذلة هناك ، إذ الجنة ليست بمحل لذلك وإنما محله الدنيا أو النار وأطال في ذلك . قال:

(فإن قيل) : هل لنا جنة معنوية أيضا كالحسية أو ماثم لنا جنة سوى الحسية ؟
(فالجواب) : نعم إن الجنة على نوعين جنة معنوية وجنة حسية والعقل يعقل هاتين الجنتين معا كما أنه يعقل العالمين العالم اللطيف والعالم الكثيف ويعقل عالم الغيب وعالم الشهادة وإيضاح ذلك أن النفس الناطقة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما وصلت إليه من ذلك بالأدلة العقلية ولها أيضا نعيم بما تحمله من اللذات والشهوات بما تناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيبة وصور حسان وغير ذلك .
(فإن قلت) : فمم خلق الله تعالى هاتين الجنتين ؟ وهل خلقهما من مادة واحدة أم من مادتين ؟
(فالجواب) : قد خلقهما الله من مادتين فأما الجنة المحسوسة فخلقها من رضاه وذلك لخلق كان بطالع الأسد الذي هو الإقليد ولذلك كانوا يقولون للشيء كن فيكون بإذن الله تعالى وأما الجنة المعنوية التي هي روح هذه الجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح الإلهي والكمال والابتهاج والسرور فكانت الجنة المحسوسة كالجسم وكانت المعنوية لها كالروح وقواه ولهذا سماه الله تعالى الدار الحيوان لحياتها فأهلها يتنعمون فيها وبها حسا ومعنى وقد ورد في الحديث “ أن الجنة اشتاقت إلى أربع بلال وعمار وعلي وسلمان “ فوصفها بالشوق إلى هؤلاء وما أحسن موافقة هذه الأسماء فإن بلالا مأخوذ من أبل الرجل من دائه إذا خلص منه وسلمان من السلامة من الآلام والأمراض وعمار من العمارة أي بعمارة أهلها لها يزول ألم شوقها إليهم

....

وفاكهة الجنة كما وصف الله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة أي تؤكل من غير قطع فيقطف الإنسان ويأكل من غير قطع فالأكل موجود والعين باقية في غصن الشجرة ، وليس المراد بأن الفاكهة غير مقطوعة في شتاء ولا صيف أو يخلف مكان قطعها أخرى على الفور كما فهمه بعضهم ، فعين ما يأكله العبد هو عين ما يشهده ونظير ذلك سوق الجنة يظهر فيه صور حسان فإذا نظر أهل الجنان فكل صورة اشتهاها أحدهم دخل فيها فيلبسها ويظهر بها ملكه ولعينه وهو يراها في السوق ما انفصلت ولا فقدت ولو اشتهاها كل من في الجنة دخل فيها وهي على حالها في السوق ما برحت .
ذكره الشيخ في الباب التاسع والتسعين من “ الفتوحات “ . قال : وأقرب شيء شبها بذلك في الدنيا تصور الولي أي وجوده في عدة أماكن وهو ذات واحدة حقيقة في مظاهر متعددة في رأى العين ، ويليه بقرب الشبه صورة ما تراه في المرآة المقابلة لك فقد تكون في يدك تفاحة فتراها في المرآة لا تشك أنها صورة ما في يدك إلا أن الأول أشبه والله أعلم .
وقال في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة منها : اعلم أن الصور التي في سوق الجنة مباحة فكل من اشتهى صورة دخل فيها وينصرف بها إلى أهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من

وأما علي فهو من العلو أي تعلو على النار التي هي أختها وأطال في ذلك ثم قال : وتحقيق ذلك أن الناس في هذه المسألة على أربعة أقسام قسم يشتهي الجنة وتشتهيه الجنة وهم الأكابر من رجال الله عز وجل من رسول ونبي وولي كامل وقسم تشتهيه الجنة ولا يشتهيها هو وهم أرباب الأحوال من رجال الله المهيمون في جلال الله عز وجل حتى حجبهم ذلك عن شهود الجنة وما فيها وهؤلاء دون القسم الأول لجهلهم بما تطلب حقائقهم وقسم يشتهي الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم عصاة الموحدين وقسم لا يشتهي الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي الجنة المحسوسة ولا خامس لهذه الأربعة أقسام .

(فإن قيل) : فما عدد أنواع الجنان ؟

(فالجواب) : هي ثلاثة أنواع جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال .

(فإن قيل) : فمن أهل هذه الجنان ؟

(فالجواب) : أما جنة الاختصاص فهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل من أول ما يولد أحدهم إلى انقضاء ستة أعوام غالبا ويعطي الله تعالى من شاء من عباده من جهة الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين عقلوا وأهل التوحيد العلمي وأهل الفترات الذين لم يصل إليهم دعوة رسول من أهل التوحيد بالفطرة وأما أهل جنة الميراث فهم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو آمنوا ودخلوها وأما أهل جنة الأعمال فهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخلها ويلبسها ، فيحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها بعينها واقف ينظر إلى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل في تلك الصورة وانصرف بها إلى أهله والصورة كما هي في

....

السوق ما خرجت منه ولا يعلم حقيقة هذا الأمر إلا من أطلعه الله من طريق كشفه على نشأة الدار الآخرة والله أعلم .

قال : والذي أعطاه الكشف الصحيح أن أجسام أهل الجنة تنطوي في أرواحهم فتكون الأرواح ظروفا للأجسام عكس ما كانت في الدنيا فيكون الظهور والحكم في الدار الآخرة للروح لا للجسم ، قال : ولهذا يتحولون في أي صورة شاءوا كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الأرواح .

وقال : وتجوهر أبدان أهل الجنة بحسب صفاء أعمالهم الصالحة في دار الدنيا من الشوائب فكل من كان أكثر إخلاصا في علمه وعمله كان بدنه أشف وأنور .

قال : وإذا اشتهى أهل الجنة التناسل حصل ، فيجامع الرجل زوجته الآدمية أو الحوراء فيوجد الله تعالى عن كل دفعة ولدا وذلك لأن الله تعالى قد جعل هذا النوع الإنساني غير متناهي الأشخاص لشرفه عنده . قال : ولذة الجماع هناك تضاعف على لذة جماع أهل الدنيا أضعافا مضاعفة فيجد كل من الرجل والمرأة لذة لا يقدر قدرها لو وجداها في الدنيا غشي

في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام ما فضلوا على غيرهم إلا بجنة الاختصاص وأما في العمل فيشاركهم غيرهم فيه .
(فإن قلت) : فإذن جنة الاختصاص الإلهي لا تقبل التحجير ولا الوراثة ولا العمل ؟
(فالجواب) : نعم وهو كذلك لأنها إنما هي فضل من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده .
(فإن قلت) : فكم في جنة الأعمال من درجة ؟
(فالجواب) : درجاتها مائة درجة لا غير كما أن النار كذلك مائة درك كما مر في مبحث النار .
قال الشيخ محيي الدين : ثم إن هذه المائة درجة تكون في كل جنة من الجنان الثمانية وصورتها جنة في جنة وأعلاها جنة عدن ويليها جنة الفردوس وهي أوسط الجنان ويليها جنة الخلد ويليها جنة النعيم ويليها جنة المأوى ويليها دار السلام ويليها دار المقامة . وأما الوسيلة فهي أعلى درجة في جنة عدن وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة كما مر في مبحث أفضليته على سائر الأنبياء والمرسلين وإنما توقف حصولها له على دعاء أمته غيرة إلهية أن ينفرد أحد دون الله تعالى بالغنى المطلق . وقال الشيخ محيي الدين : ولا يخفى أن الراحة في الجنة مطلقة وكذلك الرحمة وإن كانتا ليستا بأمر وجودي إذ هما عبارة عن الأمر الذي يلتذ به ويتنعم به المرحم وذلك هو الأمر الوجودي فكل من في الجنة متنعم وكل ما فيها إلا راحة النوم فإن أهل الجنة ما عندهم من نعيمه شيء لعدم التعب والنصب وإنما راحة النوم خاصة بأهل جهنم لكن

....

عليهما من شدة حلاوتها ولكن تلك اللذة إنما تكون بخروج ريح إذ لا منيّ هناك كالدنيا كما صرحت به الأحاديث فيخرج من كل من الزوجين ريح مثيرة كرائحة المسك فيلقيان في الرحم فيتكون من حينه فيها ولد وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج ولدا مصورا مع النفس الخارج من المرأة ولا يزال هذا الأمر لهم دائما كلما شاءوا .
قال : ويشاهد هذان الأبوان كل من تولد عنهما من ذلك النكاح في كل دفعة ثم إن الأولاد يذهبون فلا يعودون إليهم أبدا كالملائكة المتطورين من أنفاس بني آدم في دار الدنيا لا يعودون إليهم ، كالملائكة السبعين ألفا الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم .
قال : ولا حظّ لهؤلاء الأولاد في النعيم المحسوس ولا المعنوي إنما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا .
وقال : وقد يقع مثل ذلك لبعض الأولياء في دار الدنيا فينكح الولي من حيث روحه زوجته من حيث روحها فيتولد بينهما أولاد روحانيون بأجسام وصور محسوسات ، قال : وقد وقع لنا ذلك مرات وأطال في ذلك في الباب التاسع والستين وثلاثمائة .
(قلت) : وليس لأهل الجنة أدبار مطلقا لأن الدبر إنما خلق في الدنيا مخرجا للغائط ولا غائط هناك ولو أن ذكر الرجل أو فرج المرأة يحتاج إليه في جماعهم وفي ولادتها إن وقعت لما كان وجد في الجنة فرج لعدم البول فيها والله أعلم.

في أوقات كما تقدم في الكلام عليها ، قال وهذا يدلك على أن النار محسوسة بلا شك ويؤيد ذلك قوله تعالى كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً [الإسراء : 97] إذ النار لا تتصف بهذا الوصف إلا من حيث قيامها بالأقسام لا من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة ولا النقص وإنما الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنارية وأطال في ذلك .
(فإن قلت) : إن الله تعالى قد وصف الجنة بقوله تعالى وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا [مريم : 62] مع أنه ليس في الجنة شمس ولا قمر فكيف يعرف أهل الجنة البكرة والعشي ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين وثلاثمائة : إن لأهل الجنة مقادير يعرفون بها انتهاء مدة الشمس في الدنيا في طلوعها وغروبها فيعلمون بتلك المقادير حد ما كان في الدنيا بكرة وعشيا وعند ذلك يتذكرون أنه كان لهم في الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيأتيهم الله عند ذلك التذكر برزق بكرة وعشيا فهو رزق خاص في وقت خاص معلوم عندهم وما عدا ذلك فأكلها دائم لا ينقطع إذ الدوام في الأكل هو عين النعيم الذي يكون به غذاء الجسم ولكن لا يشعر بذلك كثير من الناس ، وإيضاح ذلك أن الإنسان إذا أكل الطعام حتى شبع فليس لك بغذاء ولا هو بأكل على الحقيقة وإنما هو كالجابي الجامع للمال في خزانته والمعدة خزانة لما جمعه هذا الأكل من الأطعمة والأشربة فإذا جعل فيها أي في المعدة ورفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير وينتقل ذلك الطعام من حال إلى حال وتغذيه بها في كل نفس يخرج عنه دائما فهو لا يزال في هذا دائما لولا ذلك لبطلت الحكمة في ترتيب نشأة كل

....

قال :ونعيم أهل الجنة مطلق والراحة فيها مطلقة إلا راحة النوم فليس عندهم من نعيم راحته شيء لأنهم ينامون ولا يعرف شيء إلا بذوق ضده . وقال : وأما أهل النار فينامون في أوقات ببركة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك هو القدر الذي ينالهم من النعيم ونسأل الله العافية آمين .
قال الشيخ محيي الدين : وهذا يدلك على أن النار محسوسة بلا شك كما أشار إليه قوله تعالى :كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً[الإسراء : 97] فإن النار ما تتصف بهذا الوصف إلا من كون قيامها بالأجسام لأن حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة ، وإنما الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنار ، ذكره في آخر الباب الخامس والستين من " الفتوحات . "
قال : واعلم أن عدد الجنات من حيث المراتب ثلاثة . جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال ولكل واحدة منها أهل كما ذكره الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائتين من " الفتوحات . "
فأهل جنة الاختصاص الأنبياء والأطفال والمجانين أهل التوحيد العلمي ومن لم تبلغه دعوة نبي ، وسميت بجنة الاختصاص لأنها لم تكن عن عمل سابق ، وأهل جنة الميراث هم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها كما ورد أنه يقال للمؤمن : " هذا مكانك من النار قد أبدلك الله به مكانا من الجنة " وسبب وقوع هذا القول للمؤمن أن الوجود كله يطلب الإنسان وليس بعض الوجود في حقه أولى من بعض فإذا

متغذ ثم إذا دخلت الخزانة تحرك الطبع الجاني إلى تحصيل ما يملؤها به فلا يزال الأمر هكذا دائما أبدا فهذا هو صورة الغذاء في المتغذي فعلم أن التغذي موجود في كل نفس دنيا وأخرى وأطال الشيخ في ذلك .
وقال في الباب الثامن والثمانين وثلاثمائة في قوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ [يونس : 26] .
اعلم أن في هذه الآية تعيينا لمعين وزيادة لغير معين إذ الزيادة هي كل ما لا يخطر بالبال كما أشار إليه حديث « إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فلا بد أن يكون غير معلوم البشر ولا بد أن يكون للبشر صفة غير معلومة ولا معينة منها يحصل له هذا الذي ذكر أنه ما خطر على قلب بشر موازنة مجهول لمجهول وفي القرآن العظيم : فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ [السجدة : 17] ف
نكر النفس ونفى العلم بما أخفي له من قرة أعين فعلمنا على الإجمال أنه أمر مشاهد لكونه تعالى قرنه بالأعين ولم يقرنه بأذن ولا بشيء من الإدراكات وأطال في ذلك .
(فإن قلت) : فما المراد بحديث الصور التي في سوق الجنة هل هي برازخ أم لا ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة : إنها كلها برازخ وذلك أن أهل الجنة يأتون إلى هذا السوق من أجل هذه الصور التي تنقلب فيها أعيان أهل الجنة فإذا دخلوا هذا السوق صار كل من اشتهى صورة دخل فيها وانصرف بها إلى أهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخل فيها ويلبسها ويحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها بعينها واقف ينظر إلى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل في تلك الصورة وانصرف

....

أمر الله بعبده إلى الجنة بفضله وكرمه بقيت نسبته من النار تستدعي حظها وملأها وكذلك من يدخل النار تبقى نسبته في الجنة تستدعي حظها وملأها فيقال له : انظر مكانك في الجنة ، لو كنت آمنت بالله تعالى لدخلتها فيزداد حسرة وندامة .
(قال) : وأما أهل جنة الأعمال فهم أهل الأعمال الصالحة ، فمن لم يكن له عمل صالح في دار الدنيا لا يكون له في جنة الأعمال نصيب ، لأن الناس إنما ينزلون فيها بأعمالهم فقط ،
قال تعالى في هذه الجنة: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [النحل : 32] .
وقال : تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[الأعراف : 43].
قال : وهذه الجنة مشتملة على بضع وسبعين جنة على عدد شعب الإيمان لا يزيد على عددها ولا تنقص ، والبضع من الواحد إلى التسع فمن جمع شعب الإيمان كلها فهو الذي يتبوأ من الجنة حيث يشاء .
قال : وصورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضا دوائر ثمانية جنة في قلب جنة ، أعلاها عدن وهي قصبة الجنة بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة ، ويلي جنة عدن في العلو والفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقامة . قال : وكل جنة يصدق عليها اسم أخواتها ، فجنة النعيم جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى ودار مقامة

بها إلى أهله والصورة كما هي في السوق ما خرجت منه فلا يعلم حقيقة هذا الأمر الذي نص عليه الشرع ووجب به الإيمان إلا من علم نشأة الآخرة وحقيقة البرزخ وعلم تجلي الحق تعالى للقلوب وأنه لا يكون إلا بصورة الاستعدادات إذ المشاهد لذلك يشهد ببصره تحوله في الصور ويعلم عقلا أنها ما تحولت قط لكل قوة أدركت بحسب ما أعطتها ذاتها وقد صدق الله تعالى العقل في حكمه والبصر في حكمه وله تعالى بنفسه علم آخر غير ما أدركه العقل والبصر انتهى .

(فإن قلت) : ما هذا الكثيب الأبيض الذي يكون في جنة عدن ؟

(فالجواب) : هذا مسك أبيض تضع الملائكة عليه منابر الأنبياء وأسرة الأولياء ومراتب المؤمنين كما مر . وجنة عدن هي قصبة الجنان وقلعتها وهي حضرة الملك الخاصة وحضرة خواصه لا يدخلها أحد من العامة إلا بحكم الزيارة . ذكره الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة وأطال فيه ثم قال : واعلم أنه إذا أخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق تعالى إلى رؤيته فيسارعون للرؤية على قدر مراتبهم ومسارعتهم إلى الطاعات في دار الدنيا سرعة وبطئا فإن من الناس السريع ومنهم البطيء ومنهم المتوسط فإذا اجتمعوا في الكثيب عرف كل شخص مرتبته علما ضروريا يجري إليها فلا ينزل إلا فيها كما يجري الطفل إلى الندى والحديد لحجر المغناطيس ولو رام أحد أن ينزل في غير مرتبته لما قدر ولو رام أن يتعشق لغير مرتبته لما استطاع بل كل واحد يرى في منزلته أنه بلغ منتهى أمله وقصده فهو متعشق لما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك لكانت الجنة دار ألم وتنغيص عيش ولم تكن دار نعيم غير

....

وهكذا . قال : والوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى جنة عدن تسمى فيها دار المقامة .

قال : ولسائر الجنان اتصال بهذه الوسيلة ليتنعموا بشهوة طلعة صاحبها صلى الله عليه وسلم ويتفرع منها سائر الجثاب ، فلها شعبة في كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لأهل تلك الجنة فهي في كل جنة أعظم منزلة تكون فيها .

قال الشيخ في الباب السادس والتسعين ومائتين : ودرجات الجنة على عدد دركات النار ، لأنه ما من درجة إلا ويقابلها درك من النار حتى أنه تعالى لما قال في أهل الجنة : وَلَدَيْنا مَزِيدٌ [ق : 35] ،

قال في أهل النار : زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ [النحل : 88]

إلا أنه ليس في النار دركة اختصاص كما سيأتي ، وإيضاح ذلك أن الأمر والنهي لا يخلو العبد إما أن يعمل بهما أو لا يعمل ، فإن عمل بالأمر كانت له درجة في الجنة معينة لذلك العمل خاصة ، وفي موازنة هذه الدرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص إذا تركه الإنسان درك في النار لو سقطت حصاة من تلك الدرجة في الجنة لوقعت على خط استواء في ذلك الدرك من النار ، فإذا سقط الإنسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه إلى ذلك الدرك . قال :

واعلم أن الأعراف هو درج العمل بالأمر والنهي ودرك ترك العمل بهما فما منع صاحب

أن الأعلى له نعيم لما هو فيه في منزلته وعنده نعيم الأدنى وأدنى الناس من لا نعيم له إلا بمنزلة خاصة وأعلاهم الذي لا أعلى منه من له نعيم ، فعلم أن كل شخص مقصور عليه نعيمه وهذا حكم عجيب .
(فإن قلت) : فإذا وقع التجلي الإلهي فهل هو عام لجميع المعتقدات فيأخذ كل واحد من ذلك التجلي الواحد حظه أم لكل شخص تجل مستقل ؟
(فالجواب) : ليس هناك إلا تجل واحد عام لسائر صور المعتقدات الشرعية فالتجلي واحد من حيث العين وكثير من حيث اختلاف الصور ثم إن الخلق إذ رأوا ربهم جل وعلا انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلي فظهر كل واحد منهم بنور على صورة ما شاهده بحسب استعداده .
(فإن قلت) : فهل من عرف الحق تعالى في الدنيا في سائر مراتب التنكرات الإسلامية يراه في الآخرة كذلك أم لا ؟
(فالجواب) : نعم يرى ربه في صورة كل اعتقاد إسلامي فما ألذها من رؤية فمثل هذا له نور كل معتقد كما أن من عرف الحق تعالى من طريق عقله في طريقة من الطرق كان نوره بحسب تلك الطريقة فقط وقد تقدم في مبحث رؤية الله عز وجل أقسام الناظرين إلى ربهم في الدار الآخرة ومراتبهم فراجعه .
(فإن قلت) : فهل شجرة طوبى أصل لجميع شجر الجنان كآدم عليه السلام لما جمع في

....

الأعراف من النزول إلى درك تلك الأعمال السيئة إلا التوحيد وأطال في ذلك . ثم قال : واعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ملء الجنان ، فلا ولي يتنعم بجنته إلا وهو صلى الله عليه وسلم متنعم بنعمته مشارك له فيها لأن الولي ما وصل إلى ذلك إلا باتباعه له صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قائما به في تنعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها " فله صلى الله عليه وسلم أجر جميع الأنبياء من تبعهم لكونه نبي الأنبياء ، لكل نبي أجر من تبعه من غير أن ينقص من أجرهم شيء . وقال :
وأما منزلته صلى الله عليه وسلم يوم الزور الأعظم على يمين العرش ، ومنزلته يوم القيامة بين يدي الحكم العدل من حضرات الأسماء الإلهية لتنفيذ الأوامر الإلهية ، فكل أهل موقف يأخذون عنه في ذلك الموطن لأنه وجه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب أعلام من الله تعالى يفهم عنه ما يريد على لسان ملك بصوت وحرف لكمال النعيم والأنس ، وأما شجرة طوبى فهي في منزل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي حجاب مظهر نور فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، فما من جنة ولا درجة ولا بيت ولامكان إلا وفيه فرع من شجرة طوبى وذلك ليكون سر كل نعيم في كل جنة ، ونصيب كل ولي فيها من نور فاطمة رضي الله عنها في حجاب ذلك الفرع ، وأطال الشيخ في ذلك في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة . وقال : فشجرة طوبى لجميع شجر

ظهره من البنين ؟
(فالجواب) : نعم هي لجميع شجر الجنان كآدم بالنسبة لبنيه فإن الله تعالى لما غرسها بيده وسواها نفخ فيها من روحه كما فعل في مريم عليها السلام ولذلك كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ويبرء الأكمه والأبرص من العلل التي لا قوة للخلق على برئها من حيث هو إنسان فكما أن شرف آدم كان باليدين ونفخ الروح وكان ثمرة ذلك النفخ علم الأسماء كذلك كان شرف شجرة طوبى بغرسها باليد كما يليق جلاله تعالى ونفخ الروح فيها وكان ثمرة ذلك النفخ تزيينها بثمر الحلى والحلل اللذين هما زينة لكل لابس فأعطت شجرة طوبى كل ما فيها من ثمر الجنة كما أعطت النواة النخلة جميع ما تحمله من النوى الذي في جميع ثمرها .
(فإن قلت) : قد تقدم مذهب الشيخ أبي طاهر رحمه الله في توالد أهل الجنة فما مذهب الشيخ محيي الدين في ذلك الباب ؟
(فالجواب) : أن مذهبه وجود التناسل في الجنة ووقوع التوالد من حيث الأجسام والأرواح وعبارته في الباب التاسع والستين وثلاثمائة : اختلف أصحابنا في هذا النوع الإنساني هل تنقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف له قال بانتهائه ومن كشف له قال بعدم انتهائه .
وقال : إن التوالد في الآخرة في هذا النوع الإنساني باق في المثل إذ الحق تعالى لم يوجد شيئا في العالم الذي لا أكمل منه إلا وله مثال في خزائن الجود في كرسيه تعالى وتلك الأمثال التي تحوي عليها تلك الخزائن لا تتناهى أشخاصها فالأمثال في كل نوع توجد في كل زمان فرد في الدنيا والآخرة لبقاء كل نوع وجد منه.

الجنات كلها كآدم لما ظهر فيه من البنين ، وذلك أن الله تعالى لما غرس شجرة طوبى بيده ونفخ الروح زينها بثمر الحلى والحلل اللذين هما زينة لكل لابس ، فنحن على التحقيق أرضها كما قال تعالى : إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها [الكهف : 7] وأعطت من حقيقتها ثمار الجنة عين ما هي عليه ، كما أعطت النواة النخلة وما تحمله مع النوى الذي في ثمرها انتهى .
قال : واعلم أن جميع التفاضل الواقع في النعيم بين الأنبياء إنما هو من حيث جنة الاختصاص ، وأما جنة الأعمال فهم فيها متساوون من حيث أن كل عامل لخير له جنة جزاء عمله ويقع التفاضل بحسب المشاهد في الأعمال وقوة الاستعداد وضعفه .
وقال : وأما الطائفة الذين يعطيهم الله تعالى في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فهم أهل التوحيد في الأفعال الذين يشهدون أعمالهم خلقا لله لا لهم حال مباشرة الأعمال فيفعلونها امتثالا لأمر الله من غير أن يعينوا لهم في أنفسهم جزاء فكان جزاؤهم غير محدود ، وذلك لأن عيونهم لم تر عملهم وآذانهم لم تسمع به ولم تخطر أعمالهم على قلب بشر من غيرهم أو منهم لتجردهم عنها لله وحده ما عدا نسبة التكليف . قال : ويعرف أهل الجنة فيها الليل والنهار بالكشف والرؤية والمقادير التي في الفلك الأطلس المعبر عنها بالبروج ، فيعلمون

(فإن قلت) : فهل الحور العين على صورة نساء الدنيا أم لا تشبهها إلا في الاسم فقط كما قاله ابن عباس بالنظر إلى فواكه الجنة ؟ وما كيفية جماع الحور العين ؟
(فالجواب) : صورة خلق جميع الحور العين على صورة خلق الإنس مع أنهن لسن بأناسى وأما صورة نكاحهن فكما ينكح الرجل منا المرأة الآدمية الإنسانية كذلك ينكح الحور في الزمن الفرد وهذا النكاح خاص بالسعداء من بني آدم فليس للأشقياء نصيب من النكاح في النار .
قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلاثمائة بعد كلام طويل : فعلم أن الرجل منا لو أراد أن ينكح جميع ما عنده من النساء والحور العين لنكحهن في لمحة واحدة من غير تقدم ولا تأخر لخرق العوائد هناك وذلك مثل فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فهي تقطف دائما من غير فقدان مع وجود أكل وطيب طعم فإذا أفضى الرجل إلى الحوراء أو الإنسية كان له في كل دفعة شهوة ولذة لا يقدر قدرها لو وجدها أهل الدنيا لغشي عليهم من شدة حلاوتها فيكون من الشخص في كل دفعة ريح مثيرة تخرج من ذكره فيتلقاها رحم المرأة فيتكون من حينه فيها ولد في كل دفعة وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج مولودا مصورا مع النفس الخارج من المرأة روحا مجردا طبيعيا فهذا هو صورة التوالد الروحاني في البشر مع الجنس المختلف والمتماثل ولا يزال الأمر كذلك دائما أبدا .
(فإن قلت) : فهل يشاهد الأبوان ما تولد عنهما من ذلك النكاح أم لا ؟
(فالجواب) : نعم يشاهدان ما تولد منهما من ذلك النكاح ثم تخفى تلك الأولاد عنهما فلا يعودون ، كالملائكة التي تدخل البيت المعمور كل يوم لا يعودون إليه أبدا.

....

بذلك حد ما كان عليهم في دار الدنيا مما يسمى بكرة وعشيا وكان لهم في هذا الزمان في الدنيا حالة تسمى الغذاء والعشاء فيتذكرونها هنالك فيأتيهم الله تعالى برزق خاص في ذلك الوقت الخاص فلذلك قال تعالى : وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا [مريم : 62] إذ لا شمس هناك ولا قمر . قال : ومعنى قوله تعالى : في الجنة أُكُلُها [الرعد : 35] دائم أن الأكل لا ينقطع عنهم متى اشتهوه ، ولا أنهم يأكلون دائما فالدوام في الأكل هو عين التنعيم بما يكون به الغذاء للجسم ، فإذا أكل الإنسان حتى شبع فليس ذلك بغذاء ولا بأكل على الحقيقة وإنما هو كالجابي الجامع للمال في خزانته ، والمعدة جامعة لما جمعه هذا الآكل من الأطعمة والأشربة فإذا اختزن ذلك في معدته ورفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير وينتقل ذلك الطعام من حال إلى حال ، ويغذيه بها في كل نفس فهو لا يزال في غذاء دائم ولولا ذلك لبطلت الحكمة في ترتيب نشأة كل متغذ ، ثم إن الخزانة إذا خلت من الأكل حرك الطبع الجابي إلى تحصيل ما يملؤها به وهكذا على الدوام .
قال : فهذا معنى قوله : أُكُلُها دائِمٌ [الرعد : 35]
وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثامن والتسعين وثلاثمائة فراجعه . قال : واعلم أن الحركة التي كانت تسير بالشمس ويظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة في الفلك الأطلس الذي هو سقف الجنة ، وجميع

(فإن قلت) : فهل لهؤلاء الأولاد حظ في النعيم المحسوس ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين : ليس لهؤلاء الأولاد نعيم محسوس ولا معنوي وإنما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا بما يراه في حال نومه وذلك ما يقتضيه النشء الطبيعي فلا يزال النوع الإنساني يتوالد ولكن على هذا الحكم الذي ذكرناه .
(فإن قلت) : فما صورة توالد الأرواح البشرية ؟ فإنه بلغنا أن لها في الآخرة مثل ما لها في الدنيا من الاجتماعات البرزخيات مثل ما يرى النائم في النوم .
(فالجواب) : أن صورة توالد الأرواح في الآخرة صورة ما يرى النائم في الدنيا أنه نكح زوجته وولد له ولد فكل من أقيم في هذا المقام ونكح زوجته من حيث روحها وروحه يولد له أولاد من ذلك النكاح الذي بينهما روحانيون يخالف حكمهم حكم المولودين من النكاح الحسي في الأجسام والصور المحسوسات فتخرج الأولاد ملائكة كراما لا بل أرواحا مطهرة فهذه صورة توالد الأرواح لكن لا بد أن يكون ذلك عن تجل برزخي كتجلي الحق تعالى في الأحوال المقيدة فإن البرزخ أوسع الحضرات لقبوله وجود المحلات العقلية فإذن صورة نكاح أهل الجنة صورة نشء الملائكة أو الصور من أنفاس الذاكرين لله تعالى وما يخلق تعالى من صورة الأعمال كما صحت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطال في ذلك في الباب السابق .
(فإن قلت) : فما الحكمة في قوله تعالىوَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ[فصلت : 31] دون أن يقول ولكم فيها ما تريد أنفسكم ؟

....

الكواكب السيارة في النار كلها سابحة فيها كسباحتها الآن في أفلاكها على حد سواء . قال :
ولولا ذلك ما عرف أهل التقويم الآن متى يكون الكسوف ، ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن أعيننا فلو لا المقادير الموضوعة والموازين المحكمة التي قد علمها الله تعالى للمقومين ما علم أحد منهم ذلك .
قال : واعلم أن الكثيب الذي في جنة عدن هو مسك أبيض وجنة عدن هي قصبة الجنان وقلعتها وحضرة الملك الخاصة ولا يدخلها غير الخواص إلا بحكم الزيارة .
وقال : وفي هذا الكثيب منابر وأسرة وكراسي ومراتب لأنّ أهل الكثيب أربع طوائف :
رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنون ، وكل صنف منها متفاضل وإن اشتركوا في المنابر
مثلا قال تعالى : تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ [البقرة : 253] .
وقال : وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ [الإسراء : 55]
وقال : وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ [الأنعام : 165] يعني الخلق فدخل فيه جميع بني آدم دنيا وآخرة ، فإذا أخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق تعالى إلى رؤيته فيسارعون على قدر مراتبهم ومشيهم هنا في طاعة ربهم ، فإن منهم البطيء ومنهم السريع ومنهم المتوسط ويجتمعون في الكثيب وكل شخص يعرف مرتبته علما ضروريا يجري إليها ولا ينزل إلا فيها كما يجري الطفل إلى الثدي لو رام أحدهم أن ينزل في غير مرتبته لما قدر ولو رام أن يتعشق بغير منزلته لما استطاع بل يرى في منزله أنه قد بلغ منتهى أمله وقصده فهو يتعشق بما

(فالجواب) : الحكمة في ذلك كما قاله الشيخ في الباب الثامن والعشرين وثلاثمائة أن ما كل مراد مشتهى إذ الإرادة تعلق بإيجاد ما يلتذ به وبما لا يلتذ به وأما الشهوة فإنها خاصة بالملذوذ ولذلك كان السعداء يأخذون الأعمال بالإرادة والقصد ويأخذون النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له نعيمه ومن رزق الإرادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة ينال النتيجة بشهوة ولكنها مرتبة دون الأولى .

(فإن قيل) : لم كانت الشهوات في الآخرة لا تمنع شهود تجليات الحق تعالى ولا يحجب صاحبها كما هو حكم تناول الشهوات في هذه الدار مع أن اللذة بالشهوات في الدار الآخرة أعظم من لذة شهوات الدنيا ؟

(فالجواب) : إنما كانت شهوات الآخرة لا تحجب عن الله تعالى لأن التجلي هناك على الأبصار ، وليست الأبصار بمحل للشهوات بخلاف التجلي في هذه الدار فإنما هو على البصائر والبواطن دون الظواهر ومعلوم أن البواطن هي محل الشهوات ولا تجتمع الشهوات المذمومة والتجلي الإلهي في محل واحد أبدا فلذلك جنح العارفون والزهاد في هذه الدار إلى التقلل من نيل شهوات النفوس في هذه الدار حين رأوها حاجبة لهم عن شهود الأمر على ما هو عليه إذ المانع عن إدراك العلوم والأنوار والتجليات إنما هو كدورات الشهوات والشبهات الهادمة لركن الورع الشرعي في الجوارح مع أن كدورات الشهوات تؤثر في الاستعداد وتورث الحجاب وإن كان المطعم والمشرب والمنكح مثلا حلالا فافهم ذكره في الباب الخامس عشر من

....

هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك لكانت دار ألم وتنغيص ولم تكن جنة ولا دار نعيم ، غير أن الأعلى له نعيم بما هو فيه في منزلته وعنده نعيم الأدنى .

قال : وأدنى الناس منزلة مع أنه ليس هناك أدنى من لا نعيم له إلا بمنزلة خاصة ، وأعلاهم الذي لا أعلى منه من له نعيم بالكل ، فعلم أن كل شخص نعيمه مقصور عليه فما أعجب هذا الحكم ، ثم إذا نزل الناس في الكثيب للرؤية وتجلى الحق تعالى تجليا عاما كان التجلي واحدا من حيث العين وكثيرا من حيث اختلاف الصورة ، فإذا رأوه انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلي فمن علمه في كل معتقد شرعي فله كل معتقد من علمه في اعتقاد خاص لم يكن سوى نور صورة ذلك المعتقد .

قال : واعلم أن الخلق في حال الرؤية لا بد أن يفنوا عنهم ، فلم يقع لهم لذة في زمان رؤيتهم فإن اللذة عند أول التجلي حكم سلطانها عليهم فأفنتهم عنها وعن أنفسهم فهم في اللذة في حال فناء لعظيم سلطانها قال : وهذا ذوق غريب لا يعرفه إلا من ذاقه لا يقدر على إنكاره من نفسه .

قال : وإذا وقع لأهل الجنة رؤية الله عز وجل كان الناس فيها على أقسام : فمنهم من يرى ربه بباصر العين ومنهم من يراه بكلها ، ومنهم من يراه بجميع وجهه ومنهم من يراه بجميع جسده وهذه تكون للأنبياء وكمل ورثتهم بحكم التبع لهم.

" الفتوحات . "
(فإن قيل) : فكم مرة يزور العبد ربه في كل يوم ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة أن زيارة كل عبد لربه في الجنة تكون على قدر صلاته كما أن رؤيته له في الآخرة تكون على قدر حضوره معه في صلاته كما أن مجالسته لربه تكون على قدر فعله للواجبات والمندوبات وترك الحرام والمكروهات في دار الدنيا كما أن مجالسة العبد لربه في المباح تكون على حسب النية فيه فإن شهد العبد ربه أو بنية صاحب التشريع في فعله للمباح ولم يفعله مع الغفلة كما هو الغالب كان حكمه حكم المندوب فيحضر مع ربه هناك كما يحضر معه في فعل المندوب وإن حجب عن ذلك وفعل المباح مع الغفلة ليس له حظ مما ذكرناه .
(فإن قلت) : فهل نبق سدرة المنتهى يكون عدد أهل الجنة كما قيل من غير زيادة أم هو زائد على عددهم كما هو الحكم في فواكه الدنيا ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابق أن نبقها يكون على عدد نسمة السعداء وأعمالهم بل نقول : إن النبق عين أعمالهم وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أنه ليس في جنة الأعمال قصر ولا طاق إلا وغصن من أغصان هذه السدرة داخل فيه وفي ذلك الغصن من الثمر على قدر ما في العمل الذي هو الغصن صورته من الحركات .
(فإن قلت) : فما حكم ورقها في الحسن وعدمه ؟

....

وقال :وليس بين الخلق وبين ربهم هناك إلا حجاب العظمة لا غير . وهو أنهم يرونه بقدر وسعهم وطاقتهم لا غير من غير إحاطة ، فقصورهم عن الإحاطة هو حجاب العظمة .
قال : وتشبيهه صلى الله عليه وسلم رؤيتنا لله تعالى برؤيتنا للشمس والقمر ليس المراد بها رؤيتنا لهما حال ضوئهما ، وإنما المراد رؤيتنا لهما حال كسوفهما لأن البصر عند ذلك يدرك ذات الشمس والقمر التي لا تقبل الزيادة النورية ولا النقصان فهذا هو الإدراك المحقق لذات الشمس ، ولذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك يا رسول الله فقال : نور أنّى أراه ؟ يعني : كيف أراه ونوره شعشعاني يخطف الأبصار لأنه ليس من جنس النور المخلوق بالتشبيه من حيث إدراك الذات ليكمل به النعيم لا من حيث الإحاطة فتحيط بالحق تعالى كما تحيط بالشمس والقمر حال الكسوف وغيره فافهم .
ثم قال : فعلم أن نور الرب الذي يقع فيه التجلي يوم القيامة وفي الجنة لا شعاع له فلا يتعدى ضوؤه نفسه وذلك ليدركه البصر وهو في غاية الوضوح .
قال : وأقسام الناظرين إلى الحق تعالى لا تنحصر ، إذ الرؤية تابعة لاعتقادهم في دار الدنيا سعة وضيقا إجلالا وتعظيما وذلك ليجني كل أحد ثمرة اعتقاده ، فمنهم من حظه النظر إلى ربه لذة عقلية ومنهم من حظه لذة نفسية ومنهم من حظه لذة حسية ومنهم من حظه لذة خيالية ومنهم من حظه لذة

(فالجواب) : حكم ورقها أن فيه من الحسن بقدر ما حضر العبد في ذلك العمل الذي الورق مظهره كما أن عدد أوراق كل غصن يكون على عدد ما في ذلك العمل من الأنفاس .
قال الشيخ محيي الدين : واعلم أن أسعد الناس بهذه السدرة أهل بيت المقدس كما أن أسعد الناس بالمقدس أهل الكوفة كما أن أسعد الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الحرم المكي كما أن أسعد الناس بالله عز وجل أهل القرآن انتهى ، ولم أطلع لهذا الكلام على دليل والله أعلم .
(فإن قيل) : فما حكمة الأكل من هذه الشجرة ؟
(فالجواب) : حكمته زوال الغل من قلوب أهل الجنة فلا يزول الغل من قلب أحد منهم إلا إن أكل منها والله أعلم .
(فإن قلت) : فما المراد بقوله تعالى في فاكهة الجنةلا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (33) [الواقعة:33] هل المراد بذلك أنها لا تنقطع في فصول السنة أم المراد غير ذلك ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والتسعين : إن المراد بذلك عند بعضهم ما ذكر في السؤال وهو أن الفاكهة تنقضي بانقضاء زمانها ثم تعود في السنة الآخرة وأن المراد أنها دائمة التكوين لا تنقطع فهذا مبلغ علم العقول والذي عندنا نحن من العلم في قوله لا مقطوعة ولا ممنوعة أن الله تعالى يجعل لنا فيها رزقا يسمّى قطفا وتناولا كما جعل الله تعالى لعالم الجن في العظام رزقا وما نرى ينقص من العظام شيء فنحن بلا شك نأكل من ثمر الجنة قطفا مع كون الثمرة في موضعها من الشجرة ما زالت عنها لأنها دار بقاء يتكون فيها

....

مكيفة ، ومنهم من حظه لذة غير مكيفة ومنهم من حظه لذة ينقال تكييفها ومنهم من حظه لذة لا ينقال تكييفها وهكذا ، فهم درجات عند الله كما كانوا في الدنيا والفطر مختلفة من أصل المزاج الذي ركبها الله عز وجل عليه .
قال : وهذا هو السبب في اختلاف نظر الخلق بأفكارهم في المعقولات فحظ هؤلاء في لذة النظر مثل ما تخيل إليهم في نظرهم سواء .
قال : واعلم أن خواص الأولياء والعلماء لا ينظرون ربهم إلا في مرآة نبيهم صلى الله عليه وسلم لكونها أكمل المرايا إذ هي حاوية لجميع المرايا .
قال : وغير الخواص من الأولياء والعلماء ينظرون في مرايا من هم على أقدامهم من الأنبياء السابقين وذلك لأن تجليه تعالى في معارف قلوب الأنبياء أتم وأكمل من تجليه في قلوب غيرهم ، لا سيما في باب الإيمان بما جاءت به الرسل من الصفات التي تخيلها العقول فالكامل من لا يطأ مكانا لا يرى فيه قدم الاتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم أبدا .
قال : ومن الأولياء من يطلعه الله تعالى على مستند كل معتقد فهذا يشارك الكل في نعيم الرؤية ، فما أعظمها من لذة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .
قال الشيخ رحمه الله : وأما النار أعاذنا الله منها . فاعلم يا أخي أن الله تعالى خلقها من تجلي قوله تعالى في الحديث القدسي : جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ، الحديث .
وهذا من أعظم تنزل الحق تعالى به لعباده

لأمور ولذلك سميت دار تكوين لا دار إعدام ونظير ذلك سوق الجنة يدخل المؤمن في أي صورة شاء من صور السوق مع كونه على صورته لا ينكره أحد من أهله ونحن نعلم أن قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقائنا على صورتنا فأين العقول والمعقول هنا .
(فإن قيل) : فهل يحجب أهل الجنة عن شيء منها أم هي كلها مشهودة لهم ؟
(فالجواب) : أن من خصائص أهل الجنة أنهم لا يغيب عنهم شيء من العالم بل العالم كله على مراتبه مشهود لهم مع كونهم غير متصفين بالنوم كما مر إيضاحه .
(فإن قيل) : هل يتنعم أهل الجنة بالتمني ؟
(فالجواب) : نعم يتنعمون بذلك بل هو من أعظم نعيمهم فلا يتوهم أحد منهم فوق نعيمه أو يتمناه إلا حصل ووجد نفسه فيه .
(فإن قيل) : فما سبب إعطائهم هذا النعيم المقيم والجزاء العظيم الزائد على مدة طاعاتهم في دار الدنيا ؟
(فالجواب) : السبب في ذلك نيتهم الصالحة التي كانوا عليها في دار الدنيا وذلك أن أحدهم كان يتمنى لو أنه عاش أبد الآبدين لكان مطيعا لله تعالى لا يشرك به شيئا عكس أهل النار فلما قصرت بالمؤمن العناية الإلهية ولم يستوف ما نواه من دوام الأعمال أعطاه الله تعالى نظير هذا التمني في الجنة فيكون له فيها كل ما يتمناه فلحق هذا بأصحاب تلك الأعمال التي كان نواها أبد الآبدين مع راحته في دار الدنيا من التعب كما ورد ذلك فيمن نوى أنه يقوم من

....

لطفا بهم ورحمة ، فمن هذه الصفة خلقت النار ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين .
قال : واعلم أن عذاب أهل النار إنما هو بما يكون في النار لا بنفس النار إذ النار إنما هي دار سجن أهلها وسكناهم لا غير وإنما عذاب أهلها بما يخلقه الله تعالى فيهم من الآلام متى شاء ، فعذابهم حقيقة من الله تعالى وهم محل له ،
قال : ونضج الجلود في جهنم ليس عن النار حقيقة وإنما هو متولد بين النار وأهلها نشأ من مجاورتهما لأن نفس جمرات النار محرقة بالنار فما هي النار انظر وتأمل .
وقال : وما في النار من الزمهرير هو أحد أركان النار لأن الحقائق لا تتبدل وقد خاطب الله تعالى النار بقوله : قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ (69) [الأنبياء : 69] فلو لا أن من حقيقتها البرد ما بردت فالنار تقبل البرد كما تقبل الحرارة سواء ،
قلت : وهذا المحل يحتاج إلى تأمل وتحرير ، وقد أطال الشيخ الكلام على النار في الباب الحادي والستين والباب الثاني والستين من « الفتوحات » ، والله أعلم .
قال : واعلم أن النار لا تحرق من عصاة الموحدين إلا جوارحهم الظاهرة فقط لأن إيمانهم يمنع من تخلصها إلى قلوبهم ،
فانظر يا أخي عناية التوحيد بأهله كيف أمات جوارح جسده حتى لا تحس بالنار فهم كالنائم سواء حتى تأتيهم الشفاعة فإذا بعثهم الله من تلك النومة

الليل فأخذ الله روحه إلى الصباح يكتب الله له أجر قيامه الذي نواه .
(فإن قلت) : قد بلغنا أن لنا جنة برزخية أخرى فما هي تلك الجنة ؟
(فالجواب) : قد أشار القرآن إلى هذه الجنة ولم يصرح بها وذلك في نحو قوله : مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى [محمد : 15] .
قال الشيخ محيي الدين : وإنما كانت هذه الجنة برزخية لأنها ما هي محسوسة كقوله تعالى : مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ [الطور : 20] ولا هي روحانية كقوله تعالى : فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55) [القمر : 55]
فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس قال : وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأنا إليه من النعيم الروحاني فقال للحواريين حين أوصاهم بوصية وفرغ منها فإذا فعلتم ما أمرتكم به كنتم غدا معي في ملكوت السماء عند ربي وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدّسونه وأنتم هناك ملتذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب انتهى .
قال الشيخ : وإنما صرح المسيح بذلك ولم يرمزه كما رمز كتابنا لأن خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة ومطالعة كتب الأنبياء وكانوا متمتعين متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه اتفق مبعثه في قوم أميين أهل براري وجبال غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلا عن معرفتهم بنعيم ملوك الآخرة فلذلك جاء أكثر أوصاف الجنان في كتابهم جسمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم انتهى .
(فإن قيل) : فما الحكمة في كونها أنهار الجنة أربعة من غير زيادة ؟

....

وجدوا إيمانهم على باب النار ينتظرهم فإذا غمسوا في نهر الحياة الذي على باب الجنة دخلوا الجنة ، فلا يبقى في النار من علم أن الله إله واحد جملة واحدة ، قال : ومحل ظهور سلطان الغضب في جهنم إنما هو إذا دخل أهلها إليها ، أما إذا لم يكن فيها أحد فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها منهم متنعمون متلذذون يسبحون الله لا يفترون . قال :
وإنما احتاجت النار إلى جرها بالسلاسل كما ورد لغلبة الرحمة منها على الموحدين فتقول : أتسلل شيئا فشيئا لعل الله تعالى أن يتطاول بالرحمة على عباده كما هو شأن بطانة الخير عند الملك ، فإذا حق الغضب الإلهي على قوم غضبت لغضب الحق كما أنه صلى الله عليه وسلم يقول : سحقا سحقا لمن أخذ بهم ذات الشمال من أمته حين يقال له : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك بعد أن كان قال : أمتي أمتي أول ما رآهم وهم يسحبون إلى النار . وقال : في موضع آخر إنما امتنعت جهنم من الإتيان بسرعة واحتاجت إلى جرها بالسلاسل للرحمة القائمة بها على من تنتقم منه وذلك لأنها ما فتحت عليها من حين خلقت إلا على مسبح لله بحمده ، لا نعرف ما هي الأحكام التي استحق بها المكلف النار إلا أن تعلم ذلك بإعلام من الله تعالى ، فإذا جيء بها وأمرت بالانتقام من الجبابرة والعصاة جذبت إليها أهلها بالخاصية جذب المغناطيس للحديد ،

(فالجواب) : إنما كانت أربعة لأن التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور ماء ولبن وخمر وعسل ولكل قسم من هذه الأربعة أهل فأهل أنهار الماء هم أصحاب العلوم التي يدخلها الآراء وأصحاب أنهار اللبن الحليب الذي لم يتغير طعمه لعقده أو مخضه أو تربيته لأصحاب الاستنباط الصحيح من الأئمة المجتهدين وأصحاب أنهار الخمر هم الأمناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه الصلاة والسلام وأصحاب أنهار العسل المصفى هم أهل العلم بالله تعالى وبشرائعه من طريق الوحي والإيمان وصفاء الإلهام انتهى .
(فإن قلت) : فما صفة التكوين الذي تعطاه أهل الجنة ؟
(فالجواب) : صورته أن كل ما خطر لأحدهم تكوين شيء يكون أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة يكونون ما شاءوا بإرادة الله تعالى لارتفاع الافتقار والذلة هناك فإن الذلة خاصة بأهل النار وما عند أهل الجنة إلا العز .
(فإن قلت) : هل الحكم الأعظم في الجنة للأجسام أم للأرواح ؟
(فالجواب) : الحكم في الجنة للأرواح لا للأجسام عكس الدنيا فتنطوي أجسام أهل الجنة في أرواحهم وتكون الأرواح ظروفا للأجسام ويكون الظهور والحكم للأرواح ولهذا يتحولون في أي صورة شاءوا كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الأرواح دون الأجسام . قال الشيخ محيي الدين رحمه الله : وقد زل بعض أهل الكشف فقال تحشر الأرواح دون الأجسام حين رأى تطور أهل الجنة كيف شاءوا وغاب عنه ما قلناه من انطواء الأجسام في الأرواح فلو حقق الكشف في نظره لرأى الأجسام منطوية في الأرواح.

....

وذلك لأن الشهوات والأفعال المحرمة كانت تجذبهم إلى النار ورسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحجزهم عنها وهم يتفلتون من يده ، قال : وقد أوجد الله تعالى جهنم بطالع الثور ولذلك كان صورتها الجاموس ، وكان طعام أهلها إذا دخلوها طحال الثور الذي هو بيت الدم والأوساخ ومحل يجتمع فيه الدم الفاسد إذ الثور حيوان ترابي طبعه البرد واليبس ، فناسب ذلك أهل النار أشد مناسبة فيما فيه من الدمية ، لا يموت أهل النار بما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا ينعمون ، بل كلما أكلوا من ذلك ازدادوا مرضا وسقما .
(قال) : واعلم أن محل النار وما تحت مقعر أرض الجنة الذي هو سقف النار وبهذه النار يكون صلاح ما في الجنة من المأكولات والفواكه كما تؤثر الشمس النضج في فواكه أهل الدنيا والشمس والقمر والنجوم كلها في النار تفعل في الأشياء هنالك النضج في العلو ، كما كانت تفعل النضج هنا في السفل ، وكما هو الأمر هنا كذلك ينتقل الأمر هناك بالمعنى وإن اختلفت الصور والأحكام . ألا ترى أن أرض الجنة مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النارية وأشجار الجنة مغروسة في تلك التربة المسكية ، فالمسك هناك بمثابة الزبل هنا في تعفين الأرض

(فإن قلت) : فهل تتفاوت أجسام أهل الجنة في الصفاء ؟
(فالجواب) : نعم تتجوهر أبدانهم بحسب صفاء أعمالهم الصالحة في دار الدنيا فكل من كان أكثر إخلاصا في عمله وعلمه وتوحيده كان أنور وأشف .
(فإن قلت) : إذا كان أهل الجنة ترشح أبدانهم مسكا وليس لهم فضلات كالدنيا فهل يكون لهم أدبار أم لا ؟
(فالجواب) : لم يرد لنا في ذلك شيء من طريق النقل والذي يظهر أنه ليس لأهل الجنة أدبار مطلقا لأن الدبر إنما جعل في الدنيا مخرجا للغائط هناك ولا غائط هناك ولولا أن فرج الرجل يعني ذكره يحتاج إليه في جماع زوجته هناك أو للولادة إن وقعت لما كان لأهل الجنة ذكر ولا فرج .
(فإن قلت) : فكم عدد درجات الجنة ؟
(فالجواب) : هي على عدد شعب الإيمان لا تزيد ولا تنقص وقد ورد أن شعب الإيمان بضع وسبعون شعبة والبضع من الواحد إلى التسع فمن اجتمع فيه شعب الإيمان كلها فهو الذي يتبوأ من الجنة حيث يشاء . قال الشيخ محيي الدين : وصورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضا صورة دوائر ثمانية جنة في قلب جنة أعلاها جنة عدن بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة ويلي جنة عدن في الفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم إلى آخرها كما مر ، قال : وكل جنة من هذه الجنان يصدق عليها اسم أخواتها فجنة النعيم مثلا جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى وجنة مقامة إلى آخره .
(فإن قلت) : فهل لهذه الجنان اتصال بمنزلة الوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث

....
لتصيب الثمار كما ذكره الشيخ في الباب السادس والثمانين .
قال : واعلم أن جميع الكواكب التي في جهنم مظلمة الأنوار لا نور لها فالقمر والشمس يطلعان ويغربان في النار لكن بلا نور فصورة الكواكب فيها كصورة الكسوف التام عندنا ، فشمس جهنم شارقة لا مشرقة .
قال : وإنما لم يكن أهل النار يشهدون نور الكواكب لما في الدخان من الكدورة ، وكما كانوا في الدنيا عميا عن إدراك ما جاءت به الشرائع من الحق كذلك صاروا عميا في النار عن إدراك الأنوار ، فليل أهل النار لا صباح له كما أن نهار أهل الجنة لا ليل له ،
قال : ولا يزال هذا الأمر للفريقين أبد الآبدين ، ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لأنه لا يوم بعده .
قال : هو يوم السبت لأن القيامة تقوم يوم الجمعة وما يجيء وقت الضحى من يوم السبت حتى يقع جميع ما في يوم القيامة من الحساب وتعمر الداران بأهلهما من ذلك الوقت ، وتغلق جهنم على أهلها غلقا لا فتح بعده وترى الخلق والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر إذا أوقدت تحته نار قوية نسأل الله العافية . (قلت) : وتمام استقرار أهل كلّ من الدارين فيها قبل انتهاء ضحى ذلك اليوم

كونه هو المشرع لأمته ما وصلوا به إلى دخول الجنة ؟
(فالجواب) : نعم ما من جنة من هذه الجنان إلا وهي متصلة بمقام الوسيلة وذلك ليتنعموا بشهود طلعته صلى الله عليه وسلم فسائر الجنان تتفرع من مقام الوسيلة فلها شعبة في كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لأهل تلك الجنة فهي في كل جنة أعظم منزلة تكون فيها .
(فإن قلت) : فهل درجات الجنة موازية لدركات أهل النار كما قيل ؟
(فالجواب) : نعم هي موازية لها كما ذكره الشيخ في الباب السادس والتسعين ومائتين وإيضاح ذلك أنه ماثم إلا أمر ونهي فإن عمل العبد ما أمر به كانت له درجة وإن عمل ما نهى عنه كانت له دركة موازية لتلك الدرجة لو سقطت من تلك الدرجة حصاة لوقعت على خط الاستواء لتلك الدركة من النار وكذلك الإنسان إذا سقط من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك النزول لذلك العمل عين سقوطه إلى ذلك الدرك فعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ملء الجنان فلا ولي يتنعم بجنته إلا وهو صلى الله عليه وسلم متنعم معه بنعمته مشارك فيها لأن الولي ما وصل إلى ذلك إلا باتباع شريعته صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قائما به في تنعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم “ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها “ فله صلى الله عليه وسلم من لذة النعيم مثل لذة جميع العاملين بشريعته زيادة على ثواب أعماله الزكية وعلى ما قاله الشيخ تقي الدين السبكي وغيره إن جميع شرائع الأنبياء كلهم من باطنه صلى الله عليه وسلم من حيث أنه نبي الأنبياء كلهم فله مثل أجر جميع العاملين بجميع الشرائع.

....

على ما سيأتي في إنهاء الكتاب عند قول الشيخ وينقضي بيوم القيامة جميع ما فيه من المؤاخذات . قال : واعلم أن الفلك المكوكب مخلوق في جوف الفلك الأطلس وما بينهما من خلق الجنات بما فيها ، فهذا الفلك أرضها والأطلس سماؤها قال : ومقعر فلك الكواكب هو الدار الدنيا ومن هناك إلى ما تحته يكون استحالة جميع ما تراه إلى الآخرة ، فينتقل من ينتقل من الدنيا إلى الجنة من إنسان وغير إنسان وما بقي بعد ذلك فهو في النار .
ذكره في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة ، فعلم أن حد النار من مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين وذلك بعد فراغ الناس من الحساب .
قال : واعلم أن أهل النار الذين لا يخرجون منها أربع طوائف : المتكبرون والمعطلة والمنافقون والمشركون ويجمعها كلها المجرمون
قال : تعالى : وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) [يس : 59] أي المستحقون لأن يكونوا أهلا لسكنى النار فهؤلاء الأربع طوائف هم الذين لا يخرجون من النار من إنس وجن .
قال : وإنما جاء تقسيمهم إلى أربع طوائف من غير زيادة لأن الله تعالى ذكر عن إبليس أنه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار إلا بواسطته ، فهو يأتي للمشرك من بين يديه ويأتي للمتكبر من عن يمينه ويأتي المنافق من عن شماله ويأتي للمعطل من خلفه .
قال : وإنما جاء للمشرك من بين يديه لأن المشرك رأى بين يديه جهة غيبته فأثبت وجود الله ولم يقدر على إنكاره فجعله إبليس يشرك بالله في ألوهيته شيئا يراه ويشاهده ، وإنما جاء للمتكبر من جهة

(فإن قلت) : فما أعظم منزلة تكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخرة ؟
(فالجواب) : أن أعظم منزلة تكون له وقوفه بين يدي الله عز وجل كما ينبغي لجلاله لتنفيذ الأوامر الإلهية في ذلك اليوم العظيم فهو الترجمان في حضرة الملك العدل جل وعلا دون جميع الخلق ، قال الشيخ محيي الدين : ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام أن أهل الموقف كلهم يأخذون عنه في ذلك الموطن لأنه هناك وجه كله فيرى من جميع جهاته وله أعلام من الله تعالى في كل جهة يفهم منه ما يريد .
(فإن قلت) : ففي أي منزل يكون أصل شجرة طوبى ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والسبعين من " الفتوحات " والشيخ ابن أبي المنصور في " رسالته " : أن أصل شجرة طوبى في منزل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأن شجرة طوبى هي حجاب مظهر نور فاطمة الزهراء رضي الله عنه فما من جنة من الثمان ولا درجة فيها ولا بيت ولامكان إلا وفيه فرع من شجرة طوبى لا يعرف غالب الناس أين أصله حتى إن بعض من كشف له عن أحوال الجنة زعم أن أشجار الجنة أصولها في الهواء دون الأرض حين لم ير إلا الفرع والحال أنها مغروسة في أرض الجنة التي هي مسك أذفر وأصل ذلك كله حتى يكون سر كل نعيم في الجنان وكل نصيب للأولياء متفرعا من نور فاطمة رضي الله عنها فإن في كل فرع تدلى في بيت أو قصر أو مخدع جميع ما يطلب العبد في الجنة من ثمر وحلل وطير وحور عينٍ وغير ذلك .
(فإن قلت) : فما معنى قوله تعالى :أُكُلُها دائِمٌ؟ وقوله تعالى :وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً

....

اليمين لأن اليمين محل القوة فلذلك تكبر لقوته التي أحس بها من نفسه ، وإنما جاء للمنافق من جهة شماله الذي هو الجانب الأضعف لكون المنافق أضعف الطوائف كما أن الشمال أضعف من اليمين ، ولذلك كان في الدرك الأسفل من النار ويعطى كتابه بشماله .
قال : وإنما جاء للمعطل من خلفه لأن الخلف ما هو محل نظر ، فقال له : ما ثم شيء ،
قال : فهذه أربع مراتب لأربع طوائف ولهم من كل باب من أبواب جهنم جُزْءٌ مَقْسُومٌ [الحجر : 44] ،
قال : وهي منازل عذابهم ، فإذا ضربت الأربعة التي هي المراتب في السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة .
قال : وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا ، منها ألف الله تعالى الكلمات وظهر بها الكفر والإيمان في العالم فترجم بها كل شخص عما في نفسه من إيمان وكفر وكذب وصدق لتقوم حجة الله على عباده ظاهرا بما تلفظوا به .
قال : وإنما كان لجهنم سبعة أبواب لأن أبواب الجنة كذلك سبعة ، وأما الباب الثامن فخاص بجنة الرؤية وهو الباب المغلق في النار ، ويسمى باب الجحيم فلا يفتح أبدا ،
قال : وإنما كان الأمر كما ذكرنا لأن صورة هذه الأبواب صورة الباب الذي إذا انفتح انسد به موضع آخر فعين غلقه لمنزل فتحه منزلا آخر ، فأبواب النار إذا

وَعَشِيًّا [مريم : 62] ؟ فإن الآية الأولى تقتضي دوام الأكل والثانية تقتضي تخصيصه بوقت دون وقت .
(فالجواب) : أن معنى قوله تعالى : أُكُلُها دائِمٌ [الرعد : 35] أي لا ينقطع عنهم شيء متى اشتهوه ، لا أنهم يأكلون دائما لكن لما كان الغذاء يمد الجسم بالقوة كان ذلك بمثابة من يأكل دائما .
(فإن قلت) : فما الفرق بين لذة أكل الدنيا وأكل الجنة ؟
(فالجواب) : الفرق بينهما أن أكل الدنيا تزول لذته إذا نزل إلى الجوف بخلاف أكل الآخرة لذته تدوم مدة بقائه في البطن حتى ينزل عليه طعام آخر يتجدد له لذة أخرى أعم مما قبلها وهكذا .
(فإن قلت) : فما معنى قوله تعالى : بُكْرَةً وَعَشِيًّا [مريم : 62] مع أنه لا شمس هناك ولا قمر كما في دار الدنيا ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في « الفتوحات » : إن معناه مقدار البكرة والعشي بالنظر لأحوال الدنيا قال وذلك لأن الحركة التي كانت تسير بالشمس ويظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة في الفلك الأطلس الذي هو سقف الجنة وجميع الكواكب السيارة سابحة فيه كسباحتها الآن في أفلاكها على حد سواء ، قال : ولولا ذلك ما عرف أهل التقويم في الدنيا متى يكون الكسوف ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن أعيننا فلو لا المقادير الموضوعة والموازين المحكمة التي قد علمها الله تعالى للمقومين ما علم أحد منهم متى يكون الكسوف .
(فإن قلت) : فهل يصح في الجنة رفع حجاب العظمة لأحد من الخواص حتى يرى الخواص ربهم على وجه الإحاطة به ؟

....

غلقت عين فتح أبواب الجنة . (قلت) : وأهل كل باب مبينون ، ففي القرآن فأهل جهنم هم الذين كفروا بربهم ، وأهل السعير هم الشياطين وأهل لظى هم كل من أدبر وتولى وجمع فأوعى ، وأهل سقر هم كل من لم يصل ولم يطعم المسكين وخاض مع الخائضين وكذب يوم الدين ، وأهل الجحيم كل همّاز مشاء بنميم منّاع للخير معتد أثيم إذا تتلى عليه آيات الله قال : أساطير الأولين ، وأهل الحطمة هم كل هماز لماز جماع للمال يحسب أن ماله أخلده ، وأهل الهاوية هم كل من خفت موازينه والله أعلم .
(قال) : وإذا دخل إبليس النار يكون ملأها ، فإنه لا يعذب أحد فيها إلا وإبليس سبب تعذيبه ومشارك له فيه . قال صلى الله عليه وسلم : " ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها " فبهذا الاعتبار كان ملء النار بحقيقته فإنه ما دخل أحد النار إلا لموافقته له . قال : وهذا سر كون مستقره في النار في الطابقة الرابعة فليس هو تخفيفا عنه بالنسبة للدركات السفلية وإنما ذلك

(فالجواب) : حجاب العظمة الذي هو كناية عن عدم الإحاطة به تعالى لا يرفع أبدا وإنما المراد بكمال الرؤية له تعالى زيادة انكشاف أمر لم يكن لأهل الجنة قبل ذلك إذ لو كشف حجاب العظمة لأحاط الخلق علما بربهم ولعرفوه تعالى كما يعلم هو نفسه ولا قائل بذلك فليست لذة الرؤية الواقعة لأهل الجنة كلهم إلا مزيد انكشاف لهم لا غير ، ولذلك قال المحققون أنه تعالى يرى بلا كيف .
(فإن قلت) : فما الوجه الجامع بين قوله تعالى : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [النحل : 32] وبين قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » ؟ .
(فالجواب) : هذا من تعليق الأسباب على مسبباتها ومعلوم أن الكل من الله تعالى فمن نظر إلى توقف دخول الجنة على العمل قال : إنه دخل الجنة بعمله ومن نظر إلى خالق السبب قال : إنه دخل الجنة بفضل الله ورحمته . ونقل الشيخ الكامل الراسخ محيي الدين بن العربي في الباب التاسع والثمانين والمائتين من « الفتوحات » من الشيخ أبي مدين إمام الجماعة رضي الله عنه أنه كان يقول : يدخل السعداء الجنة بفضل الله ويدخل الأشقياء النار بعدل الله وكل أحد ينزل في داره بالأعمال ويخلد فيها بالنيات انتهى ، قال الشيخ محيي الدين وهو كلام صحيح وكشف مليح خبر عليه حشمة وأدب ووقار انتهى والله أعلم .
(خاتمة) : إذا سجد أهل الأعراف السجدة التي يؤمرون بها يوم القيامة رجحت ميزانهم وسعدوا ودخلوا الجنة ، قال الشيخ محيي الدين : وهذه السجدة هي آخر ما يبقى من حكم

....

للإحاطة والشمول . قال : ويكون عذابه في النار تارة بالزمهرير المضاد لنشأته ، وتارة بالنار . قال : ونظير ذلك الجسم الحساس يكون حياته بخروج النفس ، فإذا منع بالشنق أو الخنق انعكس راجعا إلى القلب فأحرقه فمات ، وأهل النار من الجن هم الكفار لا غير لأنه ليس في الجن مشرك ولا معطل ولا منافق
ولهذا قال الله تعالى : كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ [الحشر : 16] الآية .
فألحق الله تعالى الشيطان بالكفار ولم يلحقه بالمشركين ، وإن كان هو الذي يوسوس للإنس بالشرك حتى يشركوا ، فكل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا ، أما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الإله الحق ليسترها عن النظر في الأدلة والآيات وتعيينها في عيسى مثلا وأما شركه فباتخاذه مع الله إلها آخر ويلحق به من آمن ببعض وكفر ببعض
وتأمل قوله تعالى : لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ [المائدة : 72]
ما قال : لقد أشرك لأنه لم يجعل مع الله إلها آخر انتهى ، فليحرر هذا المحل فإنه دقيق . قال : واعلم أن أهل النار يتزاورون لكن على حالة مخصوصة وهي أن لا يتزاور إلا أهل كل طبقة مع طبقته كالمحرور يزور المحرورين والمقرور يزور المقرورين فلا يزور مقرور محرورا وعكسه بخلاف أهل الجنة للإطلاق والسراح الذي لأهلها المشاكل للنعيم

تكاليف الدنيا فإن يوم القيامة برزخ بين الدنيا والآخرة فله وجه إلى أحكام الدنيا به دعي أهل الأعراف إلى السجود الذي رجحت به ميزانهم وبه وجه إلى الآخرة به جوزوا بأعمالهم وما منع أهل الأعراف من الوقوع في النار حال كونهم كانوا على الجسر إلا وجود توحيدهم فهو المانع لهم عن الوقوع حتى وجدت منهم هذه السجدة .
فانظر يا أخي عناية التوحيد بأهله فالحمد لله رب العالمين . وليكن ذلك آخر « كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر » جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم ونفع به مؤلفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه ، وقد ألفته بحمد الله في دون شهر وطالعت « الفتوحات » على عدد مباحثه فكنت أطالع على كل مبحث جميع الكتاب لأخذ النقول المناسبة له وقد عدوا ذلك من الكرامات فإن « الفتوحات » عشر مجلدات ضخمة فعلى ذلك الحساب قد طالعت في كل يوم « الفتوحات » مرتين ونصفا مقدار ذلك خمسة وعشرون جزءا كل يوم وقد قدمنا في مبحث الكرامات أنه يجب على صاحب الكرامة أن يؤمن بها كما يؤمن بها إذا وقعت على يد غيره فالمؤلف أول مؤمن بهذه الكرامة فلله الحمد أولا وآخرا . وكان الفراغ من تأليفه في يوم الاثنين المبارك سابع عشر رجب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بمنزل المؤلف بمصر المحروسة بخط بين السورين هذا ما وجد كله بخط المؤلف بقوله طالعت إلى آخر الكلام . تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين ؛ وقد أنشد العالم العلامة الشيخ محمد الكومي يمدح هذا الكتاب :
يواقيت علم في عقود عقائد * لذا صاغ معناها ففيها جواهر

....

ضد ما لأهل النار من الضيق والتقييد . وقال : اعلم أنه ليس في النار من دركة اختصاص كما في الجنة لأن الناس إنما يعذبون في النار بأعمالهم لا غير وما أخبرنا الحق تعالى قط أنه يختص بنقمته من يشاء أبدا فما نزل من نزل النار إلا بأعماله فقط . قال : ولهذا يبقى فيها أماكن خالية فيخلق الله تعالى لها خلقا يعمرونها وهو قوله تعالى : فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي حسبي حسبي .
قال : وإنما دخل زيادة العذاب على الطائفة التي قال الله تعالى فيهم : زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ [النحل : 88] من جهة أنهم أضلوا غيرهم وأدخلوا عليهم الشبه فالزيادة المذكورة خاصة بالأئمة المضلين وإضلالهم من أعمالهم حقيقة فما ثم زيادة إلا من هذه الحيثية فافهم .
قال : وأشد العذاب على أهل النار ما يقع في بواطنهم من التوهمات ، فإنهم لا يتوهمون قط عذابا أشد مما هم فيه إلا تكون في نفوسهم لوقته وإليه الإشارة بقوله تعالى : نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7) [الهمزة : 6 - 7] .
قال : واعلم أن أطول الناس مكثا في جهنم من عصاة الموحدين هو من يمكث فيها نحوا من خمسين ألف سنة ثم يخرج منها بالشفاعة ،
قال : وإنما قلنا نحوا من خمسين ولم نقل خمسين لأنا لسنا من كمال الخمسين على يقين وإنما استروحنا إلى ما قلناه من قوله تعالى : فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [المعارج :

وما هي إلا وهبة الله للذي * حباه قديما فهي عنه مآثر
هو العبد للوهاب وتر زمانه * بعلم له في الشرق والغرب سائر
يحق لمحيي الدين أحيا علومه * وناصره نعم الولي وناصر
فيا ربنا أوفر جزاء لسعيه * فمنه بدا علم عظيم ووافر
ومن حاز شيئا من نفائس كتبه * له الله يعطي ما يروم وجابر
وناظمه الكوفي يدعى محمدا * عليه من الله الكريم ستائروأنشد الشيخ أحمد الأبوصيري :لقد رحم الرحمن عبدا لواهب * من الخير والإحسان هديا مفصلا
طلا وجلا كل التفاصيل أجملت * فما أحسن التفصيل إذ جاء مجملا
بعيني رأيت البدر في وسط هالة * فقل رحم الرحمن عبدا تفضلاوجد بخط مؤلفه يقول مؤلفه عفا الله عنه : قد كتب على مسودة هذا الكتاب جماعة من مشايخ الإسلام بمصر وأجازوه ومدحوه ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي في مدح مؤلفه : قد اجتمعنا على خلق كثير من أهل الطريق فلم نر أحدا منهم حام حول معاني هذا المؤلف وإنه يجب على كل مسلم حسن الاعتقاد وترك التعصب والانتقاد ونعوذ بالله من حصول حسد يسد باب الإنصاف ويمنع من الاعتراف بجميل الأوصاف وما

....

4] والمقدار إنما يكون تقريبا ولا يقطع بتحديده . قال : وينقضي بيوم القيامة جميع ما فيه من المؤاخذات لعصاة الموحدين فلا يبقى في النار بعد ذلك اليوم أحد ممن وحد الله تعالى ولو مرة في عمره ومات على ذلك فيوم القيامة متصل بيوم الدنيا وليس بينهما إلا ليل البرزخ وفي فجر هذه الليلة تكون نفخة البعث وفي طلوع شمس يومه يكون إتيان الحق تعالى للفصل والقضاء كما يليق بجلاله وفي قدر ركعتي الإشراق ينقضي الحكم وتعمر الداران بأهلهما كما مر فكل منهم خالد فيما هو فيه . قال : وليس عند أهل النار الذين هم أهلها نوم وإنما يكون النوم فيها لعصاة الموحدين فقط وهذا القدر الذي يتنعمون به في النار ويستريحون فمنهم من ينام الألف سنة ومنهم من ينام الأحد عشر ألفا ومنهم إلى قريب الخمسين ألف سنة على ما مر ،
قال : وذلك من رحمة الله بعصاة الموحدين ، قال : فعلم أن أهل النار الذين هم أهلها لا ينامون لقوله تعالى : لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75) [الزخرف : 75]
يعني العذاب : وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ [الزخرف : 75] .
ذكره في الباب العشرين من « الفتوحات » ، قال : وإذا نام عصاة الموحدين يكون نعيمهم في منامهم بالرؤية الحسنة فيرى نفسه مثلا أنه خرج من النار وصار في فرح وسرور وأكل وشرب وجماع ، ثم إذا استيقظ لا يرى شيئا كما يرى أهل الدنيا ذلك في منامهم سواء .
قال : ومنهم والعياذ بالله من يرى نفسه في منامه ذلك في بؤس وضر وعقوبات

أحسن ما قال بعضهم : ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم ومن جملة ما كتبه شيخ الإسلام الفتوحي الحنبلي رضي الله عنه : لا يقدح في معاني هذا الكتاب إلا معاند مرتاب أو جاحد كذاب كما لا يسعى في تخطئة مؤلفه إلا كل عار عن علم الكتاب حائد عن طريق الصواب وكما لا ينكر فضل مؤلفه إلا كل غبي حسود أو جاعل معاند جحود أو زائغ عن السنة مارق ولإجماع أئمتها خارق انتهى . ومن جملة ما قاله شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رضي الله عنه بعد كلام طويل : وبالجملة فهو كتاب لا ينكر فضله ولا يختلف اثنان بأنه ما صنف مثله انتهى . ومن جملة ما قاله الشيخ شهاب الدين عميرة الشافعي رضي الله عنه بعد مدح الكتاب : وما كنا نظن أن الله تعالى يبرز في هذا الزمان مثل هذا المؤلف العظيم الشأن فجزاه الله عن الملة المحمدية خيرا ونفعنا ببركاته وحشرنا في زمرته انتهى ، وكان من جملة ما قاله الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي بعد مدح الكتاب ومؤلفه :
واعلم أن المعتزلة وغيرهم من الفرق الإسلامية وإن ذمهم علماؤنا فلا يقدح في حقنا نقل شيء من مذاهبهم في كتبنا فإنهم على كل حال معدودون من أهل القبلة غير محكوم بكفرهم وإن أخطئوا طريق الاستقامة التي عليها أئمة الشريعة ألا ترى إلى الإمام الزمخشري وإن جنح إلى مذهب المعتزلة كيف وهو معدود من الأئمة وعلماء الأمة وغالب الكتب مشحونة بأقواله من غير نكير فكما لا يخرج المقلد في الفروع لإمام من الأئمة خطؤه في فهمه عن الانتساب إلى

....

وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية .
(قلت) : فقد كذب والله وافترى من نقل عن الشيخ محيي الدين أنه كان يقول : إن أهل النار يتلذذون بدخولهم النار وأنهم لو أخرجوا منها تعذبوا بذلك الخروج وإن وجد نحو ذلك في شيء من كتبه فهو مدسوس عليه ، فإني مررت على كتابه “ الفتوحات المكية “ جميعه فرأيته مشحونا بالكلام على عذاب أهل النار وهذا الكتاب من أعظم كتبه وآخرها تأليفا ، وأنا أسأل بالله العظيم ، كل ناظر في هذه الخاتمة إذا وجد دليلا لكلام الشيخ من الكتاب أو السنة فليلحقه بموضعه أو دليلا على ضد كلامه فليكتبه كذلك في موضعه فإن كلام أهل الكشف لا يتمشى كله على ظاهر النقول ، على أن أكثر اختلاف أهل النقل وأهل الكشف إنما هو في الكيفيات والعلل ، وأما الأحكام فلا خلاف عندهم فيها إذ الكشف الصحيح لا يجيء قط إلا مؤيدا للشريعة ولا يقبل من صاحبها إن قدر مخالفته لها . واعلم يا أخي أني لم أذكر عن الشيخ رحمه الله في هذه الخاتمة إلا بعض الأمور التي تحتملها العقول وأما ما لا تحتمله العقول فتركناه حتى يشاهده أهل الجنة إذا دخلوها وأهل النار إذا دخلوها والحمد لله رب العالمين .
والحمد لله الذي هدانا إلى هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وقد جاء بحمد الله

مذهبه كذلك علماء الأمة من المعتزلة وغيرهم لا يخرجهم خطؤهم عن كونهم من العلماء وقد تبع جماعة من الأئمة مذاهب أهل الاعتزال كالحليمي وغيره ولم يقدح ذلك في إمامته لدقة منازع الفرق وخفائها على غالب الأفهام وكذا طريق الصوفية لا يقدح فيها عدم فهم من ليس من أهلها انتهى ، ومن جملة ما قاله الشيخ محمد البرهمتوشي ونقلته من خطه على نسخة المؤلف :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ، الحمد لله الذي بذكره تتم الصالحات وبتوفيقه تنال الدرجات والصلاة والتسليم على سيد السادات ومعدن الكرامات وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى انقراض الساعات .

وبعد ، فقد وقف العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد البرهمتوشي الحنفي عن « اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر » لسيدنا ومولانا الإمام العالم العامل العلامة المحقق المدقق الفهامة خاتمة المحققين وارث علوم الأنبياء والمرسلين شيخ الحقيقة والشريعة معدن السلوك والطريق من توجه الله تاج العرفان ورفعه على أهل هذه الأزمان مولانا الشيخ عبد الوهاب أدام الله النفع به للأنام وأبقاه تعالى لنفع العباد مدى الأيام وحرسه بعينه التي لا تنام فإذا هو كتاب جل مقداره ولمعت أسراره وسحت من سحب الفضل أمطاره وفاحت في رياض التحقيق أزهاره ولاحت في سماء التوفيق شموسه وأقماره وتناغت في غياض الإرشاد

....

تعالى كتابنا نفيسا يخضع له عنق كل مصنف ترك التعصيب والحمية للنفس ، فإن الشيخ رضي الله عنه كان من أكبر الوارثين كما ذكرنا ذلك في خطبة الكتاب ، وقد أخبرني شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين الحنبلي الفتوحي رحمه الله بعد أن اطلع عليه وكتب عليه وبعد حلفه بالله عز وجل أنه طول عمره ما مر على خاطره حكم واحد مما فيه ولا مما في “ الجواهر والدرر “ فرضي الله عن أهل الإنصاف ، وأرجو من مدد الله ثم من مدد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون جميع ما رقمناه بأناملنا منقوشا في نفوسنا ومحفوظا في أرواحنا ليكون ذلك وسيلة إلى العمل ببعض ما فيه من الأخلاق المحمدية والآداب الشرعية ، ونسأل الله تعالى أن يخلصنا من الدنيا على الرضا والتسليم وأن يخلص أهلها منا بالنظر إلى عوراتنا دون عوراتهم وأن لا يفضحنا بظنوننا ودعوانا ولا بما خفي علمه علينا من عظيم زلاتنا وقبيح إرادتنا ودقيق خطراتنا وكيف لنا بذلك في هذا الزمان الذي هو محل ظهور العجائب والأحوال الرديئة ، وقد استوفينا غالب الأعمال التي أهلك الله بها الأمم السالفة والقرون الماضية وحلت بنا نبأتنا وتحكمت عما لنا فينا بأعمالنا ، وقد قرب انشقاق الفجر الأخروي بقوة عسكر الظلم والصلال وقبض العلوم عن العمل بها وفيض الصلال ، فلا تختم الدنيا إلا على حثالة كما لا يرتفع في منخل التحليل إلا النخالة وقد وصف بعض أهل المائة السادسة زمانه فقال : قد صارت حكماء أهل زماننا ذبابا وعلماؤنا ذئابا وقروده

بلغات الحق أطياره ، فأشرقت على صفحات القلوب باليقين أنواره .
فأسأل الله الكريم أن يمن على العباد بطول حياته والمسؤول من فضله وإحسانه وصدقاته أن لا يخلى العبد من نظره ودعواته وأن يمتعنا بطول بقائه وحياته آمين .
الحمد لله الذي فقه في دينه من اصطفاه من العلماء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنبياء وعلى آله وصحبه ذوي النجابة الفضلاء ، ورضي الله عن العلماء العاملين بكتاب الله وسنة نبيه السمحاء.

....

فضلاء وفهوده عقلاء وتجاره حوفية وفجاره صوفية وثعالبه زهادا وثعابينه عبادا وأتقياؤه فصاحا وأشقياؤه نصاحا وعقاربه وعاظا وحيّاته حفاظا ، استغنوا بالفضائح عن النصائح وعن المعارف بالمغارف وعن الطيبة بالغيبة وعن أسرار الغيوب بأشرار العيوب فلا الآيات السماوية تذكرهم ولا الآيات النفسانية تحجبهم . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى من كل خطأ وزلل وقع من جوارحي الظاهرة والباطنة إلى وقتي هذا عدد كل ذرة في الوجود ، قال ذلك وكتبه مؤلفه العبد الفقير إلى عفو ربّه ومغفرته ومسامحته عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني عفا الله عنه وعن والديه وعن مشايخه وجميع المسلمين .
وكان الفراغ من تأليفه في يوم الأحد حادي عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة من الهجرة الشريفة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل ،
وأنا أستغفر الله العظيم وأتوب إليه من الأقوال والأفعال ،

والحمد لله رب العالمين.

“ 681 “

[فهرس المحتويات]

محتوى الجزء الثاني من : اليواقيت والجواهر

*

تم بحمد الله تعالى رب العالمين

عبدالله المسافر بالله

.